



**الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر في  
العصرين السلجوقي والخوارزمي  
(460-622هـ) (1067-1221م)**

إعداد

أمينة سالم جمعة العمامي

إشراف

أ. د. محمد عبدالعظيم أبو النصر

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في  
التاريخ الإسلامي

جامعة بنغازي

كلية الآداب

ديسمبر

2017

Copyright © 2018. All rights reserved , on part of this thesis may be reproduced in any form, electronic or mechanical, including permission in writing from the author or the directorate of graduate studies and training of Benghazi university.

حقوق الطبع 2018 محفوظة، لا يسمح أخذ أي معلومة من أي جزء من هذه الرسالة على هيئة نسخة الكترونية أو ميكانيكية بطريقة التصوير أو التسجيل أو المسح من دون الحصول على إذن كتابي من المؤلف أو إدارة الدراسات العليا والتدريب جامعة بنغازي.

كلية الآداب



شعبة التاريخ الإسلامي

جامعة بنغازي



قسم التاريخ

الدراسات العليا

## الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي

(460 – 622 هـ) (1067 – 1221 م)

إعداد الطالبة :

أمينة سالم جمعة العمامي

لجنة الإشراف والمناقشة :

التوقيع	الصفة	الاسم
	مشرفاً	أ. د. محمد عبد العظيم أبو النصر
	ممتحناً داخلياً	د. عبد الله علي نوح
	ممتحناً خارجياً	د. عبد الفتاح رجب بولبيض

قُدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة العالية (الماجستير)

في التاريخ الإسلامي بتاريخ : 2017/12/23

يعتمد /

مدير إدارة الدراسات العليا والتدريب بالجامعة

أ. د محمد صالح بوعمود

وكيل كلية الآداب

د. محمود محمد المهدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

سورة المجادلة الآية رقم (11)

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

# الإهداء

إلى مروح والدتي الغالية . . . في جنات النعيم

إلى والدي . . . أطال الله في عمره

إلى أبنائي . . . أدعو الله له بالتوفيق والنجاح

## شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي الأستاذ الدكتور محمد عبدالعظيم أبو النصر المشرف على هذه الرسالة، لما قدمه لي من نصائح وإرشادات سهلت لي إخراج هذا العمل حيث منحني الكثير من وقته وجهده فجزاه الله عني وعن العلم خير الجزاء، كما أفدت منه نبالة خلق وسماحة نفس وسعة صدر.

كما أتقدم بالشكر إلى العاملين بمكتبة جامعة بنغازي ومكتبة جامعة عمر المختار ودار المخطوطات العربية بالقاهرة، ودار الكتب المصرية، والمكتبة المركزية بجامعة القاهرة وعين شمس والإسكندرية لمبادرتهم بمد يد العون مما ساعدني على إتمام دراستي هذه.

والله تعالى أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى فأني كنت قد وفقت فمن الله تعالى، وأن قصرت وأخطأت فمن نفسي ومن الشيطان فلا أدعي الكمال، فالكمال لله وحده وهو نعم المولي ونعم النصير.

## محتويات الرسالة

الصفحة	الموضوع
ب	حقوق الطبعة
ج	ورقة الإجازة
د	الآية
هـ	الإهداء
و	الشكر والتقدير
ز	قائمة المحتويات
ي	الخلاصة
26-1	المقدمة

### التمهيد

#### الإطار الجغرافي والتاريخي لإقليم ما وراء النهر

62-28	أولاً: الإطار الجغرافي
68-62	ثانياً: الإطار التاريخي

### الفصل الأول

#### الأحوال السياسية في بلاد ما وراء النهر من الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي

79-70	- الفتح غير المنظم
91-79	- الفتح المنظم
93-91	- إقليم ما وراء النهر في العصر العباسي الأول
103-93	- إقليم ما وراء النهر في عهود الدويلات المستقلة
118-104	- بلاد ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي

### الفصل الثاني

#### العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة الفكرية

128-120	- طبيعة الإقليم وغناه (التفسير البيئي للتاريخ)
142-128	- اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء
146-142	- الإسلام والتعريب
152-147	- ظهور نمط الكتابة المحلية (الإقليمية)

الصفحة	الموضوع
163-152	- الصراع المذهبي - (السني - السني)، (السني - الشيعي)
173-163	- الرحلات العلمية
176-173	- الأوقاف وأثرها في ازدهار الحياة العلمية
179-176	- العلاقات التركية الصينية وصناعة الورق
<b>الفصل الثالث</b>	
<b>المؤسسات التعليمية في إقليم ما وراء النهر</b>	
192-181	- الكتاتيب
207-192	- المساجد
222-207	- المدارس
233-223	- الزوايا والربط والخانقاوات
235-233	- القلاع والحصون
247-235	- المكتبات
249-247	- حوانيت العلماء
250-249	- حوانيت الوراقين
254-251	- البيمارستانات
261-254	- المجالس العلمية
<b>الفصل الرابع</b>	
<b>النتاج العلمي والأدبي (العلوم النقلية)</b>	
333-264	- أولاً: العلوم الدينية (الشرعية)
368-333	- ثانياً: العلوم اللغوية والأدبية
<b>الفصل الخامس</b>	
<b>العلوم العقلية</b>	
380-371	- علم الطب
389-380	- علم الصيدلة
391-389	- علم النبات
397-391	- علم الكيمياء
403-397	- علوم الرياضيات



الصفحة	الموضوع
408-404	- علم الفلك
417-408	- علم التاريخ
425-417	- علم الجغرافيا
439-426	- علم الفلسفة والمنطق وعلم الكلام
453-439	- الغزو المغولي لبلاد ما وراء النهر وأثره على الحياة الفكرية
462-454	الخاتمة
506-463	قائمة المصادر والمراجع
516-507	الملاحق

## الخلاصة

الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي (460-622هجرى/1067-1221م). تتكون الرسالة من 518 صفحة وتتألف من مقدمة وتشمل أهمية الموضوع وأهداف وأسباب اختياره والصعوبات التي واجهت الباحث والمنهج المتبع في الدراسة ودراسة نقدية لأهم المصادر، وتمهيد وخاتمة وخاتمة وقائمة بالملاحقة والخرائط وأخرى بالمصادر والمراجع.

أما التمهيد فبعنوان الإطار الجغرافي التاريخي لإقليم ما وراء النهر.

وتناول الفصل الأول الأحوال السياسية في بلاد ما وراء النهر من الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي وشمل الفتح غير المنظم والمنظم والتطور السياسي للإقليم حتى العصر الخوارزمي.

أما الفصل الثاني فتناول العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة الفكرية وطبيعة الإقليم وغناه واهتمام وتشجيع السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء والصراع المذهبي والرحلات العلمية والأوقاف.

وجاء الفصل الثالث بعنوان المؤسسات التعليمية في إقليم ما وراء النهر كالكتاتيب والمساجد والمدارس والأربطة والمكتبات وغيرها.

وحمل الفصل الرابع عنوان النتاج العلمي والأدبي (العلوم النقلية) الشرعية واللغوية والأدبية.

وتناول الفصل الخامس والأخير (العلوم العقلية) كالطب والصيدلة والكيمياء والفلك والتاريخ والجغرافيا كما تحدث عن الغزو المغولي لبلاد ما وراء النهر وأثره على الحياة الفكرية.

والخاتمة لخصت أهم نتائج الدراسة.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

يعد نهر جيحون الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية، أي إيران وتوران فما كان في شماله، أي ما وراءه من أقاليم قد سماها العرب بلاد ما وراء النهر (وهو نهر جيحون) وكذلك سموها بلاد الهيطل، وهي المنطقة المتحضرة الواقعة في حوض نهر جيحون - أموداريا - ونهر سيحون (سيرديرا)، كما أطلقوا عليها بلاد التركستان أي (موطن الأتراك)، وسميت أيضاً بلاد آسيا الوسطي وهي عبارة عن شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهمالايا، ومن الجنوب الغربي هضبة البامير، ومن الغرب جبال تيان شان، ومن الشمال جبال الألتاي وبابلونوى وستانوفرى، ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور.

تبلغ مساحة آسيا الوسطي المحصورة بين هذه الحدود حوالي ستة ملايين كم<sup>2</sup>، هي في مجموعها سلسلة من الجبال والهضاب والمنخفضات، ويسكن بلاد ما وراء النهر عناصر صينية وتركية ومغولية وعربية وفارسية.

"وإقليم ما وراء النهر من أخصب أقاليم الأرض منزلة، وأزدها وأكثرها خيراً، وأهله يرجعون إلى رغبة في الخير واستجابة لمن دعاهم، وفي عامة مساكنهم البساتين والحياض والمياه الجارية والأشجار الملتفة والثمار الكثيرة والرياض المتصلة، مما لا يوجد له نظير في كثير من الأمصار، وليس من الأقاليم إلا ويقطأ أهله مراراً قبل أن يقطأ ما وراء النهر".

وعن هذا الإقليم يقول المقدسي (صاحب كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) "هو أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء ومعاني الخير ومستقر العلم، وركن الإسلام وحصنه الأعظم، وجنده خير الجنود، ترى به رساتيق جليلة وقرى غنية وأشجاراً ملتفة، وأنهاراً جارية، ونعماً ظاهرة،

ونواص واسعة، وديناً مستقيماً، وعدلاً مقيماً" وتتقسم بلاد ما وراء النهر إلى خمسة أقاليم رئيسية وهي: خوارزم ويشتمل على دلتا جيحون وبحيرة خوارزم التي يصب بها نهر جيحون وأهم مدنه كاث والجرجانية (أركنج) ثم إقليم الصغد وهو أهم أقاليم ما وراء النهر حتى إنهم عدّوه إحدى جنان الدنيا، ومن أجل مدنه سمرقند وبخارى وبيكندونسف ودبوسية، فقد كانت سمرقند مركزه السياسي، وبخارى عاصمته الدينية، إما إقليم أشروسنة الذي يقع شرقي سمرقند فهو من أقاليم سيحون وقصبته بونجكت وزامين وجيزك، ومرسمنده، ويمثل إقليم فرغانة الإقليم الرابع من أقاليم ما وراء النهر وهو الذي كان يعرف إلى وقت قريب بخانية خوقند، وأشهر مدنه نسا العليا والسفلي، ونقاد، وكاسان وأوزكند وأوش، وخجندة، ثم إقليم الشاش على ضفة نهر سيحون اليمني وأهم مدنه مدينة "تاشكند" أو طشقند وإيلاق واسبيجاب مع النواحي التي في الشمال الشرقي الممتدة حتى مصب سيحون في منابع نهر آرال، ويضاف إليها إقليم الختل والصغانيان ويقع خلف نهر جيحون في القسم الشرقي منه بالقرب من تخوم السند، وتعد هلبك أهم مدنه بالإضافة إلى هلا ورد ولاكند واسكندره.

وكانت بلاد ما وراء النهر تسمى (تركستان الغربية) أو هي حالياً تمثل الجمهوريات الإسلامية التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي المنحل سنة 1991م، وهذه الجمهوريات هي أوزبكستان وتقع في الجزء الشرقي من الاتحاد السوفيتي سابقاً وتشارك حدودها مع أفغانستان، وجمهورية طاجكستان وغيرها من الغرب ومن الشرق أوزبكستان، ومن الشرق تركستان الشرقية (الصينية أو إقليم سيكانج) وجمهورية تركمنستان أو تركمانيا وتقع غرب أوزبكستان، وجمهورية قيرغيزستان وتحيط بها جمهورية أوزبكستان، وطاجكستان وتقع شمال أوزبكستان، وهذه الجمهوريات تعد المداخل الطبيعية لسهول سيبيريا في الشمال، ومن هنا فإن تركستان هي ما

يعرف الآن بجمهورية آسيا الوسطى الخمس الإسلامية وهي تجاور سيبيريا والصين وإيران والهند وأفغانستان.

وكانت أنظار المسلمين قد بدأت تتجه نحو بلاد ما وراء النهر منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعد إتمام فتح خراسان التي أخذها المسلمون ثغراً ليشنوا منه حملاتهم العسكرية لفتح ما وراء النهر التي فتحها القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي 86-96هـ/705-715م في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وقد بسط المسلمون سيادتهم عليها ودخل أغلب أهلها في الإسلام، ودانوا بالطاعة لله عز وجل، وأكمل بنو العباس مسيرة تثبيت الفتوحات الإسلامية واستكمال نشر الإسلام واللغة العربية في ذلك الإقليم، كما كان للدول المستقلة في هذه البلاد دور نشط أيضاً كالتاهرية والسامانية ودولة الأتراك السلاجقة ثم الخوارزميين والمغول والتموريين فيما بعد.

والسلاجقة ينسبون إلى جدهم الأعلى "سلجوق بن دقاق" ويرجع أصلهم إلى هذا الإقليم فهم أتراك اعتنقوا الإسلام على المذهب الحنفي مذهب الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري، وحاربوا الغزنويين أصحاب السيادة على خراسان وما وراء النهر وأسسوا دولة كبرى عرفت بدولة الأتراك السلاجقة سنة 429هـ/1037م في نيسابور، واستولوا على خراسان وتعاقب على حكم دولتهم سلاطين عظام أمثال طغرل بك، وألب أرسلان، وملكشاه وسنجر، ولكن بعد وفاة ملكشاه سنة 485هـ/1092م انفرط عقد الدولة وانقسمت إلى عدة دويلات وكانت بلاد ما وراء النهر جزءاً من هذه الدولة القوية والمنفرطة العقد أيضاً.

وكانت الخلافة العباسية قد ضعفت كما هو معروف ودائماً ما كانت تستعين بالأقوى ضد الأضعف فعلت ذلك مع كل الدول المستقلة فاستعانت بالأتراك السلاجقة ضد الغزنويين وعندما ضعفت الدولة السلجوقية كان الأتراك الخوارزميون قد بدأت قوتهم في الظهور ورغم عداؤهم

للخلافة العباسية وخروج جيوشهم لمحاربتها إلا أن الخوارزميين قد دافعوا عن بلاد ما وراء النهر طوال وجودهم فيها، وتعرضوا في النهاية للغزو المغولي الذي دمر آسيا الوسطى ومعالم الحضارة الإسلامية ومراكزها العلمية.

والإسلام دين العلم، ومنذ بدايته كان يحث على العلم وطلبه فأول الأوامر الإلهية التي تلقاها الرسول الكريم محمد ﷺ كان الأمر بالقراءة قال تعالى: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)" سورة العلق، ولهذه البداية مدلول كبير وعظيم على أن الدين الإسلامي هو دين العلم الذي جاء ليبيد ظلمات الجهل التي كانت تحيا فيه الشعوب وينير الطريق أمام البشرية.

وأعلى القرآن الكريم من شأن العلم وقدره، ورفع الله العلماء مكاناً عالياً قال تعالى "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" سورة المجادلة (11) وقال تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" سورة الزمر (9) وقال الله تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" سورة فاطر (28). وفي السنة النبوية الشريفة وردت أحاديث نبوية كثيرة حث فيها الرسول الكريم ﷺ المسلمين على طلب العلم ومنها (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وقوله عليه السلام (العلماء ورثة الأنبياء) وقوله ﷺ (أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد) وقوله عليه السلام (يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء) (وأول من يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) (واطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) وقوله عليه السلام (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) وقوله ﷺ (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) وقوله عليه السلام (تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله قربي، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل أهل الجنة، وهو

الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء، والزداد عن القادة والأئمة له تقص آثارهم ويقتدي بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم ترغب الملائكة في خلّتهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيّتان البحر وهوامه، وسباع البر وانعامه، لأن العلم حياة القلوب ومصباح الأبصار من الظلم، التفكير فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام به توصل الأرحام، منه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام العمل والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء).

يتضح مما سبق من الآيات القرآنية الكريمة، ومن الأحاديث النبوية الشريفة أن الإسلام أرتقي بالعلم والعلماء، وليس العلم الذي يدعو إليه القرآن الكريم والسنة الشريفة مقصوراً على نوع معين من العلم، إنما يشمل كل أنواع العلوم والتفكير فيها بالعقل الذي هو هبة الله للإنسان يقول أحد الحكماء إن الله تعالى: أنعم على نبيه عليه السلام بأشياء، فلم يمن عليه بأفضل من العلم فقال تعالى: "وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا" سورة النساء (113) وقال عليه . (لولا العلماء ما عبد الله في الأرض، وما رزق العباد، وما أخرجت الأرض نباتها، ولا الأشجار ثمارها، ولا العيون ماءها، ولا السماء أمطارها).

وكان الرسول ﷺ خير عالم لأن الذي علمه هو الله سبحانه وتعالى، كما حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الاهتمام بالعلم والاستزادة منه، وصار منهم الدعاة الذين بعث بهم النبي ﷺ إلى أنحاء شبه الجزيرة العربية ليعلموا الناس وصار منهم أوائل الفقهاء والمحدثين المقربين.

ولهذا كله اهتم الخلفاء والوزراء والولاة والأمراء والملوك بالعلم والعلماء وشجعوهم، وأوقفوا عليهم الأموال، وأنفقوا الكثير في سبيل تحصيل العلم ونشره، ويعتبر العصر العباسي هو عصر العلم بكل فنونه وعلومه وتقدمه. وكان سلاطين السلاجقة العظام وقوادهم ووزرائهم وأمرائهم من أشد الناس حرصاً على العلم، وتشجيع العلماء والإنفاق عليهم، واحترامهم وتقديرهم،

فالكندري وزير أول سلاطين السلاجقة كان عالماً بالعربية والفارسية، قارئاً للأدب محباً له، وأسس الوزير الشهير نظام الملك الطوسي المدارس النظامية التي كانت نواة الجامعات الأوربية الآن.

وبطول العصر الخوارزمي 551-629هـ/1156-1231م، والذي سبق الغزو المغولي لإقليم ما وراء النهر، سار سلاطين الخوارزميين على نفس الدرب في تشجيع العلماء والأدباء والفقهاء وزخر هذا العصر بالكثير من العلماء والأدباء أمثال الزمخشري (ت529هـ/1143م)، الذي حظي برعاية السلطان أتسزخوا رزم شاه فألف كتابه (مقدمة الأدب) وأهداه إليه.

كان هذا الاهتمام بالعلم والعلماء في العصرين السلجوقي والخوارزمي يشمل كل أنحاء الدولة وكانت بلاد ما وراء النهر التي تبعت إدارياً السلاجقة، وحكم منها الخوارزميون واتخذوها مقراً لهم قد نالت حظها من هذا الاهتمام طوال العصرين، فظهر آلاف العلماء والأدباء والفقهاء والمؤرخين والمحدثين الذين أسهموا أسهاماً كبيراً في بقاء صرح الحضارة العربية الإسلامية.

### صياغة المشكلة:

إن موضوع الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي 460-622هـ/1067-1221م.

على حد علم الباحثة - لم يلق عليه الضوء بهذا الشكل الذي يتجه إلى دراسة الإقليم دراسة تحليلية وافية، حيث إن معظم الدراسات التي تناولت هذا الإقليم كانت تذكر الحياة الفكرية بشكل فرعي وثانوي وعابر وسريع، لذلك تكون الحاجة ماسة للخوض في تفصيل الموضوع ودراسته دراسة واقعية متخصصة لإكمال حلقة هامة من حلقات الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر بصفة خاصة، والحضارة الإسلامية بصفة عامة، لهذا أثرت الباحثة إبراز أهم مدن الإقليم وقراه العلمية ومؤسساته التعليمية، وما نتج عن جهود علمائه من نتاج فكري تراكم على مدار قرون طويلة من الزمان.



## أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها مساهمة لإثراء موضوع من الموضوعات الحضارية التي ساهمت بشكل واضح في ازدهار الحياة الفكرية والثقافية في المجتمع العربي والإسلامي، ورسمت صورة مشرفة لهذا الإقليم وعلمائه الذين غدوا وأصبحوا بعيداً عن الأنظار، ولفت نظر الباحثين إلى دراسة التراث الفكري للحواضر الإسلامية، وإكمال ما أغفله الباحثون وكذلك إلى النتائج الفكري لإقليم ما وراء النهر والذي ما يزال معظمه في شكله المخطوط دون تحقيق في محاولة من الباحثة لإبراز قيمته العلمية.

## الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إبراز حضارة المسلمين المنسيين وهم الأتراك والفرس وغيرهم والذين أسهموا أسهاماً كبيراً في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية التي شارك في بنائها العرب والعجم على حد سواء، كما تهدف الدراسة إلى التعريف بأهم العلماء في كل العلوم المختلفة.

## أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختيار الموضوع إلى أسباب شخصية وأخرى علمية تتلخص في الآتي:

## أولاً: الأسباب الشخصية:

فهي رغبتني الشخصية في دراسة موضوع من موضوعات التاريخ الفكري في الحضارة الإسلامية الراقية التي علمت العالم بعلماء مسلمين غير عرب أسهموا أسهاماً كبيراً في النهضة العلمية.

## ثانياً: الأسباب العلمية:

1. التعرف والتأكيد على أن دين الإسلام هو دين العلم حث عليه في آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ.
2. التعرف على بلاد دخلت الإسلام مبكراً وهي آسيا الوسطى أو بلاد ما وراء النهر وهي مجهولة بالنسبة لكثيرين منا.
3. التعرف على الأسباب التي أدت إلى النهضة العلمية في عصور الإسلام الزاهرة وتشجيع الخلفاء والسلاطين والوزراء والأمراء للعلم والعلماء والإنفاق عليهم فيما يسمي الآن (بالبحث العلمي).
4. التأكيد على أن العلم ليس له جنسية ولا حدود ولا جواز سفر، وهذا ما أدّى إلى النهضة العلمية في بلاد ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي وغيرهما من العصور، فلم يكن العالم ولا تلميذه مقيدين بحدود ولا جوازات سفر مما أدّى إلى ظهور عظماء العلماء في كل المجالات.
5. التعرف على أهم المؤسسات التعليمية في بلاد ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي كالمساجد والمدارس، والمكتبات، والبيمارستانات، والقلاع ومجالس العلماء، وحوانيت العلماء والوراقين.
6. التعرف على النتاج العلمي لأشهر العلماء الذين أنجبتهم هذه البلاد في العلوم النقلية والعقلية.
7. التأكيد على أنه رغم الغزو المغولي لهذه البلاد وتدمير مؤسساتها التعليمية وإحراق بعض كتبها وطمس معالمها الحضارية وقتل بعض علمائها، التأكيد على أن الإسلام والمسلمين

قاموا مرة أخرى في هذه البلاد ليصنعوا للحضارة العربية الإسلامية مزيجاً جديداً وعمراً مديداً.

### **الصعوبات التي واجهت الباحثة:**

والواقع أن الصعاب التي واجهتني في بحثي كثيرة ومتعددة، ومنها إغلاق كل المكتبات العامة في بنغازي وخاصة مكتبة الجامعة والمكتبة الوطنية ومكتبة أكاديمية الدراسات العليا، إلى جانب فقر المكتبات في كليات الفروع للجامعة بالمصادر، ومنها كذلك أن المادة العلمية الخاصة بالبحث جاءت مبعثرة ومتناثرة في ثنايا المصادر، كما أنها لم تأتِ بصورة مباشرة، إلا في القليل النادر، أضف إلى ذلك إتساع مساحة المكان موضوع الدراسة، وطول الفترة الزمنية لموضوع الدراسة، والذي تطلب الإطلاع على كثير من المصادر التي تعددت وتتنوعت بين مصادر جغرافية، ومصادر أدبية، هذا إلى جانب كتب التراجم والطبقات والمصادر الفارسية وغير المترجمة، إلى جانب حاجتي لترجمة بعض المصادر والمراجع الفارسية، مما اضطرني للسفر إلى الشقيقة مصر لشراء الكتب والإطلاع في مكتباتها العامرة، وترجمة بعض المصادر والمراجع الفارسية والاستعانة ببعض المخطوطات.

### **المنهجية المتبعة في الدراسة:**

أتبع في دراستي المنهج التاريخي السردى الوصفي التحليلي وهو منهج قائم على تفسير الأحداث ومعرفة عللها ونتائجها وسردها ووصفها من خلال الدراسة النقدية للمصادر الأولية والمراجع ذات العلاقة الوطيدة بالبحث، ولهذا قسمت الدراسة إلى تمهيد وخمسة فصول وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، أما المقدمة فقد تناولت فيها تحديد مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وأسباب اختياره، والمنهج المتبع فيه، والصعوبات التي واجهت الباحثة أثناء الدراسة، كما قمت بدراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها:

**أما التمهيد:** فجاء بعنوان الإطار الجغرافي والتاريخي لإقليم ما وراء النهر حيث تناولت الاسم في اللغة والاصطلاح والموقع والحدود والمناخ والتضاريس ثم السكان وعناصرهم، وتاريخ بلاد ما وراء النهر منذ الفتح العربي الإسلامي مروراً بالدولة الأموية ثم العباسية والدول التي استقلت به حتى ظهور السلاجقة كالتاهرية والسامانية والغزنوية.

**أما الفصل الأول:** فحمل عنوان الأحوال السياسية في بلاد ما وراء النهر من الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي، واستعرضت فيه بأذن الله تعالى الفتح الغير المنظم والفتح المنظم وإقليم ما وراء النهر في العصر العباسي الأول وإقليم ما وراء النهر في عصر الدويلات المستقلة وبلاد ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي، حيث تطرقت لأصل السلاجقة ونسبهم وكذلك الخوارزميين وهجرتهم وتكوين دولتهم وأهم سلاطينهم مثل طغرلبيك وألب أرسلان وملكشاه ومحمد ومحمود أبناء ملكشاه والسلطان سنجر، ثم تفكك الدولة واستيلاء السلاجقة على الإقليم وأهم ولاته منهم حتى سقوطه في أيدي الخوارزميين وأصل الخوارزميين وأهم الأحداث التاريخية في عهدهم.

**أما الفصل الثاني:** فجاء عنوانه العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة الفكرية حيث طبيعة الإقليم وغناه واهتمام وتشجيع السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء والإسلام والتعريب وظهور نمط الكتابة المحلية (الإقليمية)، والصراع المذهبي والرحلات العلمية والأوقاف وصناعة الورق.

**والفصل الثالث:** وهو بعنوان أهم المؤسسات التعليمية في بلاد ما وراء النهر كالكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا والربط والخانقاهات والقلاع والحصون والمكتبات وحوانيت العليا وحوانيت الوراقين والبيمارستانات والمجالس العلمية.

**أما الفصل الرابع:** فجاء بعنوان النتاج العلمي والأدبي (العلوم النقلية)، حيث تناولت أشهر العلماء في العلوم الدينية (الشرعية) كالقراءات والتفسير والحديث والفقه، وعلم التوحيد، وعلم التصوف ثم العلوم اللغوية كعلم اللغة، والنحو، والعلوم الأدبية، كالأدب، والشعر، والنثر.

**أما الفصل الخامس:** فتناولت فيه النتاج العلمي في العلوم العقلية في الطب والصيدلية والفلك والنبات والكيمياء وعلوم الرياضيات وعلم الفلك وعلم التاريخ والجغرافيا، ثم علم الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ثم تناولت الغزو المغولي لبلاد ما وراء النهر وأثره على الحياة الفكرية. ثم الخاتمة التي تناولت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

### **دراسة نقدية في أهم المصادر:**

كان لتعدد عناصر السكان، واتساع رقعة بلاد ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي ومتاخمتها بلاد غير إسلامية وبلاد إسلامية أثره في تعدد المصادر التي أرخت لحياة هاتين الدولتين، فتوزعت أمكنة ولغات المؤرخين، مما زاد الأمر صعوبة أمام الباحث، إلا أن التنوع المنهجي والغني العلمي لهذه المصادر قرب من الحقيقة المرجوة التي اعتمد عليها البحث بين مصادر عربية مخطوطة، ومطبوعة وأخرى فارسية، وأجنبية، مما جعلها ذات أهمية كبيرة في دراسة الحياة الفكرية في الإقليم، وسنعرض لبعض هذه المصادر بالنقد والتحليل:

**أولاً المخطوطات:** اعتمد البحث على بعض المخطوطات وان كانت قليلة إلا أنها شكلت مادة وفيرة للباحثة وأهمها مخطوط (شرح قاضي خان على الزيادات لمحمد ابن حسن الشيباني) ومؤلفه قاضي خان بن منصور بن محمود الأوزجندي (ت 592هـ / 1195م) وترجع أهمية هذا المخطوط انه من تأليف أحد علماء فرغانة خلال فترة البحث، كما يتضح من لقبه فهو ينتمي إلى اوزجند، وقد أفادني هذا المخطوط فائدة كبيرة من عدة جوانب، فقد وافانا بترجمة وافية لكاتب المخطوط باعتباره أحد علماء فرغانة، ومؤلفه في الفقه الحنفي يُعدّ أحد نتاج فرغانة الفكري في

العلوم النقلية بالإضافة إلى شكل المخطوط، وطريقة كتاباته والورق المكتوب عليه، مما جعله ذات فائدة عظيمة لموضوع البحث.

ومن المخطوطات التي أفادت البحث فائدة كبرى مخطوط (المبادئ اللدنية للعلوم النقلية والعقلية) لأحمد بن محمد السباعي ت 1266هـ/ 1850م والمحفوظ بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة رقم 70 علوم متنوعة، وهو مخطوط مكون من تسع أوراق، وعلى الرغم من ضآلته إلا أنه أفاد البحث في توفير مادة علمية في العديد من العلوم النقلية كالنحو والتفسير والفقه وأصوله، وعلم اللغة ما أعطى البحث قيمة في بعض جوانبه المهمة.

أما مخطوط بدء الامالي لمؤلفه الاوشي الفرغاني (ت 569هـ/ 1173م) والمحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة برقم 663 توحيد، فهو عبارة عن منظومة شعرية وأدبية في شكلها العام إلا أن محتواها الداخلي ما هو إلا مثالاً حيّاً لإرهاصات علم الكلام، بين الفرق الفقهية فما هو إلا منظومة في علم التوحيد للرد على المعتزلة وتكفيرهم في مسألة خلق القرآن الكريم، وصفات الله تعالى، وهذا ما يؤكد إشكالية الصراع بين المذاهب، والفرق الفقهية كعامل من عوامل النهضة الفكرية في إقليم ما وراء النهر.

كما اعتمدت الدراسة على عدد المخطوطات المحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية والمكتبة الأزهرية، معظمها من النتاج الفكري لعلماء إقليم ما وراء النهر، وتعود قيمة هذه المخطوطات ليس إلى ناحية المادة العلمية التي تحويها المخطوطات، بل إلى التعريف بكيفية كتابة المخطوط، وكذلك المذاهب، وعلوم النحو، والفلك، وغيرها من العلوم النقلية والعقلية التي برع فيها علماء إقليم ما وراء النهر، وأساليب كتابتها المعتمدة على الاجتهاد، والإسناد والتأويل، والسرد في مجال العلوم النقلية، وكافة علماء التجريب في مجال العلوم العقلية وجميعها أفادت البحث في جوانب عدّة، ومثبتة بثبوت المصادر.

ثانياً المصادر المطبوعة:

- كتب التاريخ العام:

كتاب (فتوح البلدان) للمؤرخ أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت271هـ/982م) والذي يُعدّ منهاجاً سار عليه من جاء بعده من كتاب الفتوح والمغازي، وأفادني هذا المصدر المهم في الفصل التمهيدي من البحث عند الحديث عن الفتوحات الإسلامية لإقليم ما وراء النهر وفي تسمية الحكام وألقابهم وخاصة ألقاب ملوك فرغانة- الأخشيدي- الذي كان يلقب به حاكم فرغانة قبل الإسلام وبعده.

ويُعدّ كتاب (الفتوح) ابن اعثم الكوفي (ت 314هـ/629م) هو النموذج المنهجي لكتاب فتوح البلدان للبلاذري، وقد سار على نفس منهجه العلمي والموضوعي، وقد أفادنا في الحديث عن الأحداث العسكرية للفتوحات الإسلامية، ودراسة مجتمع بلاد ما وراء النهر وعقائده وعاداته وتقاليدته، كما أفادني في الحديث عن المراسلات الرسمية بين الخلفاء، وأمراء وقادة الولايات الشرقية، كذلك صيغ العهود والتي كتبها القادة الفاتحون لأمراء وملوك تلك البلاد مثل العهد الذي كتبه قتيبة بن مسلم - فاتح بلاد ما وراء النهر وفرغانة لأخشيدي فرغانة ونصه "هذا ما صالح قتيبة بن مسلم عمرو الباهلي...". مما يدل على أهمية كتاب الفتوح الذي أفاد كثيراً في الفصل التمهيدي في البحث، كما أفاد البحث في فصله الأول عند الحديث عن استقرار العرب في بلاد ما وراء النهر واستقرار القبائل العربية وتعليمها للأتراك وكتابة الكتب بها وتعلمهم بها وكان ذلك من عوامل ازدهار الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر وهذا ما تناوله الفصل الثاني من الرسالة. أما كتاب (تاريخ الرسل والملوك) لابن جرير الطبري (ت 310هـ/923م) فهو من كتب التاريخ العام ويعتبر من أوفى الأعمال التاريخية التي أفادت الرسالة في فصولها الأولى من حيث تاريخ الخلفاء وأخبارهم، وقد أفدت منه عند الحديث عن أحوال إقليم ما وراء النهر سياسياً

وتاريخياً ودينياً كما أخذت منه في الحديث عن الفتوحات الإسلامية للإقليم، وفي الحديث عن دور بلاد ما وراء النهر في العصرين الأموي والعباسي، وأهم العلماء الذين خرجوا منها. ويأتي كتاب **(تاريخ دولة آل سلجوق)** لمؤلفه الوزير أنوشروان بن خالد الكشاني (ت532هـ/1137م) والذي ألفه بالفارسية أصلاً، وترجمه بعد ذلك بإضافة كثير من الزيادات (عماد الدين الأصفهاني) 579هـ/1123م ثم اختصر الترجمة العربية ونشرها بعد ذلك (الإمام الفتح بن البنداري) سنة 623هـ/1226م ونشره المستشرق هوتسيما (Houtsma) حيث بحث العلاقة بين هذه الكتب في مقدمته التي قدم بها طبعته لنسخة (البنداري)، وقرر أن هذه النسخة توجد في صورتين مختلفتين الأولى منها مطولة وتشتمل عليها مخطوطة أكسفورد، والأخرى قصيرة وتشتمل عليها مجموعة باريس، ولهذا الكتاب أهمية خاصة لأنه يحتوي على التاريخ السياسي للسلاجقة منذ بدء ظهورهم، ونسبهم، ومرحلة تكوين دولتهم مما أفادني في الفصل الأول من الدراسة والكتاب يحتوي على تراجم السلاطين السلاجقة الواحد تلو الآخر، كما أمدني بمعلومات عن المدارس النظامية ومدرسيها كما تضمن كثيراً من الأشعار التي دلت على مدى تشجيع سلاطين السلاجقة للشعر والشعراء ولكن يؤخذ على كتاب البنداري ركافة الأسلوب وغموضه وتعقيد المعاني في كثير من الأحيان.

وبليه في الأهمية بالنسبة لتاريخ السلاجقة كتاب **(أخبار الدولة السلجوقية)** أو **(زبدة التواريخ في أخبار الملوك والأمراء والملوك السلجوقية)** وحققه الدكتور/ محمد نور الدين وقد اختلف المؤرخون حول هذا الكتاب، يبدو أنه من كتاب النصف الأول من القرن السابع الهجري حيث نسب التأليف إلى جمال الدين أبي الحسن القفطي أو أبي علي الحسن بن علي بن ظافر الازدي مؤلف كتاب **(أخبار الدول المنقطعة)** والذي ولد بمصر سنة 566هـ/1170م حيث يرى بعض الباحثين أن هناك تشابهاً بين أحداث أخبار الدول المنقطعة وأخبار الدولة



السلجوقية ولكن يبدو أن هذا الرأي خطأ حيث أن مؤلف أخبار الدولة السلجوقية، أو زبدة التواريخ قد عاش في الأنحاء الشرقية من العالم الإسلامي في أذربيجان أو خوارزم بينما عاش الازدي في مصر أيام الأيوبيين، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه يعرض لتاريخ دولة الأتراك السلجقة منذ نشأتها في نيسابور سنة 429هـ/1037م حتى سقوطها ولهذا أفادني في الفصل الثاني من البحث عند الحديث عن الصراع المذهبي وأثره في ازدهار الحياة الفكرية.

ومن المصادر المهمة التي أسهمت في دراسة أحوال المشرق الإسلامي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية كتاب **(المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)** لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ت سنة 597هـ/1200م، وهو كتاب لا غنى عنه للباحث في تاريخ المشرق الإسلامي، وهذا الكتاب أمدني بمعلومات وافية ووفيرة في الفصل الأول عن قيام دولة السلجقة ودخولهم بغداد، وعلاقتهم بالخلافة العباسية، كما أفدت منه في الحديث عن الدولة الخوارزمية إلى جانب أنني أفدت منه في الفصل الثاني والرابع والخامس.

ومن المصادر المهمة والقيمة التي اعتمد عليها البحث كتاب **(الكامل في التاريخ)** لأبن الأثير علي بن احمد ابن محمد ت 630هـ/1238م والذي يشمل التاريخ العام للعالم الإسلامي إذ يتميز عن غيره بكثرة وثائقه، والتوازن في تناول الأحداث بالنسبة لأقاليم الدولة الإسلامية مع الموازنة بين الأحداث والربط بينها، وقد حرص ابن الأثير على استقاء معلوماته من مصادر تاريخية معاصرة للفترة التي يكتب عنها، فنراه ينقل من الهمداني وابن الجوزي حيث يتحدث عن تاريخ العراق، وينقل من ابن شداد والصنهاجي حين يتناول تاريخ المغرب وهكذا.

وقد تجلت مواهب ابن الأثير في طريقة عرضه للحقائق إذ حذف التفاصيل التي لا داعي لها، ووثق مصادره وأخباره، وجمع بين شتات الأخبار ليجعل منها وحدة متماسكة، وقد أمدني هذا الكتاب القيم بمعلومات قيمة وغزيرة في كل فصول الرسالة، ففي الفصل الأول (الأحوال

السياسية) أمدني بمعلومات وافية عن أصل السلاجقة وهجرتهم نحو المشرق، وقيام دولتهم وحروبهم مرتباً بالأحداث بالنظام الحولي كما أمدني بمعلومات وافية عن الحالة الدينية التي كانت ترزخ تحت نيران الصراع المذهبي بين أصحاب المذاهب السنية، ومدى تعصب نظام الملك الطوسي للمذهب الشافعي الأشعري، وأهم مراكز الثقافة ومعاهدها في بلاد ما وراء النهر والعراق وأشهر العلماء والأدباء والشعراء والمؤرخين في العصر السلجوقي، كما أفدت منه في الفصل الأول فقد أمدني بمعلومات عن الصراع السلجوقي الخوارزمي، ونهاية السلاجقة كما أفدت منه في معرفة سلاطين ووزراء السلاجقة والخوارزميين ودورهم في تطور الحياة الفكرية، وفي الفصل الرابع والخامس أمدني بمعلومات عن علماء خراسان وإثرهم في الحياة الفكرية.

ومن المصادر التاريخية المهمة التي اعتمدت عليها كتاب (البداية والنهاية) لأبن كثير (ت774هـ/1372م) والمؤلف حافظ، ومحدث ومفسر ومؤرخ، وترجع أهمية هذا المؤلف لحرصه على استقاء المعلومات من مصادر تاريخية معاصرة للفترة التي يكتب عنها، فلقد استشهد بمؤلفات ابن الجوزي وابن الأثير، حيث اتبع منهج النظام الحولي، كما ركز المؤلف على الوفيات للشخصيات المهمة والعلماء في نهاية كل سنة يؤرخ لها، لذلك فقد أفادني في الفصلين الرابع والخامس من الرسالة كما أفدت منه في الفصل الخامس إفادة كبرى عند الحديث عن الغزو المغولي لبلاد ما وراء النهر، وما أحدثه المغول من تخريب وتدمير للعلم ومؤسساته.

#### - المصادر الجغرافية:

لعبت كتب الرحالة والجغرافيين دوراً كبيراً في الوقوف على كثير من التفاصيل، والمعلومات التي تساعد باحث التاريخ في تحليل وتدوين الحقائق التاريخية، وتُعدّ كتب الجغرافية الإسلامية العامة إحدى منابع تواريخ الأقاليم والمدن المشرقية، فقد اهتمت هذه الكتب ببلدان المشرق الإسلامي وأهمها:

كتاب **(المسالك والممالك)** لأبي القاسم عبد الله بن خراذبة (ت 300هـ/ 912م) الذي يعتبر من أقدم كتب المدن والأقاليم المشرقية فيما يعرف بالجغرافية الوصفية، وقد أفاد الدراسة كثيراً عند التعريف ببلاد ما وراء النهر ومناخها وسكانها قبل الإسلام وأهم مدنها وقراها وطرقها التجارية التي عرضت لها في التمهيد، وفي الفصل الثاني عند الحديث عن الطرق التجارية التي حملت العلماء كعامل من العوامل التي ساعدت على النهضة الفكرية في إقليم ما وراء النهر.

ويأتي كتاب **(مسالك الممالك)** للاصطخري (ت 309هـ/ 921م) ضمن أعمدة الجغرافية الإقليمية، فقد دخل إقليم ما وراء النهر، وأعطى لها وصفاً جغرافياً دقيقاً، وقد أفاد البحث كثيراً في الفصل التمهيدي في الحديث عن جغرافية بلاد ما وراء النهر وأقاليمها وكورها ومدنها وقراها، وطرقها التجارية، وأهميتها الفكرية، وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية، والدينية قبيل الإسلام، كما أفادني عند الحديث عن المؤسسات التعليمية في الفصل الثالث.

أما كتاب **(صورة الأرض)** لابن حوقل (ت 367هـ/ 977م) فهو من أهم المصادر لدارسي تاريخ المشرق الإسلامي، وقد أفاد البحث في الفصل التمهيدي خاصة عند الحديث عن ثراء إقليم ما وراء النهر ووصفه، وطبيعته الجغرافية التي كانت إحدى عوامل النهضة الفكرية، وما يحتويه الإقليم من ثروات زراعية ومعادن ودواب، والطرق التجارية التي حملت العلماء.

ويعتبر كتاب **(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)** للمقدسي البشاري (ت 390هـ/ 1000م) من أهم الكتب الجغرافية التي اعتمد عليها البحث في وصف مدن وقرى بلاد ما وراء النهر وموقعها وحدودها ومناخها، وسكانها، وطرقها، وأحوالها الإدارية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والثقافية قبل الإسلام وبعده، كما أفادني في الفصل الثاني عند الحديث عن عوامل ازدهار الحياة الفكرية. على أن أهم المصادر الجغرافية التي اعتمد عليها البحث في كل فصوله كتاب **(معجم البلدان)** لياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1126م) فهو من أهم الكتب، والمدونات الجغرافية على

الإطلاق، ولم يخل فصل من فصول الرسالة دون الاستفادة منه، وترجع أهميته إلى أنه قدم وصفاً وافياً لكور ومدن وقرى إقليم ما وراء النهر، واهم مساجده وأسواقه، بل كان عماداً رئيسياً في الفصلين الرابع والخامس عند ذكر علماء كل بلد ونسبهم في نهايته ووصفة لكل كوره ومدينة وقرية، وقد أمتاز كتاب (معجم البلدان) بترتيبه على حروف المعجم، ودقته واتساعه وجمعه بين الجغرافيا والتاريخ والأدب وقد فرغ ياقوت الحموي من تأليفه سنة 621هـ/ 1224م أي قبل وفاته نحو خمسة أعوام، وقد أفادني هذا المعجم إفادة كبيرة في تحقيق أسماء المدن والأماكن بضبط لغوي محكم مما سهل قراءة الكثير من أسماء المدن والقرى في إقليم ما وراء النهر.

ويرتبط بالكتب الجغرافية المشرقية كتاب (لغات ديوان الترك) لمؤلفه محمود الكاشغري وهو أكثر المصنفين المسلمين الذين أفاضوا في ذكر وكتابة تاريخ القبائل التركية، ومواطنها وعاداتها ولهجاتها، وقد أفاد البحث عند الحديث عن قبائل الترك وعاداتهم وألقابهم في الفصل التمهيدي.

#### - كتب التراجم والطبقات والأنساب:

تعتبر كتب التراجم والطبقات من أهم المصادر التي اعتمدت عليها البحث لما حوته من تراجم للعديد من العلماء في مختلف العلوم النقلية والعقلية ومنها:

كتاب (الفهرست) لابن النديم (ت380هـ/995م) فهو من الكتب التي ترجمت للعلماء ولغات الأمم من العرب، والعجم، وأسماء كتب الشرائع المنزلة على مذهب المسلمين وأخبار القراء، واللغويين، وأسماء كتبهم، والشعراء، والمتكلمين، والمذاهب الإسلامية، والفقهاء المحدثين، وأخبار علماء المسلمين في الفلسفة، والعلوم القديمة كالمنطق والهندسة والموسيقى، والطب وغيرها، وقد أفاد البحث كثيراً في الفصلين الرابع والخامس.

كتاب (طبقات الصوفية) لأبي عبدالرحمن السلمي (ت412هـ/ 1021م) والذي يعد موسوعة مهمة لأشهر علماء التصوف في العالم الإسلامي، وقد أفادني في الحديث عن علماء التصوف في إقليم ما وراء النهر عند الحديث عن النتاج العلمي في الفصلين الرابع والخامس. ويأتي كتاب (القند في ذكر علماء سمرقند) لمؤلفه عمر النسفي (ت537هـ/ 1142م)، ذخيرة علمية هائلة لعدد وفير من العلماء المسلمين في الفقه الحديث، والقراءات، وغيرها من العلوم من الذين عاشوا في سمرقند الذين درسوا فيها أو رحلوا عنها ليعلموا فيها أو في غيرها من بلدان ما وراء النهر.

أما كتاب (أنباه الرواة على أنباء النحاة) لأبن القفطي (ت646هـ/ 1248م) فهو معجم شامل لتراجم علماء النحو، واللغة كما تضمن كذلك تراجم كثيرة للقراء والفقهاء، والمحدثين والمتصوفين والأدباء والشعراء، والمؤرخين مما كان له أكبر الأثر في تراجم علماء النحو واللغة في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي.

أما كتاب (وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان) لابن خلكان (ت681هـ/ 1282م) فقد أمد البحث بمعلومات وفيرة عن محدثي ومؤدبي إقليم ما وراء النهر ودورهم في النهضة الفكرية إلى جانب كثير من العلماء الذين وفدوا إليها من مختلف بلاد العراق وخراسان والمشرق الإسلامي وأثروا فيها.

أما مؤلفات الذهبي فكثيرة وهو الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ/ 1374م) وكلها موسوعات في التراجم التي حوت آلاف العلماء في الفقه والحديث، والسيرة والنحو والأدب، واللغة، والقراءات وغيرها ومنها سير أعلام النبلاء، تهذيب سير أعلام النبلاء، ميزان الاعتدال في معرفة الرجال، وغيرها مما أفاد البحث كثيراً في الفصلين الرابع والخامس. ويأتي كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي (ت771هـ/ 1369م) على رأس الكتب

التي ترجمت لعلماء الشافعية في العالم الإسلامي، خاصة في مشرقه، وقد أمدني هذا الكتاب بترجمة لعدد من علماء الشافعية الكبار، واهم الزوايا التي عاشوا فيها والأريطة التي عملوا فيها مما أفاد البحث في الفصل الثالث والرابع والخامس.

أما كتاب (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) لمؤلفه أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت775هـ/1373م) فقد أفدت منه في الفصل الثالث عن الحديث عن المؤسسات التعليمية ببلاد ما وراء النهر، وأثار علماء الإقليم في الفقه الحنفي ومن درسوا على أيديهم ولمن استفادوا منهم كذلك أفاد البحث في الفصلين الأخيرين في أثناء الحديث عن علماء الأحناف ببلاد ما وراء النهر.

أما كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لمؤلفه ابن أبي أصيبعة (ت667هـ/1269م) فهو كتاب لا غنى عنه لدارس طبقات الأطباء في العالم الإسلامي، ليس هذا فقط، بل حوت صفحاته معلومات قيمة عن نشأة البيمارستانات وأهميتها، وأنواعها وبعض الفلاسفة والصيادلة، والكيميائيين، مما أفاد البحث كثيراً في الفصل الأخير.

ويأتي كتاب (اللباب في تهذيب الأنساب) لابن الأثير (ت630هـ/1238م) والذي يعتبر من أهم الكتب التي ترجمت للعلماء على حروف المعجم، فقد ذكر عدداً من علماء الحديث والفقه والتصوف والتاريخ وغيرها من العلوم، مما أفاد البحث في الفصل الرابع والخامس.

أما كتاب (الأنساب) للسمعاني (ت562هـ/1166م) فهو يمثل ركيزة أساسية من ركائز البحث، فالسمعاني طاف ببلاد المشرق، وخراسان وما وراء النهر والتقى مع العلماء، وحضر الفقهاء والأدباء والمحدثين، والشعراء والأدباء، مما أعطى لنا مادة علمية وفيرة في الفصل الثالث والرابع والخامس.

**المصادر الفقهية:** مثلت كتب الفقه رافداً أساسياً في رصد علماء الفقه في الإقليم ومنها  
(كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية) لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت450هـ/  
1058م) وهذا المصدر المهم يقرر النظم الإدارية والمالية في الدولة الإسلامية وقد التزم  
الماوردي في منهج كتبه ومصادر مؤلفاته بما يتفق وتكوينه الديني، فقد جعل كتاب الله على قمة  
مصادره التي تستقي منها مادته العلمية، ثم يهتدي بالأحاديث الشريفة والسنة العطرة وما هو  
موروث عن الخلفاء الراشدين ثم يفكر ويتأمل وي طرح قضايا يجتهد فيها بنفسه، وقد تولى القضاء  
في بلدان كثيرة، ولقب بلقب (أفضى القضاة) سنة 429هـ/1037م لتبحره في الفقه، ويعتبر  
الماوردي رائد الفكر السياسي في الإسلام وقد أمدني هذا المصدر المهم بكثير من المعلومات  
حول سلطنة السلاجقة ورسومها وخراجهم وقد ترجم إلى عديد من اللغات الأجنبية، حيث يُعدّ  
أشهر كتب الماوردي على الإطلاق.

ويأتي كتاب (الملل والنحل) لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم أبي بكر الشهرستاني  
(ت548هـ/1336م) في مقدمة كتب الفقه والذي يعتبر دائرة معارف مختصر للأديان والمذاهب،  
والفرق، وقد أهدت منه في الفصل الأول والثالث وفي الفصل الرابع عند الحديث عن الفرق بين  
المذاهب الدخيلة على الإسلام.

أما كتاب (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م) فقد أمد  
البحث بمعلومات وفيرة عن علوم القرآن وعلماءه وعلماء القراءات مما أفاد في الفصل الرابع من  
البحث. وكتاب (كمال الدين وتمام النعمة) لابن بابوية القمي المعروف بالشيخ الصدوق  
(ت381هـ/911م) فهو من كتب الفقه الشيعي المهمة والتي مثلت مادة علمية مهمة للبحث  
لكون مؤلفه أحد الواردين على بلاد ما وراء النهر، وتعلم على يديه عديد من أبناء الإقليم، مما  
أعطى البحث مادة علمية وافرة لبعض جوانب النتاج الفكري مما أفادني في الفصل الرابع.

كتاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) وترجع أهمية المؤلف أنه كان من علماء وفقهاء الفترة كما ترجع أهمية الكتاب، بأنه أفاد الفصل الثالث في معرفة الآداب التي لا بد أن يتحلى بها العالم وطالب العلم، كما أفادني في الفصل الرابع من البحث وإلى جانب ذلك هناك مجموعة قيمة من الكتب الفقهية التي أفادتنني في البحث وكلها مثبتة في قائمة المصادر.

#### - المصادر الأدبية، وفيها:

كتاب (مفاتيح العلوم) للأديب اللغوي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي (ت366هـ/976م) وترجع أهمية المؤلف أنه من العلماء الذين عاشوا في الفترة السابقة على العصر السلجوقي كما ترجع أهمية الكتاب أنه أفادني بمعلومات قيمة عند التعريف بالعلوم النقلية والعقيلة في العصر الرابع.

كتاب (أدب الإملاء والاستملاء) لأبي سعيد عبدالكريم بن محمد منصور التميمي السمعاني (ت562هـ/1166م) وترجع أهمية الكتاب أن مؤلفه عاش في إقليم خراسان، وكانت له مجالس ومناظرات، مما ساهم في تطور الحركة الفكرية في إقليم ما وراء النهر، وترجع أهمية الكتاب أنه موسوعة في معرفة علم الحديث وكيفية إملاء الحديث، وكيفية الاستماع للإملاء، وصفات المستملي وغيره من آداب العالم والمتعلم ما أفاد البحث في الفصل الرابع منه.

كتاب (تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم) لابن جماعة الكتاني (ت733هـ/1232م) وهو كتاب قيم شرح فيه أدب العالم والمتعلم مما أفاد البحث في الفصل الثالث عن الحديث عن المؤسسات التعليمية. وتأتي كتب ورسائل الجاحظ (ت255هـ/868م) في مقدمة الكتب البالغة الأهمية، فقد كتب في الموضوعات السياسية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها فكتابة (رسائل الجاحظ في مناقب الترك) أمدني بمعلومات قيمة عند الحديث عن أحوال ما وراء النهر



السياسية حيث صفات الترك، وعاداتهم، وتقاليدهم، مما ساعد على معرفة أحوال الإقليم سياسياً ودينياً قبل الإسلام. هذا إلى جانب مجموعة من الكتب الأدبية لأدباء إقليم ما وراء النهر، فقد كانت هذه المجموعة ذات أهمية كبرى في بناء البحث، إذ كانت تمثل نماذج للنتاج العلمي في الإقليم خلال العصرين السلجوقي الخوارزمي.

**المصادر الفارسية والتركية:** حافظ الأتراك السلاجقة والخوارزميون على لغتهم الأصلية (التركية) على الرغم من دخولهم الإسلام والتي كانت لغة قصورهم، وقوام لسانهم واتخذوا الفارسية لغة للدواوين والرسائل، إلى جانب العربية التي لم يكن أول سلاطينهم (طغرل بك) يتكلمها، ولذا حفلت المصادر الفارسية والتركية بمعلومات وفيرة عن السلاجقة والخوارزميين بل كانت هذه المصادر هي نواة العمل داخل هذا البحث.

**ومن أهم المؤلفات الفارسية:**

كتاب **(تاريخ البيهقي)** أو صحائف مسعودي لمؤلفة أبي الفضل محمد بن حسين البيهقي (ت470هـ/1077م) والذي نقله من الفارسية إلى العربية د. يحيى الخشاب و د. صادق نشأت، وترجع أهمية هذا المصدر في أن مؤلفه كان نائباً لرئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان مسعود الغزنوي، كما كان شاهد عيان على الصراع الغزنوي السلجوقي، حيث شاهد بنفسه موقعة داندانقان سنة 431هـ/1039م مما أفاد البحث في الأول بمعلومات عن انتصار السلاجقة على الغزنويين وقيام دولتهم. كتاب **(سياسة نامة)** لمؤلفه الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي المتوفي (ت485هـ/1092م) والذي ترجمه من الفارسية إلى العربية د. السيد محمد العزاوي، وقد أفدت منه دراسة الحالة السياسية لسلطنة السلاجقة وعن الباطنية الشيعية، وترجع أهمية هذا المصدر أن مؤلفه كان له دوراً كبيراً في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية خلال هذا العصر.

كتاب (جهار مقالة) أي المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب الذي ألفه النظام العروضي السمرقندي، ألفه في حدود سنة 550هـ/1155-1156م ووضع حواشيه محمد عبدالوهاب القزويني، وقام بترجمته من الفارسية إلى العربية، د. عبدالوهاب عزام، ود. يحيى الخشاب، وترجع أهمية هذا المصدر أن مؤلفه كان يذيل الحوادث بحكايات يقصها ويرويها كما شاهدها أو سمعها، وهي مقالات في الكتابة والشعر والنجوم والطب وغيرها من العلوم الأدبية والعلمية، مما أفادني في الفصل الخامس من الرسالة.

ومن المصادر الفارسية المهمة كتاب (راحة الصدور وآية السرور) لمؤلفه محمد ابن علي بن سليمان الراوندي (ت599هـ/1119م) والذي نقله إلى العربية، د. إبراهيم الشواربي وآخرون وهو مصدر هام لتاريخ السلاجقة من بداية ظهورهم إلى سقوط دولتهم على يد الخوارزميين حيث أمد بمعلومات وفيرة عن الصراع السلجوقي الغزنوي، وأصل السلاجقة وأهم سلاطينهم حتى السلطان سنجر.

كتاب (دستور الوزراء) للمؤرخ الإيراني غياث الدين خواند مير (ت942هـ/1535م) ترجمة وعلق عليه، د. حربي أمين سليمان، وقدم له د. فؤاد الصياد، حيث أفادني بمعلومات مهمة عن وزراء العصر السلجوقي ودورهم في تطور الحياة الفكرية مما أفاد الفصل الثاني من البحث.

كما اعتمد البحث على كتاب (روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب) للبناكتي الذي أفادني في الفصل الخامس عند الحديث عن المغول ودخولهم إقليم ما وراء النهر وتدميرهم للمراكز العلمية، وقتلهم للعلماء وأسره وإحراق كتبهم وكتاب (جامع التواريخ) للهمداني الذي أفادت منه كثيراً في الفصل الخامس أيضاً عند ذكر المغول وتدميرهم لإقليم ما وراء النهر.

ومن أهم المراجع الفارسية: كتاب (وزارات در عهد سلاطين برزك سلجوقي) للمؤرخ الفارسي عباس إقبال الذي قام بترجمته د. أحمد كمال الدين حلمي، والمنشور بالكويت 1984م تحت عنوان الوزارة في عهد السلاجقة / فهو مصدر مهم وقيم لدراسة الوزارة السلجوقية، حيث ذكر وزراء الدولة السلجوقية، وخاصة عميد الملك الكندري ونظام الملك الطوسي، ودور هؤلاء الوزراء في تطوير النهضة العلمية في الفصل الثاني، وترجع أهمية الكتاب إلى أن مؤلفه مؤرخ وأديب فارسي مشهور، اعتمد في كتابه على كتب معظمها مخطوطات نادرة.

أما كتاب (تاريخ أدبيات درأيران) لذبيح الله صفا فقد أمدني بمعلومات وفيرة عن أشهر أدباء ومتصوفي العصر السلجوقي مما أفاد الفصل الثالث والرابع من البحث.

أما (تاريخ الأدب الفارسي) لرضا زاده شفق، فقد أمدني بمعلومات غاية في الأهمية في الفصل الثالث والرابع عن أشهر أدباء العصر السلجوقي والخوارزمي وأعلام التصوف في خراسان وبلاد ما وراء النهر وأشهر علماء العصرين.

**المراجع الأجنبية المعربة:** من المراجع الأجنبية المعربة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة كتاب (تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي) لمؤلفه فاسيلي فلاديميروننتش بارتولد وترجمة من الروسية إلى العربية د/ صلاح الدين عثمان هاشم، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه يحكي بالتفصيل عن أقاليم ما وراء النهر وأشهر مدارسها وعلمائها مما أفاد البحث كثيراً.

أما كتاب (تاريخ بخاري منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر) لمؤلفه ارمينوس فامبري ترجمة د. أحمد محمود الساداتي وراجعته وعلق عليه د. يحيى الخشاب وترجع أهمية الكتاب أنه تناول تاريخ بخاري قبيل الإسلام وشرح بالتفصيل دخول السلاجقة بلاد ما وراء النهر كذلك المغول، كما استفدت من الحواشي التي وضعها المترجم في معرفة بعض الأسماء التركبية، وبعض المصطلحات الفارسية التي أفادت في معظم فصول الدراسة.

أما كتاب (بلدان الخلافة الشرقية) لمؤلفه لي لسترنج الذي ترجمه إلى العربية بشير فرسيبي وكوركيس عواد، وترجع أهمية هذا المرجع من أنه استسقى معلوماته من المصادر الجغرافية الأصلية مثل الاصطخري والمقدسي وياقوت الحموي وغيرهم مما أفادني في معرفة جغرافية بلاد ما وراء النهر وأحوالها وتقسيمها.

أما كتاب (تاريخ الأدب العربي) لمؤلفه كارل برو كلمان ويقع في ستة أجزاء، وترجع أهميته في أنه اعتمد على كتب التراجم والطبقات الأصلية، ولقد أفادني بالمعلومات القيمة عن بعض العلوم النقلية والعقلية إلى جانب معرفة علماء وأدباء وشعراء وأطباء ما وراء النهر مما أفادني في الفصلين الرابع والخامس في البحث.

**المراجع العربية:** اعتمدت الدراسة على العديد من المراجع العربية منها كتاب سلاجقة إيران والعراق د. عبد النعيم حسانين، وكتاب الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي التركي للدكتور حسن أحمد محمود، وكتاب نظام الملك الحسن بن علي الطوسي للدكتور عبدالهادي محبوبة، وكتاب تاريخ العلوم عند العرب للدكتور عمر فروخ وغيرها من المراجع التي أفادت البحث في أغلب فصوله.

كما رجعت إلى الرسائل العلمية والدوريات ذات العلاقة بموضوع البحث، وهي مثبتة في آخر ثبت المصادر والمراجع.

## الفصل التمهيدي

الإطار الجغرافي والتاريخي لإقليم ما وراء النهر

أولاً: الإطار الجغرافي.

ثانياً: الإطار التاريخي لإقليم ما وراء النهر من قبيل الإسلام حتى

الفتح العربي الإسلامي.

## أولاً: الإطار الجغرافي لإقليم<sup>(1)</sup> ما وراء النهر:

إقليم ما وراء النهر أو بلاد التركستان<sup>(2)</sup> أو آسيا الوسطى شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهمالايا، ومن الجنوب الغربي هضبة البامير، ومن الغرب جبال تيان شان، ومن الشمال جبل الآلتاي، وبابونوي، وسكانوفوي، ومن الشرق جبال كنجان وكونور<sup>(3)</sup> وتبلغ مساحة آسيا الوسطى المحصورة بين هذه الحدود حوالي ستة ملايين كم<sup>2</sup> هي في مجموعها سلسلة من الجبال والهضاب الجعدة والمنخفضات<sup>(4)</sup> ويسكن إقليم ما وراء النهر أو آسيا الوسطى عناصر صينية وتركية ومغولية<sup>(5)</sup> وما وراء النهر هو الاسم الذي أطلقه العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة في حوض نهري أمودريا (Mmn-Dauya) (جيحون)<sup>(6)</sup> وسيرديريا (Sihdarya) (سيحون)<sup>(7)</sup> وكان نهر جيحون يعد الحد الفاصل بين الأقاليم الناطقة بالفارسية، والتركية أي إيران وتوران، فما كان في شماله أي وراءه من أقاليم سماها العرب بلاد ما وراء النهر أي نهر جيحون، وكذلك

---

(1) الإقليم: سمي إقليمياً لأنه مقلوم من الأرض التي تتاخمه (أي مقطوع)، هي كلمة عربية يطلقها العامة على كل ناحية تشتمل على عدة مدن، وقري، مثل خراسان والعراق والشام وما وراء النهر،... الخ، ينظر: ياقوت: معجم البلدان ط دار صادر بيروت، 1990م، ج1، ص ص25-34 والقلم في أصل اللغة القطع، ويرى البعض أن كلمة إقليم محرفة عن الكلمة اليونانية (Kfima) التي تعني تقسيم سطح الأرض إلى مناطق وفقاً لطول النهار في كل منطقة، ومن هنا أخذوا كلمة (Klima) ونقلها عنهم العرب، محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي، ط2، الرياض، 1984م، ص113، 114.

(2) مكونة من لفظين (الترك) وستان أي موطن فتعني موطن الترك.

(3) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م، ص7.

(4) بارتولد: نفس المرجع والصفحة.

(5) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية، صلاح الدين عثمان، الكويت، 1981م، ص145 وما بعدها.

(6) نهر جيحون: اسم أعجمي وقيل إن أصله بالفارسية هرون، وهو اسم وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان، فنسبه الناس إليها، وقالوا جيحون على عاداتهم في قلب الألفاظ، وعرف نهر جيحون باسم (Oxw) أو أكسوس لدى الفرنجة، كما يسمى الآن أموداريا أي نهر أمو، وعموده نهر خرياب، ويخرج من بلاد وخان في حدود بذخشان متجمع إليه أنهار في حدود الختل والوخش فيصير منها هذا النهر العظيم إلى أعلى حدود بلخ ثم ينعطف ناحية الشمال إلى أن يصير إلى ترمذ ثم منها إلى زم ثم إلى أمل ثم إلى خوارزم، ويبلغ طوله 1150 ميلاً، ويبلغ مساحة حوضه نحو 221 ألف متر مربع، ابن حوقل: صورة الأرض، ط، بريل، ليدن، 1873م، ص393؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، القاهرة، 1970م، ج1، ص666.

(7) نهر سيحون: اسم أطلقه العرب على نهر جكرزيتس (Jaxatres) على أن اسم النهر الأكثر شيوعاً عند العرب كان نهر الشاش وذلك لوقوع إقليم الشاش بالقرب من ضفافه، وهو وراء نهر جيحون فيما يلي بلاد الترك وبينهما مسافة خمسة وعشرين يوماً، وهو الآن سيرادريا، محمود شيت خطاب: بلاد ما وراء النهر، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج4، مجلد 33، 1982م، ص125.

سموها بلاد الهيطل<sup>(1)</sup> كما أطلقوا عليها اسم بلاد التركستان، أي موطن الترك وهي اسم جامع لبلاد الترك وتمتد مساحتها من بحر قزوين ونهر آرال غرباً إلى سد الصين شرقاً، ومن سيبيريا ومنغولياً شمالاً إلى إيران وأفغانستان جنوباً وسميت بذلك لأنها حسبت أقدم موطن للترك<sup>(2)</sup>.

يقول ياقوت الحموي (وما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة ولاية برأسها)<sup>(3)</sup> وكانت هذه البلاد تقطنها في أول الأمر شعوب آريه لم تلبث أن تسربت إليها أعداد غفيرة من العنصر التركي بصورة أصبح معها عدد المتكلمين باللغات التركية من أهل البلاد في الأمانة الحاضرة لا يقف عند حد الجماعات البدوية وحدها بل شمل كذلك الشطر الأكبر من سكان المدن، وعلى وجه العموم فقد شغلت بلاد ما وراء النهر المكانة الأولى من بين الأقطار التي خضعت لسلطان الترك، وذلك بسبب خصبها وكثافة سكانها<sup>(4)</sup>، وتنقسم بلاد ما وراء النهر إلى ستة أقاليم هي خوارزم ويشتمل على دلتا نهر جيحون، وبحيرة خوارزم التي يصب بها جيحون، وأهم مدنه كاث والجرجانية "أركنج أو كركانج"<sup>(5)</sup> ثم إقليم الصغد، وهو أهم أقاليم ما وراء النهر حتى أنهم اعتبروه إحدى جنان الدنيا<sup>(6)</sup> ومن أجل مدنه سمرقند وبخارى وبيكند ودبوسية وكش، فقد كانت سمرقند مركزه السياسي، وبخارى عاصمته الدينية<sup>(7)</sup> وإقليم أشروسنة الذي يقع شرقي سمرقند فهو من

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1906م، ص311؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص476؛ وقد كان الهياطلة في المئة الخامسة للميلاد أعدى أعداء الدولة الساسانية، وهم الأفتلاطيون لدى المؤلفين البيزنطيين ويعرفون بالهون البيض، على أن مصنفى القرون الوسطى من العرب، كانوا لا يقيدون في استعمال اسم الهيطل فقد أطلقوه اعتباطاً على جميع الشعوب والبلاد التوراتية فيما وراء نهر جيحون وعلى ذلك جرى المقدسي في استعماله إياه، لسترنج: بلدان الخلافة، ص476.

(2) بارتولد: تركستان، ص145.

(3) معجم البلدان، ج2، ص409.

(4) بارتولد: تركستان، ص145.

(5) ابن رسته: الإغلاق النفيسة، ط، ليدن، 1906م، ص90، 91.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص312.

(7) الاصطخرى: مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، بدون، د. ت، ص287؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص503، وما بعدها.

أقاليم سيحون، وقصبتها مدينتا بونجكت، وزامين<sup>(1)</sup> ثم إقليم فرغانة الإقليم الرابع من أقاليم ما وراء النهر وهو الذي كان يعرف إلى وقت قريب مملكة خوقند<sup>(2)</sup> ثم إقليم الشاش على ضفة نهر سيحون اليمني وأهم مدنه مدينة "تاشكند" أو طشقند وإيلاق وأسبيجاب مع النواحي التي في الشمال الشرقي الممتدة حتى مصب سيحون في منابع بحر آرال<sup>(3)</sup> ويضاف إليها إقليم الختل والصغانيان كإقليم سادس خلف نهر جيحون في القسم الشرقي منه بالقرب من تخوم السند، وتعد هلبك أهم مدنه بالإضافة إلى هلاورد، ولاوكند، واسكندره، وفيك<sup>(4)</sup>.

والاسم الآري القديم لأمودريا هو فخشو أو وكشو، وعدَّ الجغرافيون المسلمون عمود أمودريا نهر جرياب المعروف حالياً باسم نهر (بنج) الذي كان يحمل اسم وخاب<sup>(5)</sup> وكان يصل إلى بذخشان من الشرق، ويخرج من جبال يقال لها وخان<sup>(6)</sup> وكان يدور دورة كبيرة حول بذخشان ويضرب نحو الشمال، ثم يتجه غرباً فجنوباً قبل أن يبلغ أطراف خلم<sup>(7)</sup> وينصب في يمين مجراه هذا الذي يؤلف ثلاث أرباع الدائرة، كثير الروافد الكبيرة أولها نهر أنديجارانج وقرب ملتقاه بجيحون مدينة باسمه، والظاهر أنه هو نفسه نهر برنتك اليوم<sup>(8)</sup>، ثم يلتقي معه نهر فارغر وتكتب بصورة فرغار أيضاً، وفرغان، وفرغي، وهو ينحدر من بلاد الختل ويطابق نهر ونج اليوم، وفي أسفله يستقبل نهر أخشو (أخش) وهو يقابل عمود نهر جيحون، وعليه مدينة هلبك

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص377؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص517.

(2) بوربيوري أحمد وف: العرب والإسلام في أوزبكستان، دار الرقي، بيروت، ط1، 1996م، ص126.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص293؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص399، ونهر جيحون وسيحون أو نهر أوكس أو أمودريا كما أطلق على جيحون قديماً، أو نهر جاكس أرتس أو سيرداريا كما أطلق على سيحون، يحيط الغموض حول اسمها فقد يكون العرب قد اكتسبوا التسمية من اليهود لأن سيحون وجيحون ليستا إلا صورتين لاسمي النهرين المذكورين في سفر التكوين كيمون، ومنشون (بيسون)، وهي كدجلة والفرات يعدان من أنهار الجنة حسب ما يروي، وعرف لدى العرب باسم جيحون وسيحون، لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص477.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص202.

(5) ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص91؛ بارتولد: تركستان، ص146.

(6) لسترنج: بلدان الخلافة، ص478.

(7) خلم: بلدة بنواحي بلخ وهي بلاد للعرب نزلها بنو أسد وبنو تميم وقيس أيام الفتوح، ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص385.

(8) لسترنج: بلدان الخلافة، ص478.



قصبة بلاد الختل، ومن منابعه نهر يليان أو بريان، وهذه الأنهار الممتدة تعرف اليوم باسمها التركي (آمدسو) أي النهر الأبيض، فهذه روافد نهر جيحون العليا الأربعة<sup>(1)</sup> وقيل إن هذه المياه تجتمع كلها فيه فوق معبر النهر في آرهن<sup>(2)</sup>. وفوق هذا المعبر أيضاً، ولكن في يسار النهر، يصب في جيحون نهر بذخشان المعروف اليوم بنهر (ككجه) ويقال له نهر الضرغام<sup>(3)</sup> وتحت معبر آرهن، يستقبل نهر جيحون رافده الأيمن الكبير (وخشاب) وهو نهر وخش ومنه أشتق اليونان تسميتهم أكسيس (Oxus)<sup>(4)</sup>. وهذا النهر يفصل بلاد الختل وبلاد الوخش اللتين في مشرقه عن ناحيتي القباذيان<sup>(5)</sup> والصغانيان<sup>(6)</sup> اللتين في غربه، ونهر وخشاب هو النهر المعروف اليوم بسرخاب أي النهر الأحمر<sup>(7)</sup> وفي الموضع الذي يتجه فيه نهر جيحون إلى الغرب، بعد انعطافه حول بذخشان من ثلاث جوانب، يستقبل في يساره، أي في ضفته الجنوبية، نهري الطايقان وقندز الاثنتين من طخارستان، وهما اللذان سماهما بن رسته<sup>(8)</sup> "نهر ختلاب ونهر وتراب"، ويلتقي نهر القباذيان والصغانيان وهو يمر بترمز وهو نهر زامل ويلتقي بجيحون في ضفته الشمالية إلى اليمن ومخرجها في جبال البتم<sup>(9)</sup>. وتفصل هذه الجبال في الشمال مياه نهر جيحون عن مياه زرخشان الذي في الصغد، فهذه آخر روافد النهر العظيم، لأن نهر جيحون لا

---

(1) الاضطخري: مسالك الممالك، ص 277-296؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص 478.

(2) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 478.

(3) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص 479.

(4) لي لسترنج: نفس المرجع، والصفحة.

(5) القباذيان: أو القواذيان: بضم القاف وفتح الباء الموحدة وكسر الذال المعجمة مؤلف القسم الشرقي من ناحية الصغانيان وهي إحدى منابر بلخ، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 290.

(6) الصغانيان: بفتح الصاد المهملة والغين المعجمة وفي آخره نون والعجم يبدلون الصاد جيماً فيقولون (جغائنان) وتقع إلى غرب نهر وخش ويحدها نهر جيحون من الجنوب وهي بلد جليل واسع فيه كور وعدة مدن، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 283.

(7) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص 479.

(8) الأعلام النفيسة، ص 92، 93.

(9) الاضطخري: مسالك الممالك، ص 296؛ لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص 479.

يستقبل غيرهما من الأنهار إذا ما جاوز غربي بلخ<sup>(1)</sup>. فيجري في المفازة باتجاه غربي وشمالي غربي حتى دلتاه في جنوب بحيرة آرال<sup>(2)</sup>. وتقع بذخشان في شرقي طخارستان على طريق التجارة القادم من التبت<sup>(3)</sup> يحيط بها من ثلاث جوانب المنعطف العظيم من نهر جيحون الأعلى، وهي بلاد تشتهر بخصوبتها وأوديتها الواسعة الخصبة، وقصبتها باسمها، وموقعها اليوم في الوادي حيث تقوم اليوم مدينة (فيض آباد - فيزاباد) قصبة البلاد الحالية<sup>(4)</sup>. وفي شرق بذخشان في أعالي جيحون مدينة وخان قال ابن حوقل<sup>(5)</sup>. أنها في الطريق إلى التبت (الصغرى) ويرتفع منها المسك والفضة والختل يضم البقاع الجبلية العظيمة الواقعة في الزاوية التي يؤلفها نهر وخشاب مع جيحون، وتعرف بالختل أو ختلان وهو الاسم الذي أطلقه العرب على الهونالبيض (الهياطلة)<sup>(6)</sup> وكانت قصبة الختل هي هلبك ولعلها كانت بالقرب من موضع خلاب الحالية، وكذلك من مدنها منك وهلاورد، وأنديجارانح وفرغان أو فارغر<sup>(7)</sup>. وإلى الغرب من نهر الوخش تقع الصغانيان وأسمها بالفارسية جغانيان، وكان القسم الشرقي من هذه الناحية يعرف بالقباذايان نسبة إلى مدينة بهذا الاسم كانت على أول نهر يلتقي بجيحون غرب وخشاب، سماها ابن حوقل<sup>(8)</sup>. وفي أعالي نهر القباذايان، مدينة واشجرد وعلى يمينها تقع قلعة شومان أو الشومان العظيمة<sup>(9)</sup>. وكانت من الثغور الإسلامية أمام الترك<sup>(10)</sup>.

(1) بلخ: الربع الثالث من أرباع خراسان تقع في أفغانستان الحالية، لسترنج: بلدان الخلافة، ص462.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص303؛ لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص479.

(3) بارتولد: تركستان، ص147.

(4) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص479.

(5) صورة الأرض، ص385.

(6) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص481.

(7) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص290، 291.

(8) صورة الأرض، ص348.

(9) الاضطخري: مسالك الممالك، ص298.

(10) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص289.

ومدينة الصغانيان هي مدينة سرآسيا الحديثة في أعالي نهر الصغانيان، ويقال له زاحل أيضاً ولها قلعة<sup>(1)</sup> وصفها المقدسي<sup>(2)</sup> بقوله (الصغانيان تكون مثل الرملة في فلسطين وجامعها وسط السوق) ومن أعمالها ستة آلاف قرية بل جعلها المقدسي<sup>(3)</sup> ستة عشر ألف قرية، ثم قال اليعقوبي<sup>(4)</sup> إن الصغانيان (بلد جليل واسع فيه كور وعدة مدن) وعدّها الاضطخري من كور ما وراء النهر<sup>(5)</sup> ووصفها المقدسي<sup>(6)</sup> بأنها شديدة العمارة، وجعل السمعاني<sup>(7)</sup> الصغانيان بلاد مجتمعة وراء نهر جيحون يقال لها جغانيان، وتعرب فيقال لها الصغانيان وهي كورة عظيمة كثيرة المياه والشجر والأهل وسوقها كبير، ومسجدها حسن مشهور وقال ياقوت<sup>(8)</sup> (ولاية عظيمة فيما وراء النهر متصلة الأعمال بترمز) ومن مدنها باسند، وبانياب، وبهاران، وبهام، ومردن، ودارزنج، وزينور، وسنكرده، وشومان وهي من بلاد الصغانيان وراء نهر جيحون وكانت ثغراً من ثغور المسلمين<sup>(9)</sup> ومن قراها كاسك ونودز وهنبان، والواشجرد، التي تشتهر بالعديد من أما طخارستان التي تقع شرقي بلخ وغربي نهر جيحون ويقال لها تخارستان وطخيرستان وهي تنقسم إلى قسمين إحداهما تسمى طخارستان العليا وهي الأولى، وطخارستان السفلى وهي الدنيا الغربية<sup>(11)</sup> وفي رواية أن طخارستان العليا هي الطالقان<sup>(12)</sup>، ويطلق اسم طخارستان على جميع

(1) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص 483.

(2) أحسن التقاسيم، ص 289.

(3) نفس المصدر، والصفحة.

(4) البلدان، ص 292.

(5) مسالك الممالك، ص 295.

(6) أحسن التقاسيم، ص 283.

(7) الأنساب، ج 3، ص 353.

(8) معجم البلدان، ج 3، ص 393.

(9) السمعاني: أبي عبدالكريم بن محمد بن منصور أبو المظفر الشافعي، الأنساب، تحقيق عبدالله البارودي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1998م، ج 3، ص 175.

(10) ياقوت: معجم البلدان، ج 3، ص 393.

(11) اليعقوبي: البلدان، ص 289؛ ياقوت: معجم البلدان، ج 3، ص 518.

(12) قحطان الحديثي: أرباع خراسان الشهيرة، البصرة، 1990م، ص 409.

المقاطعات الواقعة على كلتا ضفتي جيحون والتي كانت تعتمد اقتصادياً على مدينة بلخ<sup>(1)</sup>، أما مقاطعة القواذيان بضم القاف وفتح الباء الموحدة وكسر الدال المعجمة، ذكرت باسم (قباذيان - القواذيان - القواذيان) وتؤلف القسم الشرقي من ناحية الصغانيين عدها الأصطخري<sup>(2)</sup>. من كور ما وراء النهر منفردة عن الصغانيين تتصل بجيحون بينها وبين خوارزم مدن<sup>(3)</sup>. أما الفاراب أو الفارياب أو باراب وفرياب وفيرباب والتي تقع على يسار نهر جيحون في غربية قرب بلخ وصفها الاصطخري<sup>(4)</sup> من كور ما وراء النهر وهي مجموعة إلى الشاش.

وكان الطريق الكبير من خراسان إلى بلاد ما وراء النهر يمر كما هو عليه الحال الآن على أمل وفرب أي فاراب لأنه في هذه المنطقة بالذات يقترب من نهر أمودريا نهر رزفشان الذي كان يضيع في الرمال قبل بلوغه مجرى أمودريا وكان وادي نهر رزفشان أخصب مناطق ما وراء النهر وأكثرها سكاناً منذ أقدم العصور<sup>(5)</sup>.

أما إقليم خوارزم أوله بين الضمة والفتحة والألف مسترقة مختلصة، ليست بألف صحيحة هكذا يتلفظون بها<sup>(6)</sup> وقد رسمها البلاذري<sup>(7)</sup> (خارزم) بحذف الواو لأنها كما يبدو الأصل في التسمية ويروي المقدسي<sup>(8)</sup> قصة لا تخلو من الطابع الأسطوري لنشأة خوارزم وسبب تسميتها فيقول أنها مأخوذة من "خوار" ومعناه اللحم (ورزم) وهو الحطب، وكثرة ما يوجد فيها من السمك والحطب حتى قيل لها خوارزم، قال عنها اليعقوبي<sup>(9)</sup> هو (بلد واسع) وعدها

---

(1) الاصطخري: مسالك الممالك، ص 296.

(2) مسالك الممالك، ص 298.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 284 - 289.

(4) مسالك الممالك، ص 295.

(5) بارتولد: تركستان، ص 168.

(6) ياقوت: معجم البلدان، ج 2، ص 480.

(7) فتح البلدان، ص 504.

(8) أحسن التقاسيم، ص 285.

(9) البلدان، ص 278.

المقدسي<sup>(1)</sup> كورة وعدّها الاصطخري<sup>(2)</sup> إقليم وصفه بأنه منقطع عن خراسان وما وراء النهر في المفهوم الجغرافي وتحيط به الصحراء من كل جانب، وحدها متصل بحد الأتراك الغزية<sup>(3)</sup> فيما يلي الشمال والغرب، وجنوبيه وشرقيه خراسان وما وراء النهر. وقال عنها ابن حوقل<sup>(4)</sup> هي "ناحية" وفي المائة الخامسة ذكرها السمعاني<sup>(5)</sup> بأنها (بلد لها ذكر في الفتوح على حده) وقد ضمها الاصطخري<sup>(6)</sup> إدارياً إلى ما وراء النهر وهي أقرب إلى بخارى منها إلى مدن خراسان، وليست خوارزم اسماً للمدينة، وإنما يطلق على الناحية بجملتها<sup>(7)</sup> وكانت قديماً تسمى (فيل)<sup>(8)</sup> وحينما ذكر البلاذري<sup>(9)</sup> فتوحاتها أشار إلى (فيل) هي إحدى مدائن خوارزم الثلاث التي تحيط بها ولعل تسمية خوارزم بفيل مأخوذة من اسم المدينة هذه التي كانت تنزلها ملوك خوارزم قديماً<sup>(10)</sup> وقال اليعقوبي<sup>(11)</sup> إن فتحها كان قبل فتوح قتيبة بن مسلم لها التي قيل إنها كانت سنة

(1) أحسن التقاسيم، ص 284.

(2) مسالك الممالك، ص 299.

(3) الأتراك الغزية (الأوغوز) أمة من الترك، والأغز أو طوقوز (أي تسعة بالتركية) وهو مأخوذ من عدد قبائلهم أو أسرهم المتفرقة، وظل الحكم في أيديهم حتى أنتقل إلى الأيغور (أحدى قبائل الترك) سنة 128هـ/745م، وظل الحكم في أيديهم إلى عام 256هـ/840م، وكانت بلاد الأتراك هذه تحف البلاد الإسلامية في آسيا الوسطى، وتتأخم بلاد جرجان وطبرستان من أملاك المسلمين، وهناك قبائل عديدة من الغز منهم (السلجقة) وقد أطلق عليهم اسم التركمان، أو أشباه الترك (ترك ماند) ولم يكن هناك تفريق بين الأوغوز والتركمان فيما بعد فكان يطلق الاسم على هذا الشعب أو ذاك، وكان الغز هي أول الشعوب الجنوبية التي هاجرت من أراضيها وكونت فرق الترك الجنوبيين، وكون القغجاق فريق الترك الغربيين، وكانت أراضيهم منتشرة بين مجرى الخزر إلى أواسط مجرى (سيحون) ينظر: بارتولد: تاريخ الترك، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م، ص 94، 95؛ دائرة المعارف الإسلامية، ج 5، ص 38-45؛ ويراجع د/ أحمد السعيد سليمان في كتابه (تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، نشر دار المعارف، 1978م، ص 146، أصل كلمة (أوغور) أي الغزالي (أوكوز) في التركية وتعني الثور، وكانوا يعلقون عموداً في ذيل الثور كعلامة عندهم، فقد كان الثور مقدساً عندهم وهو رمزهم، ويؤكد ذلك ما ورد في مواسم الوفاة عند السلجقة من أنهم كانوا يعقدون ذيل خيولهم عند وفاة سلطانهم.

(4) صورة الأرض، ص 397.

(5) الأنساب، ج 5، ص 213؛ وينظر: ابن الأثير: اللباب، ج 1، ص 466.

(6) مسالك الممالك، ص 253، 254.

(7) ياقوت: معجم البلدان، ج 2، ص 480.

(8) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص 33.

(9) فتوح البلدان، ص 518.

(10) البلاذري: فتوح البلدان، ص 518.

(11) البلدان، ص 278.

86هـ/714م حيث ذكر أن تاريخ فتحها كان على يد مسلم ابن زياد بن أبيه في أيام يزيد بن معاوية ت 64هـ/683م. تقع خوارزم على جانبي نهر جيحون إلى أن يبلغ النهر مصبه في بحيرة خوارزم حيث تتقطع عندها العمارة<sup>(1)</sup> وعلى هذا يشقها نهر جيحون نصفين، نصف في خراسان ونصف فيما وراء النهر، وكان لإقليم خوارزم قصبتان أولاهما في الجانب الغربي الفارسي من نهر جيحون تسمى (الجرجانية) أو كَرَكَانج كما يسميها أهلها أو (أركنج) والأخرى في الجانب الشرقي أي التركي من النهر تسمى كاث<sup>(2)</sup> (درخاش) ويبدو أن هاتين المدينتين كانتا أكبر مدائن خوارزم بالإضافة إلى أهميتها الجغرافية حيث اتخذت الواحدة عاصمة بدل الأخرى في فترات متتالية<sup>(3)</sup>. ومدينة كاث معناها بلغة أهل خوارزم الحائط في الصحراء من غير أن يحيط بها شئ<sup>(4)</sup> ويسميها أهلها شهرستان<sup>(5)</sup> ويبدو أنها هي التي كانت قديماً تسمى (فيل) ثم سميت بعد ذلك (المنصورة) كما يفهم من نصوص ياقوت المتعددة<sup>(6)</sup> أو لعل مدينة كاث كانت قريبة من (فيل) فاستبدلت بها قسبة بعد اندثار الأخيرة أو نتيجة لإهمالها<sup>(7)</sup> وتقع كاث على نهر جيحون في الشمالي الشرقي من خوارزم بينها وبين كَرَكَانج عشرون فرسخاً<sup>(8)</sup> ومازالت كاث مدينة قائمة للآن، إلا أن مدينة العصور الوسطى ربما كانت تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي المدينة الجديدة<sup>(9)</sup> وكان بها قصور الخوارزميين<sup>(10)</sup> ولكنها لم تعان كثيراً من مصائب الغزو المغولي<sup>(11)</sup>

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص395.

(2) لسترنج: بلدان الخلافة، ص489.

(3) قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص297.

(4) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص222.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص287.

(6) معجم البلدان، ج2، ص54، ج3، ص933، ج4، ص663.

(7) قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص298.

(8) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص299؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص222.

(9) لسترنج: بلدان الخلافة، ص489.

(10) ابن بطوطة: الرحلة، ج3، ص20.

(11) لسترنج: بلدان الخلافة، ص490.

قصة خوارزم التالية التي أصبحت بعد سقوط كاث في يد المغول أولى مدن الإقليم فكانت كركانج أو أركنج وقد سماها العرب الجرجانية، ثم عرفت بعد ذلك بأركنج، وكانت تقوم على الجانب الأبعد من نهر جيحون في موضع يقابل الجرجانية المحدثثة<sup>(1)</sup> وفي سنة 616هـ/ 1219م زار ياقوت<sup>(2)</sup> الجرجانية أو كركانج على ما سماها به، قبيل أن يكتسحها المغول بقيادة جنكيزخان، فقال عنها (لا أعلم أنني رأيت أعظم منها مدينة ولا أكثر أموالاً وأحسن أحوالاً) فاستحال ذلك كله بتخريب المغول إياها سنة 617هـ/ 1220م<sup>(3)</sup> وقد حدثت في سدود النهر العظيم (جيحون) فتوق عظيمة وتحولت مياه جيحون إلى مجرى جديد، وغمرت المياه المدينة كلها، ولما سارت عنها جحافل المغول قال ياقوت<sup>(4)</sup> عنها (لم يبق فيما بلغني إلا معالمها، وقتلوا جميع من كان بها) على أن قصة خوارزم نهضت من كبوتها بعد بضع سنين، فابتنى الناس بلداً قريباً منها سنة 628هـ/ 1231م يقول ابن الأثير<sup>(5)</sup> (وعمروا مدينة تقارب مدينة خوارزم عظيمة) ثم سميت باسمها أركنج. ومن مدن خوارزم (خيوه) وهزارسب ومعناها بالفارسية (ألف فرس)<sup>(6)</sup> والطاهرية ودرغان التي تقارب الجرجانية في الكبر<sup>(7)</sup> ودرغان أول مدينة عظيمة في خوارزم تقوم على الطريق الآتي من مرو<sup>(8)</sup> وهناك مدن أخرى لم يبق لها أثر اليوم مثل أرد خشمين، وأرد خيوه (خيوق) وبراتكين وجاز، وجشيرة، وجكيرنيذ، وحيث وزارمند وغيرها<sup>(9)</sup> ومن مدنها المشهورة زمخشر ومن قراها سافردر، وسدور وسدفر، وغردمان، وكاردار، وكردان

(1) لسترنج: نفس المرجع، ص 491.

(2) معجم البلدان، ج2، ص 254.

(3) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 491.

(4) معجم البلدان، ج2، ص 54، 55.

(5) الكامل، ج12، ص 257.

(6) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص 355.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 288، 289.

(8) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 495.

(9) للمزيد راجع: قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص 301 - 305.

خوامش، وكرادر، ومدامثين، ومدمينه ومرداجقان، ومساسان، ونوركاث، وساوكان وسرقسطه، والطاهرية وأشى وباف، وبرقان، وتمرتاش، وجيقان، وخرور، ومروذان، وسوبرني والسيب، والمباركة، وتوباغ<sup>(1)</sup> يقول ياقوت<sup>(2)</sup> (وما ظننت أن في الدنيا بقعة سعتها بسعة خوارزم، وأكثر ضياعها مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين، وفي النادر أن يكون فيها قرية لا سور فيها).

أما إقليم الصغد بضم الصاد المهملة وسكون الغين، ويقال أيضاً بالسغد (الصغد) ناحية كثيرة الحياة نضرة الأشجار مؤنقة الرياض، والازهار، ملتقة الأغصان تمتد مسيرة خمسة أيام، لا تقع الشمس على كثير من أرضيها، ولا تبين القرى من خلال أشجارها وفيها قري كثيرة بين سمرقند وبخارى، وعاصمتها سمرقند التي تقع على بعد 150 ميلاً شرقي بخارى<sup>(3)</sup>.

ويمكن القول إن إقليم الصغد، وهو صغديانا القديمة، كان يشمل الأراضي الخصبة فيما بين نهري جيحون وسيحون، التي كانت تسقيها مياه نهريين، هما زرفشان أي نهر السغد وعليه كانت تقوم بخارى وسمرقند، والنهر المنساب حيال مدينتي كش ونسف<sup>(4)</sup> ومع ذلك فإنه من

(1) عنها ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان؛ الاصلحى: مسالك الممالك؛ قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص302-311.

(2) معجم البلدان، ج2، ص480.

(3) البغدادي: مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجبل، بيروت، 1991م، ج2، ص716، 717؛ القزويني: آثار البلاد، ص543؛ النرشخي: تاريخ بخارى، عربي عن الفارسية د. أمين عبدالمجيد بدوي، ونصر الله الطرازي، ط2، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص19؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص222.

(4) نهر الصغد أو زرفشان (ناشر الذهب) على ما يسمى به اليوم، ينبغ من الجبل الأوسط من جبال البتم ويجري حتى يمر بسمرقند ثم إلى بخارى فإذا تجاوزها تفرق في أرضها على المزارع والبساتين ويسقط ما فضل منه في مجمع كالبجيرة قريباً من بيكند إحدى مدن بخارى، ووادي الصغد مبدأه من جبال البتم على ظهر الصغايان، وله مجمع ماء يعرف بجن، ثم ينتهي إلى مكان يعرف بور عسر، وتفسيره رأس السكر، ومنه تنتشعب أنهار سمرقند ورساتيقها تنقل بها من غربي الوادي من جانب سمرقند ومن بداية هذا الوادي إلى أن ينتهي إلى سمرقند زيادة على عشرين فرسخاً وإذا جاوز سمرقند بنحو مرحلتين انشعب منه نهر يعرف بغي، وليس بالصغد أوفر عمارة منه، وهو ثلث الصغد، وينشعب منه أنهار كثيرة، ثم ينشعب من وادي الصغد أنهار كثيرة على امتداد تجاه كل مدينة فرنبدة ورسناق نهر حتى ينتهي من حد أو بنجن إلى كرمينية وإلى حد بخارى ومنها أنهار أرينجن وانهار الديوسية، وأنهار كرمينية، إلى أن ينتهي إلى بخارى، أما شرقي الوادي فتنتشعب الأنهار منه بحذاء سمرقند ومنها أنهار كينجكث وأنهار أخرى، ينظر: شيخ الربوة دمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط لبيزج سنة 1923م، ص223؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص408؛ البغدادي: مرصد الإطلاع، ج3، ص158.



الأوجه أن يعد الصغد اسماً للرساتيق المحيطة بسمرقند<sup>(1)</sup>. يقع إقليم الصغد في وسط مملكة ما وراء النهر، يحده من الشمال بلاد صغانيان<sup>(2)</sup> وكش، ونسف ومن الشمال الغربي خوارزم، ومن الجنوب طخارستان ومن الشرق خجندة ومن الغرب بخارى، ومن الجنوب الغربي خراسان<sup>(3)</sup> يفصل بينهما نهر جيحون<sup>(4)</sup> ومساحته ستة وثلاثون فرسخاً في ستة وأربعين فرسخاً أي ما يعادل 1656 فرسخاً مربعاً<sup>(5)</sup>. والصغد إحدى منتزهات الدنيا الأربعة وهي غوطة دمشق، ونهر الأبله، وشعب بوان، وسغد سمرقند، وهو أنزه الأربعة لأنه ممتد نحو خمسة أيام مشتبك الخضرة والبساتين، لا يتقطع ذلك في موضع منه، حيث حفت تلك البساتين بالأنهار الدائم جريانها، ومن وراء الخضرة من الجانبين مزارع<sup>(6)</sup>. وبلغ إقليم الصغد ازدهاره في أيام السامانيين وظل في خصب ويسار لا نظير لهما وكانت أجل مدنه سمرقند وبخارى، ويمكن القول إن الأولى كانت مركزه السياسي، بينما كانت بخارى عاصمته الدينية، إلا أن كلا من المدينتين كانتا في مرتبة واحدة وتعدان قصبتي الصغد<sup>(7)</sup>. وبخارى بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة والراء بعد الألف<sup>(8)</sup> وقد وردت في أسماء عديدة منها نومجكت أو نومجكت وهي الصحيحة، وكثيراً ما يكتب

(1) إحسان ذنون عبداللطيف الثامري: الجغرافية التاريخية لمدينة بخارى، الأردن، 1999م، ص27؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص503.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص408، 409.

(3) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت، ص544.

(4) شيخ الربوة دمشقي: بعبة الدهر، ص178.

(5) القزويني: آثار البلاد، ص544؛ إحسان ذنون الثامري: الجغرافية التاريخية لمدينة بخارى، ص27. والفرسخ بفتح الفاء وسكون الراء، وفتح السين والجمع الفراسخ، في المقاييس ثلاثة أميال والميل يساوي 4كم فهو ستة وتسعون ألف أصبع، والفرسخ المربع يساوي (5544 متر) وهو في الغالب يساوي اثنا عشر ألف ذراع، محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، 2009م، ص ص239-318.

(6) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية للنشر، القاهرة، د. ت، ج4، ص433؛ ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد علي أبودرة، دار الجبل، بيروت، 2007م، ج2، ص107.

(7) الاضطخري: مسالك الممالك، ص316؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص365؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص504.

(8) السمعاني: الأنساب، ج2، ص107.

خطأ بصورة بومجكت<sup>(1)</sup>. أما التهجئة الصحيحة فقد ضبطها الحجاج الصينيون الذين ذكروا بخارى باسم نمي (Numi)<sup>(2)</sup> وتتنطق أيضاً تومسكت وعرفت بالمدينة الصفرية وشارستان وبين، أو مدينة التجار (شهر برزركان) ويقال لها الفاخرة ولكن اسم بخارى أشهر من كل ذلك<sup>(3)</sup> وبومجكت عند المقدسي<sup>(4)</sup> هي (نموذجكث) ويعلق ياقوت<sup>(5)</sup> في مكان آخر عن اشتقاق كلمة بخارى وسبب تسميتها بهذا الاسم فيقول (فإني تطلبتة فلم أظفر به) وهي مدينة على مسافة قصيرة من جنوب نهر الصغد، ولا جبال بالقرب منها، وحولها كثير من المدن والقصور والبساتين والمحال، يجمعها حائط سعته اثنا عشر فرسخاً في مثلها، ويزيد دوره على مائة ميل، ويشق ما يضمه هذا السور الذي يحيط بها نهر الصغد والأنهار الكثيرة الآخذة منه<sup>(6)</sup>.

أما مدينة بخارى نفسها، فلها في خارج السور إلى شماله الغربي، قلعة متصلة بها، وهي في مقدار مدينة صغيرة، وفي خارجها أرياض واسعة حتى عمود النهر وتحف بصفته الجنوبية<sup>(7)</sup>.

وتعد بخارى قلب إقليم الصغد الذي كان يشمل الأراضي الخصبة في جانبي نهر جيحون وسيحون والتي كان يسقيها نهر الصغد الذي تقوم عليه مدينة بخارى<sup>(8)</sup> ويعبر إليها من "آمل الشط" حيث تبعد بخارى عنها تسعة عشر فرسخاً فيما تبعد عن سمرقند بحوالي 39 فرسخاً<sup>(9)</sup>.

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 267.

(2) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 504.

(3) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 39؛ ياقوت: معجم البلدان، ج 1، ص 517.

(4) أحسن التقاسيم، ص 280.

(5) معجم البلدان، ج 1، ص 517.

(6) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 504.

(7) ياقوت: معجم البلدان، ج 1، ص 517.

(8) الاضطخري: مسالك الممالك، ص 306-316.

(9) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ط ليدن، 1889م، ص 25، 26.

وفي رواية لقدامة بن جعفر<sup>(1)</sup> أنها مدينة من بناء الإسكندر، ويذكرها اليعقوبي<sup>(2)</sup> بأنها (بلد واسع) وجعلها بن رسته<sup>(3)</sup> من كور خراسان، أما الاصطخري<sup>(4)</sup>. فقد أوردها من كور ما وراء النهر فيقول (فأما بخارى وكش ونسف فقد كان يجوز أن نجعلها إلى السغد ولكن فرقناها ليكون أيسر في التفصيل وأخف، وذكرها المقدسي<sup>(5)</sup> من كور ما وراء النهر الست غير واسعة الرقعة). وقال السمعاني<sup>(6)</sup> (البلد المعروف بما وراء النهر) وأشار إليها ياقوت<sup>(7)</sup> بأنها (من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها)، وتشير أقدم الكتب الجغرافية ببلاد ما وراء النهر إلى أن هذه المدينة أيام ازدهارها تعد أعظم مدن العالم الإسلامي في خراسان وما وراء النهر<sup>(8)</sup> ولم تكن بخارى مدينة فخمة تمتاز بخصائصها الطبيعية العظيمة فحسب، بل كانت سوقاً رئيساً تلتقي فيه تجارة الصين وآسيا الغربية<sup>(9)</sup> وكانت كذلك مركزاً مهماً للصيرفة يستبدل فيها سكان آسيا الشرقية والغربية سكتهم بوساطة أهلها حتى لتسمع هناك إلى اليوم المثل القديم (أشد يقظة من سمسار بخارى)<sup>(10)</sup>. ذكر ابن خرداذبه<sup>(11)</sup> لبخارى من المدن كرمينية، وطواويس، وبمجكت، وردانه، وفير، وزاد الاصطخري مفكان، وخجاده، وخديمتكين وفرغانكت، وفديا مجاكت، وأردف المقدسي<sup>(12)</sup> مدن أخرى منها حجاوى، وعروان، ونحون، وسكيث، وجرغر، وسيثكت، وأرياميثين،

(1) الخراج وصناعة الكتابة، دي غويل، بريل، ليدن، سنة 1889م، ص203.

(2) البلدان، دي غويه، بريل، ليدن، 1891م، ص292، 293.

(3) الأعلام النفيسة، ص105.

(4) مسالك الممالك، ص316.

(5) أحسن التقاسيم، ص266.

(6) الأنساب، ج2، ص117.

(7) معجم البلدان، ج1، ص517.

(8) فامبرى: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجم أحمد محمود الساداتى، ويحيى الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، د. ت، ص25.

(9) فامبرى: المرجع نفسه، والصفحة.

(10) فامبرى: نفسه، والصفحة.

(11) المسالك والممالك، ص25.

(12) أحسن التقاسيم، ص267، 268.

ورخش، وزرمثين كمجكت، فغرسين، كشفغن، ونديك، وركن، وبخارى مستقيمة على توصيف  
كور ما وراء النهر ثم يتبع ما يليها على الاتصال<sup>(1)</sup>.

وكانت تُمجكت أو تمشكت وبمجكت وبومجكت مدينة صغيرة في شمال غربي بخارى على  
أربعة فراسخ ونصف فرسخ عن درب يسار الطريق الذاهب إلى طواويس<sup>(2)</sup> وكانت الطواويس أو  
توائس على مسافة سبعة فراسخ إلى الشمال الشرقي من بخارى في طريق سمرقند، وكانت تعرف  
قبل الفتح العربي باسم كونت وهي في التركية تعني السعيد أو الحظ الحسن، وكانت ذات موقع  
حصين، وتشتهر بسوقها السنوي الذي كان يقام لعشرة أيام، ويزيد عدد زواره عن عشرة آلاف  
نسمة<sup>(3)</sup> وكانت أعظم المدن الخمس التي في داخل سور بخارى الكبير، وكانت مدينة جلييلة<sup>(4)</sup>  
وقد أخذت اسمها العربي عام 91هـ/ 710م<sup>(5)</sup> فهنا ولأول مرة أبصر العرب بالطواويس التي كان  
يقنيها أغنياء البلد ويحفظونها في منازلهم على حد قول النرشخي<sup>(6)</sup> أو كانت مطلوقة في القرية  
على حد قول الطبري<sup>(7)</sup> والاسم القديم للقرية كان (أرفود)<sup>(8)</sup> أما قرية كوك أو كوكشيغن فقد  
كانت تقع على بعد ست فراسخ إلى الشرق من الطواويس، وكانت هذه القرية منزلاً للترك يجمعون  
فيها قواتهم للأغارة على ولاية بخارى<sup>(9)</sup>.

---

(1) الاضطخري: مسالك الممالك، ص305؛ قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص460.

(2) لسترنج: بلدان الخلافة، ص505.

(3) فامبري: ص26.

(4) لسترنج: بلدان الخلافة، ص506.

(5) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1975م، ج2، ص1230.

(6) تاريخ بخارى، ص11.

(7) تاريخ الرسل، ج2، ص1230.

(8) بارتولد: تركستان، ص191.

(9) بارتولد: نفس المرجع، والصفحة.

وفي الجنوب تقع بيكند، ثاني مدن بخارى التجارية، وكان أهلها يتاجرون مع الصين في الشرق وتقع على طريق آمل ومرو<sup>(1)</sup>. وكانت تشتهر بثرائها العظيم، وفي زمن الأتراك السلاجقة أهتم بها وإليها السلجوقي أرسلان خان، اهتماماً كبيراً بتعمير الطريق الذي يصلها بفاراب<sup>(2)</sup>. عبر الصحراء وقد دمرها المغول، ولا يزال خرابها يشاهد حتى اليوم<sup>(3)</sup>.

وفي الشمال تقع زندين التي تعرف اليوم باسم زاندي، وبها كان يزرع القطن كما كانت منسوجاتها القطنية تصدر إلى كل مناطق آسيا الغربية<sup>(4)</sup>.

ومدينة كش أو كس وهي شهرسيز الحالية وينطقها الأهالي "شرسيز" عدت يوماً ما إذا ما أخذنا بقول اليعقوبي<sup>(5)</sup> "أعظم مدن الصغد"، وكان بها شهرستان وأربعة أبواب وأرباض ومن أهم رساتيقها میان كش وبوزماجن، وسيام أو سنام أرغان، وخرارود، وما يمرنج<sup>(6)</sup> أما نوقدقريش فكانت على الطريق من كش إلى نسف على بعد خمسة فراسخ من كش<sup>(7)</sup> ولعلها كانت في موضع قرية قراباغ الحالية<sup>(8)</sup>. أما أسكيفغن فكانت على فرسخ من سوبخ وأبعد قليلاً من نسف، وهي الآن قرية أسكي باغ، وكانت نوقدقريش لا تزال قرية كبيرة زمن السلاجقة والخورزميين<sup>(9)</sup>.

---

(1) آمل مرو: بمد الألف المفتوحة، وضم الميم وهي آمل جيحون، تقع غربي جيحون على الطريق الذاهب إلى بخارى من مرو، حيث يقابلها من الجانب الشرقي للنهر مدينة فرير، كانت تعرف بأمويه والعجم بقولون (آمو) وهي آمل الشط ثم عرفت فيما بعد بـ (جهار جوى) أي الأربعة أنهار، واقترن اسمها بالفاظٍ عدّة حيث قيل لها آمل زم، وآمل جيحون، وآمل الشط، وآمل المفارزة افتتحها الأمير عبدالله بن الربيع الحارثي سنة 51هـ/ 671م، وتعد مجمع طرق خراسان، ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص69؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص376؛ قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص294، 295. ومرو مدينتان مرو الروذ أي الجمارة البيض والروذ أي النهر بالفارسية فكأنها تعني مرو النهر مدينة قريبة من مرو الشاهجان، وهي على نهر صغير ولذلك سميت به، أما مرو الشاهجان فهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وربيعها الثاني، ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص112، 113.

(2) فاراب: بعد الألف راء وآخره باء موحدة ولالية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك، وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون، ولهم مزارع في غربي الوادي تأخذ من نهر الشاش، ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص225.

(3) فامبرى: بخارى، ص26.

(4) فامبرى: نفس المرجع، والصفحة.

(5) البلدان، ص299.

(6) بارتولد: تركستان، ص239.

(7) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص343.

(8) بارتولد: تركستان، ص239.

(9) السمعاني: الأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/ 1998م، ج1، ص651؛ بارتولد: تركستان، ص240.

أما نسف التي قلبها العرب من الاسم المحلي وهو نخشب، أما الاسم الحالي وهو قرشي ولم تتخذ المدينة إلا في القرن الثامن الهجري/ الرابع الميلادي عندما ابتنى الخان كيك من (آل جغتاي) قصراً له فيها، ولفظ قرشي معناه (قصر بلغة المغول)<sup>(1)</sup> أما كندك فكانت على ثلاث مراحل من كش، في وادي كجي أوردريا وهي قرية (قراحوال) الحالية في بخارى<sup>(2)</sup> ومن قرى بخارى أيضاً آفران، أتشند، وانددي، أستغراديزه، والسين، وبزغام، وكوين، وجويق، وجوبيار، وجوبك، وخوزيان، ودجاكن، وزيكون، وسابن، وسركت، وسويخ، وقلاس، وكنبدة، وكرمجين، ومجدوان ومرغيان، ومسنان، وموان، وورغجن، ووثين، وزعجن<sup>(3)</sup>. وكانت "ميان كل" أو ما يعرف بالإقليم الأوسط وتقع ما بين بخارى وسمرقند ولا تزال تعرف به حتى اليوم من أهم ولايات بخارى ومن مدنها كرمينية وتقع في بقعة خصبة، وذاع صيتها في جميع أدوار التاريخ الإسلامي<sup>(4)</sup> وإلى الشرق منها تقع فرخشة في الشمال الشرقي<sup>(5)</sup>، وفي نفس البقعة تقوم مدينة جند حصن خوارزم الأمامي<sup>(6)</sup> وإلى الشرق منها قامت أشناس وأزقند وسغتاق<sup>(7)</sup>.

وثالث هذه الولايات الصغد، وموضعها المنطقة الجبلية بإقليم ما وراء النهر وتوصف بأنها امتداد لتيان شان من ناحية الغرب، وليست لها حدود معينة في الشرق، ويحدها في الغرب "ميان كل" وفي الجنوب كش وفي الشمال أشروسنه، وحاضرة الإقليم سمرقند<sup>(8)</sup>، وهي بلاشك (مركندا)

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 377-379؛ بارتولد: تركستان، ص 240.

(2) بارتولد: تركستان، ص 240.

(3) لمزيد من التفاصيل عنها، راجع بارتولد: تركستان، ص 244-247.

(4) فامبرى: تاريخ بخارى، ص 26.

(5) فامبرى: نفسه، ص 27.

(6) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص 343.

(7) فامبرى: تاريخ بخارى، ص 27.

(8) سمرقند كلمة من "سمر" و"قند" الأول يعني مدينة المسرات، والأخير كلمة فارسية معناها المدينة، وكلمة سمر بالتركية تعيد ما يوضع على ظهر الدابة من بردعة وما إليها لربط الأشغال والأحمال، فعلي ذلك يكون المقصود بكلمة سمرقند المدينة العالية لكونها مرتفعة على وادي الصغد كبردعة الدابة، والاسم الشائع هي مدينة المسرات، ينظر: ابوالليث السمرقندي: خزنة الفقه وعيون المسالك، تحقيق صلاح الدين الناهي، بغداد، 1965م، ط، ص 10.

التي يذكرها الإغريق عاصمة للصغد، وهذه المدينة تتنافس بخارى على مدار تاريخ ما وراء النهر، وكانت أعظم المدن فيما وراء جيحون قبل عهد السامانيين، ولكنها أخذت تفقد أهميتها منذ أن اتخذ الأمير إسماعيل الساماني من بخارى عاصمة له، ويقال انها استردت مقامها من جديد في حكم الخوارزميين حتى فاقت بخارى بكثير، لتبلغ من جديد أوج عظمتها<sup>(1)</sup>. وتقع سمرقند جنوب وادي الصغد مرتفعة عليه<sup>(2)</sup> في أعلى النهر على نحو من 150 ميلاً من شرق بخارى تقوم على مسافة قصيرة من ضفة نهر السغد الجنوبية على نشز من الأرض<sup>(3)</sup> وبالتحديد على بعد 7 كم<sup>2</sup> جنوب الوادي<sup>(4)</sup> حيث الطول 91 درجة و 52 دقيقة، والعرض 36 درجة و 30 دقيقة<sup>(5)</sup> وتقع مدينة سمرقند الآن في جمهورية أوزبكستان، وأوزبكستان بمعنى أرض الأوزبك وهي كلمة فارسية من شقين أوزبك وتعني سيد نفسه (أو شعب الأوزبك) وستان بمعنى الأرض، وكانت سمرقند عاصمة أوزبكستان عندما استولى عليها الروس (1285هـ / 1868م) غير أنه بعد عام 1348هـ / 1930م أصبحت العاصمة هي طشقند، ولم تعد سمرقند أكثر من متحف للفن والعمارة، وتعد أوزبكستان إحدى خمس جمهوريات إسلامية هي قازافستان في شمالها، وقيرغستان في جنوبها الشرقي، وطاجكستان وأفغانستان في جنوبها، وتركمنستان في غربها، وتخلصت أوزبكستان في سبتمبر 1412هـ / 1991م، من سيطرة الاحتلال السوفيتي بعد ما يزيد على 70 سنة<sup>(6)</sup>. وتبعد سمرقند عن أشروسنه 26 فرسخاً وعن فرغانة 53 فرسخاً<sup>(7)</sup> ذكر قدامة<sup>(8)</sup>

(1) فامبرى: تاريخ بخارى، ص26.

(2) ابن سعيد المغربي: محيط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان فرنيط حنين، مطبعة كريمةاس، المغرب، 1958م، ص107.

(3) لسترنج: بلدان الخلافة، ص506.

(4) الترشيحي: تاريخ بخارى، ص18، 19.

(5) ابن سعيد المغربي: محيط الأرض، ص107.

(6) عبدالفتاح الغنيمي: الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، دار الأمين، القاهرة، 1996م، ص3-6.

(7) ابن خرداذبه: مسالك الممالك، ص29، 30.

(8) الخراج، ص265.

وياقوت<sup>(1)</sup> أنها من أبنية ذي القرنين، ويقول الاصطخري<sup>(2)</sup> إن من الناس من يزعم أن تُبعاً بني مدينتها وأن ذا القرنين أتم بعض بنائها، ويقول (رأيت على باب كش صحيفة من حديد قد كتب عليها كتابة زعم أهلها أنها بالحميرية وأنهم يتوارثون علم ذلك بأنه بناء تُبع وكتب عليه أن من صنعاء إلى سمرقند ألف فرسخ) أما ابن الفقيه<sup>(3)</sup> فذكر أن (شمر بن أفريقيس) قد خربها فسميت "شمرقند" وبنائها بعده تُبع الأفرز وردها إلى أفضل ما كانت، وفي رواية أخرى أن سمرقند وما وراء النهر سبق وأن خضعت سياسياً للدولة الحميرية التي كانت صنعاء مركزها<sup>(4)</sup> وفي رواية أخرى أن سمرقند بناها شمر أبو كرب فسميت (شمرقنت) فعربت فقيل سمرقند، هكذا تلفظ بها العرب في كلامهم وأشعارهم<sup>(5)</sup> ومن أهم مدنها بنجيك وكتبه المقدسي<sup>(6)</sup> (بنجكت) بحذف الباء ويصفه بأنه رستاق كثير الثمار خصيب مشجر بالجوز وغيره، والدرغم وصفه السمعاني<sup>(7)</sup> "هو ناحية سمرقند على فرسخين منها مشتملة على قرى عدة وقد نزلت بها وأقمت بها ساعة وقت توجهي إلى سمرقند وبشكديزه من أعمال الدرغم الذي خرج العديد من العلماء" والساو دار وهو رستاق يلي رستاق بنجكت وهو الجبل الذي في جنوبي سمرقند، وليس بنواحي سمرقند رستاق أصح هواء ولا زرعاً ولا فواكه منه وطوله زيادة على عشرة فراسخ<sup>(8)</sup>، ويسميه بن حوقل<sup>(9)</sup> "الشاوذار" ويقول هو من أنزه الجبال وأحسنها عمارة لا نظير لها.

(1) معجم البلدان، ج3، ص133.

(2) مسالك الممالك، ص318.

(3) مختصر البلدان، ط ليدن، دار صادر، بيروت، 1302م، ص326.

(4) قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص500.

(5) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص133.

(6) أحسن التقاسيم، ص279.

(7) الأنساب، ج5، ص337.

(8) الاصطخري: مسالك الممالك، ص321.

(9) صورة الأرض، ص410.



ويلفظه ياقوت<sup>(1)</sup> "شاذوان مرة وأخرى (شاوذار) ويقول هو كورة في جبل سمرقند، وفيه رستاق وقرى، وجبلها أقرب الجبال إلى سمرقند خرج منها العديد من العلماء".

أما (سنجوفغن) فهو رستاق تابع لسمرقند بين الساوذار ورغسر فيما يلي سمرقند وهو أصح الرساتيق هواءً وثماراً وكان جزءاً من ما يمرغ ولكنه أفرد عنه<sup>(2)</sup> وما يمر بين الساوذار وغسر أيضاً وليس في رساتيق سمرقند أكثر قرى وأشجاراً وخيرات منه خرج جموع من العماء<sup>(3)</sup>.

وهو بلد على طرف جيحون<sup>(4)</sup> أما رستاق مدينة ورغسر فيلي بنجكت، فيه مقاسم مياه الصغد وغيره<sup>(5)</sup>. أما الرساتيق الشمالية فمنها بوزماجز ويلفظه المقدسي (بوزماجن) وهو يتصلب رستاق ياركت مما يلي سمرقند ومدينتها (باركت، وأباركت) وهو أعرق رستاق في شمال وادي السغد وأكثره قرى<sup>(6)</sup> ومنها أيضاً بورغند، وكيوننجكت والمرزبان ووزار، يقول السمعاني<sup>(7)</sup> "هي كبيرة بها حصن وجامع ومنازة على أربعة فراسخ من سمرقند، خرجت إليها لزيارة أبي مزاحم والسماع من إبراهيم خطيبها الشيخ الصالح" وباركت أعلى الرساتيق الشمالية متاخمة لأشروسنه ليس بها منبر وماؤها ليس من ماء الصغد وإنما من عيون، والمباخس بها كثيرة ومراعيها واسعة خصبة<sup>(8)</sup>.

أما قرى سمرقند فعديدة منها أرخس، وأسبتكت، وأسنا، وأسفرنج، وأسمند، وأيدج وأيدوج، وبرداء، وبرسان، وبنج، وبنديمش، وتخسا نجكت، وتخسيج، وتريان، وكود، وتشكيدزه، وتوسكاس، وجخزن، وجويبار، وخاخسر، منها عتيق بن عبدالعزيز ابن عبدالكريم الدرغي الخاخسرى السمرقندي أبوبكر الأديب، كان أديباً شاعر حسن النظم يحفظ الكتب في اللغة، مات بخوارزم

(1) معجم البلدان، ج3، ص228-245.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص279.

(3) الاضطخري: مسالك الممالك، ص321.

(4) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص408.

(5) السمعاني: الأنساب، ج5، ص582.

(6) الاضطخري: مسالك الممالك، ص322.

(7) الأنساب، ج4، ص579.

(8) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص916.

سنة 560هـ / 1164م<sup>(1)</sup> وخدفران، وخذاند، وخرتتك وخرعون وخرقان قرية من قرى سمرقند بها رباط معروف يقال له رباط خرقان ينسب إليها الأديب أبو الفتح أحمد بن الحسين ابن عبدالرحمن الشاشي الخرقاني الفرابي، قرأ عليه السمعاني بسمرقند كثيراً من تصانيف السيد أبو الحسن محمد العلوي الحافظ البغدادي بالإجازة مات سنة 505هـ / 1111م<sup>(2)</sup> وخراند وخمثين ودرزيو، وديزك، وذخيغوى، وذمي، ورزمار، وزرمان، وسرخكت منها الإمام أبوبكر محمد عبدالله بن فاعل السرخكتي كان إماماً فاضلاً من مناظري البرهان ببخارى وخصومه مات سنة 518هـ / 1124م<sup>(3)</sup> وسنكبات منها أبو الحسن أحمد بن الربيع بن شافع بن محمد السنكباتي، وابنه أبو الحسن علي بن أحمد السنكباتي أحد الأئمة الزهاد المشهورين بسمرقند مات سنة 452هـ / 1060م<sup>(4)</sup> وقاران وفراب، وقنطرة سمرقند، وكارزن، وكندو التي كان منها أبو المحامد بن عبدالخالق بن عبدالوهاب بن حمزة الكندي، كان فقيهاً عالماً ذكره السمعاني<sup>(5)</sup> في شيوخه مات سنة 551هـ / 1156م، ومزن وميغن والنوى وانداق، ودزق، ورفوق والركند، وروذك، وريخشن، وريورد، وزركران، وزكان، وسامان، وسميجن، وكدك، وكدن، ونجانكيت، ونوكدك، وزاغر<sup>(6)</sup>.

أما الكشانية ذكرها اليعقوبي<sup>(7)</sup> من مدن الصغد، وعدّها ابن خرداذبه<sup>(8)</sup> من مدن سمرقند في حين جعلها الاصطخري<sup>(9)</sup> من مدن كورة الصغد ووصفها بأنها أعر مدن الصغد مقاربة

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص406.

(2) السمعاني: الأنساب، ج5، ص94.

(3) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص72.

(4) السمعاني: الأنساب، ج2، ص416.

(5) الأنساب، ج3، ص489.

(6) لمزيد من التفاصيل، قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص517، 518.

(7) البلدان، ص294.

(8) المسالك والممالك، ص260.

(9) مسالك الممالك، ص316-363.

لأشتيخن في الكبر ولها قرى ورستاق أقل أشتيخن في المقدار وهي قلب مدن الصغد<sup>(1)</sup>. وكتبها المقدسي<sup>(2)</sup> كشاني ومن قراها أسكارن، وأسميثين<sup>(3)</sup>، كل هذه المدن والقرى خرج منها العديد من العلماء والذين ساهموا في النتاج العلمي في إقليم ما وراء النهر ونسبوا إليها.

أما مساحة سمرقند فكانت أرباض المدينة بما في ذلك المدينة نفسها تشغل مساحة مقدارها ستة آلاف جريب<sup>(4)</sup> بينما شغلت المدينة الداخلة (الشهر ستان) ألفين وخمسمائة جريب<sup>(5)</sup>.

وكان أقدم وصف لمدينة سمرقند الإسلامية وفقاً للمصادر الجغرافية هو أن سمرقند وضواحيها يحيطها سور طوله 12 فرسخ وبه 12 باب، بين كل بابين فرسخ وهي من حديد<sup>(6)</sup>.

ويرجع سبب الخراب الوقتي الذي حل بسمرقند إلى المغول، الذين خربوا البلد ودمروها سنة 617هـ/ 1220م<sup>(7)</sup> حتى إن ابن بطوطة لما زارها في المائة التالية لذلك الزمن، قال فيها (لا سور لها ولا أبواب عليها، وأكثر دورها خراب والقليل منها أهل بالسكان)<sup>(8)</sup> ومع ذلك استعادت سمرقند مجدها السابق بعد قليل، وذلك في ختام المائة الثامنة حين اتخذها تيمورلنك عاصمة له فجدد البلد وشيد المساجد<sup>(9)</sup>.

وكانت سمرقند قد أصبحت مركزاً ثقافياً إسلامياً وسرعان ما وصلت إلى أعلى مدارج الأعمار والازدهار في عهد السامانيين، وبقيت على هذا الحال في عهد السلاجقة والخوارزميين،

(1) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص325.

(2) أحسن التقاسيم، ص266-279.

(3) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص276.

(4) الجريب شأنه شأن مقاييس الطول والوزن، كان يختلف من قطر لآخر، والجريب عادة يساوي ثلاثة آلاف وستمئة ذراع مربعة، والذراع تساوي 8.51 سنتيمتر أي أنه أكثر من نصف المتر بقليل، ولهذا فإن الجريب يجب أن يكون أكثر من تسعمائة متر بقليل، الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق فان فلوتن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004م، ص66.

(5) لسترنج: بلدان الخلافة، ص507؛ مرتضي رواندي: تاريخ اجتماعي، إيران، جلد نجيم، جاب سوم، تهران، 1372هـ، ص259؛ محمد عبدالقادر أحمد: الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر، القاهرة، 1992م، ص210.

(6) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، بيروت، 1961م، ص108؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص10.

(7) لسترنج: بلدان الخلافة، ص505..

(8) رحلة بن بطوطة، تحقيق جلال حرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص391؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص508.

(9) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م، ج1، ص502؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص509.

واتخذها السلطان محمد خوارزمشاه عاصمة لدولته<sup>(1)</sup>. أما إقليم أشروسنه، بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة، ثم الراء المضمومة المشبعة بواو ساكنة بعدها، تليها سين مهملة تعقبها نون موحدة ثم هاء، وهذا اللفظ هو الأشهر بين التسميات التالية، فقد أكد ياقوت الحموي<sup>(2)</sup> على أن لفظ (أشروسنه) هو أشهر التسميات بل وأصحها، اعتماداً على أن القاطنين في الإقليم وما جاوره كانوا يطلقون الاسم بهذه الصورة، حيث يقول الحموي نصاً (وهذا الذي أوردته هنا هو الذي سمعته من ألفاظ تلك البلاد) كما اعتمد الإدريسي<sup>(3)</sup> نفسه الرسم في كتاباته عن الإقليم حيث أوردته بصورة (أشروسنة)، ومثله فعل الحميري في الروض المعطار<sup>(4)</sup> وكذلك الاصطخري<sup>(5)</sup> والبلاذري في فتوح البلدان<sup>(6)</sup> إضافة إلى ابن حوقل<sup>(7)</sup> والمقدسي<sup>(8)</sup>، والخوارزمي في مفاتيح العلوم<sup>(9)</sup>، وتتنطق كذلك أشروسنه وهو الشكل الغالب على اسم الإقليم في المصادر والمراجع الفارسية وبعض المصادر العربية كالهمداني<sup>(10)</sup> وتتنطق أحياناً شروسنه<sup>(11)</sup> وأستروشنه<sup>(12)</sup>.

يقع إقليم أشروسنه في بلاد ما وراء النهر إلى القرب من سمرقند وإلى الشرق من فرغانة وإلى شمال الشاش، وفي الجنوب من أشروسنه تقع مناطق كش، وصغانيان وشومان، حيث يمتد

(1) خواندمير: حبيب السير في أخبار أفراد البشر، جلد 3، تهران، 1333هـ، ج1، ص30.

(2) معجم البلدان، ج1، ص197.

(3) نزهة المشتاق، ج1، ص503.

(4) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980م، ص118.

(5) مسالك الممالك، ص221.

(6) البلاذري: فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ط1، 1319هـ، ص428.

(7) كتاب صورة الأرض، ص426.

(8) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص342.

(9) مفاتيح العلوم، ص77.

(10) مختصر كتاب البلدان، ط بريل، ليدن، 1302هـ، ص322.

(11) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص169.

(12) لي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص512.

إقليم أشروسنه على مساحة شاسعة من الجبال والسهول بين الرساتيق<sup>(1)</sup> الممتدة في محاذاة نهر السغد<sup>(2)</sup> من جهته اليمنى إلى الشرق من سمرقند، والرساتيق التي تقع إلى يسار سيحون، وتقع جغرافياً بين درجتي طول 15، 19 ودرجتي عرض 36، 40 عرضاً، معدودة في الإقليم الرابع وطولها إحدى وتسعون درجة وسدس وعرضها ست وثلاثون درجة وتلثان<sup>(3)</sup>.

وأشروسنه من بلاد الترك وفي شرقها أرض فرغانة، إذ إن بلاد الترك تجاورها جبال البتم إلى شمالها<sup>(4)</sup> وكانت تُعدّ من بلاد الهياطلة الأتراك، ووفقاً لبارتولد فإن جميع الأراضي الممتدة في المسافة بين سمرقند وخنجة<sup>(5)</sup> (أي مائة وأربعين وثمانين ميلاً) كانت تدخل ضمن إقليم أشروسنه<sup>(6)</sup> وهي مسافة كبيرة حيث يقرر الاصطخري<sup>(7)</sup> أن الرحلة من سمرقند إلى خنجة كانت تستغرق عدة مراحل<sup>(8)</sup> أما الحد الشرقي لإقليم أشروسنه فهو بامير (الفامر)<sup>(9)</sup>، ومن الناحية الجغرافية فأرض الإقليم سهول واسعة وجبال<sup>(10)</sup>. وأشروسنه اسم لإقليم على الجملة، فلا توجد بالإقليم مدينة أو قرية أو موضع بعينه يسمى أشروسنه، فقد ذكر الاصطخري<sup>(11)</sup> أن (أشروسنه

- 
- (1) رساتيق: جمع رستاق وهو مشتق من الفارسية (روذة فستا) ومعناها الصف أو السطر وهو اسم يقع على كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن وهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل العراق، ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص 37، 38
  - (2) نهر السغد: يسمى نهر روفشان (ناشر الذهب) وينبع من جبال البتم الموجودة بإقليم أشروسنه، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 510.
  - (3) عبدالله نوح: الأحوال الحضارية في إقليم أشروسنه من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة السامانية، دار ابن خلدون، القاهرة، 2013م، ص 37.
  - (4) ابن خلدون: العبر، ج1، 1986م، ص 61؛ ذكر بارتولد عند حديثه عن نهر السغد أن القراءة الصينية لاسم نهر السغد هي (نامي Nami) أو نامق (Namir) ومنبعه من جبال البتم أو بتمان وهي سلسلة جبال واقعة على المجرى الأعلى لنهري جيحون وسيحون وهي ثلاثة جبال (البتم الأول، والأوسط، والأعلى)، بارتولد: تركستان، ص 168.
  - (5) خنجة: وتسمى خجند وهي قصب فرغانة في بعض الأحيان، مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، منشورات الدار الثقافية، القاهرة، 1999م، ص 87.
  - (6) بارتولد: تركستان، ص 278.
  - (7) الاصطخري: مسالك الممالك، ص 334.
  - (8) بامير: من النواحي القريبة من أعالي نهر جيحون وتعتبر هي الحد الشرقي لأشروسنه، لسترنج: بلدان الخلافة، ص 423-517.
  - (9) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 379.
  - (10) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 379.
  - (11) مسالك الممالك، ص 221.

اسم للإقليم كما أن الصُّغْد اسم إقليم وليس بها مكان ولا مدينة بهذا الاسم)، وعن الاصطخري اقتبس ياقوت العبارة نفسها ونسبها لصاحبها<sup>(1)</sup>. ويحتوي إقليم أشروسنه على عديد من المدن والقرى ومنها بونجكت قصبة أشروسنه وكبرى مدنها، وتقع في وسط الإقليم، وتنتطق أحياناً بنجكت، وبونجكت، وبنجكت<sup>(2)</sup>، وتسمى الآن مدينة (أوراتبه) التي بنيت على أطلالها<sup>(3)</sup> وهي من أحسن المدن فهي أول منازل المسافر في إقليم أشروسنه وهي أعلى الرساتيق الشمالية في أشروسنه<sup>(4)</sup>. ويلبها في الاتساع والكبر مدينة زامين واسمها يعني الأرض<sup>(5)</sup> وقد تلفظ (زامن) بدون الياء الوسطى<sup>(6)</sup> وتقع على الطريق القادم من خراسان والمار ببخارى وسمرقند، وليس للمسافر إلى أقاليم المشرق وخاصة الشاش وفرغانة وما وراءها إلى الصين، بدمن السفر عبر مدينة زامين<sup>(7)</sup> لأن الطريق الرابط بين خراسان وأقاليم ما وراء النهر، بعد أن يجتاز بخارى وسمرقند، يمر عبر مدينة زامين (مفرق الطريقين) طريق إلى الشاش وطريق إلى فرغانة<sup>(8)</sup>.

ثم مدينة ساباط من أشهر مدن أشروسنه والتي اكتسبت اسمها من صفة التسقيف التي كانت علامة ظاهرة في أسواق تلك المدينة، حيث تميزت أسواقها بأن فيها سقوفاً صغاراً تظلل المسافات بين تلك الأبنية<sup>(9)</sup>. وتقع ساباط على طريق السفر والتجارة الرابط بين المشرق وبلاد

---

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص197.

(2) الاصطخري: مسالك الممالك، ص326؛ مجهول: حدود العالم، ص87؛ الحميري: الروض المعطار، ج1، ص499؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص518.

(3) لسترنج: بلدان الخلافة، ص517.

(4) بارتولد: تركستان، ص278.

(5) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص128.

(6) البعقوبي: البلدان، ص74.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، ص414.

(8) بارتولد: تركستان، ص280.

(9) أكد المقدسي أن مدينة ساباط كانت تحوي أسواق مظلمة ويسقوف قصيرة، وقد اكتسبت المدينة اسمها من تلك السقوف (السيطات) وكلمة ساباط في لغة العرب، سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ وتجمع على سوابيط وساباطات، وفي لغة الفرس (سابات) و(ساباط) ممر سقفه مغطى من أعلاه، ينظر: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص277؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص166.

خراسان عبر مناطق ما وراء النهر<sup>(1)</sup> ثم مدينة مرسمندة وباركث وأرسبانيكث، وخرقانة، وأشتخين، وخشوفغن، وغزق، وفحكث، وكركث، وخشت، وسنجفين، وشبلية، وفاوس، ومنيك، وسويدك وجنكاكث، وبور تمد، ونوجكث، وشاوكث، وأركند، وغلوك آنداز، وقطوان دزة، وخديسر<sup>(2)</sup>.

أما إقليم فرغانة<sup>(3)</sup> فهو إقليم واسع من أقاليم ما وراء النهر، ويشتمل على عديد من المدن والقرى منها مدينة حملت نفس اسم الإقليم (فرغانة). ويقول ابن حوقل<sup>(4)</sup> عن الإقليم والمدنية (هو عمل عريض موضوع على سعة مدنها وقراها، وقصبتها أخسيكث)<sup>(5)</sup> وهي مدينة على شط نهر الشاش<sup>(6)</sup> وهي قديمة وعريقة، تقع في وادي فرغانة ومتاخمة لبلاد التركستان<sup>(7)</sup> وقال عنها الفلقشندی<sup>(8)</sup> "مدينة كبيرة في مستوى من الأرض، ولها بساتين كثيرة" وتبلغ مساحتها نحو (2200 كم<sup>2</sup>) وطولها أكثر من (300 كم<sup>2</sup>) وعرضها يتراوح ما بين (150-170 كم) محاطة بالجبال من ثلاث جهات<sup>(9)</sup> ومن الجهة الجنوبية يجري ممر ضيق (ممر فجنذ) الذي يجري به

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 415.

(2) لمزيد من التفاصيل حول هذه المدن والقرى ينظر: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 492؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص 411-422؛ بارتولد: تركستان، ص 278-290.

(3) بالفتح ثم السكون وعين معجمة، وبعد الألف نون، بناها أنوشروان كسرى الخير، أحد ملوك الفرس القدامى، وسماها (أزهرخان) أي من كل بيت وسميت قديماً (دوان) وإلى وقت قريب عرفت بخافية خوقند وحالياً تعرف (بقير غيزيا) أو (قير غيزستان) وتقع في الإقليم السادس من أقاليم ما وراء النهر، ينظر للمزيد، الفزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت، ص 557؛ ياقوت: معجم البلدان، ج 4، ص 287؛ لي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 520؛ حسين الأمين: دائرة المعارف الشيعية، ج 3، دار التعارف، بيروت، 1975م، ج 3، ص 16-18.

(4) صورة الأرض، ص 384.

(5) بالفتح ثم السكون وكسر السين المهملة وياء ساكنة وكاف، وثاء مثلثة، ياقوت: معجم البلدان، ج 1، ونطقها ابن خرداذبه بالتاء المثناة (أخسيكث) ينظر، المسالك والممالك، ص 42، ونطقها ابن حوقل (أخسيكث) ينظر: صورة الأرض، ص 420.

(6) نهر الشاش: يسمى أيضاً نهر سيحون وسماه العرب (جكارثس) العظيم، لكن نهر الشاش هو أكثرها شيوعاً، لوقوعه قرب إقليم الشاش، عرفه الترك باسم سيرديريا أو سيرصول (نهر سير) وعرفه المغول (كل زريان) ويذكر دائماً بـ(سيحون) في كتابات الجغرافيين، ينظر، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 277؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص 519، 520.

(7) اسم مكون من قطعتين، الترك، وستان (أي موطن الأتراك) يطلق على جميع الأقاليم الممتدة من الإقليم الأول من جهة الشرق، إلى الإقليم السابع، وهي نفسها بلاد ما وراء النهر وهي ما تعرف حالياً بجمهورية آسيا الوسطى الإسلامية الخمس وهي أوزبكستان، وتركمنستان، وقيرغيزستان، وطاجكستان، وأفغانستان، ينظر، بارتولد: تركستان، ص 145؛ يسري جوهري: آسيا الإسلامية، دار المعارف بمصر، 1980م، ص 191.

(8) صبح الأعشى، ج 4، ص 437.

(9) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 520.

نهر سيحون، وإقليم فرغانة على الجانب الأيسر لهذا النهر، يحده شمالاً جبال تيان شان، وجنوباً هضبة البامير، وشرقاً سهول مكشوفة وغرباً ممر ضيق متصل بباب هذا الإقليم<sup>(1)</sup>.

وذكرها السمعاني<sup>(2)</sup> ولاية وراء الشاش من بلاد الشرق وراء نهر جيحون وسيحون وهي عند ياقوت<sup>(3)</sup> مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل<sup>(4)</sup> كثيرة الخير واسعة يقال كان بها أربعون منبراً (أي مسجداً). ونظراً لكون إقليم فرغانة أو أقاليم هيطل فقد تميز به مناخ هذا الإقليم فهو في الصيف معتدل ليس به مناطق شديدة الحرارة، وفي الشتاء بارد وفي بعض الأحيان تكثر هطول الأمطار الثلجية خاصة في المناطق الواقعة على نهر سيحون<sup>(5)</sup> إلا أن الغالب على مناخ فرغانة هو الاعتدال، ما جعلها عامرة بالبساتين، والمنتزهات، والضياح، ولذا كانت مقصداً للسلطين والملوك، والأمراء الذين تعاقبوا على حكم أقاليم ما وراء النهر في فصل الصيف<sup>(6)</sup> وانمازت فرغانة بمناخها المعتدل على الرغم من احتوائها على جبال كثيرة<sup>(7)</sup>. ويشتمل إقليم فرغانة على العديد من الكور<sup>(8)</sup> والمدن والقرى وصفها الاصطخري<sup>(9)</sup> بقوله (ليس بما وراء النهر أكبر من قرى فرغانة، ربما بلغت القرية مرحلة)<sup>(10)</sup>

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص384.

(2) الأنساب، ص424.

(3) معجم البلدان، ج3، ص878.

(4) هيطل: بالفتح ثم السكون، وفتح الطاء المهملة، سمي بهذا النسبة إلى هيطل من عالم بن سام بن نوح - أخو خراسان بن عالم، وهو اسم جامع لبلاد ما وراء النهر، ينظر، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص260، 261.

(5) ابن الفقيه الهمداني: مختصر كتاب البلدان، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ص316.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص373.

(7) ابن حوقل: صورة، ص384.

(8) الكور: مفرد كورة اسم فارسي، وهي نفسها الأستان، وتعني كل موضع يشتمل على عدة مدن وقرى ولابد لتلك القرى من قصبية، أو مدينة، أو نهر يجمع اسمها، ينظر، ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص36، 37.

(9) مسالك الممالك، ص333.

(10) المرحلة: هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم واحد، وتقدر بنحو 30كم على درجة التقريب، ينظر: عبدالرحمن محمد عبدالغني: موقف البيزنطيين والفاطميين من ظهور السلاجقة، حوليات كلية الآداب، الكويت، 1994م، حولية رقم 97، ص15، 16.



أهلها، وانتشار مواشيهم ومزارعهم، ولفرغانة كور، لكل كورة منها عدة مدن، لكل مدينة منها رستاق فيه قرى عدة<sup>(1)</sup> فهي تحتوي على حوالي أربعين مدينة بكل منها جامع<sup>(2)</sup>.

ومن أهم الكور نسبا العليا ونسبا السفلى، والعليا هي أول كور فرغانة من ناحية خجندة ومن مدنها وانكث وسوخ وخواكنده، ورشتان، وتقع على نهر سيحون ويقال لها نسيا أو نسائية العليا<sup>(3)</sup> أما نسيا السفلى فتحتوي على عدد أكبر من المدن منها زندرامش، ومرغينان، وبرنك، وأشتقان وهلي<sup>(4)</sup> ومن كورها أيضاً نقاد (نوقاد) كورة كبيرة والنسبة إليها النقادي وهي اسم الكورة ومدينتها (مسكان) وهي جبلية<sup>(5)</sup> كذلك من الكور كاسان (كاشان) وجدغل ومدينتها أرولانكث وميان رودات ومدينتها خيلام، وكروان وبها عديد من قرى الكثيرة<sup>(6)</sup>.

كذلك تُعدّ أورستا، وأستيياكند، وشلات وهي كور تحتوي على عدد كبير من القرى وتُعدّ أستيياكند وشلات باباً للترك عن طريق ميان روزان<sup>(7)</sup>. ومن أشهر مدن فرغانة مدينة فرغانة التي تقع على شط نهر الشاش وسمي الإقليم باسمها<sup>(8)</sup> وأخسيكث أو أخشيكت وهي قسبة إقليم فرغانة مدينة كبيرة تبلغ نحو تسعة أميال<sup>(9)</sup> وأوزكند أو جند والنسبة إليها أوزكندي أو أوزخدي<sup>(10)</sup> مدينة كبيرة على حدود الترك وهي آخر مدن الإقليم من ناحية الشرق، وليس لها مدينة غيرها، ولها أربعة أبواب، وتتخللها الأنهار من كل الجهات، ولها روض يحيط بها سور<sup>(11)</sup>.

---

(1) الاضطخري: مسالك الممالك، ص333.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص287.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص421.

(4) الاضطخري: مسالك والممالك، ص333.

(5) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، دار صادر، بيروت، 1980م، ص708؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص421.

(6) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص287؛ السمعاني: الأنساب، ج2، ص434.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، ص421.

(8) الاضطخري: مسالك الممالك، ص334.

(9) ميركاساني: أورته آسيا تاريخي (سياسي، ديني، اجتماعي، أدبي)، أبيها، السعودية، د. ت، ص63، 64.

(10) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص333.

(11) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص272.

وأوش التي تتميز بموقعها على ضفة نهر يعرف باسمها، وهي مدينة كثيرة الأنهار<sup>(1)</sup> ويحيطها سور به أربعة أبواب، وقلعتها ملاصقة للجبل، وبها جبال كثيرة، وتشتهر بثرائها ووفرة محاصيلها الزراعية<sup>(2)</sup>.

أما أنديجان أو أندكان فهي من أشهر مدن فرغانة، وهي منطقة سهلية، خالية من الجبال<sup>(3)</sup>، وقبا التي يقول عنها المقدسي<sup>(4)</sup> "قبا أرحب، وأوسع، وأطيب، وأنزه، وأعجب مدن القصبية وقد كان يجب في القياس أن تكون هي القصبية) أي العاصمة ولها قلعة وريضة<sup>(5)</sup> ونصر آباد من مدن فرغانة الشهيرة بتجاراتها، وهي واسعة كبيرة، تحيط بها الأشجار ولها منارة وبها أنهار<sup>(6)</sup> وتسخان مدينة كبيرة، أهلة بالسكان وبها أسواق كثيرة<sup>(7)</sup> وداركان مدينة متوسطة المساحة، غنية بالموارد المائية، بها مزارع وبساتين<sup>(8)</sup>. أما خجندة فهي من مدن فرغانة الكبرى، تقع على الضفة الشمالية لنهر سيحون، وتحتوي على عدد كبير من القرى، قال عنها الاضطخري<sup>(9)</sup> (خجندة متاخمة لفرغانة، قد جعلناها في جملة فرغانة وإن كانت منفردة في الأعمال عنها) وليس من أعمال غير كند، وبها نهر كبير<sup>(10)</sup>.

أما قرى فرغانة فهي كثيرة ومنها شكت (سكت) ونجم وبرخشان، وغزق، والميازونيه والنسائيه، والواغزيه، وبوكنند، وجارك، وأشت، ونوبكار، واوال، وكركرد، وبيكان وجدغل،

---

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص333.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص421.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص272.

(4) المقدسي: نفسه، ص273.

(5) الاضطخري: مسالك الممالك، ص333.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص271.

(7) المقدسي: نفس المصدر والصفحة.

(8) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص522.

(9) مسالك الممالك، ص333.

(10) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص272.

وشاوران، وأسيره، وأوال، وأورشتا، ويرنك، وبشيشان وبوكند وخشكت، وخواقند، ورسنان، ورنجد، وزاركان، وشلاثا، وكروان وكند ومسكان ومرغينان، ومنارة، وميان رودان، وانكت<sup>(1)</sup>.

أما إقليم الشاش فقد ذكرت بعض المصادر أن كلمة الشاش تتكون من حرفين أساسيين هما شينان ومعجمتان وبينهما ألف<sup>(2)</sup> وهذا الاسم يطلق على الإقليم والمدينة في الوقت نفسه ويقابل هذا الاسم بعض الأسماء الأخرى التي أطلقت عليه في اللغات الأخرى مع تطور العصور أيضاً ومنه ما كان يقابله في اللغة الصينية (جاج) في العصور الإسلامية، ولكن حدث بعض التطورات لهذا الاسم على أيدي العرب فقد استبدلوا حرف (ج) بحرف الـ(ش) وبالتالي كسر نطق هذا الاسم بـ(ش) حتى تلاشي حرف (ج) عند العرب<sup>(3)</sup>، وقوبل هذا الاسم أيضاً في اللغة الفارسية بـ(جاج) ثم تطورت إلى (جاجند ثم تاشكند ثم طشقند) وهذا يؤكد أن السكان الناطقين بالتركية قد حرفوه إلى هذه المصطلحات السابقة<sup>(4)</sup>.

والخرائب المعروفة اليوم بتاشكند القديمة هي موضع المدينة التي سماها العرب الشاش والفرس جاج، وكانت في العصور الوسطى أعظم المدن الإسلامية فيما وراء نهر سيحون، ومن المصطلحات الاسمية التي أطلقت على هذا الاسم أيضاً (نجكث) وهذا الاسم هو لمدينة قسبة إقليم الشاش ولكنه يطلق على اسم الإقليم كله وذلك على غرار كثير من أسماء المدن في بلاد ما وراء النهر التي تحمل تسميتين إيرانية وتورانية<sup>(5)</sup>.

(1) للمزيد ينظر: قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص539-552.

(2) البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، القاهرة، 1949م، ص775.

(3) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص488.

(4) أمين واصف: الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق أحمد زكي، مطبعة الفجالة، القاهرة، 1916م، ص67.

(5) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص422.

يتضح مما سبق أن إقليم الشاش يحمل اسماً في العصر الحديث هو طشقند، ومن الملاحظ أن هناك ظاهرة عامة في أسماء المدن في آسيا الوسطى الإسلامية حيث إن أكثرها ينتهي بـ(قند أو كند) وهي كلمة تركية الأصل بمعنى (سور) أو القصبه في التقسيمات الإدارية، ومازالت مستعملة اليوم ونلاحظها في تركيب بعض أسماء المدن مثل طشقند<sup>(1)</sup>.

وتاشكنت وإن اختلفت في الحروف عن طشقند ولكن النطق واحد، وهو اسم المدينة والإقليم سابقاً فهي لغوياً تعني مدينة الحجر وباسمها هذا قد أصبحت اليوم عاصمة تركستان الإسلامية أي جمهورية أوزبكستان<sup>(2)</sup> ومن المصطلحات التي أطلقت أيضاً على إقليم الشاش اسم (الشاش) وهي الشاش التي ذكرت في فتوحات كسرى عندما وجه جيوشه إلى بلاط الهياطلة وهي على هذا الاسم<sup>(3)</sup> وظل اسم الشاش يطلق على هذا الإقليم حتى الغزو المغولي سنة 617هـ/ 1220م وبعد ذلك أطلق عليه اسم آخر من قبل تيمورلنك، وهو (شاهرخية) حيث إن بنكث قد خربها المغول في هجومهم المدمر فيما دمروا من مدن العالم الإسلامي، ولكن تيمورلنك أعاد بناءها وأسمها (شاهرخية) تكريماً لابنه القائد (شاهرخ)<sup>(4)</sup>.

يقع إقليم الشاش ضمن نطاق بلاد التركستان التي هي موطن لجميع بلاد الترك في وسط آسيا<sup>(5)</sup> حيث يقع الإقليم خلف نهر سيحون فحدا منه يقع في بحيرة خوارزم وآخره إلى باب الحديد بيرية بينها وبين أسبجياب تعرف بالقلاص، أو قراع، وحدا آخر إلى جبال منسوية إلى عمل

(1) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص523.

(2) بين الترجمان: دراسة أنثروبولوجية وتاريخية لتركمان آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ترجمة: د/ عبدالعزيز محمد عوض الله، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، العدد11، القاهرة، 1433هـ/ 1993م، ص508.

(3) الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق د/ عصام محمد الحاج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/ 2001م، ص117.

(4) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص525.

(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص23.

الشاش، وحدا إلى ونيكرد قرية للنصارى، وهي أكبر ثغر في وجه الترك<sup>(1)</sup> ويحد هذا الإقليم أيضاً من الغرب فرغانة ومن الجنوب إيلاق ومن الشمال أسفيجاب<sup>(2)</sup>.

ولإقليم الشاش مدن كثيرة تزيد على خمس وعشرين مدينة أسماؤها أعجمية ما يدل على سعة مساحته التي قال عنها ابن حوقل<sup>(3)</sup> (إن إقليم الشاش ليس بخراسان وما وراء النهر إقليم على مقدارها في المساحة مع تفاوت في مساحة المدن والقرى التي فيها ومن المدن التي تنسب إلى الشاش، نيكث، ونكث، وجينانجكث، ونجاكث، ويناكث، وخرشكت، وعزجند وغناج، وجيوزن، وروك، وكبرنة، وغدوانك، نوجكث، غزك أنوذكث، ثبكت، بركوين، خاتونكت، جيغوكث فرنكد، كداك نكالك، بارسكت أشتوركت، وألبيكث، وبركوين وكوران تل أوش، وغزگرد زرانكث، فردكث أجيح، وهذا ما ذكره المقدسي<sup>(4)</sup> وهناك مدن أخرى منها طراز (أترار) أو فاراب، وأسيفجاب وأرسبانيكث، وأطلخ، رياراب وبرسخان وبروخ، وبركث، وبلاج، وبلاسكون، وبهلو، وثرارزراخ، وجكل، وحمبرك وحران وسوران وسوس، وشاوغر، وكولان، وكول، وصبران، وميركي، ويركي وإيلاق ونيكث، وأشتوركت، وأغناق، وبارسكت، ويسكند، وخرشكت، وتكتك وكمنجت وشاخ، وصوناخ، وكمنجت وإيلاق<sup>(5)</sup>. وذكرت ياقوت<sup>(6)</sup> ما تعرضت له الشاش من الدمار على يد خوارزم شاه محمد ابن تكش لعجزه عن ضبطها، وقتل ملوكها فجلا عنها أهلها وبقيت تلك الديار خاوية على عروشها، وانثلم من الإسلام ثلثة لا تنجبر أبداً.

(1) علي بهجت: قاموس الأمكنة والباقاع التي يرد ذكرها في كتب الفتوح، مطبعة التقدم، القاهرة، 1966م، ص134.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص243.

(3) صورة الأرض، ص416.

(4) أحسن التقاسيم، ص246.

(5) لمزيد من التفاصيل، ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص27-29؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ج2، ج3؛ ابن الأثير: اللباب، ج1، ص227؛ السمعاني: الأنساب.

(6) معجم البلدان، ج3، ص436.

والشاش أكبر ثغر إسلامي في وجه الترك وهي من أفضل بلدان ما وراء النهر ومتاخمة ومجاورة لبلاد الترك من حيث موقعها، وتمثل الشاش آخر معقل لديار الإسلام<sup>(1)</sup> وكانت للثغور أهمية كبرى وقت ذلك، حيث كانت تؤدي واجباً دينياً مقدساً وهو صد أعداء الإسلام عن الديار الإسلامية مما كان يعطي لحكامها أهمية كبيرة وجعل ولاية الثغور موضع تقدير المسلمين وقت ذلك<sup>(2)</sup> في عهد الخلفاء المسلمين تشكل حدود العالم الإسلامي في هذه المنطقة ضد حملات الأتراك، وكانت تُعدّ منطقة عازلة ضد هجمات الرعاة عن طريق إقامة الأسوار الحامية للمدينة والتي كانت بقاياها موجودة إلى وقت قريب<sup>(3)</sup> ولعب إقليم الشاش دوراً كبيراً في صد هجمات الأتراك الشرقيين وغير المسلمين آنذاك من الإغارة على المدن الإسلامية، والأتراك المسلمين، مثل دورها أيضاً في صد هجمات الصينيين في العصر العباسي والأطماع الأخرى في البلاد المجاورة للشاش<sup>(4)</sup>.

كانت الشاش بهذا الموقع تتوسط الطرق التجارية المؤدية بين الشرق والغرب فنشطت تجارياً من خلال عمليات التبادل التجاري ووقوعها أيضاً بالقرب من طريق الحرير العظيم كل هذا أضفى أهمية تاريخية واقتصادية لموقع الشاش<sup>(5)</sup>.

وإقليم ما وراء النهر من أخصب أقاليم الأرض منزلة وأنزهها وأكثرها خيراً، وأهله يرجعون إلى رغبة في الخير واستجابة لمن دعاهم، وفي عامة مساكنهم البساتين والحياض والمياه الجارية، والأشجار الملتفة والثمار الكثيرة والرياض المتصلة، مما لا يوجد له نظير في كثير من

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص416.

(2) عبدالنعميم حسانيين: سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1385هـ/1970م، ص164.

(3) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص124.

(4) حسن أحمد محمود: نفس المرجع، ص125، 126.

(5) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص36، 37.

الأمصار<sup>(1)</sup> وليس من الأقاليم إلا يقحط أهله مراراً قبل أن يقحط ما وراء النهر<sup>(2)</sup>. ولم تخل كتب الجغرافيين المسلمين من ذكر هذا الإقليم فقد وصفوه في رحلاتهم وأعطوه حقه من المدح والوصف مما أتاح للباحثين فرصة الإطلاع على تاريخ وجغرافيا وعادات وتقاليده شعوبه<sup>(3)</sup>. وعن هذا الإقليم يقول المقدسي<sup>(4)</sup> (أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء ومعاني الخير ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم ملوكه أجل الملوك، وجنده خير الجنود، ترى به رساتيق جليلة، وقرى نفيسة، وأشجار ملتفة، وأنهار جارية ونعماً ظاهرة ونواحي واسعة، وديناً مستقيماً، وعدلاً مقيماً) ويقول عن بخارى عاصمة إقليم الصغد (إنه لم ير ولم يسمع في الإسلام عن بلد أحسن مظهراً وظاهراً من بخارى، أو تحيط بها الخضرة من جميع جوانبها، وهي من أحسن البلدان عمارة وأكثرها حدائق ومنتزهات وهي معبر الطريق إلى خراسان)<sup>(5)</sup> ويصف سمرقند بأنها من أجل البلدان وأعظمها قدراً وأشدّها امتناعاً وأكثرها رجالاً<sup>(6)</sup> وجبال البتم الشهيرة الشاهقة المنيعة، فالغالب عليها النزهة والخضرة، وهي قرى أهلة بالسكان وبها حصون منيعة، وفيها معادن الذهب والفضة، والزاج والنوشادر الذي يصدر إلى بقاع الأرض<sup>(7)</sup> وهي تتصل بسمرقند وبخارى وإقليم الصغد عن طريق نهر مسخا، يصب في نهري الصغانيان وفرغانة<sup>(8)</sup>.

وزاد من أهمية الإقليم - إقليم ما وراء النهر - أنه كان يقع على طريق التجارة العالمي في العصور الوسطى وهو طريق الحرير، الذي خطه التجار منذ ما يربو على الألفي عام، عندما

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص384.

(2) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص287.

(3) محمد عبدالعظيم يوسف: مراكز التجارة في آسيا الوسطى، بحث نشر في مجلة اتحاد المؤرخين العرب، حصاد 8، القاهرة، 1421هـ/ 2000م، ص330.

(4) أحسن التقاسيم، ص360، 361.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص364.

(6) المقدسي: نفسه، ص369.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، ص415.

(8) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص506.

كانوا ينقلون النفائس بين الشرق والغرب وهو الطريق الذي سلكه الغزاة والفاثون، كالإسكندر المقدوني والرومان والفرس وجيوش الفتح العربي الإسلامي وجحافل جنكزخان وهولاكو وتيمورلنك، وحمل هذا الطريق الدعاة والمبشرين والبوذيين واليهود والمسيحيين والمسلمين، وطلبة العلم والعلماء، وعليه سار الرحالة العظام أمثال شيان تسونج، وابن بطوطة وماركو بولو، الذين لولاهم لما عرفنا شيئاً عن حال هذا الطريق في العصور الوسطى<sup>(1)</sup>.

خلاصة القول إن إقليم ما وراء النهر بصفة عامة قد تمتع بموقع جغرافي ممتاز، جعله قبلة العلماء وطلاب العلم خلال العصرين السلجوقي والخورزمي.

ثانياً: الإطار التاريخي لإقليم ما وراء النهر من قبيل الإسلام حتى الفتح العربي الإسلامي:

#### - بلاد ما وراء النهر تاريخياً قبل الإسلام:

قامت في إقليم ما وراء النهر قبل الإسلام ممالك عدّة منها: مملكة طخارستان على جانبي نهر جيحون وعاصمتها مدينة بلخ<sup>(2)</sup> ومملكة صغانيان شمال نهر جيحون وعاصمتها شومان<sup>(3)</sup> ومملكة الصغد التي كانت تمتد من جيحون إلى سيحون وعاصمتها سمرقند<sup>(4)</sup> ومملكة فرغانة على جانبي نهر سيحون وعاصمتها خجنده أو كاشان وكان ملكها يلقب الأخشين<sup>(5)</sup> ثم مملكة خوارزم في أعالي نهر جيحون وعاصمتها الجرجانية<sup>(6)</sup> ثم مملكة أشروسنه في الشرق من فرغانة، ولقب ملكها أيضاً هو الآخر بالأخشيد<sup>(7)</sup> ثم مملكة الشاش في شمال نهر سيحون

(1) إيرين فرانك، وديفيد براوتسون: طريق الحرير، ترجمة أحمد محمود، القاهرة، 1977م، ص7.

(2) ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص119؛ اليعقوبي: البلدان، ص58-98.

(3) بارتولد: تركستان، ص148.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص325؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص503.

(5) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص520، 521.

(6) بارتولد: تركستان، ص179.

(7) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص326، 327.



وعاصمتها طشقند<sup>(1)</sup>. ولم تكن هناك حدود ثابتة وغير معرضة للتغيير لهذه الممالك، ولذا كانت البلاد معرضة للهجوم والعدوان وبخاصة من جانب القبائل التركية أو الدولة الصينية وغيرها من المجاورين لهذه الممالك<sup>(2)</sup> وكانت بلاد ما وراء النهر تسمى تركستان الغربية، أو هي حالياً تمثل الجمهوريات الإسلامية التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي المنحل في سنة 1991م، وهذه الجمهوريات هي أوزبكستان وتقع في الجزء الشرقي من الاتحاد السوفيتي سابقاً وتشترك حدودها مع أفغانستان، وجمهورية طاجكستان أي موطن الطاجيك يحدها من الغرب والشمال أوزبكستان، ومن الشرق تركستان الشرقية (الصينية أو إقليم سيكانج) وجمهورية تركمنستان أو تركمانيا وتقع غرب أوزبكستان، وجمهورية قيرغيزيا وتحيط بها جمهورية أوزبكستان، ثم أفغانستان، وهذه الجمهوريات تعد المداخل الطبيعية لسهول سيبريا في الشمال، ومن هنا فإن تركستان هي ما يعرف اليوم بجمهوريات آسيا الوسطى الخمس وهي تجاور سيبريا والصين وإيران والهند وأفغانستان<sup>(3)</sup>.

وتقع هذه البلاد في شمال الدولة الفارسية القديمة، وسكانها من العنصر التركي الذي انحدر إليها من الشرق منذ القرن السادس الميلادي، وكونوا لهم عدة ممالك مستقلة فيها<sup>(4)</sup>. وخلدت آثار أرخون أقدم ذكر للسان التركي، وقد اكتشفت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وهي أهم آثار تركية وصفها الترك أنفسهم عن تاريخهم، فأصحاب تلك الآثار

---

(1) يسري الجوهري: آسيا الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1978م، ص32، 33؛ أحمد توني عبداللطيف: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، وانتشار الإسلام هناك، بحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر الدولي (المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز)، جامعة الأزهر، 1993م، ص39-52.

(2) عبدالفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، القاهرة، ط1، 1996م، ص22.

(3) يسري الجوهري: آسيا الإسلامية، ص33.

(4) بارتولد: تاريخ الترك، ص22.

سموا أنفسهم لأول مرة في التاريخ باسم الترك، وقد ظهوروا في القرن السادس الميلادي، واستولوا في زمن قصير على مساحات تمتد من حدود الصين إلى حدود إيران وبيزنطة<sup>(1)</sup>.

ومن الغريب أن النقوش الصينية والبيزنطية المعاصرة تؤكد ما جاء بنقوش أرخون وتتحدث عن بداية ظهور الشعب التركي، فقد وردت في النقوش الصينية هذه كلمة (Tuarieue) وفي النقوش البيزنطية وردت كلمة (Taw rai)<sup>(2)</sup> واعتماداً على هذه المصادر يمكن القول إن الشعب التركي الذي سيطر على منطقة ما وراء النهر بدأ يكون سلسلة من الإمارات التركية المستقلة التي انفصلت عن القسم الشرقي من عالم الترك، وكان هذا الشعب التركي محارباً من الطراز الأول وكان لا يزال متمسكاً بالتقاليد البدوية القديمة<sup>(3)</sup>.

وكان ظهور العنصر التركي مصحوباً بظهور لغة جديدة في عالم آسيا الوسطى هي اللغة التركية<sup>(4)</sup> وقد بدأ الشعب التركي في هذه الفترة بحكم موقعه يتعرض لتيارات ثقافية إما واردة من إيران، وإما من الصين، فقد انتشرت بين الأتراك بعض العقائد الإيرانية خصوصاً المذهب المانوي<sup>(5)</sup>، وبدأ المنصرون بالمسيحية يبذلون نشاطاً بين هذا الشعب التركي<sup>(6)</sup>.

---

(1) بارتولد: تركستان، ص149، ونقوش أرخون نقوش تركية اكتشفتها بعثة الجمعية الفنية بهلنسي، على ضفة نهر أرخون في بلاد المغول وقام بحل رموزها العالم الدنماركي وليم طوسون في النصف الثاني من القرن 19م، وهي أقدم آثار للأتراك، واللغة التركية التي أنشأها الأتراك، وتتناول فترة نصف قرن فقط 630-680م وهي الفترة التي كان أترك الشرق في أثنائها تحت حكم الصين، ثم استطاعوا الحصول على استقلالهم وتؤكد النقوش أن خانات الأتراك ينحدرون من أترك الغز والتغزغز، وتصور النقوش حياة قوم من البدو داخل دولة بدوية، راجع: زكريا كتابجي: الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، بيروت، 1979م، ص24، 25.

(2) بارتولد: تاريخ الترك، ص76؛ حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص135.

(3) سعد زغول عبد الحميد: الترك والمجتمعات التركية، مجلة آداب الإسكندرية، 1963م، ص2.

(4) حسن محمود: الإسلام والحضارة العربي في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص136.

(5) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر، ج2، ط، دار الأندلس، بيروت، 1385هـ/ 1965م، ج2، ص282؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص11، 12، وقد نشر الصُعد المانوية بين الترك وحرمت المانوية قتل الإنسان، وأكل لحم الحيوان، بارتولد: تاريخ الترك، ص15-48.

(6) بارتولد: تاريخ الترك، ص14، 15.

وكان الطابع المميز للمجتمع التركي آنذاك، هي سيطرة طبقة ملاك الأراضي الأرستقراطية الإقطاعية الذين عرفوا بالدهاقين، ولم يكن ببلاد ما وراء النهر قوة تكبح جماح سيطرة هذه الطبقة كما هو الحال في إيران، فقد كان الحكام المحليون من الدهاقين هم الطبقة الممتازة في البلاد<sup>(1)</sup>. كما كان للأرستقراطية المالية المؤلفة من التجار أثر من التجارة مع الصين وغيرها من البلاد مكانة خاصة، فعرفت مدن بأكملها مثل بيكند بأنها (مدينة التجار)<sup>(2)</sup> ويذكر الطبري<sup>(3)</sup> عند حديثه عن هجرات الصغد أن هؤلاء التجار المياسير والذين أطلق عليهم اسم الأمراء، أو كانوا يملكون الضياع الواسعة، ويبنون الحصون، ولم يكونوا من حيث المكانة أقل من طبقة الدهاقين وكانت مصالحهم مرتبطة أشد الارتباط بمصالح الأرستقراطية من الدهاقين<sup>(4)</sup>.

ويروي النرخشي<sup>(5)</sup> أن تجار بخارى كانوا يملكون عقارات واسعة، وسكنوا قصوراً منيعة ولم تقل مكانتهم عن مكانة الدهاقين، ولم تقل أخلاق أتراك ما وراء النهر من بقية الأتراك في كونهم شعباً مقاتلاً من الطراز الأول، ولإعطاء فكرة عن أخلاق السكان فليس أدل من تلك العادة التي يرويه لنا الطبري<sup>(6)</sup>، فقد كان يقام بسمرقند في كل عام مائدة يوضع عليها لحم وخبز وشراب ويُجعل ذلك لفارس الصغد فلا يقربه أحد غيره، وهو طعامه ذلك اليوم، فإن أكل منه أحد غيره بارزه فأيهما قتل صاحبه فالمائدة له. وإن صحت هذه الرواية، أو لم تصح، فقد اتضح أن العرب وجدوا أنفسهم أمام عدد كبير من الإمارات الصغيرة المتحاربة باستمرار، وكان أمير سمرقند أقوى هؤلاء الأمراء وأبعدهم نفوذاً<sup>(7)</sup> وأمام طبقة من الفرسان عرفت بالشجاعة والمهارة في القتال ولكنها

(1) بارتولد: تركستان، ص 297.

(2) بارتولد: المرجع نفسه، والصفحة.

(3) تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص 321.

(4) بارتولد: التركستان، ص 299.

(5) تاريخ بخارى، ص 48.

(6) تاريخ الرسل، ج4، ص 322، 323.

(7) بارتولد: تركستان، ص 299.

افتقرت افتقاراً تاماً إلى التنظيم<sup>(1)</sup> مما سهل لهم عملية الفتح في النهاية. وتظهر نقوش أورخون أن البلاد قد شهدت صراعاً طبقياً عنيفاً بين العامة وبين الدهاقين النبلاء<sup>(2)</sup> وأن الهوة بينهم كانت سحيقة إلى أبعد الحدود<sup>(3)</sup> وفي أثناء السيادة الصينية انحازت الأرستقراطية إلى الصين للحفاظ على مكاسبها، واستغلوا الولاء للصين في كبح جماع الحركات الشعبية، وتثبيت سلطانهم، وإنشاء إمارات تركية مستقلة<sup>(4)</sup>. ولم يكن هؤلاء الأمراء تجمعهم بالدهاقين رابطة سياسية واحدة بل غلب على ديار الأتراك التفكك السياسي والصراع الداخلي<sup>(5)</sup> وعقد العرب أواصر الصداقة مع الدهاقين، وأفادوا من انقسامهم إلى أبعد الحدود<sup>(6)</sup>. على أية حال شهد القرن السادس الميلادي وجود دولتين قويتين للأتراك امتدت حدودها من منغوليا وتخوم الصين حتى البحر الأسود وكان مؤسس الدولة الشرقية هو (بومين) الذي توفي سنة 552م، وتوسعت الدولة بقيادته غرباً، واستولى أخوه (أستمي) على الأصفاع الغربية، وعاش بعده 255 سنة<sup>(7)</sup> وأرسل رسوله إلى الأتراك سنة 568م لعقد تحالف معهم<sup>(8)</sup>.

وفي عام 9هـ/ 630م تمكن الصينيون من القضاء على الدولة التركية الشرقية، ثم تم القضاء على الأتراك الغربيين عام 39هـ/ 659م في حين استمر أترك الشمال حتى عام 128هـ/ 745م<sup>(9)</sup>، وذكر النرشخي<sup>(10)</sup> أن بخارى كانت مملكة تحكمها سيدة (الخاتون) استولت على الحكم بدلاً من ابنها (طغشاده) وقد واجهت العرب المسلمين في مجالات كثيرة، وعلى كل

(1) بارتولد: تركستان، ص299.

(2) بارتولد: نفسه.

(3) الجاحظ: رسائل الجاحظ في مناقب الترك، القاهرة، 1964م، ص13-35.

(4) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص137، 138.

(5) عبدالكريم عرابيه: العرب والأتراك، ط، دمشق، 1961م، ص19-21.

(6) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص137.

(7) سعد زغلول عبدالحميد: الترك، ص66.

(8) بارتولد: تاريخ الترك، ص8-91.

(9) بارتولد: تركستان، ص301-303.

(10) تاريخ بخارى، ص62.

حال كانت الأحوال السياسية لإقليم ما وراء النهر مضطربة قبيل الفتح الإسلامي لها، مما ساعد على نجاح الفتح<sup>(1)</sup>.

أما عن الأحوال الدينية لإقليم ما وراء النهر قبيل الإسلام، فيمكن التمييز بين نوعين من العقائد الدينية في الإقليم قبل الإسلام، الأول يرتبط بالطبيعة والثاني يشير إلى بعض العقائد كالزرادشتية، والبوذية، والمانوية، واليهودية، والمسيحية<sup>(2)</sup> بالنسبة للنوع الأول: فقد اعتقد الترك بحكم فطرتهم البدوية في الطبيعة، ولذلك عبدوا السماء والأرض، وأكدت نقوش أورخون ذلك، إذ وردت فيها عبارة (تورك - كوكي) أي سماء الترك، وعبارة (توك - صو) أي أرض الترك وماؤهم<sup>(3)</sup>. وكانت خيمة ملك الترك تفتح نحو الشرق تبجلاً لتلك الجهة من السماء التي تشرق منها الشمس<sup>(4)</sup> وكانوا يحجون في الأيام العشرة الثانية من الشهر الخامس حسب التاريخ الصيني إلى جبال الذهب (جبال البتم)، حيث اعتقدوا أن روح السماء تسكنها<sup>(5)</sup> كما عبدوا الشمس والقمر والجبال والأنهار، والخشب والمعادن والنار والماء والهواء كما قدست هذه الشعوب المعدن القوي الذي يصنع منه السلاح وآلات الحرب وهو الحديد بدليل أسمائهم الوطنية القديمة مثل تيمور وأتيلا، وتيموجين التي لها معني الحديد ذات الأصل الديني<sup>(6)</sup>.

كما انتشرت العقيدة الشامانية وهي عقيدة بدائية وثنية تظهر بوضوح في مراسيم الجنائز والدفن عندهم، وكانوا يقيمون إلى جوار قبور جنودهم تماثيل لهؤلاء الجنود، كانت هذه التماثيل تسمى (بلبال) وإنها من أصل صيني<sup>(7)</sup>.

(1) محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامي، ص 190.

(2) لمزيد من التفاصيل حول هذه العقائد، ينظر: بارتولد: تاريخ الترك، ص 11-32.

(3) بارتولد: تركستان، ص 305-309.

(4) سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ الترك، ص 77.

(5) سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ الترك، ص 77.

(6) المسعودي: مروج الذهب، ج 1، ص 87؛ ياقوت: معجم البلدان، ج 2، ص 379.

(7) بارتولد: تاريخ الترك، ص 11، 12.

أما النوع الثاني: فقد انتشرت العقيدة الزرداشتية وهي العقيدة القديمة القومية للإيرانيين، وانتشرت في إقليم ما وراء النهر بسبب احتكاك الأتراك بإيران في شكل العلاقات التجارية<sup>(1)</sup> ثم اعتنقوا البوذية والهندوسية عن طريق التجار أيضاً<sup>(2)</sup> ثم دخلت العقيدة المانوية، ثم الديانة المسيحية عن طريق المنصرين بها من الصين، فقد كان لها أتباع كثيرون بين الترك حتى بداية انتشار الإسلام<sup>(3)</sup> ثم دخلوا في الإسلام وأصبحوا أشد المدافعين عنه.

وهكذا وجد العرب مجتمعاً تركياً انفصل أتراكه الشرقيون عن الغربيين، وتفككت عرى الوحدة السياسية بين الإمارات التركية المتنازعة، كما شهدت البلاد أزمات اقتصادية طاحنة، وافتقدت الوحدة المذهبية التي تهيئ الحافز للقتال والاستماتة في الدفاع<sup>(4)</sup>.

وقد حدث ذلك في الوقت الذي توطد فيه النفوذ العربي في إيران، واستقر بهم المقام في خراسان، التي أصبحت ثغراً إسلامياً يناوش الأتراك ويحاربهم، ولا يعطي الإمارات فرصة التجمع في جبهة تركية موحدة، كما ألف العرب طبيعة البلاد وطبيعة القتال في هذه الأجواء قارسة البرد<sup>(5)</sup> مما ساعدهم على فتح الإقليم، وهذا موضوع الفصل القادم.

---

(1) بطروشفسكي: الإسلام في إيران، من الهجرة حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ترجمة السباعي محمد السباعي، القاهرة، 2005م، ص181-183.

(2) بارتولد: تاريخ الترك، ص123؛ شيرين حسانيين: مسلمو التركستان، عين شمس، 1985م، ص32، 33.

(3) حسن محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص138.

(4) بارتولد: تاريخ الترك، ص11، 12.

(5) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص138.

# الفصل الأول

## الأحوال السياسية

### في بلاد ما وراء النهر من الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي

#### الفتح غير المنظم (الغير مستقر)

- البدايات الأولى لفتح إقليم ما وراء النهر.

- جهود الأمويين في فتح الإقليم.

#### الفتح المنظم لإقليم ما وراء النهر.

- فتوحات قتيبة بن مسلم الباهلي.

- مراحل الفتح.

- إقليم ما وراء النهر بعد مقتل قتيبة.

إقليم ما وراء النهر في العصر العباسي الأول.

إقليم ما وراء النهر عصر الدويلات المستقلة:

- الطاهرية - الصفارية - السامانية - الغزنوية - والقراخانية.

إقليم ما وراء النهر في العصر السلجوقي.

- إقليم ما وراء النهر في ظل حكم الخطا.

إقليم ما وراء النهر في العصر الخوارزمي.

بدأت أنظار المسلمين تتجه نحو بلاد التركستان أو ما وراء النهر منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (1)، حيث ارتبطت هذه البداية بالبطل العربي المسلم الأحنف بن قيس التميمي في سنة 22هـ / 642م حينما طارد الملك الفارسي يزدجرد شرقاً حتى نهر جيحون الحد الغربي لهذه البلاد (2) وعندئذ عبر يزدجرد النهر، والتقى باخاقان (3) الترك وملك الصغد (غوزك) طالباً عونهما على المسلمين، فاستجاب له ملك الترك على الفور وجمع عدداً كبيراً من أتراك الصغد وفرغانه وأشروسنه، وغيرهم، وبدأت القوات الحليفة في الهجوم، وتمكنت قوات يزدجرد من استعادة مدينة بلخ (4) قاعدة خراسان من المسلمين لكن الأحنف لم يتأثر بذلك، وقتل ثلاث من فرسان الترك ففتت هذا الأمر في عضدهم وعادوا أدراجهم (5). وكانت هذه هي بداية الاحتكاك بين الأتراك والمسلمين، وفي عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه دارت معركة حامية الوطيس بين الأحنف بن قيس من جهة، وبين الأتراك الذين كانوا بطخارستان سنة 27هـ / 647م على حدود جيحون من جهة أخرى، انتهت بانتصار الأحنف وتوقيع صلحاً مع أهل طخارستان (6) وأعقب ذلك أن أرسل الأحنف بن قيس إلى قائده (الأقرع بن حابس)، كي يتبع الأتراك المتقهقرين إلى جبال الجوزجان (7) أنجز الأقرع مهمته بالانتصار عليهم، وتم له فتح الجوزجان ويبدو أن هذه الانتصارات السريعة قد حفزت الأحنف بن قيس فوصل بقواته إلى خوارزم إحدى أقاليم ما وراء

(1) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، مكتبة دار القلم، القاهرة، 1986م، ص410، 411.

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1975م، ج4، ص295، 296؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج5، ص301؛ ابن أعثم الكوفي: الفتوح، تحقيق محمد بن عبدالمعيد خان، ط1، حيدر آباد الدكن، الهند، 1389هـ، ج2، ص311، 312؛ محمد عبدالعظيم يوسف: الفتح الإسلامي لإقليم الصغد، بحث منشور ضمن حولية الدراسات الآسيوية، العدد الأول، الزقازيق، 1997م، ص180-237.

(3) خاقان: لقب عسكري، يطلق على حاكم، أو بمعنى قائد الجيش، راجع فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية رقم (1)، ص133.

(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص66، 67.

(5) الطبري: نفسه.

(6) البلاذري: فتوح البلدان، ص317، ما بعدها.

(7) الجوزجان: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص182.



النهر ثم عاد إلى بلخ<sup>(1)</sup>. ودرجت عادة الخلفاء الراشدين واولئ الخلفاء الأمويين من بعدهم أن يرد خراسان وما وراء النهر حكام من طرف ولاية البصرة والكوفة، ويعهد إليهم بقيادة الجيش، وكذلك إدارة أمور ولاياتهم إلى تأديب الثوار وجهاد الكفار المجاورين<sup>(2)</sup> وهذا ما حدث في خلافة الخليفة عثمان بن عفان ؓ الذي ولى "عبدالله بن عامر بن كريز" البصرة سنة 29هـ/ 649م فغزا خراسان سنة 30هـ/ 650م، وبعث على مقدمة جيشه الأحنف بن قيس فأقر الصلح الذي عقد زمن عمر<sup>(3)</sup> ثم تقدم صوب قوهستان<sup>(4)</sup> فوجد أول جموع الترك (الهياطلة) فانتصر عليهم وفتحت المدينة عنوة<sup>(5)</sup>.

كان عبدالله بن عامر من أعظم ولاية خراسان، ففي عهده فتحت معظم أعمالها<sup>(6)</sup> وفي عهده واجه بجيوشه أعظم تجمع للترك عرفه العرب قبل عهد قتيبة بن مسلم الباهلي، فقد اجتمع أهل طخارستان والجوزجان والطالقان<sup>(7)</sup> والفارياب، وكانوا في نحو ثلاثين ألفاً وانضم إليهم أهل الصغانيان، وقاد المعركة الأحنف بن قيس في خمسة آلاف من المسلمين، وانهزمت جموع الترك هزيمة منكرة<sup>(8)</sup>. ودانت لعبدالله بن عامر جميع البلاد الواقعة على الضفة الجنوبية لنهر جيحون بل بدأت القبائل العربية تعبر جيحون نفسه، وصالح دهاقين الأتراك الغربيين<sup>(9)</sup> وكان ذلك كله قد

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص234، وما بعدها.

(2) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، نقله من الفارسية محمد علاء الدين منصور، القاهرة، 1989م، ص9، وطوال العهد الراشدي والأموي درجت العادة على تولية هؤلاء الولاة من العرب وكانوا يُرحلون جموعاً كبيرة من القبائل العربية إلى إيران وخراسان وما وراء النهر، لمعاونتهم في الحرب، ولنشر الإسلام والتقاليد العربية في المشرق الإسلامي.

(3) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص294، 295.

(4) قوهستان: بضم أوله ثم السكون ثم كسر الهاء، وسين مهملة، وآخره نون وهي تعريب كوهستان، ومعناه موضع الجبل لأن كوه بالفارسية هي الجبل وأكثر بلاد العجم لا تخلو من موضع يقال له قوهستان، وهي جبال بين هراة ونيسابور، وقصبتها قائن ومن مدنها طيس التمر وطريث، ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص416.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج2، ص491، ج3، ص14، 15.

(6) البلاذري: فتوح البلدان، ص393-396.

(7) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص295.

(8) البلاذري: فتوح البلدان، ص394.

(9) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص311، 312.

تم سنة 31هـ/ 651م وفيها رحل عبدالله بن عامر للحجاز للعمرة، ولكنه كان قد ترك قواده يكملون المسيرة، وقبل سفره صالح أهل ما وراء النهر<sup>(1)</sup> ويذكر البلاذري<sup>(2)</sup> أن عثمان بن عفان عقد لهم العقود، ويعتبر عبدالله بن عامر ابن كرز أول من عبر نهر جيحون، وصالح أهل الجانب الشرقي منه، فأنته الدواب والوصائف والحريير والثياب<sup>(3)</sup>. ولكن الفتنة الكبرى التي أملت بالدولة الإسلامية سنة 35هـ/ 655م، والتي انتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والحرب الأهلية التي دارت بين علي ومعاوية، قد عطلت حركة الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر<sup>(4)</sup>.

### جهود الأمويين في فتح إقليم ما وراء النهر:

آلت الخلافة الإسلامية سنة 41هـ/ 661م إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه والذي حولها إلى ملك وراثي له ولأولاده من بعده، وكان عليه أن يواجه أوضاع خراسان المضطربة، ويكمل المسيرة لفتح ما وراء النهر، فأعاد عبدالله بن عامر بن كرز صاحب الدور الأكبر في عهد عثمان إلى ولايته على خراسان، فاستقام له أمر البلاد<sup>(5)</sup>. وشهدت الفترة الممتدة من بداية العهد الأموي حتى عهد الوليد بن عبدالملك سنة 41-86هـ/ 661-705م عدداً من الغارات الثغرية التي كانت لها أثر كبير في الفتح المنظم فيما بعد على بلاد ما وراء النهر وقد اقتترنت هذه الفترة بأسماء قادة أجلاء هم الحكم بن عمرو الغفاري، والربيع بن زياد الحارثي وعبيدالله بن زياد، وسعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعبدالرحمن بن زياد، وسلم بن زياد، وعبدالله ابن خارم، ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة. وقبل أن نلقي الضوء على أعمال هؤلاء، يجب أن نقرر أن سير الفتوحات العربية في هذه الفترة من العصر الأموي قد وصلتنا على هيئة قصص شبه أسطورية، نظراً لأن الرواة

(1) ابن الأثير: الكامل، ج3، ص17، 18.

(2) فتوح البلدان، ص394.

(3) البلاذري: فتوح البلدان، ص394.

(4) محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامي لإقليم الصغد، ص193.

(5) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص170.

قد نقلوها عن طريق المشافهة لفترة طويلة من الزمن قبل تدوين التاريخ الإسلامي، بل إن واقعة عبور العرب نهر جيحون وصلتنا على هيئة روايات يناقض بعضها بعضاً ومن أشهر القادة (1).

#### - الحكم بن عمرو الغفاري:

تولى حكم خراسان من قبل زياد بن أبي سفيان وإلى البصرة سنة 45هـ/655م فتقدم في هذه البلاد غازياً، وعبر نهر جيحون متقدماً بقواته حتى وصل إلى الصغد (2) وفي عهده بدأت الجيوش العربية تستقر للمرة الأولى شمال جيحون (3) يقول البلاذري (4) "كان الحكم أول من صلى وراء النهر".

#### - الربيع بن زياد الحارثي:

تولى أمر خراسان بعد موت الحكم بن عمرو، وواصل الجهود، وعبر نهر جيحون إلى أرض الصغانيين، ولقد اكتسب الربيع من هذه البلاد أموالاً كثيرة (5) وقد بدأ الربيع سياسة إسكان العرب وتوطينهم في هذه البلاد، فقد جمع من أهل الكوفة والبصرة خمسين ألف أسرة (6) وكان لهذه السياسة أثرها في تثبيت الإسلام، ونشر اللغة العربية، ومد الجيش الخارج إلى الصغد بالمقاتلين، ففي عهده لم يكتف المسلمون من عبور النهر والقتال فيما وراءه (7).

#### - عبيدالله بن زياد:

في عام 54هـ/677م عين الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، عبيدالله بن زياد على خراسان والحق يقال أن هذا التعيين كان فاتحة عهد جديد للفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء

---

(1) انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص5؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص394-397؛ ابن الأثير: الكامل، ج3، ص114؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، دار صادر، بيروت، 1379هـ/1960م، ص28.

(2) البلاذري: فتوح البلدان، ص394.

(3) حسن محمود: الإسلام، ص143.

(4) فتوح البلدان، ص396.

(5) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص297.

(6) النرشخي: تاريخ بخارى، ص62.

(7) البلاذري: فتوح البلدان، ص395-401.

النهر عامة، إذ اتخذت هذه الفتوح شكلاً اقترب إلى الثبات<sup>(1)</sup> وكان عهده أول احتكاك مباشر بين العرب كفاتحين وحكام الإقليم، فقد عبر نهر جيحون إلى مدينة بيكند القوية الغنية (مدينة التجار) واستطاع فتحها، ثم فتح مدينة (رامثين)<sup>(2)</sup> بجيش قوامه أربعة وعشرون ألفاً من العرب والفرس، وهما من أعمال بخارى وهناك بكى عبيدالله حتى سقطت عامته عن رأسه فرحاً بالنصر<sup>(3)</sup>. وواصل عبيدالله بن زياد سيره حتى وصل إلى مدينة بخارى، عاصمة إقليم الصغد، ولكن تصدت له ملكة بخارى (قبيح خاتون) والتي نصبت نفسها مكان ابنها الصغير (طغشاده)<sup>(4)</sup> واستعرضت الترك وطلبت منهم العون، فاجتمع معها جيش عظيم العدد، ودخل معها عبيدالله بن زياد في معارك طاحنة، هزمت فيها الخاتون ومعها بني جيشها من الأتراك الشرقيين<sup>(5)</sup> هزيمة منكرة، طلبت على أثرها الصلح مع عبيدالله بن زياد، فصالحها على ما قيمته مليون درهم، وأربعة آلاف من الرقيق، وغنم غنائم كثيرة<sup>(6)</sup>.

- سعيد بن عثمان بن عفان<sup>(7)</sup>:

عزل الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة 56هـ/675م عبيدالله بن زياد عن خراسان وولاهها سعيد بن عثمان بن عفان<sup>(8)</sup> فعبر النهر، وحاول تكثيف حروبه وجهوده على سمرقند، بعد أن أطمأن إلى الصلح الذي عقده سابقه عبيدالله بن زياد مع الخاتون التركية ولكن الخاتون نقضت

(1) محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامي، ص195.

(2) حسن محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، ص143، 144، وراميتين أو رامدين من أعمال بخارى، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص431.

(3) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص297.

(4) النرشخي: تاريخ بخارى، ص62.

(5) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص298؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص395-401.

(6) النرشخي: تاريخ بخارى، ص62، وكان من جملة الغنائم سلاحاً وثياباً وأدوات ذهبية ورقيقاً وواحدة من خفي الخاتون مع جورب من الذهب المرصع بالجواهر بلغ ثمنها مائتي ألف درهم، النرشخي: تاريخ بخارى، ص62؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص298.

(7) سعيد بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، توفي سنة 62هـ/682م وال من الفاتحين العظماء نشأ في المدينة وبعد مقتل أبيه سنة 35هـ/655م وفد على معاوية فولاه خراسان سنة 56هـ/675م ولما مات معاوية أنصرف إلى المدينة المنورة فقتل فيها على يد رهائن سمرقند، ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت، 1977م، ج3، ص231.

(8) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص301-303.

الصلح، وجمعت جموعاً كثيرة من ترك الصغد وكش ونسف، ونخشب لشد أزرها، بلغ عددهم مائة وعشرين ألفاً، وقد أغراها هذا العدد الضخم، فدخلت في معركة غير متكافئة مع سعيد بن عثمان انهزمت فيها هزيمة فادحة<sup>(1)</sup> وانفضت جموعها ولم يقبل سعيد منها الصلح إلا بعد أن أخذ منها ثمانين شخصاً من أمراء ودهاقين بخارى كرهائن وعبر بهم إلى سمرقند<sup>(2)</sup>. وعلى أثر هذا الانتصار تمكن سعيد بن عثمان بن عفان من إقرار الأوضاع من بخارى، ودخلها منتصراً ثم توجه بعد ذلك إلى سمرقند، وأعانتته خاتون بجند بخارى<sup>(3)</sup> وحمل معه مجموعة من الرهائن لتأمين خطوطه الخلفية<sup>(4)</sup> وما أن اقترب من سمرقند حتى رمى قهندزها أي قلعتها<sup>(5)</sup> ودار قتال لمدة ثلاث أيام حاصر فيها سعيد سمرقند حصاراً صارماً، وحلف ألا يبرح بابها، أو يغتتمها، واشتد القتال والحصار حتى فقئت عينه من رمية سهم، ودله رجل على قصر أبناء ملوكهم وعظمائهم، فشد حصاره عليهم<sup>(6)</sup> فطلب أهل المدينة الصلح فصالحهم سعيد ابن عثمان بن عفان على جزية مقدارها سبعمائة ألف درهم، وعلى أن يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم، وعلى أن يدخل المدينة متى شاء ويخرج منها متى شاء<sup>(7)</sup> وثلاثين ألفاً من الرقيق<sup>(8)</sup> وعاد سعيد بن عثمان بعد أن حقق هذه الانتصارات الرائعة في إقليم الصغد إلى العراق، حاملاً الرهائن، وقد طالبت الخاتون بها ولكنه راوغها خوفاً من غدرها حتى عبر بهم النهر ووصل إلى الكوفة، واستخدم هؤلاء الرجال في خدمة المسلمين، فأدى ذلك إلى حقدهم عليهم وغدرهم به وقتله<sup>(9)</sup>. وهكذا رأينا

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص 397.

(2) البلاذري: نفسه.

(3) الطبري: تاريخ الرسل، ج 5، ص 299، 300.

(4) البلاذري: فتوح البلدان، ص 394.

(5) البلاذري: نفسه.

(6) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 65، 66.

(7) البلاذري: فتوح البلدان، ص 399.

(8) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 66.

(9) البلاذري: فتوح البلدان، ص 400.

كيف كان لكل من عبيدالله بن زياد، وسعيد بن عثمان بن عفان دوراً متميزاً في فتح إقليم ما وراء النهر لكن هذا الدور أصابه الفتور بعد أن تولي أمر خراسان رجال ضعاف منهم من كان متخاذلاً مثل (أسلم بن زرعه) الذي لم يغز أو يتقدم مرة واحدة في بلاد ما وراء النهر، ومنهم من كان متخاذلاً (كعبدالرحمن ابن زياد) وكان ذلك في أواخر عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة 59-60هـ / 678-679م<sup>(1)</sup>.

- سلم بن زياد<sup>(2)</sup>:

تولى يزيد بن معاوية الخلافة سنة 60-64هـ / 679-683م، وأعاد الغارات التخريبية مرة أخرى من خراسان على الإقليم، فولى سلم بن زياد أمر خراسان، والذي قام سنة 61هـ / 681م بعبور نهر جيحون بعدد كبير من الجند على رأسهم قواد أفذاذ مثل المهلب بن أبي صفرة وعبدالله بن خازم السلمي وطلحة بن عبدالله الخزاعي وغيرهم<sup>(3)</sup>. ويعدّ سلم بن زياد أول أمير عربي يمضي الشتاء على الجانب الآخر من النهر<sup>(4)</sup> وكان لهذا الأمر نتائج الباهرة فقد استمرت الفتوح في الإقليم شتاءً وصيفاً، بعد أن كانت مقصورة على فصل الصيف فقط<sup>(5)</sup> وأرسل سلم بن زياد قائده المهلب بن أبي صفرة إلى بخارى بجيش كبير، ودار القتال بين المهلب والخاتون<sup>(6)</sup> التي كانت تتردد عن دفع الجزية، وتنقض صلحها مع المسلمين خاصة عندما يجتمع معها أمراء الترك فقد أرسلت إلى طرخون ملك الصغد، وأغرته بالزواج بها، وتسليمه بخارى، إذا

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص304-308.

(2) سلم بن زياد أو مسلم بن زياد بن أبيه، يقال إن أباه أخ غير شرعي لمعاوية بن أبي سفيان الذي كان من سيوف الدولة الأموية وكبار ولاتها ويعرف كذلك بزياد بن سمية وهي الجارية التي أنجب منها أبو سفيان زياد، ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص303.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج3، ص231-234.

(4) البلاذري: فتوح البلدان، ص41.

(5) محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامي، ص196.

(6) البلاذري: فتوح البلدان، ص410؛ الترشيحي: تاريخ بخارى، ص65.

كف يد العرب عنها<sup>(1)</sup> فجاء طرخون ومعه مائة وعشرون ألفاً من رجاله بمساعدة ملوك آخرين من التركستان، ولكنهم هزموا وطلبت الخاتون الصلح، فعقده معها سلم بن زياد على أن تفتح له أبواب بخارى، وأبواب مقرها الخارجي متى أراد<sup>(2)</sup>. ويعدّ سلم بن زياد أول القواد العرب مقاومة لطبيعة الإقليم الحافلة بالعقبات الطبيعية والممرات الجبلية التي يسهل للعدو الصمود عندها والدفاع عنها، بالإضافة إلى الجو القارس البارد الذي لم يألفه العرب من قبل في بلادهم<sup>(3)</sup> وقد كان العرب قبل سلم كما رأينا ينظمون الغارات الخاطفة والحروب السريعة، فإذا كان الشتاء أوى العرب إلى حصونهم في خراسان حتى يكون العام الذي يليه، لكن سلباً كان أول القواد قضاءً للشتاء وراء النهر كما أشرنا من قبل، ومعنى هذا أن المجاهدين العرب قد بدأوا يقهرون الطبيعة ويألفون هذه الأجواء<sup>(4)</sup>. وكانت من أهم أعمال سلم بن زياد استعادة سمرقند التي لم يكن عليها ملوك آنذاك<sup>(5)</sup> ومواجهة جموع الصغد وهزيمتهم هزيمة منكرة، وتفتيت وحدة الأمراء الأتراك المحليين الذين كانوا يجتمعون كل سنة ويتعاهدوا على أن يتناسوا أحقادهم لمواجهة الغارات العربية الجديدة<sup>(6)</sup> واستطاع سلم أن يحرز نصراً على كل هذه القوى مجتمعة، ولو كان العرب في ذلك الوقت قد ارتأوا أن يتحولوا من الغارات الثغرية إلى الفتح المنظم لكان لأعمال سلم شأن آخر<sup>(7)</sup>. وعاد سلم بن زياد إلى خراسان لتمر الدولة الإسلامية ببعض الاضطرابات نتيجة موت الخليفة يزيد بن معاوية سنة 64هـ/ 683م، وولاية معاوية الثاني الضعيف، واندلاع الحروب العربية الأهلية وعصيان عبدالله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه، وبموت معاوية الثاني انتهى حكم الفرع

(1) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 66.

(2) النرشخي: نفسه.

(3) حسن محمود: الإسلام، ص 142.

(4) البلاذري: فتوح البلدان، ص 41.

(5) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 64.

(6) الطبري: تاريخ الرسل، ج 5، ص 302؛ بارتولد: تركستان، ص 301-303.

(7) حسن محمود: الإسلام، ص 143.

السفياني، ليخلفه في السلطة الفرع المرواني<sup>(1)</sup> لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل فتح إقليم ما وراء النهر.

#### - عبدالله بن خارم:

والى خراسان إبان ثورة عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما، وزعيم القيسية في خراسان لما استقام له الأمر بعث ابنه موسى ليعيد جهود سلم بن زياد، واخترق موسى ما وراء النهر في الشتاء ماراً بالصغد مؤمناً فتوحات سلم في بخارى وسمرقند وبيكند، واجتمع في وجهه أمراء الأتراك من الصغد والختل، وبقايا الفرس، ولكنه هزمهم<sup>(2)</sup> وظل موسى يتابع جهوده في هذه البلاد خمسة عشر عاماً (70-84هـ / 689-704م) يعاونه قائد شهير هو أمية بن عبدالله، والذي تمكن في سنة 77هـ / 696م من زيادة الجزية المفروضة على خاتون بخارى<sup>(3)</sup>.

#### - المهلب بن أبي صفرة وأولاده:

تولى المهلب أمر خراسان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي والى العراق من قبل الخليفة عبدالملك بن مروان (65-86هـ / 685-705م) فواصل المهلب الغارات الثغرية على بلاد ما وراء النهر، ففي عام 80هـ / 699م عبر النهر، ووصل إلى مدينة كش التي اتخذها قاعدة حربية تنطلق منها قواته تحت قيادة أبنائه<sup>(4)</sup> يؤيد ذلك إرساله ابنه يزيد بن المهلب (83-85هـ / 701-704م) لفتح الختل والصغد فتمكن يزيد بن المهلب من فتح (خجنده) ودفع إليه أخشيد أي ملك الصغد ما فرضه عليه<sup>(5)</sup> كما أرسل ابنه حبيب بن المهلب إلى مدينة (ينجن) من أعمال بخارى

(1) نبيه عاقل: خلافة بني أمية، دار الفكر، دمشق، 1975م، ص 133-135.

(2) البلاذري: تاريخ بخارى، ص 410 - 421.

(3) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 67.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 192، 193.

(5) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 67.



ففتحها وغنم منها غنائم كثيرة<sup>(1)</sup> وتولى بعده ابنه يزيد أمر خراسان الذي واصل جهوده في فتح الإقليم ويرجح الفعل إلى أخيه الفضل بن المهلب في استتباب نفوذ الأمويين في إقليم الصغد والختل، حيث مد له أخشيد الصغد يد العون، وهكذا انحاز الأمراء الأتراك إلى الأمراء العرب في حروبهم<sup>(2)</sup>. وظل العرب على هذه السياسة الثغرية من الغزو السريع والتقهقر حتى سنة 85هـ/704م حيث هيأت لهم جهودهم السابقة أن يحققوا بعض النجاح، فقد تمرنوا على الطبيعة الجبلية، وألفوا القتال في الجو القارس، حقيقة أنهم لم يحققوا كسباً أرضياً ذا بال، ولكن تفاهماً تم بعد هذا النضال بين أمراء البلاد المحلية وبين الحكومة العربية الشرعية<sup>(3)</sup>.

#### • الفتح المنظم والمستقر لإقليم ما وراء النهر:

تعتبر سنة 86هـ/705م هي بداية الفتح الحقيقي لإقليم ما وراء النهر بصفة عامة، وإقليم الصغد بصفة خاصة حيث بدأ الاقتحام الحقيقي لقلب المقاومة التركية، وتثبيت أقدام المسلمين والإسلام في بخارى وسمرقند وكش ونسف وخوارزم والشاش وأشروسنه وفرغانه، بفضل قائد بارز وفاتح عربي حمل راية الجهاد في إقليم ما وراء النهر، هو قتيبة بن مسلم الباهلي<sup>(4)</sup> عامل خراسان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي. والذي استمرت حملاته عشر سنوات كانت كلها حافلة بالتوفيق والنصر، وكان اختيار الحجاج لقتيبة بن مسلم اختياراً موفقاً، وجاء في موعده، فقد كان الرجل من الأبطال الشجعان، والفاتحين العظماء، رجل إدارة وتنظيم وسياسة من الطراز

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص411-420.

(2) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص322.

(3) حسن محمود: الإسلام الحضارة العربية في آسيا الوسطى، ص144.

(4) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحسين الباهلي، أبو حفص (49-96هـ/669-715م) أمير فاتح من مفاخر أمراء العرب المسلمين، كان أبوه كبير القدر عند يزيد بن معاوية، وقد نشأ في الدولة مروانية فولي الري في أيام عبدالملك بن مروان، وخراسان في أيام ابنه اليزيد، استمرت ولايته عشر سنوات قضاهما كلها في جهاد مستمر، فالجهاد هو ذروة سنام الإسلام - وهو شرف المسلمين، وعندما مات الخليفة الوليد، واستخلف سليمان أخوه وكان يكره قتيبة، فأراد قتيبة الاستقلال بما تحت يده فيما وراء النهر وجاهز بنزع الطاعة، واختلف عليه قادة جيشه، فقتله وكيع بن حسان التميمي بفرغانه، ينظر: صالح مهدي عياش: قتيبة بن مسلم الباهلي، بغداد، 1978م، ص5؛ غانم هاشم السلطاني: قتيبة بن مسلم الباهلي، بغداد، 1990م، ص9-19.

الأول، ويعتبر بحق من كبار القادة الفاتحين الذين أنجبتهم الأمة الإسلامية وعرفهم التاريخ الإسلامي<sup>(1)</sup>. وقبل الحديث عن خطوات الفتح ومراحله في عهد قتيبة وجهوده العظيمة لآبد من الإشارة إلى عوامل عدة ساعدته هو أولاً على إتمام الفتح واستمراره وتوسعه، ثانياً أنهت الطابع الثغري للغزو العربي لهذه البلاد، واستهلكت صفحة الفتح الحقيقي المنظم.

وهذه العوامل بعضها يعود إلى طبيعة الحكم الأموي نفسه الذي انتهى سنة 86هـ/705م من متابعة الداخلية في عهد الوليد بن عبدالمك (86-96هـ/705-715م) الذي يعدّ عصره عصر استئناف الفتوح العربية الإسلامية في كل مكان تقريباً<sup>(2)</sup>. وبعضها يعود إلى طبيعة الإقليم الذي تجري فيه الفتوحات، والتي ألفتها العرب وتمرنوا عليها في الغارات الثغرية إلى جانب أن الدولة نفسها بدأت تجند أبناء هذه البلاد من الترك والفرس وتدفع بهم إلى المعركة<sup>(3)</sup> كما أن بعضها يرجح إلى طبيعة الاستعدادات التي كانت تجرى في قاعدة خراسان التي اكتملت والتي حشدت فيها جيوش لم تراها من قبل، وانتهت فيها مشاكل العرب الداخلية ونسو خلافاتهم وعصبيتهم، كما يعود بعضها إلى سياسة قتيبة بن مسلم نفسه الذي ما إن وصل إلى خراسان حتى اجتمع برؤساء القبائل وأعيان الناس، وخطب فيهم خطبة بليغة، كان لها أبلغ الأثر في جمع الكلمة والتوجه للجهاد في سبيل الله بدلاً من المنازعات والخلافات<sup>(4)</sup> وكان مما جاء في خطبته مخاطباً زعماء القبائل العربية في خراسان (أن الله أحلكم هذا المحل ليعزبكم دينه، يدفع بكم عن الحرمات، ويزيدكم المال استفاضة والعدو وقماً - أي ذلاً) ووعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

(1) محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامي، ص199.

(2) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص291؛ نبيه عاقل: خلافة بني أمية، ص195 - 197.

(3) حسن محمود: الإسلام الحضارة العربية في آسيا الوسطى، ص146؛ بارتولد: تركستان، ص302، 303.

(4) عبدالشافى عبداللطيف: الفتح الإسلامي، ص17.

وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً<sup>(1)</sup> ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب، وأعظم الذخر عنده، فقال تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مَنَعَدُوًّا نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"<sup>(2)</sup> ثم أخبر عن مقتل في سبيل الله أنه حي يرزق فقال تعالى: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ"<sup>(3)</sup> فأنجزوا وعد ربكم، ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر، وأمضى ألم، وإياي والوهيني<sup>(4)</sup>.

بهذه الخطبة البليغة ذكر قتيبة بن مسلم العرب برسالتهم ومسئوليتهم عنها، وأهاب بهم أن يوطنوا أنفسهم على تحمل المشقات في سبيل الله، كما فعل أسلافهم من قبل، حتى يفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة<sup>(5)</sup>. وكما نجح قتيبة في توحيد صفوف العرب في خراسان، فقد نجح في كسب ثقة الخراسانيين، حيث قربهم إليه وأسند إليهم الوظائف الإدارية، فضمن تعاونهم معه، وكان هذا مقدمة للفتح الأعظم، أي فتح إقليم ما وراء النهر كله.

ويقسم المؤرخون العشر السنوات التي جاهد فيها قتيبة إلى أربع مراحل وهي:

- المرحلة الأولى سنة 86هـ / 705م استعاد فيها منطقة طخارستان واستولى على الطالقان وبلخ.

- المرحلة الثانية من سنة 87-90هـ / 705-708م وافتتحوا فيها إقليم الصغد حيث بخارى وسمرقند.

(1) سورة الفتح: الآية 28.

(2) سورة التوبة: الآية 120.

(3) سورة آل عمران: الآية 169.

(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص424.

(5) محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامي، ص200.

- المرحلة الثالثة من 91-93هـ / 709-711م وفيها امتد النفوذ العربي إلى وادي جيحون وبلاد الصغد.

- المرحلة الرابعة 94-96هـ / 712-714م وفيها وصل قتيبة إلى وادي نهر سيحون فوصل إلى إقليم فرغانة، بل أوغل حتى كاشغر مقرباً من حدود الصين<sup>(1)</sup> فاتحاً أقاليم أشروسنه والشاش.

• المرحلة الأولى: 86 - 87هـ / 705 - 706م:

والتي استغرقت عاماً واحداً تقريباً وفيها أخضع قتيبة إقليم طخارستان ذلك الإقليم الكبير الذي يقع على ضفتي نهر جيحون، والذي يبدو أن أوضاعه لم تستقر تماماً للمسلمين، طوال السنوات الماضية، منذ فتحه الأحنف بن قيس، في خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه<sup>(2)</sup> فكان على قتيبة أن يخضع ذلك الإقليم للسيادة الإسلامية قبل عبور النهر وفيما يروي البلاذري والطبري<sup>(3)</sup> فإن قتيبة بعد أن استتببت له الأمور في خراسان استخلف عليها (أياس بن عبدالله بن عمر)، وسار هو على رأس قواته إلى طخارستان، فلما بلغ الطالقان تلقاه دهاقين بلخ وعظماؤها، فساروا معه فلما قطع النهر تلقاه "تيش الأعور" ملك الصغد بهدايا ومفتاح من ذهب فدعاه إلى بلاده، وأتى ملك كفنان بهدايا وأموال، ودعاه إلى بلاده فمضى مع تيش إلى الصغانيان فسلمه بلاده.

ثم يضيف البلاذري والطبري ثم جاء (غشتاسبان) ملك آخرون وشومان، وهما من طخارستان فصالحه على فدية أداها إليه فقبلها قتيبة ثم انصرف إلى مرو، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم، ويفهم من رواية البلاذري والطبري كليهما أنه أصبح لقتيبة هبة عظيمة في تلك البلاد وأن طخارستان خضعت له دون قتال، وأن ملوك وأمراء بلاد ما وراء النهر هرعوا

(1) حسين محمود: الإسلام، ص149.

(2) محمد عبدالعظيم يوسف: تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م، ص61.

(3) فتوح البلدان، ص411؛ تاريخ الرسل، ج5، ص243.

إليه يقدمون الهدايا وفروض الطاعة ويدعونه إلى بلادهم ويسلمونها إليه<sup>(1)</sup>، ولكن الطبري<sup>(2)</sup> نفسه يروي رواية أخرى وإن كانت بصيغة المجهول يفهم منها أن قتيبة لقي حرباً فهو يقول "وقيل إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر في هذه السنة 86هـ/705م على بلخ لأن بعضها كان متفقاً عليه فحارب أهلها ثم إن أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة".

وعلى كل حال لا يبدو الخلاف كبيراً بين الروایتين لأن أهل بلخ لم يكونوا ملامين في حروبهم عند قتيبة بدليل أنهم صالحوا من غد اليوم الذي حاربوه فيه، وكان قتيبة قد استغل إلى درجة كبيرة الشقاق والخلاف بين أهالي الصغانيين وطخارستان ففي سنة 86هـ/705م دعاه أمير الصغانيين بنفسه ليعاونه ضد عدوه ملك آخرون وشومان<sup>(3)</sup> وأرسل ملك الجوزجان إلى قتيبة فصالحه على أن يأتيه فصار إليه ثم رجع فمات بالطالقان<sup>(4)</sup>.

والنتيجة أن طخارستان خضعت طوعاً أو صلحاً بعد قتال يسير، وأن قتيبة اطمأن على أوضاعها، وأخضع ملك الصغانيين (تيش الأعور) وفتح بلخ، وأطمأن على وضعه في خراسان، وبعد أن هابته ملوك وأمراء ما وراء النهر وطخارستان، حيث هرعوا إليه يقدمون الهدايا وفروض الطاعة بدأ يتأهب لبدء جهاده الأكبر في إقليم الصغد.

#### • المرحلة الثانية: 87 - 90هـ / 705 - 708م:

بدأ قتيبة أولى خطواته لفتح إقليم الصغد سنة 87هـ/705م فعبّر نهر جيحون، واتجه إلى مدينة بيكند، وهي مدينة خصبة غنية عرفت بمدينة التجار، وكان المسلمون قد غزوها مراراً كثيرة قبل قتيبة، وخاض قتيبة حروباً عنيفة<sup>(5)</sup> خاصة بعد أن استتصر أهلها أتراك الصغد كلهم، فأتوهم

(1) محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين، ص63.

(2) تاريخ الرسل، ج5، ص299.

(3) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص299.

(4) بارتولد: تاريخ الترك، ص75، 76.

(5) الترشيحي: تاريخ بخارى، ص69.

في جمع كثير<sup>(1)</sup> وقد عانى المسلمون العجز مدة خمسين يوماً دار فيها القتال دون حسم بعد ما حمل قتيبة لمن معه على أترك الصغد حملة كبرى، تمكن خلالها من إحداث ثغرة أسفل قلعة بيكند وسورها فاستولى على حصنها، وقتل كثيراً من أهلها<sup>(2)</sup> فطلب أهلها الصلح مع قتيبة فصالحهم على مال أخذه كغنيمة<sup>(3)</sup> وغادر المدينة تاركاً عليها ورقاء بن نصر الباهلي أميراً من قبله<sup>(4)</sup>.

وما أن ابتعد قتيبة إلى قرية خنبون<sup>(5)</sup> حتى نقض أهلها الصلح، وقتلوا واليها ورقاء بن نصر فعاد إليها وقتل من كان بها بعد أن أباح دماءهم وأموالهم<sup>(6)</sup> وافتتح المدينة عنوة، وغنم المسلمون مغنم كثيرة، بعد أن قتل أهل الحرب منهم، واسترق من بقي، بحيث لم يبق في بيكند أحد وخرت، وكان أهلها تجار ذهب هرب أكثرهم إلى الصين، والبلاد المجاورة<sup>(7)</sup> ولكنهم عادوا ثانية واشتروا أولادهم ونسائهم وأقربائهم من العرب وعمرروا المدينة على صلح مع المسلمين<sup>(8)</sup>. ولما فرغ قتيبة من بيكند ذهب إلى خنبون فاستولى عليها وعلى تاراب<sup>(9)</sup> وكثير من القري الصغيرة مثل أفشنه<sup>(10)</sup> وبركد<sup>(11)</sup> وأيسوانه وسقمتين وسميتين،

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص429-431.

(2) يذكر الطبري: أن الرسل قد انقطعت بين الحجاج في العراق وقتيبة في بيكند لمدة شهرين فأشفق الحجاج على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد، الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص430.

(3) البلاذري: فتوح البلدان، ص410، 411.

(4) البلاذري: نفسه.

(5) خنبون: بفتح أوله وبعد النون الساكنة باء موحدة وآخره نون، من قرى بخارى مما وراء النهر بينهما وبين بخارى 24كم على طريق خراسان، ينسب إليها طائفة من أهل العلم، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص469.

(6) النرشخي: تاريخ بخارى، ص70.

(7) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص431، 432.

(8) النرشخي: تاريخ بخارى، ص70، 71.

(9) تاراب: قرية على بعد 18كم من بخارى، النرشخي: تاريخ بخارى، ص7 هامش (3).

(10) أفشنه: قرية حصينة تقع غرب بخارى، وقد بنى فيها قتيبة مسجداً، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص283.

(11) بركد: قرية قديمة ذات قلع عظيمة، النرشخي: تاريخ بخارى، ص320.

وسامدون، وغجدوان<sup>(1)</sup> وأرخش<sup>(2)</sup> وأنسيون<sup>(3)</sup> وأغدون<sup>(4)</sup> وأودنه<sup>(5)</sup> وأيدزوج<sup>(6)</sup> ويداكده<sup>(7)</sup> وبيرمس<sup>(8)</sup> وتاذت وتمترو تمشكت<sup>(9)</sup> وغاجن، وجيرافشت وخرادين، وخرمئين، وخجوان، وفي وسط هذه القرى بين خنبون ورامئين، وتاراب تجمع الترك، وحاصروا قتيبة وأقبل ملك الصغد (طرخون) بجيش كبير، يساعده ملك الصين في أربعين ألف مقاتل واشتد الأمر على قتيبة، فأرسل إلى ملك الصغد رسولاً يسمى (حيان النبطي) استطاع أن يخدعه بأن العرب سوف يرحلون لبرودة الجو، وأن الأتراك حلفاؤه لن يتركوه لأن إقليم الصغد "لا مثل له في الدنيا، فكيف يتركون لك الصغد ليرحلوا إلى التركستان"<sup>(11)</sup> فعقد ملك الصغد صلحاً مع قتيبة، وتظاهر قتيبة بمدد آتاه عن طريق كش ونسف من قبل الحجاج وانقض على جموع الترك والصين، فهزمهم وتفرق جمعهم<sup>(12)</sup> وبعد أربعة أشهر عادوا إلى مرو<sup>(13)</sup>.

- **فتح نومشكت ورامئين وكرمينية عام 88هـ / 708م: أستخلف قتيبة على مرو "بشار بن مسلم" وقام بغزو نومشكت، فنتلقاه أهلها بالصلح ثم واصل زحفه إلى رامئين فصالحه أهلها أيضاً فانصرف عنها، كما خفقت رايته على كرمينية والدبوسية بين سمرقند وبخارى، واجتمعت عليه جموع الترك من الصغد وأهل فرغانة، وجموع من الصين بقيادة بغانون ابن**

- 
- (1) غجدوان: قرية ذات أهمية تجارية على بعد 24 كم من بخارى، كان يعقد بها سوق كل أسبوع ومازلت تعرف بالاسم نفسه حتى الآن، بارتولد: التركستان، ص 220.
  - (2) أرخش أو أرخس: والنسبة إليها الأرخسي على بعد 24 كم من بخارى، النرشخي: تاريخ بخارى، ص 32.
  - (3) أنسيون: النسبة إليها الأنسيوي قرية على بعد 26 كم من بخارى، بارتولد: التركستان، ص 221.
  - (4) أغدون: من قري بخارى، بارتولد: التركستان، ص 221.
  - (5) أودنه: من قري بخارى في رستاق (جيفر اكيفر) وتقع على قناة تحمل نفس الاسم، ياقوت: معجم البلدان، ط 1، ص 312.
  - (6) أيدزوج: قرية على بعد 18 كم من بخارى، وبها قلع حصينة، بارتولد: التركستان، ص 222.
  - (7) بداكده: النسبة إليها البداكدي على بعد 18 كم من بخارى، ياقوت: معجم البلدان، ج 1، ص 411.
  - (8) بيرمس: أو ديمس وهما لفظان تركيان بمعنى (لن يعطي ولن يقول)، بارتولد: التركستان، ص 223.
  - (9) تمشكت من قري بخارى على بعد 24 كم منها، ياقوت: معجم البلدان، ج 2، ص 121.
  - (10) خجوان قرية كثيرة التجارات من قري بخارى، النرشخي: تاريخ بخارى، ص 33.
  - (11) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 72.
  - (12) الطبري: تاريخ الرسل، ج 6، ص 437.
  - (13) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 72.

أخت ملك الصين<sup>(1)</sup> واعترضوا طريق المسلمين بقيادة (عبدالرحمن بن مسلم الباهلي) شقيق قتيبة، الذي استتجد بأخيه، فوصله في مدد كبير، استطاع به تحقيق النصر المؤزر، عاد بعدها قتيبة إلى مرو في خراسان يستعد لفتح بخارى<sup>(2)</sup>.

- **فتح بخارى 89 - 90هـ / 709 - 410م:** خطط قتيبة بن مسلم لفتح بخارى تخطيطاً محكماً، فاستولى أولاً على المدن الصغرى المحيطة بها، حتى يضمن تحييد أهلها في صراعه في بخارى، وقد نجح في ذلك وأستولي كما سبق على العديد من القرى، كما شن حرباً على فاراب وما جاورها، ثم قاتل أهل كش ونسف وانتصر عليهم<sup>(3)</sup>، وعاد بعد ذلك إلى مرو ليستجمع قواته ويبدأ الكرة الثانية<sup>(4)</sup>. وفي سنة 90هـ / 701م عاود قتيبة الهجوم على بخارى للمرة الرابعة<sup>(5)</sup> وما أن عبر نهر جيحون حتى أستصرخ ملكها (وردان خداه) أتراك الصغد، وأشروسنه، وفرغانة ونسف وكش للوقوف إلى جواره<sup>(6)</sup> وكان على قتيبة أن يواجه ذلك الحشد الكبير، ودار القتال وكان سجلاً حتى أنتصر قتيبة في النهاية، وفتح بخارى بعد هزيمة الأتراك فيها، فصالحه ملك الصغد حينئذ، وعاد إلى مرو ليستعد لغزو وفتح جديد<sup>(7)</sup>. كان فتح بخارى من أهم انجازات قتيبة بن مسلم في إقليم الصغد، وكان لسقوطها أهمية كبيرة جداً فقد أبرز مدى قوة العرب، وسارع ملك سمرقند بالاتصال بقتيبة لوضع شروط الصلح وتجديد المعاهدة القديمة التي كانت قد عقدت مع سلم ابن زياد<sup>(8)</sup> إلى جانب تثبيت أقدام المسلمين والإسلام فيها ببناء مسجد جامع على يد قتيبة، مازال

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص 411، 412.

(2) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص 438.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 152، 153.

(4) محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامي، ص 202.

(5) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص 439؛ بارتولد: التركستان، ص 331.

(6) البلاذري: فتوح البلدان، ص 413؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 54، 55.

(7) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 72.

(8) البلاذري: فتوح البلدان، ص 427؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص 440.



موجوداً حتى الآن ويعرف بمسجد كلان (الكبير) ودخل أهلها في الإسلام بعد أن كانوا في كل مرة يسلمون ثم يرتدون حتى يعود العرب<sup>(1)</sup>.

• **المرحلة الثالثة 91 - 93هـ / 709 - 711م:** في هذه المرحلة أمتد النفوذ العربي إلى وادي جيحون كله وإقليم الصغد بأجمعه، وأستطاع قتيبة بن مسلم أن يبسط السيادة الإسلامية، والدين الإسلامي على أتراك ما وراء نهر جيحون وتوج ذلك بفتح سمرقند، العاصمة السياسية لإقليم الصغد.

- **فتح شومان وكش ونسف عام 91هـ / 709م:** في العام 91هـ / 709م طرد غيسلستان ملك شومان عامل قتيبة بن مسلم، كما منع إرسال الفدية إليه، فأرسل قتيبة رجلين يدعوانه لإرسالها، لكنه أبى<sup>(2)</sup> فغضب قتيبة وقرر أن يضع حداً لهذا العبث، فحاصر قلعة شومان وضربها بالمجانيق، وافتتح القلعة عنوة وقتل ملك شومان، وغنم قلعته، وما فيها من مال وجواهر<sup>(3)</sup>. ثم أمر الحجاج بن يوسف - قائده - قتيبة بفتح كش، ونسف، ففتحهما<sup>(4)</sup> وامتتعت عليه فرياب<sup>(5)</sup> ثم نزل قرية الطواويس وفتحها<sup>(6)</sup> وسير أخاه عبدالرحمن ابن مسلم إلى طرخون ملك الصغد فصالحه<sup>(7)</sup> ثم إلى بخارى التي أصبحت قاعدة تنطلق منها

(1) النرشخي: تاريخ بخارى، ص72.

(2) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص443.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص221؛ بارتولد: التركستان، ص332.

(4) البلاذري: فتوح البلدان، ص422، 423.

(5) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص443، 444.

(6) ابن أعمم الكوفي: الفتوح، ج7، ص245.

(7) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص442؛ أورد ابن أعمم الكوفي في الفتوح، ج7، ص245، نص العهد الذي كتبه قتيبة ابن مسلم لإخشيد الصغد (غوزك) جاء فيه (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالحه قتيبة بن مسلم عن عمرو الباهلي غوزك بن الإخشيد أخشيد (أي حاكم) الصغد، أنه صالحه وشرط له بذلك عهد الله وميثاقه ودمته، ودمته رسوله محمد ﷺ، ودمته أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك، ودمته الأمير الحجاج بن يوسف بن الحكم، ودمته قتيبة بن مسلم فصالحه عن سمرقند ورساتيقها كس ونسف أرضها ومزارعها وجميع حدودها على ألف ألف درهم عاجلة، ومائة ألف درهم في كل عام، وثلاث آلاف رأس من الرقيق ليس فيها صبي ولا شيخ على أن يسمعوا ويطيعوا لعبدالله بن الوليد بن عبدالملك بن مروان وللأمير الحجاج بن يوسف، وللأمير قتيبة بن مسلم، وعلى أن يؤدي غوزك أخشين الصغد ما صالحه عليه قتيبة من مال ورقيق).

جيوش الفتح الإسلامي، بعد أن بني بها المساجد، وأنزل العرب في قلعته<sup>(1)</sup> ثم فتح خوارزم<sup>(2)</sup>.

- فتح سمرقند عام 93هـ / 711م: بعد أن افتتح قتيبة خوارزم، سار في نفس العام 93هـ / 711م إلى سمرقند وفتحها عنوة كما افتتح قراها أستان وأسبكت وأسمند، وأنداق، وبندغشر وخرتتك، وتوسكاس، وخافر، وخاوص، وخيش وديزك وغيرها<sup>(3)</sup>.

وانشرح صدر القائد العظيم قتيبة بن مسلم ودخل سمرقند دخول الفاتحين مرة أخرى وهو يتلو قوله تعالى: "وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (50) وَتَمُودَ فَمَا أَبَقَى (51)"<sup>(4)</sup> وهكذا بسط قتيبة بن مسلم السيادة الإسلامية على كل إقليم الصغد، ثم عاد إلى مرو ليستريح وبعدها أكمل جهوده فيما وراء نهر سيحون.

#### • المرحلة الرابعة (94 - 96هـ / 712 - 714م):

وفيها عبر قتيبة - لأول مرة - نهر سيحون هو ومن معه من قوات بخارى، وكش ونسف، وخوارزم والصغد، وغيرهم من أهل البلاد المفتوحة<sup>(5)</sup> بعد أن أشركهم في جيشه ساواهم بالمسلمين العرب في الغنائم بعد إسلامهم، ووجه قسماً منهم إلى الشاش ففتحوها<sup>(6)</sup> وتوجه هو إلى فرغانة، واشتبك مع أهالي الإقليم في مدينة خجندة - فقاوم أهلها ومعهم الترك القادمون من المدن المجاورة مقاومة شديدة<sup>(7)</sup> وبعد سلسلة من المعارك الطويلة، انتهت بانتصار قتيبة وفتح فرغانة،

(1) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 73، 74.

(2) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص 445.

(3) بارتولد: تركستان، ص 327-329.

(4) سورة النجم: الآية 50، 51.

(5) البلاذري: فتوح البلدان، ص 485.

(6) ابن أعمش الكوفي: الفتوح، ج7، ص 245.

(7) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 102.

ثم سار إلى شومان وفتحها<sup>(1)</sup>. وكان الاحتفاظ بفرغانه يقتضي من المسلمين فتح كاشغر<sup>(2)</sup> التي تقع شرق فرغانه، ويقطنها الترك<sup>(3)</sup> ففي عام (96هـ/ 714م) اتخذ قتيبة من فرغانه مركزاً لاستكمال الاستعدادات الحربية، ونقطة لانطلاقه واتجه منها صوب كاشغر ففتحها، واقترب من حدود الصين<sup>(4)</sup> فخشي ملكها من غزو قتيبة لبلادها، ودارت بينهما مفاوضات طويلة، وانتهت بقبول ملك الصين دفع الجزية<sup>(5)</sup>. انتهت المرحلة الرابعة من فتوح قتيبة، وكان من أهم نتائجها فتح فرغانة وأشروسنه والوصول إلى الصين وكانت وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (95هـ/ 713م) والتي أعقبها وفاة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة (96هـ/ 714م). وتولي الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (96 - 99هـ/ 714 - 717م) الذي دبر للتخلص من قتيبة<sup>(6)</sup> وقتله في حادث شغب من جنده<sup>(7)</sup> وهنا توقفت الفتوحات الإسلامية، لتتحول السيادة الإسلامية إلى مرحلة جديدة، وهي تثبتها في تلك البلاد المفتوحة<sup>(8)</sup>.

#### - إقليم ما وراء النهر في العصر الأموي (بعد مقتل قتيبة):

كان على خلفاء الدولة الأموية أن يخوضوا معركة من طراز آخر، وهي معركة تثبيت السيادة العربية والدفاع عن المكاسب التي أحرزها قتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر كلها

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص485.

(2) بالنقاء الساكنين، والشين معجمة، والغين أيضاً، مدينة قرب الصين، بها قرى ورساتيق، وسط بلاد الترك، وهي من أشهر مدن تركستان الشرقية، وأهمها، كما كانت عاصمة لها، وهي آخر حدود فرغانة وبداية حدود الصين، وكانت مقر حاكم فرغانة، ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص488.

(3) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، د. مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج1، ص102.

(4) محمود خطاب: قادة الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، دار بن حزم، بيروت، 1998م، ص406.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص103.

(6) كان الوليد بن عبد الملك مؤيداً ومحياً للحجاج وقتيبة إلا أن سليمان بن عبد الملك كان يكرهما، بسبب مساندتهما للوليد ومبايعة في خلع سليمان، وجعل ولاية العهد لعبد العزيز بن الوليد، وبايعاه على ذلك ولما تولى سليمان أراد أن ينتقم من قتيبة حيث أن الحجاج كان قد مات، وولى أمر خلع قتيبة لوكيع ابن حسان وابن قيس التميمي، الذي أدعى عدم مبايعة قتيبة له، وأمر بقتله هو وإخواته، وأقاربه، ينظر، ابن الأثير: الكامل، ج8، ص232؛ محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين، ص53، ص54.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص312.

(8) الطبري: تاريخ، ج5، ص195.

والتمكين للنفوذ الإسلامي من أن ينتشر في البلاد انتشاراً طبيعياً<sup>(1)</sup> وتهيئة البلاد لقبول الإسلام عقيدة وفكراً وثقافة وسلوكاً، وهذا الدور كان أصعب من معركة الفتح نفسها فلو كان قدر للعرب المسلمين فقد مكاسب عصر الفتح لظل التوغل الأموي في الإقليم مجرد ذكرى عابرة<sup>(2)</sup>.

واجه الأمويون مشاكل جمة في بلاد ما وراء النهر، كان أبرزها طموح الأمراء الأتراك الذين أبقاهم الأمويون يحكمون بلادهم تحت السيادة العربية الإسلامية مقابل دفع الجزية، وكان معظم هؤلاء الأمراء تربطهم بالدولة الأموية معاهدات نظمت العلاقات بين الطرفين<sup>(3)</sup> وبصفة خاصة التعاون العسكري والمالي، لكن هؤلاء الأمراء كانوا يحاولون القفز فوق تلك المعاهدات مستغلين فترات الضعف والاضطراب التي كانت تمر بها الدولة الأموية في أواخر عهدها<sup>(4)</sup> فقد ثار أمراء بخارى وسمرقند وكش وأشروسنه والشاش وغيرها بعد مقتل قتيبة مباشرة، ونجح الأتراك الشرقيون في الإغارة على إقليم الصغد، للثورة على العرب، ولكن خلفاء بني أمية لم يتهاونوا في مواجهة هذه الثورات وقمعها ونجحوا في إخضاع أغلب الأمراء إلى طاعتهم مرة أخرى، وكان بعض ولاة الدولة الأموية سبباً مباشراً في اشتعال هذه الثورات بسبب إبقاء بعضهم الجزية على من أسلم، فقد أحس أمراؤهم في سمرقند وبخارى وبيكند وغيرها بتناقص مقادير الجزية نظراً لدخول الكثير من الأتراك في الإسلام فعمدوا إلى إبقاء هذه الالتزامات المالية عليهم ما كان سبباً مباشراً لانتفاضة شعوبهم ومنهم الشعب التركي في إقليم ما وراء النهر<sup>(5)</sup>. واستغل الأتراك الشرقيون ثورات أهالي الصغد وفرغانه وغيرها وأغاروا مراراً على الإقليم لكن يقظة بني أمية وجهودهم حمت الإسلام وثقافته من خطرهم، وكانت حماية ما وراء النهر من غارات الأتراك

(1) ينظر، ابن أعمم الكوفي: الفتوح، ج7، ص250-255.

(2) حسن محمود: تاريخ الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، ص150.

(3) حسن محمود: نفسه.

(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص465.

(5) البلاذري: فتوح البلدان، ص425.

الشرقيين من أهم منجزات العصر الأموي التي مكنت للسيادة الإسلامية والدين الإسلامي والثقافة الإسلامية من الانتشار<sup>(1)</sup> واستطاعوا مد الإسلام إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه الفتوحات الإسلامية، وتوطيد دعائم الحكم الإسلامي هناك<sup>(2)</sup>.

#### - إقليم ما وراء النهر في العصر العباسي الأول (132-232هـ/749-850م):

كان إقليم خراسان وما وراء النهر مهداً للدعوة العباسية وكان لدعائه أثر كبير في نجاحها كما أسهم الإقليم في جذب عديد من الأتراك والفرس إلى مساندة بني العباس، وليس أهله السواد وهو اللون أو الشعار المميز لبني العباس<sup>(3)</sup>.

وفي عهد الخليفة العباسي السفاح (132-136هـ/749-753م) واجه العباسيون بعض المشكلات، وأهمها هو صد أطماع الصين، التي حاولت فرض سيطرتها على ما وراء النهر، وفي (134هـ/751م) وقع خلاف بين إمارتي فرغانة والشاش<sup>(4)</sup> فاستعانت فرغانة بالصين، واستعانت الشاش بالعرب ودارت بينهم معركة، عرفت باسم طلس أو طلاس<sup>(5)</sup> استمرت خمسة أيام، وحسمت لصالح العرب والشاشانيين خاصة بعد انضمام ترك القارلوق<sup>(6)</sup> لهما، وهزمت الصين وعادت أدرجها<sup>(7)</sup>.

وعندما تولى الخليفة أبو جعفر المنصور الخلافة (136-158هـ/754-775م) أرسل الليث بن نصر بن سيار آخر الولاة الأمويين في خراسان، والذي كان يقيم في كاشغر، وحارب

(1) حسن محمود: تاريخ الإسلام، ص100.

(2) خليل عبدالمجيد زيادة، جمهورية طاجكستان الإسلامية، ماضيها وحاضرها، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى، العدد سبتمبر، 1993م، مج3، ص376.

(3) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة، 1982م، ج2، ص196.

(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص600.

(5) بكسر الطاء وفتحها، نسبة إلى نهر طلاس، وهو أحد روافد نهر سيحون، وعلى شاطئه مدينة عرفت باسم طلاس أو طلس أو طراز، تقع على مقربة من مدينة أولا يموهي "أتا" الحالية، ينظر، الترشيحي: تاريخ بخارى، ص123؛ ياقوت: معجم، ج4، ص27.

(6) أحد الأقوام التركية التي سكنت المنطقة الممتدة من بحر الخزر إلى حدود الصين شرق فرغانة، بارتولد: تاريخ الترك، ص67، 68.

(7) الترشيحي: تاريخ بخارى، ص123.

الأتراك الشرقيين وانتهت المعركة بطلب الأخشيدي الصلح مع دفع الجزية<sup>(1)</sup>. وفي خلافة المهدي (158-169هـ / 775-785م) اندلعت ثورة يوسف البرم<sup>(2)</sup> فوجه المهدي قائده أحمد بن أسد بن سامان<sup>(3)</sup> بحملة إلى الإقليم، وفي هذه الحملة ورد اسم (كاسان) على أنها عاصمة أخشيدي - فرغانة ما يستدل على أن فرغانة كانت قد استعادت أراضيها المفقودة<sup>(4)</sup>، وفي خلافة هارون الرشيد (170-193هـ / 786-809م) توالت حملات العباسيين على إقليم ما وراء النهر، لمواجهة بعض غارات ترك القارلوق، واستطاع العباسيون طردهم منها<sup>(5)</sup> وفي عهد الخليفة المأمون (198-128هـ / 813-833م) أرسل الخليفة قوات لمحاربة من خرج عليه من أهالي ما وراء النهر، حتى أذعنوا له بالطاعة<sup>(6)</sup> أما الخليفة المعتصم بالله (218-227هـ / 833-843م) فقد فتح نوح بن أسد الساماني<sup>(7)</sup> كثيراً من قلاع ما وراء النهر والتي كانت ثغراً من ثغور بلاد الترك<sup>(8)</sup> كما اهتم اهتماماً كبيراً باقتناء وجلب الجنود الأتراك من بلاد ما وراء النهر وأكثر منهم في الجيش العباسي<sup>(9)</sup>، وكان للعباسيين دور بارز في تثبيت الإسلام عقيدة وسلوكاً في إقليم ما وراء النهر فقد أكثر العباسيين من الأتراك في جيوشهم وفي الإدارة<sup>(10)</sup> وسارت الثقافة

(1) مجهول: كتاب تاريخ في المغازي والسير، مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، رقم 2089 تاريخ طلعت ميكرو فيلم رقم 13004، ورقة 4-6، بارتولد: تركستان، ص323.

(2) ثورة قام بها يوسف البرم الخارجي، من موالى تقيف، اندلعت في بخارى سنة 160هـ / 776م ووقع فيها علم الثورة باسم الإسلام والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووضع يده على مرو والطالقان، والجوزجان، بارتولد: التركستان، ص323 - 334.

(3) أحد أبناء الأسرة السامانية الأربعة، الذين أبلوا مع والدهم بلاءً حسناً في خدمة الدولة الأموية والعباسية، وعندما قامت الدولة الطاهرية في خراسان كان نصيب أحمد بن أسد هو سمرقند، ومن نسله جاءت الأسرة السامانية، ينظر، النرشخي: تاريخ بخارى، ص105-109.

(4) لي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص558.

(5) كرديزي: زين الأخبار، إيران، 1367هـ، ص129؛ بارتولد: تاريخ بخارى، ص323.

(6) البلاذري: فتوح البلدان، ص418؛ ابن الأثير: الكامل، ج8، ص240.

(7) هو الأمير الحميد أبو محمد بن نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني، تولى ملك الدولة سنة 331هـ / 943م وبلغت الدولة السامانية في عهده أوج قوتها السياسية والحضارية، النرشخي: تاريخ بخارى، ص129، 130.

(8) بارتولد: تاريخ الترك، ص315.

(9) محمد عبدالعظيم يوسف: تاريخ الدولة العباسية والدويلات المستقلة، آداب الزقازيق، 1999م، ص780.

(10) المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص283.

الإسلامية في ركاب الإسلام، ولم تعد ثقافة الوافدين المسلمين غريبة على أهل ما وراء النهر، فبدأ أهله يدخلون الإسلام أفواجا، ويتعلمون لغته (العربية) وليس أدل على ذلك من قول المستشرق المجري أرمنيوس فامبري<sup>(1)</sup> (إن بخارى قاومت العرب في البداية مقاومة عنيفة، ثم فتحت لهم أبوابها لتستقبلهم ومعهم تعاليم دينهم، تلك التعاليم التي قبلت في البداية بمعارضة شديدة، ثم أقبل القوم عليها في غير شديدة، حتى أصبح الإسلام الذي أخذ شأنه يضعف في جهات أخرى من آسيا، قد غدى في بخارى اليوم سنة 1873م على الصورة التي كان عليها أيام الخلفاء الراشدين). وانتشر الإسلام في إقليم ما وراء النهر وأصبح الإقليم كعبة يحج إليها علماء الإسلام وطلابه والذي خَرَجَ لنا قمم رجال العلم في التفسير والحديث والفقه والتشريع والفلك والطب والهندسة والرياضيات والفلسفة والجبر وغيرها، مثل الإمام البخاري شيخ المحدثين والإمام الترمذي والنسائي والنسفي وابن ماجه والإمام مسلم، وابن سينا والخوارزمي وغيرهم من أفاض العلم والذين ما زالت بصماتهم واضحة جلية على مختلف العلوم الإسلامية، ما دام هناك إسلام على وجه المعمورة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

#### - إقليم ما وراء النهر في عهود الدويلات المستقلة:

أولاً: في عهد الدولة الطاهرية (205-259هـ / 821-872م):

اهتم الطاهريون<sup>(2)</sup> بإقليم ما وراء النهر، فأقاموا به العديد من المواقع مثل الأبراج لمراقبة الأتراك الشرقيين، حيث كان الإقليم ثغراً من ثغور الإسلام من مواجهة خطر الأتراك الشرقيين، ولذلك اتخذوا منه قاعدة ينطلق منها المرابطون لرد غاراتهم، كما نظموا أمور الإقليم، واستطاعوا

(1) تاريخ بخارى، ص27..

(2) ينسبون إلى طاهر بن الحسين (205-207هـ / 820-822م) فهو مؤسس الدولة الطاهرية وكان قد تولى حكم خراسان من قبل الخليفة المأمون، مكافأة له على التخلص من أخيه الأمين وأصبحت خراسان أولى الدويلات المستقلة في الشرق الإسلامي، واتخذ من مرو عاصمة له، ينظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص92، كليفورد: الأسرات الحاكمة ف التاريخ الإسلامي، ط2، ترجمة د. حسين علي اللبودي وآخرون، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 1995م، ص148.

حماية أطرافه بجهودهم الذاتية، مما أدى إلى انتشار الأمن والاستقرار في بداية عهدهم في هذا الإقليم<sup>(1)</sup>. وكان إقليم فرغانه والشاش أهم الأقاليم السيجونية التي اهتم بها الطاهريون اهتماماً بالغاً، فقد كانت بمثابة الثغر الذي شن منه الأمير عبدالله بن طاهر (213- 230هـ/ 828- 844م) حملة على الأتراك الشرقيين، وبلغ بلاداً لم يبلغها أحداً قبله<sup>(2)</sup>.

ولعل أهم الأحداث التي ظهرت على مسرح الحياة السياسية في إقليم ما وراء النهر في عهد الطاهريين هو ظهور القره خانيين<sup>(3)</sup> كسلطة حاكمة، منذ عام 228هـ/ 842م واستمر حكمهم على مدى قرون تأرجحت فيها أحوال الإقليم سياسياً ما بين حركات مناوئة، وصلح مع السلطة الحاكمة، التي تعاقبت على حكم الإقليم<sup>(4)</sup>.

**ثانياً: إقليم ما وراء النهر في عهد الدولة الصفارية (259 - 290هـ/ 867 - 903م):**

يعتبر عام 259هـ/ 867م هو بداية قوة الصفاريين<sup>(5)</sup> في شرق الدولة الإسلامية، بعد أن دخل يعقوب بن الليث الصفار ت 265هـ/ 879م نيسابور<sup>(6)</sup> ويسط سيادته على خراسان وتطلع

---

(1) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، نقله من الفارسية د. محمد علاء الدين وآخرون: دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990م، ص18.

(2) عباس إقبال: نفسه.

(3) انقسم القره خانات إلى قسمين هما قره خانية الشرق، وهي التي حكمت مناطق كاشغر، وبلاد الأنهار السبعة وفرغانة الشرقية وعاصمته بلاساغون القريبة من المجرى الأدنى لنهر تشو، وقره خانية الغرب، وهي التي حكمت فرغانة الغربية حتى مدينة خجندة، وكانت عاصمته أوز كند على المجرى الأعلى لنهر سيحون، واستمرت دولة القره خانيون على مدار قرون طويلة، فقد حكم خاناتها تحت وصاية الدولة الصفارية والسامانية والغزنوية والسلاجقة إلى أن سقط حكمهم على يد الخوارزميين، وكان آخر حكامهم - ألغ سلطان عثمان (579- 600هـ/ 1200- 1212م)، ينظر، البيهقي: تاريخ البيهقي، ترجمة د. يحيى الخشاب وآخرون، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص518- 531، وتعاقب على حكم الدولة القرخانية حكام عظماء واهتموا بالعلوم النقلية والعقلية ومنهم محمد عين الدورة (433- 444هـ/ 1041- 1052م) وإبراهيم الأول بورشيكين طمغاش خان (444- 460هـ/ 1052- 1068م) ونصر ابنه (460- 472هـ/ 1068- 1080م) وغيرهم، ينظر، بارتولد: تركستان، ص185 وما بعدها.

(4) أوقطاي أصلان أبا: فنون الترك وعمايرهم، ترجمة د. أحمد محمد عيسى، استانبول، 1987م، ص10، 11.

(5) ينسب الصفاريون إلى يعقوب بن الليث الصفار، والصفاري لقب أطلق على يعقوب وأخيه عمرو لاشتغالهما منذ حادثة سنيهما في صناعة الصفر - النحاس - وكان يعقوب زعيماً لفرقة المتطوعة بسجستان ثم قوي نفوذه وغلب على سجستان، والمناطق المجاورة، واصطدم بالدولة الطاهرية واحتلت جيوشه عاصمتها نيسابور سنة 259هـ/ 867م، مخالفاً أوامر الدولة العباسية، ينظر، المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص112.

(6) ابن البلخي: فارس نامه تحقيق د. يوسف الهادي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1419هـ/ 1999م، ص66- 68.



إلى ما وراء النهر، ودار صراع طويل بين الصفاريين والخلفاء العباسيين، وفي أثناء هذا الصراع وصلت أقدام الصفاريين إلى إقليم ما وراء النهر<sup>(1)</sup>، واستعان العباسيون بالطاهريين للقضاء على نفوذ الصفارين، وانتهى هذا الصراع بالنصر للصفاريين إلا أن دولتهم لم تدم أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، قضت معظمها في الصراع مع العباسيين والطاهريين، إلا أن ذلك لم يمنعهم من الاهتمام بالحركة العلمية في إقليم سجستان وخراسان وما وراء النهر<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: إقليم ما وراء النهر في عهد الدولة السامانية (261-389هـ / 874-999م):

برز أمر السامانيين<sup>(3)</sup> في عهد الخليفة المأمون العباسي الذي ولى أولاد أسد ابن سامان الأربعة - بعض أقاليم ما وراء النهر تولى نوح بن أسد سمرقند، وأحمد ابن أسد فرغانة ويحيى بن أسد الشاش، والياس بن أسد هراة وأشروسنه<sup>(4)</sup>.

ولما تولى طاهر بن الحسين خراسان، كان السامانيون هي الساعد الأيمن للطاهرين في محاربة وتتبع الأتراك، فأقر طاهر - السامانيون على ما بأيديهم من أقاليم ما وراء النهر بموافقة الخليفة العباسي<sup>(5)</sup>. وأقام السامانيون دولة لهم في آسيا الوسطى أو بلاد ما وراء النهر وضموا إليها خراسان، واستمرت دولتهم أكثر من قرن وربع (128 عاماً) نهضت فيها أقاليم ما وراء النهر نهضة كبيرة في مجالات الحياة<sup>(6)</sup> كما كان لهم جهادهم المقدس ضد الأتراك وعلاقتهم الحسنة بالخلافة العباسية<sup>(7)</sup>.

(1) محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين، ص75، 76.

(2) حسن محمود: تاريخ الإسلام، ص151.

(3) يعود نسبهم إلى إحدى الأسر الفارسية العريقة، التي كانت تدين بالزرداشتية، ثم أسلم جدهم سامان هذا بمساعدة أسد بن عبدالله القسري والي الأمويين على خراسان، فسمي ابنه أسداً تيمناً به، ينظر، ابن الأثير: الكامل، ج6، ص503.

(4) أحمد محمد عدوان: دويلات المشرق الإسلامي، دار عالم الكتب، الرياض، 1998م، ص34.

(5) الطبري: تاريخ الرسل، ج9، ص514.

(6) محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين، ص91.

(7) محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1936م، ص462.

وشجع السامانيون الحركة الأدبية في عاصمتهم بخارى، وسمرقند، وقصدهم كثيراً من الشعراء والعلماء، كما كانت قصورهم مجتمعاً للشعراء وكانت بخارى بمثابة المجد، وكعبة الملك، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر والشعر<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: إقليم ما وراء النهر في عهد الدولة الغزنوية (351 - 429هـ / 962 - 1037م):

تعتبر الدولة الغزنوية<sup>(2)</sup> هي أولى الدويلات المستقلة التركية في خراسان، وامتدت سيطرتها على إقليم ما وراء النهر، فبعد استقلالهم بغزنة<sup>(3)</sup> تحولت السيادة والنفوذ من العنصر الفارسي إلى الترك، وبعد أن ضعفت الدولة السامانية وطمع في أملاكها أمراء البلاد المجاورة.

ولم ير الغزنويون بدأ من الاستيلاء على البقية الباقية من ملكهم، وتوسيع رقعة دولتهم<sup>(4)</sup> فاستولى السلطان محمود الغزنوي (388 - 421هـ / 998 - 1030م) على خراسان ونيسابور ووصل حتى خوارزم شمالاً<sup>(5)</sup> وتميز عهدهم بالنهوض في كافة مجالات الحياة، إلا أنه بعد وفاة السلطان محمود، وقع الخلاف بين ولديه مسعود بن محمود (421 - 432هـ / 1030 - 1040م) ومودود بن محمود (432 - 441هـ / 1040 - 1049م) واستمرت الاضطرابات من بعدهما، إلى أن انحسر النفوذ الغزنوي تدريجياً، وبدأ بسقوط خراسان سنة 429هـ / 1037م<sup>(6)</sup> على يد الأتراك السلاجقة.

(1) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 104، 105.

(2) اتخذت اسمها من مدينة غزنة ونشأت نتيجة اعتماد السامانيين على الترك، وتوليتهم المناصب العسكرية أو المدنية فيبرز من بينهم أبو إسحاق بن البتكين الذي صار صاحب جيش غزنة وأعمالها، ومن بعده سبليكين الذي كان مولى للأمير ألب البتكين، ولما توفي ولم يكن له ولد، اختاره الجيش، وقام بغزو الهند وفي أواخر حكم السامانيين خرجت خراسان عن تبعيتهم ودخلت تحت حكم الغزنويين الذين كان من أشهرهم السلطان محمود الغزنوي ثم ابنه السلطان مسعود، ينظر، البيهقي: تاريخ البيهقي، ترجمه د. يحيى الخشاب، صادق نشأت دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص 410 - 412؛ ابن الأثير: الكامل، ج 7، ص 374.

(3) مدينة كبيرة وولاية واسعة في طرق خراسان، وهي الحد الفاصل بين خراسان والهند، ياقوت: معجم البلدان، ج 4، ص 201.

(4) البيهقي: تاريخ، ص 724.

(5) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، تحقيق د. أحمد الخطيبي، مكتبة دار الجبل، بيروت، (د. ت)، مج 1، ص 166، 167.

(6) محمد عبدالعظيم يوسف: طغرلبيك وتأسيس الدولة السلجوقية، رسالة ماجستير غير منشورة آداب الزقازيق، 1991م.

## خامساً: إقليم ما وراء النهر في عهد القراخانيين<sup>(1)</sup>

تعرف هذه الدولة في بعض كتب التاريخ باسم دولة آل أفراسياب<sup>(2)</sup> ودولة خانات التركستان أو الدولة الخاقانية أو الأيلىك خانية، وهم سلسلة من الملوك والترك المسلمين الذين حكموا بلاد ما وراء النهر زهاء ثلاثة ثرون سنة (308-609هـ/ 990-1212م) وذلك بعد الدولة السامانية<sup>(3)</sup> وقبل الغزو المغولي، فهم الذين قضوا على الدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر وقضى عليهم الأتراك الخوارزمية<sup>(4)</sup>. حكمت هذه الدولة في أراضي آسيا الوسطى المطوقة بجمال تيان شان أي في التركستان الغربية ما وراء النهر، والشرقية كاشغر، والتاريخ الأول لجماعات الخاقانية غامض، والغالب أنه لم يكتب إلا بعد دخولهم الإسلام في القرن (4هـ/ 10م) وكان أول إسلامهم في الفترة التي دخل فيها زعيمهم ساتوق بغراخان سنة 315هـ/ 927م<sup>(5)</sup> الذي يعد المؤسس الأول لدولة القراخانيين<sup>(6)</sup>. ثم استطاع هارون بغراخان حفيد ساتوق، بسط نفوذه على جميع القبائل التركية في وادي سيحون وبدأ بتهديد الدولة السامانية، حيث كانت الأراضي الخصبة في الجنوب دافعاً قوياً أثناء ضعف السامانيين لتحرك القراخانيين جنوباً بزعامة هارون

- 
- (1) لقب أعطاهم إياه المستشرقون لكثرة ورود وكلمة قره في ألقابهم، وتعني أسود أو قوي ولا شأن لها في التاريخ، بينما ورد لفظ قره باللغة التركية بمعنى قبيلة ينظر: Baswarth The Is Lamic Dynastias , Powdon, 1967 P 113.
- (2) أفراسياب بطل أسطوري ورد ذكره في الشاهنامه للفردوسي ويعتبره الطورينون جداً لهم وبيت أفراسياب أسرة تركية الأصل من قبيلة القارلوق أو القرلوق، ومن المحتمل أن يكون لها صلة بالجد توران الذي ذكر في الشاهنامه، وكان لجماعته دورها في التاريخ القديم للشعوب التركية، أي لها صلة بزعماء الترك الذين كانوا يحكمون قبل إسلامهم وهو ملك توران ويظلم للمزيد ينظر، الفردوسي: الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البنداري، تحقيق وترجمة عبدالوهاب عزام، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1993م، ج1، ص82-91؛ خواندمير: حبيب السير في معرفة أخبار البشر، طبع بومباي 1273هـ/1858م، ص749؛ نظام الملك الطوسي: سياسة نامه، ترجمة يوسف بكار، قطر، 1987م، ص46؛ أحمد معوض: أضواء على تاريخ الشرق الإسلامي وحضارته ذروة عصر السلاجقة العظام (طغرلبك) الدار العربية للنشر، القاهرة، 1404هـ/1983م، ص23، ويفصل الفردوسي في الشاهنامه الصراع بين الترك والإيرانيين، ج1، ص87-98.
- (3) عصام عبدالرؤوف الفقي: الدويلات المستقلة، ص231.
- (4) نظام العروض السمرقندي: جهاز مقالة (المقالات الأربع) ترجمة عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب، نشر لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1989م، ص141؛ سليم بناري: تاريخ أدبيات بعد از إسلام، تهران، 1325هـ، ص73.
- (5) شاکر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م، ص898.
- (6) عبدالعزيز جنكيز خان: تركستان قلب آسيا، الجمعية الخيرية التركستانية، 1945م، ص48.

بغراخان، لسد الفراغ الذي تركه ذلك الضعف في الجو السياسي واحتل سمرقند سنة 382هـ/992م وبعد ذلك استولي على ما وراء النهر كله، وصار نهر جيحون هو الحد الفاصل بينه وبين جيرانه الغزنويين في الغرب الذين شاركوه في الاستيلاء على أملاك السامانيين<sup>(1)</sup>. وظلت حدود الأيلك خانين هي نهر جيحون وأراضيهم في بلاد ما وراء النهر بعد ذلك حوالي القرنين، ويظهر أن هذه الدولة لم تحكم كدولة موحدة أبداً، ولكن كأرض لزعماء من تحالف قبلي واحد ذي حكم لا مركزي وعلاقات واهية، فقامت منذ سنة 407هـ/1016م حروب ضروس بين أفراد الأسرة استمرت حتى سنة 433هـ/1041م واقتسمت خلالها الدولة بين فرعين من فروع أسرة أفراسياب:

- فرع للخانات الغربيين في سمرقند ويضم بلاد ما وراء النهر غربي فرغانه حتى خجنده.
- وفرع للخانات الشرقيين يضم أسبيجاب والشاش وشرقي فرغانه حتى كاشغر<sup>(2)</sup>.

حكم الفرع الأول علي بن موسى وسلالته (وهو الفرع الأيلك) في الغرب في حين حكم الفرع الشرقي أسرة عمه هارون أو حسن بغراخان (آل حسن في الشرق)<sup>(3)</sup> وكان التنافس طبيعياً بين الفرعين وكانت المنطقة الوسطى من حوض نهر سيحون هي مجال الخلاف والحرب بينهما، لكن ظهور السلاجقة في تلك الفترة بعد مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، أبعد هذه المنافسات القبلية التركية عن مراكز الاهتمام، بعد أن كانت مركز اهتمام وتدخلات السلطان الغزنوي قبل ذلك وسبب الحروب معهم<sup>(4)</sup>.

---

(1) شاکر مصطفى: موسوعة، ج2، ص889؛ محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985م، ص161، 162.

(2) ميرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية في إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولي، مكتبة الثقافة الدينية، سنة 2014م، ص42.

(3) الكرديزي: زين الأخبار، ترجمة عفان السيد زيدان، القاهرة، 1982م، ص303-306؛ بارتولد: تركستان، ص421.

(4) شاکر مصطفى: موسوعة، ج2، ص90.

وبدأت العلاقات بين القراخانيين والسلاجقة عدائية، وذلك عندما اشتبك الأمير القراخاني ناصر الدولة يوسف قدرخان بن هارون بغراخان (404-423هـ/ 1013-1031م مع السلاجقة في عدة حروب، وكانوا قد أقاموا في بلاده واحتموا به، لكنه غدر بهم وأسر طغرليک<sup>(1)</sup> فنار أخوه جغري بيک<sup>(2)</sup> داود، وسار لمحاربتة واستطاع أن يخلص أخاه من الأسر، كان ذلك أول صدام بين السلاجقة والقراخانيين في تركستان<sup>(3)</sup>.

حرص القراخانيون على توطيد علاقتهم بأمرآء السلاجقة فتحالف بغراخان معهم وأخذ يحرضهم على الإغارة على أملاك السلطان محمود الغزنوي، فلما دخل طغرليک خراسان سنة 429هـ/ 1037م بعث إليه برسالة وعده فيها بمدد بالرجال والعتاد<sup>(4)</sup> ومما قاله فيها (اصمدوا ورباطوا حتى نرسل لكم أي عدد من الرجال تريدون)<sup>(5)</sup>. على أن العلاقات بين السلاجقة والقراخانيين ما لبثت أن تغيرت حين سعى السلاجقة إلى السيطرة على بلاد ما وراء النهر حيث تقع البلاد الخاضعة لحكم القراخانيين ففي سنة 458هـ/ 1095م قام السلطان ألب أرسلان بهجوم على أراضي طمغاج خان إبراهيم حاكم سمرقند، فتنازل الخان طمغاج خان إبراهيم وهو

---

(1) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص24؛ محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص163.

(2) طغرليک: مؤسس دولة الأتراك السلاجقة وهو اسم تركي مركب من طغري/ ويك، وطغري علم على طائر ويسمى الرجل به، ويك معناها الأمير - أي الأمير الطائر وهو مصغر (دوغراول) أي القصاب باللغة التركية، وهو مشتق من فعل (دوغرامق) أي (يذبح) وقد أخطأ المستشرقون الأوربيون خطأ شنيعاً حين ربطوا كلمة طغرل مع كلمة دوغرو، أي المستقيم أما عن نطق الاسم باللغة التركية صحيحاً، أو غير صحيح فكثير من الأسماء التي نطقتها الأقوام التركية على أنها صحيحة مازالت تكتب خطأ، والحصول على أشكال صحيحة لاسيما تركية قديمة، أو صعب جداً، ولا شك أن نطق طغرل في اللغة في شكل (طوغرول) خطأً أما النطق الصحيح لهذا الاسم فهو الشكل (طوغول Tog) وكان هذا الاسم يكتب بهذا الشكل في العهدين السلجوقي والعثماني، وكان دائماً يبدأ بالهجاء Tug وليس الهجاء (Tog) وكانت أغلب الكتب ومنها رشيد الدين الهمداني في جامع التواريخ قد كتبه (طوغول) وكان هو الأكثر صواباً وأصالة، وكتبه الكاشغري في ديوانه بهذا الشكل وعده نوعاً من طيور الصيد، ينظر، ش، سامي: قاموس العلماء، ج4، استانبول، 1306هـ، ص3013؛ محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الخامس، بيروت، 1971م، ص75؛ أحمد معوض: أضواء، ص72.

(3) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص163.

(4) أحمد معوض: أضواء، ص72، 73.

(5) البيهقي: تاريخ، ص33.

على قيد الحياة عن العرش لابنه شمس الملك<sup>(1)</sup> فأشعل أخوه شعبيث نار الثورة ضده فأصبحت سمرقند مسرحاً للقتال بين الأخويين وذلك في العام نفسه الذي توفي فيه والدهم (461هـ/ 1068م وانتهى الأمر في صالح شمس الملك<sup>(2)</sup> وفي عهده قام السلطان ألب أرسلان سنة 465هـ/ 1072م بحملة على ما وراء النهر في جيش ضخم لقتال شمس الملك حاكم سمرقند<sup>(3)</sup> لكن الحملة توقفت منذ البداية بسبب موت السلطان ألب أرسلان الذي خر صريعاً من طعنة سددها إليه صاحب إحدى القلاع يدعى يوسف الخوارزمي<sup>(4)</sup> فاستولى حاكم سمرقند شمس الملك على ترمذ سنة 466هـ/ 1073م وشنت جيوش آيار أخو السلطان ملكشاه<sup>(5)</sup> ولما بلغ الخبر السلطان ملكشاه سار إلى ترمذ سنة 467هـ/ 1074م وحاصرها وربماها بالمنجنيق حتى استأمن أهلها واعتصم أخو شمس الملك بها، ثم أستأمن السلطان ملكشاه فأطلقه، وسار السلطان إلى سمرقند ففارقها حاكمها، وبعث أخاه للسلطان في الصلح وتوسط نظام الملك فأجابه ورده إلى سمرقند ورجع السلطان إلى خراسان<sup>(6)</sup>.

وكانت أوضاع سمرقند آنذاك غير مستقرة، ولاسيما بعد نشوب نزاع بين شمس الملك وابني قدر خان يوسف وهما طغرل قراخان يوسف، وبغراخان هارون، وانتهى هذا النزاع بالصلح<sup>(7)</sup> ثم توفي حاكم سمرقند شمس الملك فخلفه أخوه خضر خان (472هـ/ 1082)<sup>(8)</sup> وبلغت سمرقند وسائر بلاد ما وراء النهر في عهده أقصى درجات الرفاء، وامتد سلطانه على

(1) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص248.

(2) بارتولد: تركستان، ص462.

(3) نظام الملك: سياسة نامه، ص131؛ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص36.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص70؛ الذهبي: العبر، ج2، بيروت، 1997م، ص318.

(5) الحسيني: زبدة التواريخ، بيروت، 1985م، ص126؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1965م، ج4، ص26؛ ناصر الدين شاه حسيني: كارنامه بزركان، إيران، طهران، 1430هـ، ص33.

(6) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م، ص471.

(7) بارتولد: تركستان، ص463.

(8) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد فوزي العنتيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م، ج26، ص337.

جميع بلاد ما وراء النهر واتصف حكمه بالعدل<sup>(1)</sup> ومن بعده أخوه أحمد خان ت (473هـ/1081م) وكان ظالماً غير محمود السيرة، وكان على عداوة مع علماء الدين مما أدى إلى تدخل السلاجقة، فبعدهما التمس علماء الدين من السلطان ملكشاه العون وأطمعوه في البلاد، فتحررت دواعي السلطان إلى ملكها<sup>(2)</sup>. ومن ثم قصد السلطان ملكشاه بلاد ما وراء النهر وأتى سمرقند وحاصرها واستولى عليها وأسر حاكمها أحمد خان<sup>(3)</sup> وأناب فيها أحد عماله أبا طاهر عميد خوارزم<sup>(4)</sup>. وسار السلطان ملكشاه قاصداً كاشغراً فدخل ملكها في الطاعة ورجع السلطان إلى خراسان<sup>(5)</sup> فلما بعد عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفون بالجلكية مع العميد أبا طاهر الخوارزمي، حتى كادوا يتوثبون عليه، فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى إلى خوارزم، وكاتب مقدم الجلكية واسمه عين الدولة يعقوب تكين أخو ملك كاشغراً يستدعيه فحضر عنده، وتم الاتفاق بينهما لكن يعقوب علم أن أمره لا يستقيم معه، فحرض عليه الرعية الذين كان قد أساء إليهم حتى ادعوا عليه دَم قوم كان قد قتلهم، وأخذ يعقوب الفتاوى عليه فقتله، ووصلت الأخبار إلى السلطان ملكشاه فعاد إلى سمرقند، فلما علم يعقوب المتولي على سمرقند قدوم السلطان فر هارباً إلى فرغانة، وملك السلطان ملكشاه سمرقند<sup>(6)</sup> ثم أعاد السلطان ملكشاه أحمد خان إلى الحكم ولكن لم يدم طويلاً فلم يلبث أن قتل لزندقته وإخلاله سنة 488هـ/1195م<sup>(1)</sup> وخلفه ابن

(1) بارتولد: تركستان، ص464.

(2) حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م، ص593.

(3) البنداري: آل سلجوق، ص57؛ الراوندي: راحة الصدور وآية السرور، ص201.

(4) ابن خلدون: العبر، ج4، ص12؛ النويري: نهاية الأرب، ج26، ص327، والعميد من المناصب التي استحدثها السلاجقة، وهو يعين من قبل السلطان السلجوقي وسلطاته على ما يبدو كسلطات المدير أو المحافظ في عهدنا، ووظيفته إدارية، وهو نائباً عن السلطان فقد كان من عادة السلاجقة إرسال نواباً عنهم إلى الأقاليم التي تخضع لسلطاتهم، ويعتبر السلطان طغرليك أول من أنشأ هذه الوظيفة، للمزيد راجع، الرواندي: راحة الصدور، ص170؛ حسين أمين: نظم الحكم في العصر السلجوقي، مقال منشور بمجلة سومر، ج1، ج2، المجلد العشرون، بغداد، 1964م، ص221؛ محمد عبدالعظيم يوسف: السلاجقة، ص296-298.

(5) اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان، حيدر آباد لركن 1236هـ، ج3، ص133.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج10، ص174، 173؛ عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص253.

(1) الذهبي: العبر في خبرهن عبر، ج2، ص356؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج3، ص145.

عمه مسعود، هكذا خضعت سمرقند لحكم السلاجقة حكماً مباشراً، وأصبح حكامها تابعين للسلاجقة حتى عهد السلطان سنجر<sup>(1)</sup> وبوفاة السلطان ملكشاه سنة 485هـ/ 1092م انفرط عقد الدولة السلجوقية وأخذ الضعف ينخر في كيان الدولة، ويوهنها الانقسام والتنازع على السلطة ومن ثم تمزقت وحدة السلاجقة<sup>(2)</sup> وانقسمت الدولة السلجوقية إلى عدة دول مستقلة سميت كل واحدة منها باسم المنطقة التي تسيطر عليها، فخضعت بلاد ما وراء النهر لبركياروق بن ملكشاه وخطب له في سمرقند سنة 490هـ/ 1096م<sup>(3)</sup> وعين على التوالي سليمان تكين محمود بن تكين ثم هارون تكين حكاماً على بلاد ما وراء النهر<sup>(4)</sup> ولا شك أنه كان للصراع الدائر بين حكام السلاجقة بعد ملكشاه أثره الواضح في شغل هؤلاء الحكام عن إقليم ما وراء النهر، فكانت السلطة لهم مجرد اسم فقط، أما الحاكم الفعلي فكان للأمراء المحليين القراخانيين<sup>(5)</sup> ويؤكد ذلك عصيان هؤلاء الأمراء للسلطان سنجر، ففي سنة 595هـ/ 1101م قبيل عودته من بغداد إلى خراسان بعد أن خطب لأخيه محمد بخراسان، طمع قدرخان جبريل ابن عمر حاكم سمرقند في خراسان ليعد سنجر عنها، وبالفعل خرج عليه، لكن سنجر تمكن منه وقتله<sup>(6)</sup> وعين صهره محمد أرسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان على سمرقند، وكان من الأسرة الخانية، وارتفع شأنه ولقب بأرسلان خان، وصاحب بلاد ما وراء النهر، وكان تحت طاعة سنجر المباشرة، فأمره سنجر أكثر من مرة للقضاء على معارضييه من بينها ما حدث سنة 503هـ/ 1109م فدفع أعداءه، وظل أرسلان خان يحكم في بلاد ما وراء النهر بسلام إلا أنه في عام 507هـ/ 1113م حينما أخبر السلطان سنجر أن أرسلان خان يظلم رعاياه فتحرك سنجر بجيشه إلا أن أرسلان خان توسل إليه خوفاً

(1) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص206.

(2) البندارى: تاريخ آل سلجوق، ص283؛ الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح محمد إقبال، بيروت، 1984م، ص78.

(3) أرمنيوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص140.

(4) الحسيني: أخبار الدولة، ص78-80.

(5) أرمنيوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص140.

(6) البندارى: آل سلجوق، ص241.



بالأمير (طمغاج) أكبر أبناء سنجر، وقبل إرسال خان الأرض فعفا عنه سنجر<sup>(1)</sup>، وما لبث أرسلان خان أن طلب عون السلطان سنجر وذلك عندما قتل قاضي سمرقند ورئيسها أحد أبنائه سنة 524هـ/1129م، فتحرك السلطان بجيشه إلى بلاد ما وراء النهر لكن قبل وصوله أحمّد ابن آخر للخان الفتنة، فأرسل إلى السلطان يعرفه أنه قضى على الفتنة، ولم يعد بحاجة إلى عونه فغضب السلطان من ذلك، وبينما هو في الصيد وقع في أسره جماعة مسلحة ادعت أن السلطان أرسلان خان سيرهم لقتل السلطان سنجر<sup>(2)</sup> فهاجم السلطان سمرقند واستباحها وملكها عنوة وقبض على أرسلان خان، وأرسله إلى ابنته زوجة السلطان فبقي عندها إلى أن توفي<sup>(3)</sup> وأقام السلطان سنجر بسمرقند حتى أخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد إلى الأمير (حسن تكين) وعاد إلى خراسان، فما لبث حسن تكين أن مات فملك بعده، محمود بن محمد خان بن سليمان<sup>(4)</sup>. ولما انتصر القرخطائيون على السلطان سنجر في موقعة قطوان سنة (536هـ/1141م) انتقل النفوذ في بلاد ما وراء النهر إلى الخطا<sup>(5)</sup> وكان لانتصار الخطا على السلطان سنجر أثر كبير في تاريخ الدولة السلجوقية جعلت الخطا يوسعون نفوذهم في بلاد ما وراء النهر، ووقعت في أيديهم سمرقند وبخارى<sup>(6)</sup>، وتعهد الخانيون بدفع إتاوة لملوك الخطا، وكان ذلك خطراً جسيماً على الدولة الإسلامية، واستمرت دولتهم حتى سنة 609هـ/1212م حينما قضى عليها الخوارزميون<sup>(1)</sup>.

(1) محمد محمود إدريس: السلطان سنجر السلجوقي، القاهرة، 1988م، ص32.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص253؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج4، تهذيب وتلخيص عباس زرياب، تهران، 1373هـ، ص683؛ محمد محمود إدريس: السلطان سنجر، ص56.

(3) الرواندي: راحة الصدور، ص257.

(4) ابن خلدون: العبر، ج4، ص473.

(5) شرين بياني: دين دولت در ايران عهد مغول، جلد أول، تهران، 1373هـ، ص67.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص253.

(1) أحمد ناجي العتيبي: عطار نامہ، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1978م، ص16.

• بلاد ما وراء النهر في العصر السلجوقي 429-590هـ / 1037-1193م:

يعتبر عصر السلاجقة عصرًا ذهبيًا في المشرق الإسلامي، إذ جرى فيه توحيد أغلب المناطق والدويلات تحت سلطنة واحدة، بعد أن كانت مجزأة وكان للسلاجقة فضل عظيم في حماية الدين الإسلامي، لاعتناقهم الإسلام على المذهب الحنفي السني - مذهب الخلافة العباسية فأصبحوا قوة مدافعة عنه وعن الخلافة الضعيفة<sup>(1)</sup>. ويجمع معظم المؤرخين على أن السلاجقة يرجع أصلهم إلى الأتراك الغز الذين ظهوروا في التاريخ كمجموعة تابعة للإمبراطورية التركية في القرن السادس الميلادي<sup>(2)</sup> والسلاجقة أحد فروع هذه القبائل التركمانية الغزية<sup>(3)</sup> وتعرف قبيلتهم باسم (قنق) ويرسمها محمود الكشغري<sup>(4)</sup> في ديوانه عن الترك (قينيقي)<sup>(5)</sup> وهي إحدى قبائل الغز الأربعة والعشرين<sup>(1)</sup> وكان الموطن الأصلي لهذه القبائل هي آسيا الوسطى حيث عاشت قبائل الغز في الصحراء الواسعة التي تبدأ عند حدود الصين وتمتد حتى شواطئ بحر الخرز<sup>(2)</sup>.

(1) سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار القلم، بيروت، (د. ت)، ص163.

(2) حمد الله المستوفي: تاريخ كزیده، ص432؛ عبدالمنعم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، النهضة المصرية، القاهرة، 1959م، ص16.

(3) القبائل التركمانية، من الأتراك الذي ينتهي إليهم الغز، وكلمة تركمان مجهولة الأصل والمنشأ ويقال إنها ذات أصل فارسي (ترك ما نبذه) أي أشباه الترك أو ترك كردي أي الترك والابتعاد، بارنولد: تاريخ الترك، ص105؛ عبدالنعم حسانين: قاموس الفارسية، دار الكتاب المصرية واللبنانية، القاهرة، بيروت، 1982م، ص179.

(4) الكشغري هو (محمود بن الحسين بن محمد) مؤلف كتاب (ديوان لغات الترك) ومن أكثر المصنفين المسلمين الذين أفاضوا في ذكر وكتابة تاريخ القبائل التركية، ومواطنها وعاداتها ولهجاتها، وألف ديواناً عن الترك ذكر فيه أنه كان هناك عشرون شعباً تركياً منذ الأزل انقسموا إلى قسمين شماليين وجنوبيين، ولقد أنهى الكشغري ديوانه هذا سنة 466هـ / 1073م وهذا يعني أنه أتم كتابه على عهد السلطان ألب أرسلان 455 - 465هـ / 1063 - 1072م وكان أول معجم تركي عربي يتحدث عن الترك باستفاضة، فلقد تجول محمود الكشغري في كل الأقاليم والمقاطعات التركية وجمع في كتابه لغات الأقوام التركية وتواريخهم، وطرفاتهم وأساطيرهم وأمثالهم، وعلى هذا أعتبر كتابه موسوعة زاخرة بالمعرفة، ويرجع نسبه إلى الأتراك القراخانية، وكانت الغاية من هذا الكتاب هو تعليم اللغة التركية لأبناء العربية، وأعلى فيه من شأن الأتراك، وقدمه إلى الخليفة العباس المقتدي بأمر الله 467 - 487هـ / 1075 - 1094م في بغداد وجمع فيه سبعة آلاف وخمسمائة كلمة تركية كما توجد به كلمات عربية وأخرى فارسية، والكشغري أول من كتب التركية بالخط العربي حيث طوع التركية للخط العربي، ينظر: سنية مصطفى حسن، محمود الكاشغري وكتابه (ديوان لغات الترك) مقال نشر بمجلة أبحاث المؤتمر الدولي المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر 1993م، ج6، ص99-113.

(5) الكاشغري: ديوان لغات الترك، مجلد أول، أستانبول، 1333هـ، ص238-282.

(1) محمد عبدالعظيم يوسف: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط2، دار عين، القاهرة، 2003م، ص30.

(2) فامبرى: تاريخ بخارى، ص127، أي في منطقة مصب نهر سيجون في جنوب بحيرة خوارزم، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص193.

وكانت هذه الشعوب، شعوب رعوية، ورجال حرب، في حوزتهم كثير من السلاح يرحلون في الشتاء، والصيف من مكان لآخر طلباً للمرعى حسب الطقس الملائم<sup>(1)</sup> وحتى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كانت قبائل الغز تابعة لإمبراطورية الخزر<sup>(2)</sup>.

وفي نهاية القرن نفسه قام هؤلاء الغز، بعد أن أصبحت لهم زعامتهم الخاصة بالتحرك غرباً عبر سهول سيبيريا نحو بحر الآرال<sup>(3)</sup> والي الفولجا، وجنوبي روسيا وأغاروا في عهد الخليفة المأمون العباسي 198-218هـ/ 813-833م على أشروسه<sup>(4)</sup> وبدأوا يتحركون إلى الأراضي الإسلامية واستخدمت كلمة تركمان في المصادر العربية، وأخذ هذه القبائل ترحل من موطنها الأصلي أقصى سهول التركستان<sup>(5)</sup> وفي سنة 375هـ/ 985م استقرت هذه القبائل في بلاد ما وراء النهر في موضع قرب بخارى<sup>(6)</sup> وكانوا كثيري العدد، يعتمدون على الخيول في رحيلهم من جهة إلى أخرى<sup>(7)</sup> ثم انساحت هذه القبائل في بلاد ما وراء النهر واستقرت بها وقاربت خراسان التي كان يحكمها الغزنويين<sup>(1)</sup> وينسب السلاجقة إلى جدهم الأعلى سلجوق بن دقاق - أي القوس من الحديد<sup>(2)</sup> والذي جمع هذه القبائل الغزية وأقام بالقرب من سمرقند في مدينة جند التي اعتنق

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص387.

(2) سهيل زكار: المدخل، ص33، والخرز شعب تركي قامت أراضيها فيما بين مجرى الفولجا الأدنى وجبال القوقاز وامتدت حتى نهر جيحون، وخرز بالتركية (البداة) وفي الروسية رذيل الخنزير وفي السلافية (الماعز أو رعاة الماعز)، وفي العربية بمعنى أخزر أي ضيق العين) أو ذي العين المائلة (الحولاء) والتفسير التركي أقرب وكانت لهم حروب طويلة مع المسلمين، ينظر: دنلوب: تاريخ يهود الخزر، ترجمة سهيل زكار، ط، دار الفكر، بيروت، 1987م، ص5-45.

(3) بحر الآرال: هو الذي سماه العرب بحيرة خوارزم، وكانت تجاور بلاد التركمان الغز وكان ضحلاً لا يصلح لحركة السفن، لسترنج: بلدان الخلافة، ص486.

(4) بارتولد: تركستان، ص280.

(5) الرواندي: راحة الصدور، ص145.

(6) لسترنج: بلدان الخلافة، ص504.

(7) الرواندي: راحة الصدور، ص145؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص106، 107.

(1) سهيل زكار: المدخل، ص20.

(2) الحسيني: زبدة التواريخ، ص23؛ ابن الأثير: الكامل، ج9، ص169.

فيها سلجوق الدين الإسلامي على المذهب الحنفي وسعد سلجوق وأتباعه بالدين الجديد<sup>(1)</sup> وجاوروا السامانيين والخانيين<sup>(2)</sup>. ودخل السلاجقة في حروب طويلة مع السامانيين والقراخانيين بعد أن وحدهم سلجوق بن دقاق وكانوا جاهزين لتقديم خدماتهم لمن يطلبها ويدفع أكثر، أو يسمح لهم بالإقامة وتأمين المراعي للماشية<sup>(3)</sup>. وفي مدينة جند توفي الأمير سلجوق بن دقاق<sup>(4)</sup> وقاد أولاده مسيرة السلاجقة بعده ولما زالت الدولة السامانية سنة 389هـ/ 998م ووزعت أراضيها بين القراخانيين والغزنويين<sup>(5)</sup> عمل السلاجقة على الاستفادة من هذا الوضع الجديد، فأخذوا يوسعون رقعة أراضيهم التي ضاقت بهم<sup>(6)</sup>. واستغل السلاجقة صراع الغزنويين مع القراخانيين، وسمح لهم السلطان محمود الغزنوي بالعبور إلى خراسان - ويا ليته ما سمح -، فقد أنهى السلاجقة أملاك الغزنويين في معارك متتالية، واستولوا على عاصمتهم نيسابور سنة 429هـ/ 1037م وأقام بها طغرلبيك أول دولة سلجوقية معلناً ولاءه للخلافة العباسية<sup>(7)</sup> ليكسب حكمه صفة الشرعية أمام المسلمين وتلقب السلطان طغرلبيك بالسلطان الأعظم وهزم السلطان مسعود الغزنوي هزيمة منكرة في داندانقان سنة 431هـ/ 1040م<sup>(1)</sup> والتي أنهت الصراع بين الجانبين، وكانت الضربة القاصمة للحكم الغزنوي في خراسان<sup>(2)</sup>. وكانت موقعة داندانقان هي التاريخ الحقيقي للسلاجقة فهي من كبرى المعارك في تاريخهم، بعدها أقيمت سلطنة سلجوقية واسعة، والتي كان لطرغلبك شرف

(1) محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص30، 31.

(2) حسن محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص180؛ عصام عبدالرؤوف الفقي: الدول الإسلامية في المشرق، دار الفكر العربي، 1987م، ص44؛ محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص37.

(3) فامبرى: تاريخ بخارى، ص228؛ أحمد معوض: أضواء، ص35.

(4) اليرذي: العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق عبدالنعيم حسانين، وحسين أمين، جامعة بغداد، 1979م، ص20.

(5) الحسيني: أخبار الدولة، ص2.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص164.

(7) للمزيد ينظر: محمد عبدالعظيم يوسف: طغرلبيك وتأسيس الدولة السلجوقية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، 1991م.

(1) داندانقان: بلدة من نواحي مرو الشاهجان على بعد عشرة فراسخ منها في الصحراء تقع بين سرخس ومرو أي على بعد 60كم2 من مرو تقريباً، ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص610.

(2) محمد عبدالعظيم يوسف: السلاجقة، ص52.

تأسيسها<sup>(1)</sup> والذي وحد وجمع كلمة السلاجقة وعين إخوته قادة وولاة وضم كل خراسان فزادت قوته<sup>(2)</sup> وبدأ بالاتصال بالخليفة العباسي القائم بأمر الله (422-467هـ / 1030-1074م) الذي كان في أشد الحاجة لقوة تحميه من خطر البويهيين والفواطم الشيعة<sup>(3)</sup> وفي سنة 446هـ / 1054م تلقى طغرلبيك ولاء الحكام فيما وراء النهر<sup>(4)</sup> وكون طغرلبيك دولة من أقوى الدول في المشرق الإسلامي، وفي سنة 447هـ / 1055م دخل طغرلبيك بغداد وأعد عدته للقضاء على البويهيين الشيعة عندما استدعاه الخليفة القائم بأمر الله وقد حقق غرضه وقبض على الملك الرحيم البويهي آخر ملوك بنو بويه في بغداد وعلى كبار أمراء الجند، وأرسله مقيداً إلى قلعة طبرك بالري، وظل هناك حتى توفي سنة 480هـ / 1058م<sup>(5)</sup> وبموته يسدل الستار على الدولة البويهية، لتحل محلها دولة تركية جديدة تتحكم في مصير الخلفاء العباسيين هي دولة الأتراك السلاجقة<sup>(6)</sup>. وأخذ طغرلبيك ثورة أبي الحارث أرسلان البساسيري سنة 450هـ / 1058م<sup>(7)</sup> الذي حوّل بغداد إلى عاصمة فاطمية شيعية لمدة عام حيث خطب باسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ونهب بغداد، وقتل آلاف من سكانها واضطر الخليفة القائم العباسي إلى تركها، ولم يكتف البساسيري بإسقاط الدعوة للخليفة العباسي، وإقامتها للمستنصر بالله الفاطمي فقط، بل أرغم الخليفة القائم بأمر الله العباسي، على كتابة عهد اعترف فيه بأنه لا حق لبني العباس، في

(1) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص193.

(2) الرواندي: راحة الصدور، ص164، 165.

(3) عبدالنعم حسانين: سلاجقة إيران، ص31، 32.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص224؛ أحمد معوض: أضواء، ص62.

(5) الرواندي: راحة الصدور، ص169، 170؛ ابن الأثير: الكامل، ج9، ص213.

(6) حسين أمين: تاريخ العراق، ص61؛ محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص68.

(7) البساسيري: هو أبو الحارث أرسلان بن عبدالله البساسيري التركي، وقيل أبو منصور البساسيري مقدم الأتراك ببغداد، والبساسيري بفتح الباء والسين المهملة، نسبة إلى بلدة فارس اسمها (بسا) والعرب تسميها (فسا) والنسبة إليها بالعربية "فسو" ويقال لها بالفارسية ببساسيري، وكان مولداً لرجل من أهل فسا فنسب إليه فاشتهر بالبساسيري وتدرج في المناصب حتى أصبح من كبار قواد الجيش العباسي في بغداد، فعظم شأنه وقويت شوكته وانتشر ذكره، وتبهرته العرب والعجم فجبى الأموال وخرب الضياع، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج9، القاهرة، 1911م، ص399-401؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص163.

الخلافة، مع وجود بني فاطمة الزهراء (عليها السلام) ثم بعث بهذا العهد إلى القاهرة حيث ظل محفوظاً بقصر الخلافة الفاطمية حتى استولى صلاح الدين الأيوبي على محتوياته سنة 567هـ/1171م<sup>(1)</sup> وأرسل البساسيري إلى الخليفة الفاطمي المستنصر ثوب الخليفة القائم العباسي وعمامته<sup>(2)</sup> ونجح السلطان طغرلبيك في قتل البساسيري سنة 451هـ/1059م، ودخل الخليفة العباسي القائم بغداد مرة أخرى دخول الفاتحين ومعه السلطان طغرلبيك بعد عام كامل من خروج الخليفة منها<sup>(3)</sup>.

وهكذا أصبح طغرلبيك هو سيد الموقف بلا منازع وزاد نفوذ السلاجقة، وبسط طغرلبيك سلطانه على العراق حيث أقام نظاماً جديداً للحكم في بغداد اتبعه معظم سلاطين السلاجقة من بعده، وهو الفصل بين سياسة الخليفة وسلطانه الروحي، وبين السلطات في المدينة، ومنذ ذلك العهد استقر الأمر في بغداد، على أن الخلفاء هم القادة الروحيون بينما سلاطين السلاجقة هم الحكام الفعليون المدنيون وصارت هذه الثنائية أمر مقررًا معترفًا به في الوضع الدستوري الإسلامي<sup>(4)</sup>. وأنزوى الخليفة العباسي في قصره، وفوض الأمر كله إلى السلطان طغرلبيك<sup>(5)</sup> وبلغت به الجرأة أنه أقدم سنة 454هـ/1062م على طلب الزواج من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله<sup>(1)</sup> ووافق الخليفة مضطراً، وتوفي طغرلبيك سنة 455هـ/1063م فلم ينعم بعروسه الهاشمية، وكان عقيماً لا ينجب<sup>(2)</sup> ولكنه ترك دولة قوية راسخة الأركان، ثابتة البنیان، أخذت في

(1) المقرئبي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزيران، بولاق، القاهرة، 1270هـ، ج1، ص439.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ط، دار الكتب المصرية، 1929 - 1933م، ص128.

(3) الحسيني: أخبار الدولة، ص21؛ ابن الأثير: الكامل، ج9، ص227؛ سهيل زكار: المدخل، ص119.

(4) أحمد معوض: أضواء، ص68.

(5) ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص181، 182؛ ابن الأثير: الكامل، ج9، ص264، 265.

(1) الرواندي: راحة الصدور، ص176؛ الحسيني: أخبار، ص21، 22؛ البنداري: آل سلجوق، ص27؛ فتحي أبو سيف: المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي، الأنجلو المصرية، بدون، ت، ص75-82؛ ويختلف الرواندي عن أغلب المؤرخين فيرى أن المصاهرة لم تكن مع ابنة الخليفة بل مع أخته وهذا غير صحيح.

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص210؛ البنداري: آل سلجوق، ص21.

النماء والازدهار وبلغت أقصى اتساعها في غضون عقدين من الزمان بعده، فصار يرهبها الأعداء، ويخطب ودها الكبير والصغير ويسطت قبضتها على المشرق والمغرب<sup>(1)</sup>.

وتولى بعده ابن أخيه السلطان ألب أرسلان سنة 455-465هـ/1063-1072م يسانده وزير قدير لا نظير له هو نظام الملك الطوسي الذي حسم له مشكلة العرش وخلصه من كل الثورات التي قامت ضده في بداية حكمه، وكان من أفضل الوزراء الذين أنجبهم الإسلام<sup>(2)</sup>.

وحدد ألب أرسلان مع وزيره نظام الملك الطوسي، سياسة الدولة السلجوقية التي كانت تتلخص في بسط نفوذ السلاجقة على مساحات أوسع، وتأمين ما بأيديهم من أراض، ونشر الإسلام في الممالك النصرانية المجاورة، كبلاد الأرمن والروم، الأمر الذي أكسب السلاجقة وحروبهم صبغة وطابع الجهاد الديني<sup>(3)</sup>. ففي سنة 457هـ/1065م سار ألب أرسلان إلى مدينة "جند" معقل الأسرة السلجوقية فيها قبر جدهم الأعلى سلجوق بن دقاق، فاستقبله أميرها، وهاداه وفوض إليه حكمها<sup>(4)</sup>. ورأى الوزير نظام الملك في عهد السلطان ألب أرسلان أن السياسة إلى تنفع في معاملة الدولة الخانية في سمرقند، وخير وسيلة لذلك هي ربط الدولتين برباط المصاهرة، فزوج السلطان ملكشاه ابنه بابنة خاقان ما وراء النهر وبذلك ارتبطت الدولتان برباط المصاهرة التي ساعدت قليلاً على استقرار العلاقات بين الدولة السلجوقية وخانات ما وراء النهر في عهدي ألب أرسلان وملكشاه<sup>(1)</sup> وعقدت مصاهرة ثانية دعمت ذلك الاستقرار إلى حد ما، إذ تزوج شمس الملك بن إبراهيم طمغاخ خان بابنة السلطان ألب أرسلان<sup>(2)</sup>.

(1) محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص77.

(2) عبدالنعيم حسانيين: إيران والعراق، ص57.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج10، ص28؛ عبدالنعيم حسانيين: إيران والعراق، ص58، 59.

(4) الحسيني: أخبار الدولة، ص41، 42؛ ابن الأثير: الكامل، ج10، ص18، 19.

(1) فتحي أبو سيف: المصاهرات السياسية، ص152.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص141؛ فتحي أبو سيف: المصاهرات، ص152، 153.

وفي أوائل سنة 465هـ / 1072م سار ألب أرسلان إلى بلاد ما وراء النهر، فوصل جيحون على رأس جيش تعداده مائتا ألف فارس، حيث عبر نهر جيحون، يريد محاربة أحد الخارجين عليه إثر فتنة ظهرت في بلاد ما وراء النهر حيث أصهاره الخانيون، حيث ساءت العلاقات بينه وبينهم بعد وفاة (طمغاخ خان) والد زوجة ابنه ملكشاه سنة 460هـ / 1067م، فقد حاول ابنه (شمس الدين نصر) أن يستقل عن السلاجقة مما اضطر السلطان إلى التوجه إليه واستطاع فعلاً حصار كثير من القلاع وفتحها<sup>(1)</sup>.

وهاجم ألب أرسلان إحدى القلاع المتمردة، وهي قلعة خوارزم، واستولى عليها، وقبض على قائدها المسمى (يوسف الخوارزمي) أو يوسف البرزمي كما كانت تسمى به القلعة<sup>(2)</sup> وجلبوا هذا الأسير إليه، وأوثقوه بالحبال، وشتم هذا الأسير السلطان ألب أرسلان<sup>(3)</sup> بأقبح الكلمات فصم السلطان على قتله بنفسه، ولكن سهمه أخطأ لأول مرة فهجم عليه الأسير فضربه في خصرته<sup>(4)</sup> بسكين كان يخفيها في ملبسه، ولم يستطع أحد من الحراس التدخل بسرعة لضرب الأسير<sup>(5)</sup> وبعدها بأربعة أيام مات السلطان ألب أرسلان<sup>(6)</sup> ودفن في مدينة مرو بجوار أبيه، وعمه طغرلبيك بعد أن حكم تسعة أعوام ونصف تقريباً<sup>(1)</sup>. وليس من شك أن ألب أرسلان قد استطاع أن يوطد دعائم دولة السلاجقة ويوسع رقعتها حتى امتدت إلى أقاصي بلاد ما وراء النهر وأقاصي الشام وآسيا الصغرى وأجبر البيزنطيين على دفع جزية سنوية للسلاجقة<sup>(2)</sup>.

---

(1) إقبال: إيران بعد الإسلام، ص 248.

(2) وفي الرواندي: راحة الصدور، ص 188؛ ترزمي، البنداري: آل سلجوق، ص 47.

(3) البنداري: آل سلجوق، ص 47؛ براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي، ص 224.

(4) الحسيني: أخبار الدولة، ص 54.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج 10، ص 20.

(6) تمكن فارس أرمني من قتل يوسف الخوارزمي بمرزبة كان يحملها فضربه على رأسه فقتله حسب رواية ابن الأثير: الكامل، ج 10، ص 194.

(1) البنداري: آل سلجوق، ص 49.

(2) حسنين: إيران والعراق، ص 72.



وخلفه ابنه السلطان ملكشاه 465-485هـ/ 1072-1092م وأبقى على الوزير القدير نظام الملك، وبلغت الدولة السلجوقية في عهده أقصى اتساع لها وقوة وازدهار واستغل حكام ما وراء النهر فترة عدم الاستقرار التي أعقبت وفاة السلطان ألب أرسلان وتولى ملكشاه السلطنة، فتمردوا عليه، وخلعوا طاعته، فعزم على تأديبهم<sup>(1)</sup>.

فتوجه في المحرم سنة 467هـ/ 1074م إلى بلخ بعد شكوى أهلها إليه من والي ترمذ الخاقان شمس الملك، واستطاع ملكشاه، بمساندة وزيره نظام الملك استرداد قلعة (ترمذ) وبلخ إلى ملكه<sup>(2)</sup>. وفي سنة 470هـ/ 1077م استقل والي خوارزم بها، ولكن السلطان ملكشاه أجبره على الدخول في طاعته<sup>(3)</sup> كما أتم فتح بخارى وسمرقند سنة 482هـ/ 1090م ومعه وزيره نظام الملك بعد أن شكاه له علماءها من ظلم واليها<sup>(4)</sup>.

ولكن وفاة السلطان ملكشاه سنة 485هـ/ 1092م ومن قبله وزيره القدير نظام الملك الطوسي بثلاث أشهر فقط من العام نفسه، أدى إلى انفراط عقد الدولة السلجوقية وتمزقت وحدتها وقوتها وانتهى العصر السلجوقي الأول الذي عرف بعصر السلاطين العظام، وكثر النزاع بين أفراد البيت السلجوقي وفقد البيت السلجوقي سطوته وهيبته، وانشغل بمشكلاته الداخلية<sup>(5)</sup>.

ونال بلاد ما وراء النهر كما مر بنا عند الحديث عن القراخانيين نصيبها من المتاعب رغم جهود السلطان سنجر في توحيد الدولة السلجوقية ولكنه فشل، وانتهى الوجود السلجوقي في إقليم ما وراء النهر كما انتهى الوجود القراخاني على يد دولة تركية جديدة هي دولة الأتراك الخوارزميين كما مهد ذلك لظهور دولة تركية أخرى وثنية هي دولة الخطا.

(1) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص397؛ إدريس: تاريخ العراق، ص146.

(2) الحسيني: أخبار الدولة، ص64، 65؛ ابن الأثير: الكامل، ج8، ص395.

(3) البنداري: آل سلجوق، ص57، 58.

(4) عبدالنعيم حسانيين، ص68.

(5) إدريس: تاريخ العراق، ص158؛ محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص111.

## • إقليم ما وراء النهر في ظل حكم الخطا:

الخطا قبائل تركية كانت تسكن شمال شرق إيران في عهد السلاجقة، وكانوا من الوثنيين -الأتراك الشرقيين- واستطاعت هذه القبائل أن تثبت أقدامها في هذه المنطقة وأن تؤسس لها دولة حوالي سنة 518هـ/ 1124م<sup>(1)</sup> على يد "لوتاشي" عرفت بدولة الخطا<sup>(2)</sup> بينما أطلق عليها المغول اسم (القره خطائين)<sup>(3)</sup> وكان يطلق على ملوكها لقب كرخان<sup>(4)</sup> واتخذت لها عاصمة هي مدينة بلا ساغون<sup>(5)</sup>.

أما عن أصل هؤلاء الخطا منهم من شمال الصين، ويرجع سبب هجرة هذه القبائل من موطنهم الأصلي من شمال الصين إلى اضطراب الأحوال السياسية في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فساروا إلى أن نزلوا بإقليم التركستان<sup>(6)</sup> وعظم نفوذ هذه الدولة حتى أخضعت القبائل التركية التي كانت تعرف باسم قرغيز، ثم أخذت الإغارة على البلاد الإسلامية عام 531هـ/ 1136م<sup>(7)</sup> وسلخوا طريق ما وراء النهر، فتقدم إليهم الخاقان (محمود بن أرسلان) لكنه هزم، وركن إلى الفرار إلى سمرقند، وعم البلاد فزع عظيم فأرسل أهل بلاد ما وراء النهر الخان محمود إلى السلطان سنجر وطلبوا عونه لدفع الكوخان القره خطائي<sup>(1)</sup> فتوجه السلطان سنجر لملاقاة الخطا ومعه مائة ألف مقاتل وشيخ الإسلام "الحسام عمر بن عبدالعزيز بن مازة" وفي صحبته عدد من الفقهاء والخطباء والوعاظ والمطوعة ما يزيد على عشرة آلاف

(1) حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص 611.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص 268.

(3) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953م، ص 36.

(4) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي، ص 612.

(5) بلا ساغون: مدينة كبيرة من ثغور الترك قرب كاشغر في شمال نهر سيحون، ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص 513.

(6) فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، 1970م، ص 22-32.

(7) البنداري: آل سلجوق، ص 253؛ النسوي: سيرة السلطان، ص 36.

(1) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص 107؛ ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات، دار إيران، جلد دوم، جاب دروازدهم، تهران، 1372هـ، ص 91.

نفر<sup>(1)</sup> ولما أحس هؤلاء بقوة السلطان سنجر أرسلوا إليه يعتذرون ويتعهدون بالطاعة والخضوع له، لكنه صمم على استئصالهم<sup>(2)</sup>.

وقاد ملك الخطا كورخان الجيوش من ثلاثمائة ألف فارس<sup>(3)</sup> وتقابل السلطان سنجر وإياهم في قطوان على بعد خمسة فراسخ من سمرقند، ودارت بين الطرفين معركة طاحنة، وذلك في وادي "ورغم" من 536هـ/ 1141م<sup>(4)</sup> فألحق بجيش السلطان سنجر هزيمة منكرة<sup>(5)</sup> فهرب السلطان سنجر والخابان محمود، ووقعت زوجة ابنه أرسلان خان والأمير قماج أسرى<sup>(6)</sup> وأسر القاضي الحسام وأعيان الفقهاء، وبعد انتهاء المعركة أحضرهم ملك الخطا وقال لهم (ما الذي دعاكم إلى قتال من لم يقااتكم والإضرار بمن لم يضركم) وضرب أعناق الجميع<sup>(7)</sup>. وكان لانتصار الخطا على السلطان سنجر أثر كبير في تاريخ الدولة السلجوقية، جعلت الخطا يوسعون نفوذهم في بلاد ما وراء النهر ووقعت في أيديهم سمرقند<sup>(8)</sup> وتعهد الخانيون بدفع إتاوة لملوك الخطا<sup>(9)</sup> وكان ذلك خطراً جسيماً على الدولة الإسلامية، واستمرت دولتهم حتى سنة 609هـ/ 1212م حينما قضى عليها السلطان علاء الدين خوارزمشاه. كما كان من نتائج هزيمة السلطان سنجر في تلك المعركة أن تجرأ عليه حكام الدولة الخوارزمية، ومنذ ذلك الوقت أخذ نجم السلاجقة يأفل تدريجياً حتى تم سقوطها نهائياً على يد الخوارزمية سنة 590هـ/ 1194م<sup>(1)</sup>.

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص268.

(2) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي، ص612.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج3، بيروت، 1993م، ص375.

(4) البنداري: آل سلجوق، ص179؛ كرمان: سلجوقيان وغزير كرمان، تعليق باستاني باريزي، تهران، 1373هـ، ص274.

(5) دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبدالمنعم حمد حسانين، ط2، القاهرة، 1985م، ص61.

(6) ابن الجوزي: المنتظم، ج10، ص97.

(7) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص95.

(8) المقرئ: السلوك، ج1، ص145.

(9) اليافعي: مرآة الجنان، ج3، ص276.

(1) حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية، بغداد، 1965م، ص86.

وتعتبر الفترة من النصف الثاني من القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري من أحلك فترات التاريخ الإسلامي بوجه عام وتاريخ إقليم ما وراء النهر بوجه خاص لما يكتفيها من غموض وأحداث جسيمة هزت العالم الإسلامي ففيها سقطت الدولة السلجوقية، وانتهت سيادتها على بلاد ما وراء النهر ثم خضوع هذه البلاد لسيادة حكام وثنين<sup>(1)</sup>.

وظلت بلاد ما وراء النهر تغوص في بحر من الاضطرابات والنزاعات نتيجة للنزاع بين الحكام القراخانيين والأترك الفارغلية، ففي سنة 551هـ / 1155م، قتل الأترك الفارغلية "طمغاج خان إبراهيم بن أرسلان خان محمد" حاكم سمرقند وألقوه في الصحراء<sup>(2)</sup> وخلفه "جغري خان جلال الدين علي بن حسين تكين" الذي عمل على إجلائهم من سمرقند وبخارى إلى كاشغر، وإلزامهم الفلاحة ومجانبة حمل السلاح، وذلك بناء على أوامر ملك الخطا سنة 559هـ / 1163م فاقتمعوا واجتمعوا لحربه وسار الخان إلى بخارى وقطع دابره وأجلاهم عن نواحي سمرقند<sup>(3)</sup>.

وكان الخطا قد أبقوا على القراخانيين في حكم إقليم ما وراء النهر واكتفوا بأخذ الإتاوة منهم ونصبوا شحنة<sup>(4)</sup> من قبلهم في بلاطهم<sup>(5)</sup> ومنذ سيطرة الخطا على بلاد ما وراء النهر أصبحوا يجاورون ممالك الدولة الخوارزمية، وكان السلطان أتسز خوارزمشاه (ت 553هـ / 1158م) يتجنبهم ويخشى الاحتكاك بهم، فقبل أن يدفع لهم إتاوة سنوية، حتى لا يتعرضوا له بسوء، وظل

---

(1) ميرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص 59.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص 401.

(3) الحسيني: زبدة التواريخ، ص 263؛ ابن خلدون: العبر، ج4، ص 476.

(4) الشحنة: من المناصب التي استحدثها السلاجقة في بغداد وغيرها ويعين صاحبها من قبل السلطان السلجوقي ويتمتع شاغلها بسلطات بوليسية وإدارية وحربية، فهو المسؤول عن إدارة المدينة، والمحافظة على أمنها واستقرارها، وملاحقة الخارجين على النظام، وهي تشبه وظيفة حكامدار المدينة أو مدير أمنها في وقتنا الحاضر، ينظر: حسين أمين: نظم الحكم، ص 201، 202؛ محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص 301، 302.

(5) ابن خلدون: العبر، ج4، ص 477.

هذا الإجراء متبعاً، برغم محاولات بعض سلاطين الخوارزميين للتخلص من تلك التبعية، لكن السلطان محمد خوارزمشاه أبي الاستمرار في سياسة التبعية للملك الوثني<sup>(1)</sup>.

ليتحمل الخوارزميون مسؤولية إقليم ما وراء النهر الذي أقاموا فيه دولتهم.

#### • إقليم ما وراء النهر في عهد الدولة الخوارزمية 551-629هـ/1156-1231م:

قامت الدولة الخوارزمية في إقليم خوارزم بعد صراع طويل مع السلاجقة وانتهى ذلك بقضاء السلطان (تكش)<sup>(2)</sup> الخوارزمي (589-596هـ/1193-1199م) على آخر سلاطين السلاجقة<sup>(3)</sup> وكانت الدولة الخوارزمية إحدى الدول التركية التي دخلت في صراع طويل مع الخلافة العباسية تارة ومع السلاجقة تارة أخرى، إلا أنهم استطاعوا توسيع دولتهم حتى شملت أقاليم ما وراء النهر<sup>(4)</sup>. وتنسب الدولة الخوارزمية إلى مؤسسها أنوشتكين، وكان أحد سقاة البلاط السلجوقي، أيام ملكشاه<sup>(5)</sup> وأظهر كفاءة منقطعة النظير فكافأه السلطان ملكشاه وأعطاه خوارزم سنة 470هـ/1077م<sup>(6)</sup> وخلفه ابنه محمد بن أنوشتكين، وصار حاكماً ووالياً على خوارزم بأمر السلطان سنجر بن ملكشاه، وأطلق عليه اسم خوارزمشاه ولقبه بقطب الدين وذلك سنة 490هـ/1096م وكان يباليغ في خدمة السلاجقة، ومكث ثلاثين عاماً والياً على خوارزم إلى أن مات سنة 521هـ/1127م، وصار منصبه من هذا الوقت فصاعداً وراثياً في أسرة قطب الدين محمد بن

(1) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص403.

(2) بالكسرة لفظ تركي قديم يعني قتال أو حصار أو موقعة، وهو تكش بن أيل أرسلان بن أئسز بن محمد ابن أشتكين، السلطان الخوارزمي الذي أذل دولة بني سلجوق، ووسع رقعة الدولة الخوارزمية، ينظر: أبو الفداء: المختصر، ج3، ص53؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج4، ص324؛ فامبرى: تاريخ بخارى، ص150.

(3) كان طغري الصغير (571-590هـ/1175-1193م) هو آخر سلاطين السلاجقة، وهو ابن السلطان أرسلان طغرل ابن محمد بن ملكشاه، ولكنه لم يكن عظيماً كوالده، بل كان سيئ التدبير، فشغل بالأفس والطرب، فاستغل تكش الخوارزمي هذه الفرصة، وخلع على نفسه لقب السلطنة، ثم دخل معركة ضده بالقرب من البري واستطاع قتل طغرل الصغير والقضاء على آخر السلاطين السلاجقة، البندارى: آل سلجوق، ص430؛ فامبرى: تاريخ بخارى، ص151.

(4) فامبرى: تاريخ بخارى، ص153.

(5) حمد الله مستوفي القزويني: تاريخ كزیده، ص176.

(6) فؤاد الصياد: المغول، ص61.

أنوشتكين ثم تولى الأمير أئسز بن محمد حكم خوارزم بعد والده بأمر السلطان سنجر، وكان أول من أظهر الميل إلى الاستقلال عن الدولة السلجوقية، ولكن ثورته التي أشعلها سنة 533هـ/1138م فشلت وقضى عليها السلطان سنجر، ولكنه عاود بعد ذلك الثورة واستطاع أن يمد نفوذه حتى (جند) الواقعة على نهر سيحون، ثم تولى بعد أبناؤه وأحفاده حتى وصل الأمر إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه الذي استولى على بلاد ما وراء النهر منذ سنة 596-617هـ/119-1220م<sup>(1)</sup> وكان قد تولى بعد والده علاء الدين تكش وسار على نهجه في محاربة الأعداء الغورين والخلافة العباسية والدولة القراخانية<sup>(2)</sup>.

وترجع تبعية الخوارزميين لدولة القره ختائين إلى أكثر من نصف قرن عندما تمكنوا من الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، واستخلاصه لهم، وانفرادهم بإدارته بعد انتصارهم على السلطان سنجر السلجوقي كما سبق ذكره، وتمكن السلطان أئسز خوارزمشاه عدو سنجر اللدود وحليف الكورخان القره ختائي أن يستقل بحكم تلك البلاد على أن يدفع مقابل ذلك مبلغ ثلاثين ألف دينار ذهباً، وأن يقدم أيضاً ما يحتاجه كورخان من خيل وجنود، واستمر هذا الاتفاق ساري المفعول حتى عصر السلطان علاء الدين خوارزمشاه<sup>(3)</sup>.

ووضع السلطان علاء الدين خوارزمشاه خطة استغرقت عشر سنوات، أستطاع خلالها تقوية جيشه، وتصفية أعدائه ومناوئيه في الداخل، وترقب الفرصة لتنفيذ سياسة تجاه القره ختائين إلى أن كان عام (604هـ/1207م) الذي يعد بداية الصراع الفعلي بين الخوارزميين والقره ختائين، شجعه على انتهاج هذه السياسة ما كان يأتيه من (عثمان خان) حاكم سمرقند

---

(1) هو السلطان علاء الدين محمد بن تكش بن أيل أرسلان ابن أئسز بن محمد بن أنوشتكين خوارزمشاه الذي هزم أمراء الهند (الغور) ودولة الخطا، وغزا ما وراء النهر وضم بعدها بلاداً كثيرة، وظهر المغول في عهده، وبدوا أشتباكهم معه، واستولوا على بعض بلاده، ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج1، ص333؛ فامبرى: تاريخ بخارى، ص153.

(2) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، القاهرة، 1981م، ص40.

(3) عبدالسلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية، ص20.

من رسائل تحضه على مهاجمة الخطا الكفار، وفيها تعهد صريح منه بأن يكون حليفاً أميناً لخوارزمشاه، وتابعاً مخلصاً له، وأن يدفع له الإتاوة التي كان يدفعها لملك الخطا، ويدعو له على منابر سمرقند<sup>(1)</sup> كما يتبين ذلك من هذه الرسالة "أن الله عز وجل قد أوجب تملكك بما أعطاك من سعة المال وكثرة الجند أن تستنفذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الأموال والأبشار، ونحن نتفق معكم على محاربة الخطا، ونحمل إليك ما تحمله إليهم، ونذكر اسمك في الخطبة والسكة"<sup>(2)</sup>.

وسرعان ما جاءت الفرصة للسلطان محمد خوارزمشاه، ورفض دفع المبالغ المستحقة عليه، فاغتاز ملك الخطا من هذا التصرف، وكان معنى هذا اشتعال الحرب بين الفريقين<sup>(3)</sup> وبالفعل تجهز خوارزمشاه لقتال الخطا سنة 606هـ/ 1209م وجمع عسكره وعبر نهر جيحون والتقى بالخطا، وكانت ملحمة عظيمة انهزم فيها الخطا وقتل منهم خلق كثير<sup>(4)</sup> ثم قصد محمد خوارزمشاه بلاد ما وراء النهر فملكها مدينة مدينة وجعل نوابه عليها، وعاد إلى خوارزم ومعه سلطان سمرقند، فزوجه أبنته ورده إلى سمرقند، وبعث معه شحنة وعسكر فأقاموا بسمرقند مدة<sup>(5)</sup>. فرأى من سوء معاملتهم ما جعله يندم على مفارقتها للخطا فأرسل إلى ملك الخطا يدعوه إلى سمرقند ليسلمها له ويعود إلى طاعته، وأمر بقتل الخوارزميين فقتلوا عن آخرهم<sup>(6)</sup> ولما وصل الخبر إلى السلطان محمد خوارزمشاه غضب وأمر عساكره بالاستعداد للتوجه إلى بلاد ما وراء النهر، ونزل سمرقند وأرسل إلى حاكمها بقوله له (إنك فعلت ما لم يفعله أحد، واستحللت دماء المسلمين فاخرج من البلاد) فلم يجب إلى ذلك فأمر السلطان عساكره بالزحف، فزحفوا وأخذوا

(1) عطا ملك الجويني: تاريخ جهانكشاي، ج1، ترجمة محمد التونجي، دار الملاح للطباعة، بيروت، 1985م، ص317.

(2) ملك الجويني: تاريخ جهانكشاي، ص387.

(3) عبدالسلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية، ص41.

(4) الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج2، بيروت، 1988م، ص367؛ اليافعي: مرأة الجنان، ج4، ص16.

(5) اليافعي: مرأة الجنان، ج4، ص16، 17.

(6) ابن خلدون: العبر، ج5، ص126.

البلد ونهبوها وقتلوا من وجدوه من أهل سمرقند خلال ثلاثة أيام، ويقال إن جملة القتلى مائتان ألف إنسان، وقتلوا حاكمها<sup>(1)</sup>. وكان السلطان محمد خوارزمشاه قد وقع في خطأ فاحش عندما أزال دولة الخطا، والتي كانت تمثل سداً منيعاً بين بلاد المسلمين وبين التتار، فحين قضى خوارزمشاه على هذه الدولة قضى بالتالي على هذا السد المنيع، وأصبح عاجزاً عن حماية هذه البلاد<sup>(2)</sup> وكان الشرق الإسلامي إبان غزوات المغول في حالة شديدة من الضعف والتخاذل، تضمه مناطق تسودها الفتن والاضطرابات والدسائس، وتتنازع الأهواء، ويسيطر عليه حكام متنازعون متباغضون<sup>(3)</sup>. ورغم محاولات السلطان علاء الدين ثم من بعده جلال الدين منكبرتي (617-628هـ / 1220-1231م) اللذان واجها الزحف المغولي، الذي قضى على دولتهم، وخرّب العالم الإسلامي، ودمر إقليم ما وراء النهر وحضارته، وقضى على كل معالم الفكر والثقافة به<sup>(4)</sup> رغم هذه المحاولات لصدّه نجح المغول في تسويد صفحة ناصعة من تاريخ الإسلام حينما تمكن جنكيز خان وجنوده من الإجهاز على الإقليم كله دفعة واحدة.

ويُعدّ العصر المغولي من أكثر العصور التاريخية إثارة وفزعاً، فحملات المغول المدمرة للحضارة الإسلامية تمثل فترة مهمة من تاريخ البشرية فقد حمل المغول راية الدمار وأعلنوا الخراب وأشعلوا النيران في كل معالم العمران وآثار الحضارة الإسلامية، وطويت صفحة ناصعة من صفحات الحضارة الإسلامية بتاريخها المشرف وتركوها للرمال التي تذروها الرياح ودمرت المدارس والمساجد والمكتبات وتشتت الدارسون ورجال العلم وطلابه، ولكن سبحان الله يتحول الغالب إلى تابع للمغلوب ويتحول المغول إلى الإسلام بعد هزيمتهم في عين جالوت ويصبحوا أشد المدافعين عنه (سبحان الذي يغير ولا يتغير).

(1) فؤاد الصياد: المغول، ص 61.

(2) عباس إقبال: تاريخ إيران، ص 349؛ فؤاد الصياد، المغول، ص 61.

(3) فؤاد الصياد: المغول، ص 61.

(4) حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص 103.



## الفصل الثاني

العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة الفكرية

في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي

1. طبيعة الإقليم وغناه (التفسير البيئي للتاريخ)
2. اهتمام وتشجيع السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء
3. الإسلام والتعريب
4. ظهور نمط الكتابة المحلية (الإقليمية)
5. الصراع المذهبي - السني - السني، السني - الشيعي
6. الرحلات العلمية
7. الأوقاف وأثرها في ازدهار الحياة العلمية
8. العلاقات التركية الصينية وصناعة الورق

تعددت العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة العلمية في إقليم ما وراء النهر في

العصرين السلجوقي والخورزمي، ومن هذه العوامل:

### 1. طبيعة الإقليم (وغناه) "التفسير البيئي للتاريخ":

يعد إقليم ما وراء النهر من أخصب أقاليم الأرض منزلة وأنزهها وأكثرها خيراً، وأهله يرجعون إلى رغبة في الخير واستجابة لمن دعاهم، وفي عامة مساكنهم البساتين والحياض والمياه الجارية، والأشجار الملتفة والثمار الكثيرة، والرياض المتصلة، مما لا يوجد له نظير في كثير من الأمصار<sup>(1)</sup> وليس من الأقاليم إلا ويقط أهله مراراً قبل أن يقط ما وراء النهر<sup>(2)</sup>. يقول المقدسي<sup>(3)</sup> (هو أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء ومعاني الخير ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم وأجل الملوك، وجنده خير الجنود، تري به رساتيق جلييلة، وقرى نفيسة، وأشجاراً ملتفة، وأنهاراً جارية ونعماً ظاهرة، ونواحي واسعة وديناً مستقيماً، وعدلاً مقيماً).

وبضيف الاصطخري<sup>(4)</sup> (وأما مياههم فإنها أعذب المياه، وأخفها قد عمت المياه العذبة حياضهم وضواحيها ومدنها)، ويقول بن حوقل<sup>(5)</sup> (وبلادهم من معادن الحديد ما بفضل عن حاجتهم ويزيد عن تجارتهم، وبها معادن الذهب والفضة والزئبق الذي لا يقاربه في الغزارة والكثرة معدن في سائر بلدان الإسلام، ولم أعلم أن في شيء من بلد الإسلام النوشادر إلا فيما وراء النهر، وليس كنوشادرهم من القوة ولهم الكاغد الذي لا نظير له في الجودة والكثرة ولهم المسك من التبت وخرخيز ويخرج منه الزعفران والأوبار من السمور والسنجاب والثعالب التي يتنافس

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ليدن، ص384.

(2) الاصطخري: مسالك الممالك، تحقيق، د. محمد صابر عبدالعال، القاهرة، 1961م، ص287.

(3) أحسن التقاسيم في معرفة الإقليم، ص360، 361.

(4) مسالك الممالك، ص287.

(5) صورة الأرض، ص384.

الملوك بها، ويحتاجون إليها، ويهدونها<sup>(1)</sup>. وزاد من ثراء إقليم ما وراء النهر والذي أدى إلى ثراء الحياة العلمية بطبيعة الحال، هو وقوعه على أشهر طريق تجاري في العصور الوسطى وهو طريق الحرير العظيم، ذلك الطريق الذي خطه التجار منذ ما يربو على الألفي عام، عندما كانوا ينقلون النفائس بين الشرق والغرب، وهو الطريق الذي سلكه الغزاة والفاثون، كالإسكندر المقدوني والرومان والفرس، وجيوش الفتح الإسلامي وجحافل جنكيز خان وهولاكو وتيمورلنك، وحمل هذا الطريق الدعاة والمبشرين والبوذيين واليهود والمسيحيين والمسلمين، وعليه سار الرحالة العظام أمثال شيان تسونج وابن بطوطة وماركوبولو<sup>(2)</sup> الذين لولاهم ما عرفنا شيئاً من هذا الطريق.

وشهد طريق الحرير أنواعاً شتى من التجارات، وكان الحرير يوماً (ما) أهم سلعة تنقل على هذا الطريق، وخاصة من الصين التي ظلت زمنياً طويلاً تحتفظ بسر تربية دودة القز وصناعة الحرير<sup>(3)</sup> وهكذا كان طريق الحرير هو أقدم خط تجاري يربط أوروبا ببلدان آسيا الوسطى، ماراً بخراسان ثم الشام ثم العراق، وعالم البحر المتوسط والغرب الأوربي<sup>(4)</sup>.

ويعد إقليم خوارزم أول أقاليم ما وراء النهر والذي يقع نصفه في خراسان والنصف الآخر فيما وراء النهر حيث يفصل نهر جيحون بين الأقاليم الناطقة بالفارسية والأقاليم الناطقة بالتركية أي إيران وتوران<sup>(5)</sup> ومن أشهر مدنها الجرجانية (أركنج) التي تقع في الجانب الغربي من النهر، وكاث التي تقع في الجانب الشرقي أي التركي من النهر<sup>(1)</sup>. واشتهر هذا الإقليم بأسواقه العديدة

---

(1) ياقوت: معجم البلدان، ص476-532.

(2) إبيرين فرانك، ديفيد براونستون: طريق الحرير، ص7.

(3) إبيرين فرانك: نفسه، ص8.

(4) إبيرين فرانك: نفسه، ص9.

(5) لي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص476.

(1) لي لسترنج: نفسه، تعرف كاث حالياً باسم شيخ عباس ولي؛ بارتولد: تركستان، ص252.

وأنها كثيرة تشق شوارعها يقول المقدسي<sup>(1)</sup> (أهلها مياسير وأسواقها حافلة بالخيرات والتجارات، وكان أهل كركانج هم أهل الصناعات الدقيقة كالحداثة والنجارة وغيرها، فإنهم يبالغون في التدقيق في صناعاتهم والسكاكون يعملون الآلات من العاج والأبنوس<sup>(2)</sup>)، يقول القزويني (ومن عجائبها زراعة البطيخ الذي لا يوجد مثله في شيء من البلاد حلاوة وطيباً) والذي كان يحمل إلي خراسان والصين وبلاد الخزر.

واشتهرت خوارزم بتجارتها من الطعام والحبوب والفواكه وهي بلاد خصبة يرتفع منها قطن كثير، ومن أغنامها الصوف، وترعى في مراعيها قطعان الماشية، وكان يحمل منها أصناف كثيرة من الجبن واللبن، على أن أهم تجارات خوارزم كانت جلب الرقيق، فقد كانوا يشترون أو يسرقون أولاد وبنات الأتراك من بدو البراري، وبعد أن يعلموهم ويؤدبهم بالآداب الإسلامية، يجلبون منها إلى سائر بلاد الإسلام فكانوا يتولون على ما يروي التاريخ، أجل مناصب الدولة ووظائفها<sup>(3)</sup>. ساعد ذلك على ازدهار الحياة العلمية نظراً لثراء خوارزم التي يصف المقدسي<sup>(4)</sup> علماءها فيقول "وهو بلد نفيس، ذو علماء، وأدباء، ومياسير وخيرات، وتجارات، بنائين حذاق، وقرءاء ليس مثلهم بالعراق، وحسن نغم وجودة قراءة ومنظر وخبر".

أما إقليم الصغد والذي يعد أشهر أقاليم ما وراء النهر والذي يضم أشهر المدن العلمية في بلاد الإسلام وهما بخارى وسمرقند يقول المقدسي عن بخارى (إنه لم يري ولم يسمع في الإسلام عن بلد أحسن مظهراً، وظاهراً من بخارى إذ تحيط بها الخضرة من جميع جوانبها، وهي من أحسن البلدان عمارة وأكثرها حدائق ومنتزهات، وهي معبر الطريق إلى خراسان". وتعتبر بخارى من أقدم المراكز التجارية في آسيا الوسطى فقد كانت سوقاً رئيساً تلتقي فيه تجارة الصين، وآسيا

(1) أحسن التقاسيم، ص 361.

(2) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969م، ص 219.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 386؛ لي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 502.

(4) أحسن التقاسيم، ص 362.

الوسطى، وأوروبا عبر طريق الحرير<sup>(1)</sup> فضلاً عما كان بها من مصانع كبيرة للحرير والديباج والمنسوجات القطنية<sup>(2)</sup> وأجود أنواع الألبسة والمصنوعات القطنية والذهبية، كذلك كانت مركزاً مهماً للصيرفة يستبدل فيه سكان ما وراء النهر سكتهم وعملاتهم بواسطة أهلها حتى أطلق مثل يقول (أشد يقظة من سمسار بخارى)<sup>(3)</sup> وهذا المثل يعبر عن دقة وتمرس أهل بخارى وحرصهم ويقظتهم في استبدال النقود وقدرتهم وتفوقهم في الاشتغال بصناعة المال<sup>(4)</sup>. وكان لموقع بخارى، وتحصينها المميز، واهتمام الحكام بها من السلاجقة والخوارزميين أثره في أن تتبوأ مكانة تجارية كبيرة، وتصبح مركزاً مهماً، فكانت من أنسب المدن التي تقوم بها التجارات، فهي دار الإمارة وكانت أسواقها عامرة ومحالها مفروشة بالآجر، وأسواقها في ريضها<sup>(5)</sup> وهي أقرب مدن ما وراء النهر إلى خراسان ممن كان بها فخراسان أمامه، وما وراء النهر ظهره<sup>(6)</sup> وهي بلد واسع فيه أخلط من الناس التجار من العرب والعجم والترك والصين<sup>(7)</sup>. وكذلك وجدت الأسواق في بخارى التي كانت دائماً في الأرياض، وهي من المراكز التجارية المهمة وأهمها ما كان دائماً على مقربة من الأبواب التي تطل على المسالك القريبة من طريق الحرير، أو على مقربة من دور العبادة والمساجد، حيث يجتمع الناس، وكانت معظم الأسواق مغطاة بالآجر والحجارة<sup>(8)</sup> بعضها تشقها الأنهار مما يسهل وصول البضائع إليها، يقول المقدسي<sup>(1)</sup> (كانت أسواق بخارى واسعة تشبه أسواق الفسطاط) وكانت أسواقها مقسمة إلى حارات صغيرة كل منها مخصص لسعة

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 397.

(2) اليعقوبي: كتاب البلدان، دار إحياء التراث، بيروت، ط، 1988م، ص 59.

(3) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 105 وما بعدها.

(4) محمد عبدالعظيم يوسف: مراكز التجارة في آسيا الوسطى، ص 332.

(5) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 105 وما بعدها.

(6) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 397 والريض هو الناحية.

(7) اليعقوبي: البلدان، ص 59.

(8) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 387.

(1) أحسن التقاسيم، ص 280.

مختلفة وذلك طبقاً للنمط الآسيوي السائد<sup>(1)</sup> وكانت الأسواق إما يومية أو شهرية أو سنوية ووجد في بخارى سوق شهري يجري فيه البيع والشراء في المواشي والثياب والرقيق وسائر الأمتعة من النحاس والأواني وغيرها<sup>(2)</sup>. وأشهر ما صدرته بخارى، كمركزاً تجارياً إلى خراسان، والصين، والهند، والشام، والعراق، وأوربا كان المسك والزعفران، وثياب تعرف بالبخارية ثقال الأوزان، غليظة السلك، مبرمة الغزل، فيرغب العرب فيها<sup>(3)</sup> كذلك كانت تصدر الثياب القطنية المصنوعة في بخارى إلى سائر الآفاق والتي كانت تستحسن في كافة المناطق والأقاليم<sup>(4)</sup>.

أما سمرقند التي وصفها المقدسي<sup>(5)</sup> بقوله (بلد سوي جليل عتيق، ومصر بهي رشيق، رخي كثير الرقيق، وماء غزير بنهر عتيق"، تحمل إليه المتاع من كل فج عميق، بها الكثير من الأسواق، وكانت أسواقها مجمع التجارات<sup>(6)</sup> زاخرة بالسلع الواردة إليها من جميع الأنحاء<sup>(7)</sup> وكانت سمرقند فرضة تجارية عظيمة لبلاد ما وراء النهر<sup>(8)</sup> ففيها أسواق كبار، تتصل بها الأسواق والسكك والمحال وصفوف التجار وأسواقها مفروشة بالآجر والحجارة<sup>(9)</sup>.

ومعظم أسواق سمرقند كبار مثل سوق الصيارفة، والصُفارين وغيرها، وكثير من الخانات التي نزلها التجار للإيواء، وتخزين البضائع<sup>(1)</sup> وهي مدينة القوافل التجارية المهمة<sup>(2)</sup>.

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص404؛ والفسطاط جمعها فساطيط وتعني الخيمة أو الخيام، وهي أول مدينة عربية إسلامية بنيت في قارة أفريقية بناها عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما فتح مصر واتخذها حاضرة له وظلت حتى أحرقها الوزير شاور في العصر الفاطمي ومازالت تحمل الاسم نفسه بها مسجد عمرو بن العاص الشهير وسميت الفسطاط لأن عمرو بن العاص أمر جنده ببناء الخيام.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص283.

(3) الاضطخري: مسالك الممالك، ص314، 315.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م، ج1، ص495.

(5) أحسن التقاسيم، ص283.

(6) ابن حوقل: صورة الأرض، ص405.

(7) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص512؛ بارتولد: التركستان، ص268.

(8) الاضطخري: مسالك الممالك، ص395.

(9) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص279.

(1) الاضطخري: مسالك الممالك، ص395.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص407.

وظلت سمرقند من حيث الرقعة وعدد السكان أولى مدن ما وراء النهر قاطبة، وهذه المكانة التي نالتها سمرقند ترجع كل قبل كل شيء إلى موقعها الجغرافي الفريد عند ملتقى الطرق التجارية الكبرى القادمة من الهند مارة ببلخ، ومن خراسان ماراً بمرؤ، ومن أراضي الترك وخاصة في عهد السلاجقة<sup>(1)</sup> وسمرقند مجمع تجارات ما وراء النهر اشتهرت بصناعة الكاغد السمرقندي الذي استوردت صناعته من الصين، والذي صدرته إلى كل الآفاق<sup>(2)</sup> والذي استخدم في الكتابة وساعد على ازدهار الحياة العلمية فيها وفي غيرها من مدن ما وراء النهر. وتأتي مدينة كاش أو المدينة الخضراء والتي كانت كما وصفها اليعقوبي<sup>(3)</sup> (أعظم مدن الصغد) وهي من أشهر مدن الصغد التجارية أسواقها في روضها وهي مدينة خصبة جداً، تتضج فيها الفواكه أسرع مما ينضج في سائر بلاد ما وراء النهر، يصدر منها الملح المستخرج إلى أراضي خراسان، وفي جبالها العقاقير الكثيرة، ويسمىها ياقوت الكشانية<sup>(4)</sup>. أما مدينة نسف فأسواقها عامرة بالتجارات وهي مجمع طريق سمرقند التجاري<sup>(5)</sup> كما أنها على مدرج طريق بخارى إلى بلخ<sup>(6)</sup>، وتعرف الآن باسم (قرشي)<sup>(7)</sup> كثيرة الأسواق جيدة الأعناب والمزارع الطيبة<sup>(8)</sup>.

كما أسهمت مدن إقليم الصغد الأخرى مثل الطواويس، وبيكند، وأشتيخن، وبنجكت، والترمز، وأمل وغيرها في الازدهار الاقتصادي الذي شهده إقليم ما وراء النهر، والذي كان سبباً في ثراء هذا الإقليم مما ساعد على الاستقرار السياسي وبالتبعية ازدهرت الحياة العلمية في هذا الإقليم. أما إقليم أشروسنه الذي يقع شرقي سمرقند وهو من أقاليم نهر (سيحون) أو نهر الشاش

(1) بارتولد: التركستان، ص238.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص364.

(3) كتاب البلدان، ص299.

(4) معجم البلدان، ج4، ص129.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص283.

(6) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص482.

(7) بارتولد: التركستان، ص240.

(8) ابن حوقل: صورة الأرض، ص413.

كما يسميه الترك<sup>(1)</sup> وقصبتة مدينة بونجكت وهي بلد خصيب بها الماء الغزير والبساتين وبها ستة أنهار تجري فيها مما ساعدها على أن تتبوأ مركزاً مهماً في عالم التجارة<sup>(2)</sup>، ومن مدنها مرسمنده بها أسواق شهيرة يرتادها الناس من أماكن بعيدة، رأس كل شهر، كما يأتي إليها أهل النواحي المحيطة<sup>(3)</sup> كما كان يقام في بونجكت سوق كل ثلاثة أشهر أيام الربيع، وتكون أسعاره من أرخص الأسعار<sup>(4)</sup> وأطلال مدينة "أوراتبة" الحالية هي أطلال مدينة بونجكت عاصمة أشروسنه<sup>(5)</sup>. وساعد إقليم أشروسنه ليصبح من أهم مراكز التجارة في آسيا الوسطى وقوعه على نهر سيحون أو نهر الشاش (تاشكند) لوقوع هذا الإقليم بالقرب من ضفافه<sup>(6)</sup>، واشتهرت أشروسنه بتجارة الرقيق الذي كان يجلب إليها، وكانوا أهل عمل لمن يقصدها من التجار<sup>(7)</sup>.

ولإقليم الشاش بمراكزه المهمة مكانة تجارية كبرى في بلاد ما وراء النهر والذي يقع على ضفة نهر سيحون اليمني أي الشمالية الشرقية غربي إقليم فرغانة<sup>(8)</sup> وكانت مدينة شاش (جاج) من أعظم مدنه وهي طشقند الحالية<sup>(9)</sup>.

وكانت مدنه بنكت وأسبيجاب والطرار وفاراب (أترار) وسوران (صبران) وشوغر وكاشغر عامرة بالأسواق والزراعات لأنه كان ثغراً للغزو ضد الأتراك الكفار وهو مجمع الترك الغزية للصالح والهدنة والتجارات<sup>(1)</sup>.

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص504.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص414.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص274.

(4) الاضطخري: مسالك الممالك، ص237.

(5) بارتولد: تركستان، ص279.

(6) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص531.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، ص414.

(8) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص746.

(9) لسترنج: بلدان الخلافة، ص523.

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص393.



وشكل موقع إقليم فرغانة، وطبيعته عاملاً كبيراً من عوامل ازدهار الحياة الفكرية فيه فقد تميز الإقليم بأنه أخصب أقاليم الأرض جميعاً، فأرضه مستوية، ومياهه عذبة نقية ومناخه معتدل<sup>(1)</sup> ما كان له أكبر الأثر في توافر الإنتاج الزراعي من شتى أنواع المحاصيل، ما كثر المال والغذاء اللازم للطلاب والعلماء وكذلك توافر غذاء دوابهم<sup>(2)</sup> والخيول الفرغانية التي اشتهرت بها فرغانة<sup>(3)</sup> والتي مثلت وسيلة نقل بري بين المدن، والقرى الفرغانية، والتي اشتهرت فرغانة بوفرتها وكثرتها<sup>(4)</sup> كما شهدت فرغانة ثراءً كبيراً مبعثه ما توفر بها من معادن كثيرة كالحديد والذهب والنحاس والزنك والفضة، والتي كانت تصدره بكميات كبيرة إلى الأسواق الصينية شرقاً وأسواق بغداد غرباً<sup>(5)</sup>.

كما ازدهرت صناعة الورق، وتجارته، وانتشرت حوانيت الوراقين بفرغانة التي لم تكن مجرد أسواق لبيع الورق والكتب ولوازمها فقط، بل كانت ملتقى للعلماء، والفقهاء، وطلاب العلم وكانت أيضاً حلبة للمناظرات، والمناقشات، والجدل بين العلماء، وبذلك فهي مؤسسة علمية لها أهميتها<sup>(6)</sup>. كما كان بفرغانة من المدن والقرى ما يفوق أقاليم ما وراء النهر الأخرى<sup>(7)</sup> ويتخللها روافد كثيرة من نهر سيحون، فمثلت طرق نهريّة تربط أجزاء الإقليم، وتسهل حركة الانتقال بين المدن، والقرى الفرغانية وغيرها من الأقاليم المختلفة، وتسهل رحلات الطلاب العلمية مما أثرى هذه المدن والقرى الفرغانية، وجعلها مراكز صالحة لإنشاء مؤسسات علمية كالمدارس، والمجالس العلمية، وبيئة صالحة للإنتاج العلمي الذي أفرز علماء فرغانة في مختلف العلوم النقلية

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 420، 421.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 260.

(3) الاضطخري: مسالك الممالك، ص 286.

(4) إيرين فرنيك: طريق الحرير، ص 127.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 325.

(6) هالة شاكر: الورق والوراقين في العصر العباسي، دار عين، القاهرة، 2009م، ص 203.

(7) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 522.

والعقلية<sup>(1)</sup>. وكان إقليمياً الختل والوخش وصغانيان من أهم الأقاليم الاقتصادية التي ساعد ازدهارها الاقتصادي في ازدهار الحياة العلمية في إقليم ما وراء النهر فقد وصفها الإدريسي<sup>(2)</sup> بقوله (مدن خصيبة، بها أسواق وفنادق وحمامات وتجار وأمواًل متصرفة) ويجلب منها الخيل والبغال وترتفع منها الحجارة ذوات الجواهر النفيسة التي تشابه الياقوت الأحمر<sup>(3)</sup>.

كما اشتهرت بلاد ما وراء النهر بوجود وتوافر الأنهار التي ساعدت في الزراعة والنقل وأشهرها نهر جيحون ونهر سيحون (الشاش) وغيرها من الأنهار التي كانت تتقل الطلاب والعلماء من مدينة إلى أخرى<sup>(4)</sup>. ساعد هذا الازدهار الاقتصادي على غنى الإقليم وثراءه مما كان له أكبر أثر في توافر المال للإنفاق على المؤسسات التعليمية كالكتاتيب والمساجد والمدارس والبيمارستانات والأربطة وغيرها، كما وفرت المال للصرف على الطلاب والإنفاق على صناعة الورق، كل ذلك أدى إلى ازدهار الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر.

#### - اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء:

كان سلاطين السلاجقة الأوائل بدواً غير مثقفين، ولذلك اضطروا إلى الاستعانة برجال أكفاء لخدمة الدولة في مختلف الشؤون الإدارية، والسياسية من وزراء وحجاب، وكتاب، ممن كانت لهم خبرات سابقة في هذه المجالات لدى الدويلات الإسلامية الأخرى في المشرق، كالغزنويين وغيرهم، ولهذا فقد استعان السلاجقة بأعداد من كتاب الفرس وغيرهم لإدارة شؤون البلاد وقد استطاع هؤلاء أن يلعبوا دوراً مهماً في إدارة شؤون البلاد السياسية والإدارية والعلمية<sup>(1)</sup>

(1) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 522.

(2) نزهة المشتاق، ج1، ص 448.

(3) بارتولد: التركستان، ص 147.

(4) للمزيد من التفاصيل، راجع، بارتولد: التركستان، ص 151-148.

(1) مريزن سعيد عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط، 1987م، ص 171.

وشجع سلاطين ووزراء السلاجقة العلماء والأدباء والناهبين في كل علم وفن، على مواصلة الإنتاج والإبداع، بما يقدمونه لهم من المكافآت والجوائز السخية حتى يشيدوا بذكرهم في مقدمات كتبهم، وفي ألوان إنتاجهم المختلفة، مما جعل النتاج العلمي والفني غزير في العصر السلجوقي وتشهد بذلك الغزارة والكثرة للآثار الباقية من هذا العصر في كل علم وفن<sup>(1)</sup>.

وبذلك نشطت الحركة الفكرية، وراجت سوق العلم، وزخر بلاط السلاجقة بالعلماء والأدباء، كما زخرت مدن وقرى ما وراء النهر بالعلماء والأدباء والشعراء وغيرهم من حملة مشاعل العلم، وبفضل تشجيع سلاطين السلاجقة ووزرائهم للعلماء، ومحبتهم للعلم وتكريمهم لرجالهم، قام العلماء في بلاد ما وراء النهر بتصنيف كتب التفسير والفقهاء والحديث، وأصبح كل واحد من هؤلاء العلماء بفضل هذا التشجيع محطاً لأنظار العالمين، وقد استقامت مملكة سلاطين السلاجقة ببركة فتوَاهم وتقواهم، وحرصهم على أن تسيّر الرعية على الشريعة الإسلامية<sup>(2)</sup>.

ففي عهد السلطان طغرلبيك (429-455هـ/1037-1063م) انتشر بناء المساجد فكان يقول (أستحي من الله أن أبني داراً ولا أبني بجوارها مسجداً)<sup>(3)</sup> كما كان وزيره عميد الملك الكندري (ت 456هـ/1063م)<sup>(1)</sup> يحترم الفقهاء ويجلهم في حياتهم ومماتهم<sup>(2)</sup> وإن كان يبالغ بأئمة المذهب الحنفي - مذهبه - وكان شديد التعصب على الشافعية<sup>(3)</sup>.

---

(1) عبدالنعميم حسانيين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، 1959م، ص185.

(2) الروندي: راحة الصدور وآية السرور، تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم الشواربي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص72، 73.

(3) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م، ص28.

(1) الكندري: نسبة إلى كندر بالضم ثم السكون، قرية من قرى نيسابور من أعمال طرثيث، والكندري هو أبو منصور بن محمد ابن نصر أبو نصر الكندري وقيل محمد بن منصور الكندري من بني شيبان، ولد بناحية كندر من قرى نيسابور 415هـ/1024م وقرأ الأدب وكان معروفاً بالذكاء والفروسية، ابن الأثير: الكامل، ج8، ص312؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج7، ص154.

(2) البنداري: آل سلجوق، ص25.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص138.

كما كان متصوفاً<sup>(1)</sup> ولكنه أظهر اهتماماً كبيراً بالنواحي الأدبية، وكانت له أياد بيضاء في الكتابة والفصاحة وكانت له مؤلفات عدّة، باللغتين العربية والفارسية، كما كان من الأدياء الكبار حتى إن معظم المؤرخين يُرجع ازدهار دولة السلطان طغرلبيك إلى كفاءة هذا الرجل وشهرته العلمية والأدبية<sup>(2)</sup>. وبدأ الكندري حياته العلمية بدراسة الفقه، حتى وصل فيه إلى درجة عالية، فاستفاض فيه على الشيخ (الواثق أبو محمد الحنفي) أحد أعلام الحنفية في خراسان<sup>(3)</sup> فصار موضع اهتمام شيخه، الذي فوض إليه إدارة أمواله وأملكه، ولم تمض إلا فترة قصيرة حتى فوض إليه نيابته في بلاط طغرلبيك فلفت نظر السلطان إليه، فقربه وجعله من مستشاريه، ثم أعطاه حكومة خوارزم<sup>(4)</sup>.

ومما يدل على مكانة هذا الوزير العلمية والأدبية أن السمرقندي<sup>(5)</sup> حين تحدث عن ماهية وصف الكاتب الكامل، أوصى من يريد بلوغ درجة الكمال في هذه المهنة أن يضطلع على كتب السلف ممن كان لهم باع في هذا المجال، وكان ممن عددهم من هؤلاء عميد الملك الكندري، وكان له فضل وشعر ومن شعره:

الموت مرّ ولكنّي إذا ظمئت نفسي إلى العزّ مستحلّ لمشربه  
رياسة باض في رأسي وساوسها تدور فيه وأخشى أن تدور به<sup>(1)</sup>.

- 
- (1) خواندمير: دستور الوزراء، ترجمة حربي سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، ص244.
- (2) عبدالهادي محبوبة: نظام الملك كبير الوزراء في الدولة الإسلامية، الدار المصرية للكتاب، ط، 1991م، ص216؛ محمد عبدالعظيم يوسف: طغرلبيك وتأسيس الدولة السلجوقية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، 1991م، ص33.
- (3) همام الدين همام: دستور الوزراء، تصحيح سعيد تقيسي، طهران، 1347هـ، ص148، 149.
- (4) خواندمير: دستور الوزراء، ص244.
- (5) النظام العروض السمرقندي (ت 550هـ/ 1368م)، جهار مقالة (المقالات الأربع) ترجمة عبدالوهاب عزام وآخرون، ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1398هـ/ 1949م، ولقد كان معظم وزراء السلاجقة على قدرة فائقة على الكتابة، بما يملكون من حسنهم الخط والبلاغة، عبدالهادي محبوبة: من رسائل نظام الملك، مقال بمجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، 1381هـ/ 1961م، ص160.
- (1) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، 1359هـ، ج8، ص239.

وحظي الأدباء في عهد وزارة الكندري التي استمرت ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام<sup>(1)</sup> باهتمامه ورعايته، وإغداقه الأموال عليهم<sup>(2)</sup> فأصبح عميد الملك الكندري وزير طغرل بك ممدوحاً من قبل الشعراء، منهم الباخريزي<sup>(3)</sup> الذي قال فيه:

أمين طغرل بك الميمون طائرته      في المعضلات إذا ما خانته الأمانة  
كالشمس إن طالوه في السّمون نأي      وإن أردوا اقتباس النور منه دنا  
لا يقرع السن من رمال يصاب به      ولا يعرض على إيهامه غبنا  
عالي المحل ولكن ما مشى مرحاً      غض الشباب ولكن ما طغى ودنا  
أتيح إقباله إذا قلت أقبّل من      واهاً لإقباله الوافي بما قمنا<sup>(4)</sup>

ومما يؤخذ على الكندري أنه كان شديد التعصب على الشافعية وخاصة الأشاعرة، حتى إنه أمر بلعنهم على منابر خراسان وما وراء النهر مع الشيعة الرافضة، بعد ما سمع سيده طغرل بك يذمهم<sup>(5)</sup> لأن الكندري كان حنفياً متشدداً ولأن سيده طغرل بك كان قد اعتنق الإسلام على المذهب الحنفي فتعصب له<sup>(1)</sup> وروي أنه أمر بلعن جميع المذاهب غير الحنفية على المنابر فشق ذلك على المسلمين مما اضطر علماء البلاد المرموقين أمثال القشيري<sup>(2)</sup> وأبي المعالي

(1) البنداري: آل سلجوق، ص12، 13.

(2) الحسيني: أخبار الأمراء والملوك السلجوقية المعروف بزبدة التواريخ، تحقيق/ محمد نور الدين، ط2، دار اقرأ، بيروت، 1986م، ص68.

(3) الباخريزي، أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب (ت 467هـ/ 1074م): دمية القصر وعصره أهل العصر، تحقيق د/ سامي مكي العيني، جزان، ط1، نشر مكتبة العروبة، الكويت، 1985م، ج2، ص143.

(4) الباخريزي: دمية القصر، ج2، ص144.

(5) نظام الملك: سياسة نامة، ص156؛ بروان: تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي، ترجمة د/ أحمد كمال بن حلمي، الكويت، 1996م، ص218.

(1) الرواندي: راحة الصدور، ص146.

(2) هو الشيخ أبو سعيد بن أبي القاسم القشيري الشافعي (ت 494هـ/ 1100م) شيخ نظامية نيسابور، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمد الطناحي وآخر، دار أحياء الكتب العلمية، القاهرة، بدون، ج، ص165.

الجويني<sup>(1)</sup> إلى الهرب من البلاد والتوجه إلى الحجاز عاكفين فيها، مجاورين لبيت الله الحرام حتى سمي الجويني إمام الحرمين<sup>(2)</sup> وإن كان الكندري قد عدل عن التعصب لمذهبه الحنفي فيما بعد، للتأليف بين الأحناف والشافعية، والجمع بينهما كما ذكر البنداري<sup>(3)</sup>.

وفي عهد السلطان ألب أرسلان (455-465هـ/ 1063-1072م) وابنه السلطان ملكشاه (465-485هـ/ 1072-1092م) نشطت الحركة الفكرية في العالم الإسلامي عامة، وإقليم خراسان وما وراء النهر بصفة خاصة بفضل الوزير القدير العالم (نظام الملك الطوسي)<sup>(4)</sup> الذي لم يتفق لغيره، ما اتفق له من ازدهام العلماء عليه، وترددهم على بابه وثنائهم على عدله<sup>(5)</sup> وليس غريباً على هذا الوزير اهتمامه بالعلم والعلماء فهو من أولاد الدهاقين<sup>(6)</sup> وقد اشتغل بالحديث والفقهِ<sup>(1)</sup> على المذهب الشافعي وحفظ القرآن الكريم صغيراً<sup>(2)</sup> وكانت مجالسه عامرة بالعلماء، مألوفة بالأئمة والزهاد والقراء والفقهاء والصوفية<sup>(3)</sup> كثير الإنعام عليهم<sup>(4)</sup>.

---

(1) أبو المعالي الجويني: إمام الحرمين أشهر مدرسي نظامية نيسابور والذي استمر يدرس بها أكثر من ثلاثين عاماً (ت478هـ/1085م)، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج1، ص199.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص311.

(3) آل سلجوق، ص30، 31.

(4) هو أبو علي الحسن بن علي ابن إسحاق الطوسي أشهر وزراء الإسلام قاطبة، وأعظم وزراء السلاجقة على الإطلاق، وواحد من أكبر الوزراء في تاريخ المشرق الإسلامي جمع في يديه كل ممالك الدولة السلجوقية فترة ثلاثين عاماً، ولد الحسن بن علي نظام الملك سنة 408هـ/ 1018م في نوقان إحدى قرى الراذكان بطوس، وتعلم في مدارسها وأفاضت الكتب التاريخية والأدبية في وصفه، توفي مقتولاً على يد أحد الفدائية الإسماعيلية سنة 485هـ/ 1092م، لمزيد من التفاصيل راجع، الرواندي: راحة الصدور، ص176، 177؛ البنداري: آل سلجوق، ص31؛ إقبال عباس: الوزراء في عهد السلاجقة، ترجمة د/ أحمد كمال الدين حلمي، الكويت، 1954م، ص129.

(5) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص313.

(6) الدهاقين: جمع دهقان وهي كلمة فارسية معناها رئيس الإقليم، العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، حققه فهيم شلتوت، دار الرائد العربي، توزيع دار ركابي، القاهرة، بدون، ص5.

(1) خواندمير: دستور الوزراء، ص245.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص480؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص128.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص151.

(4) السبكي: طبقات الشافعية، ج4، ص313؛ عبد الهادي محبوبة: نظام الملك، ص251.

وجعل نظام الملك ندوة في داره يوم الاثنين من كل أسبوع يرتادها العلماء والأدباء دون تقيد بسن أو مذهب<sup>(1)</sup> ورغب الطلبة في العلم، وأغدق عليهم الأموال<sup>(2)</sup>، فنشأ للناس أولاد نجباء<sup>(3)</sup> كما ظهر في عهده أكابر العلماء، وظهرت لهم مؤلفات في كافة العلوم، وأصبح لهؤلاء العلماء مدارس يقصدها الطلاب والتي اكتظت بالمدرسين يكتب فيها ما يملون ويدرس ما يكتبون، ولم يلبث أن يشع الكتاب وينشر في مختلف الأوساط المتعلقة وتحفظ خزانات الكتب ودور الكتب بنسخ منها الإعارة والنقل والتعليق، وكل ذلك بفضل نظام الملك<sup>(4)</sup> الذي جعل رواتب ثابتة لاثني عشر رجلاً من العلماء في مختلف أنحاء دولة السلاجقة<sup>(5)</sup> وكانت مجالسه عامرة بالفقهاء والعلماء والأدباء، وكان ناقداً بصيراً، فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاه، ومن رآه مستحقاً لرفع قدره رفعه، ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه، ورتب له ما يكفيه حتى ينقطع إلى إفادة العلم ونشره<sup>(6)</sup> ويؤكد ذلك موقفه مع أبي القاسم علي بن المظفر بن زيد بن حمزة بن محمد العلوي الحسيني ابن أبي يعلى الدبوسي (ت 482هـ/ 1089م) الذي كان من كبار أئمة الشافعية متوحداً متقدراً في الفقه ولاه الوزير نظام الملك التدریس بنظامية بغداد، وبعد نجاحه في المناظرة التي عقدت بينه وبين الإمام أبي المعالي الجويني إمامه في أصفهان وتفوقه فيها على منافسه<sup>(1)</sup>. وبينما كان نظام الملك يقضي مع العلماء غالب نهاره، فقيل له إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح، فقال (هؤلاء جمال الدنيا والدين والآخرة، ولو أجلستهم على رأسي لما استكثرت ذلك)<sup>(2)</sup>.

(1) طبقات الشافعية، ج4، ص313؛ نظام عقيلي: آثار الوزراء، تصليح وتعليق مير جلال الدين حسني، طهران، 1958م، ص207.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص449.

(3) البنداري: آل سلجوق، ص59.

(4) محبوبة: نظام الملك، ص159، 160.

(5) محمد مسفر الزهراني: نظام الوزارة في الدولة العباسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص189.

(6) البغدادي: آل سلجوق، ص59.

(1) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج1، ص490.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص140.

وكان عبدالله بن أحمد السمرقندي (ت 516هـ/ 1122م) من كبار المحدثين وأفاضل المتقين والأدباء كان يقرأ للوزير نظام الملك على الشيخ ويعيد عنهم<sup>(1)</sup>.

جدير بالذكر أن نظام الملك كان بعيد النظر، فكان يعلم حق العلماء وما لرجال العلم من أثر كبير في المجتمع بوجه عام، وفي صفوف العامة بوجه خاص، وبتقرب نظام الملك إلى العلماء وتقربهم إليه، يكون بذلك قد كسب مودتهم ورضاهم، ويعني هذا أنه امتلك السلاح القوي المؤثر الذي ضمن له عامة الناس، فخطباء المساجد وأئمة الصلاة والوعاظ والمدرسون كانوا السنة تلهج بذكر نظام الملك وأعماله، وتعمل على نشر ما يقر به ويحبه إلى الناس<sup>(2)</sup> ومن ثم أمتاز عصر نظام الملك بوفرة علمائه وأدبائه وشعرائه وانصرفوا إلى تأليف الكتب ونظم الأشعار في مدحه والإشادة بفضله، وهذا بالطبع ساعد على رواج سواعد العلم وازدهار الثقافة في العصر السلجوقي<sup>(3)</sup>. وكان من عادة السلاجقة أن يسيروا خلف الموتى مطأطئي الرؤوس حتى إذا ما واروه التراب ارتدوا من أجله الملابس السوداء وشارات الحداد، وتخرج الجنائز بالطبول والنوائح وخاصة عند وفاة رجال العلم<sup>(4)</sup> ومنهم على سبيل المثال الإمام أبو طاهر عبدالرحمن بن أحمد بن علك الساوي الشافعي (ت 484هـ/ 1091م) أحد أئمة الفقه المشهورين، تفقه بسمرقند ورحل في طلب العلم إلى العراق، وشيع نظام الملك جنازته مع جمع من الأكابر، قال شيوخ عصره (لم يرى فقيه في وقته أنصف منه)<sup>(1)</sup>. أما أشهر أعمال نظام الملك على الإطلاق فهو تأسيس المدارس النظامية<sup>(2)</sup> صحيح أن تأسيس المدارس في الإسلام كان سابقاً عليه، وأنه لم يكن مبتكرة، ولكنه في نظر الجميع كان أول من سن نظاماً تعليمياً في حق التربية والتعليم، وهو تعيين

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج9، ص91.

(2) حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، طه، المكتبة الأهلية، بغداد، 1965م، ص276.

(3) عبدالمجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني، ط2، دار الوفاء، المنصورة، 1988م، ص180.

(4) محمد محمود إدريس: رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية، دار الثقافة، 1983م، ص160.

(1) النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق يوسف الهادي، بيروت، 1989م، ص463.

(2) نظام الملك: مقدمة سياسة نامة، ص17.



رواتب، وتخصيص مساكن لطلاب العلم وتأمين مسكن ونفقات للمدرسين، لقد كانت المدارس النظامية في بغداد ونيسابور وغيرها من المدارس مجهزة للعمل ليل نهار<sup>(1)</sup>.

لقد انشغل نظام الملك في السنوات العشر التي وزر فيها لألب أرسلان، والعشرين سنة التي وزر فيها لملكشاه بتنفيذ مبدئين:

• **الأول:** العمل على جعل المذهب السني مذهباً عاماً للمسلمين، ومحاربة الشيعة عامة، والباطنية خاصة<sup>(2)</sup> حرباً لا هوادة فيها، وإقامة الوحدة الإسلامية على هذا الأساس<sup>(3)</sup>.

• **الثاني:** إنشاء المدارس النظامية، وجعل نظامياته تضاهي أزهر الفاطميين في القاهرة وتقوم بنشر الدعوة للمذهب السني، وترد على الباطنية<sup>(4)</sup>.

وكان نظام الملك يتمتع بنفوذ واحترام كبير في الأوساط الدينية، بما كان يتحلي به من روح دينية مذهبية، باحترامه للزهاد والعلماء، والشيوخ، فيذكر بن الجوزي<sup>(5)</sup> أنه كان إذا دخل على أبي القاسم القشيري والإمام أبو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلسهما في مكانه، إلى جانب عطفه على الفقراء والمعوزين حتى قبل إنه كان قد أخرج لهم ذات مرة ثمانين ألف دينار<sup>(6)</sup>.

أما ثاني أروع أعمال نظام الملك فهو ذلك الأثر الأدبي الرائع كتاب (سياسة نامة) وهو أهم الكتب القيمة التي كتبت نثراً بالفارسية، الذي أهداه إلى السلطان (ملكشاه) والذي قال عنه (لقد اتخذت هذا الكتاب إماماً لي وعليه سأسير)<sup>(1)</sup>.

(1) خواندمير: دستور الوزراء، ص245.

(2) نظام الملك: سياسة نامة، ص203 وما بعدها.

(3) يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، بحث مستخرج من جملة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية، الرياض، 1395هـ / 1975م، ص557.

(4) عبدالكريم عرابية: العرب والأترك، ص98.

(5) المنتظم، ج6، ص303.

(6) العروصي السمرقندي: جهاز مقاله، ص67، 68.

(1) انظر ترجمة الكتاب، ط1، بيروت، 1979م، ط الدوحة قطر، تحقيق يوسف حسين بكار.

ولقد كان اهتمام نظام الملك بالعلم والعلماء حافظاً لسلطين السلاجقة لمعرفة معنى العلم، فقد روى العلماء، وحظوا لديهم بالتشجيع والاهتمام<sup>(1)</sup> فقد كان السلطان ألب أرسلان يذهب إلى خراسان وما وراء النهر لملاقة العلماء من أصحاب المذاهب المختلفة، كما كان يحضر ويستمع إلى المناظرات والمناقشات التي تتم بين هؤلاء العلماء<sup>(2)</sup> كما كان يذهب إلى العلماء ليتقرب إليهم وليستشيرهم ويتبرك بهم، فلقد ذهب إلى نيسابور والتقى بالعالم الجليل حسان بن سعيد المنيعي (ت 463هـ/ 1069م)<sup>(3)</sup> وكان يحترمه، فسأله أن يبني جامع بنيسابور، فأجابهُ السلطان بالموافقة<sup>(4)</sup>. وفي عهد السلطان ملكشاه زاد الاهتمام بالعلم والعلماء، فقد شجع السلطان ملكشاه الدراسات الفلكية، فأقام مرصداً في مدينة نيسابور عام 467هـ/ 1074م<sup>(5)</sup>.

كما جمع الفلكيين والمنجمين، وجعلوا النوروز<sup>(6)</sup> أول نقطة من الحمل، وكان قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت، وصار ما فعله مبدأ التقاويم<sup>(1)</sup>.

وكان نظام الملك الوزير السلجوقي للسلطان ملكشاه يميل إلى الشعر، ويقرب إليه الشعراء ويغدق عليهم الأموال، ويزخر كتاب دمية القصر "للبا خرزي" بمدح الوزير<sup>(2)</sup>.

- 
- (1) مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص 172.
  - (2) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط مكتبة القدس، القاهرة، بدون. ت، ج4، ص 374؛ ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون، ج1، ص 54، 55.
  - (3) هو الشيخ الجليل، الحاج الرئيس أبو علي حسان بن سعيد بن حسان بن محمد المخزومي، الخالدي المنيعي المروزي، شيخ الإسلام المحمود بالخصال السنية، عم الأفاق بخيره وبره، بنى المساجد والرباطات كما بني جامع مرو، (ت 364هـ/ 1069م)، الذهبي: تهذيب النبلاء، ج2، ص 382.
  - (4) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص 300.
  - (5) النظام العروض: جهاز مقاله، ص 157؛ عبدالنعم حسانين: إيران في العصر السلجوقي، ص 185.
  - (6) النوروز: أو النوروز، كلمة فارسية مركبة من لفظين أولهما "نو" بفتح النون وضمها أي "الجديد" وثانيها "روز" أي "اليوم الجديد" أما في الاصطلاح فتطلق على رأس السنة الفارسية التي يقع في اليوم الأول من شهر فروردين الموافق 21 مارس (آذار) أي أول فصل الربيع، وقد استعملت كلمة (نوروز) في اللغة العربية بصيغتها الفارسية، كما عربت (نوروز) وقد وردت الكلمة بهاتين الصيغتين في النصوص العربية وإن كانت كلمة (النوروز) أكثر استعمالاً، فؤاد عبدالمعطي الصياد: النوروز وأثره في الأدب العربي، ط، دار البحيري، بيروت، 1972م، ص 13، 14.
  - (1) نظام الملك: سياسة نامة، ص 10.
  - (2) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة، ص 82.

وفي عهد السلطان بركياروق (486-498هـ / 1093-1104م) كان وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك (ت 494هـ / 1100م) يمتاز بالكفاءة ورجاحة العقل والفصاحة والبلاغة يجيد النثر، والنظم باللسانين الفارسي والعربي، ويبيدي في ذلك بلاغة وطلاقة<sup>(1)</sup> كذلك كان للوزير "سعد الملك الأوجي" وهو ممن وزر للسلطان بركياروق اهتمام كبير بالعلم والعلماء، وكان حريصاً على حضور مجالس العلم، ليرغب الناس فيه<sup>(2)</sup>.

وكذلك كان السلطان سنجر بن ملكشاه (490-552هـ / 1096-1157م) يحترم علماء الدين احتراماً كبيراً ويتقرب إليهم، ويميل إلى الزهاد، ويجمع حوله الشعراء ويغدق عليهم، فازداد عدد الأدباء من كتاب الشعر والنثر<sup>(3)</sup> وتم خلال عصره تأليف عد كبير من أمهات الكتب، كما عاصره عدد من كبار شعراء سمرقند أمثال عمق البخارى (ت 543هـ / 1148م) ونظامي عروضي السمرقندي صاحب كتاب (جهار مقاله) وسوزني شاعر الهجاء، وغيرهم<sup>(4)</sup>.

ولقد تجلى تأثير الأدب الفارسي بالأدب العربي في عصر السلطان سنجر، فيقول النظامي العروض إن الكاتب الجيد هو الذي يستفيد من كل عالم وعلم وحكيم وأديباً سابق عليه<sup>(5)</sup> وكان النظام العروضي من الكتاب المعاصرين للسلطان سنجر وكان قد اتصل به عندما كان مقيماً عند حدود طوس بخراسان سنة 510هـ / 1116م<sup>(1)</sup>. وممن وزر للسلطان سنجر الوزير شهاب الإسلام عبدالرازق بن الفقيه عبدالله بن علي ابن أخي نظام الملك (ت 515هـ / 1121م)، وكان

---

(1) عباس إقبال: نفسه، ص196.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، دار الحديث، القاهرة، 1998م، ج2، ص177؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص171.

(3) الرواندي: راحة الصدور، ص260؛ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص55.

(4) بروان: تاريخ الأدب العربي، ص373؛ رضا مصطفى سيزواري: سهم زبان فارس و فارس زبانان در تمدن جهامي، مجلة أثنا، شماره سيزدهم، سال سول، 1372هـ، ص53.

(5) الرواندي: راحة الصدور، ص260.

(1) النظام العروضي: جهار مقاله، ص7.

ممن كان لهم الرياسة الدينية فيها<sup>(1)</sup> وكان متبحراً في علم الشرع، متكلماً في الأصل والفروع<sup>(2)</sup> وممن عاصروا شهاب الإسلام من الشعراء الشاعر أبو عبدالله محمد بن عبدالملك المعزي (ت542هـ/ 1147م) أمير الشعراء<sup>(3)</sup> وكان الوزير معين الدين أبو النصر بن أحمد الكاشاني وزير السلطان سنجر اهتمام كبير بالعلم والعلماء، حيث أمر ببناء المدارس والخوانيت والأربطة والمؤسسات الخيرية في جميع البلاد<sup>(4)</sup>. كذلك كان للوزير "نصير الدين أبي القاسم محمود بن أبي توبة المروزي"، وهو ممن وزر للسلطان سنجر السلجوقي اهتماماً كبيراً بالعلم والعلماء، فقد كان نصير الدين نفسه من الكتاب المهرة ومن مشجعي العلماء والأدباء<sup>(5)</sup> ولقد خصه العلماء بمصنفاتهم، فصنف له عمر بن سلان الساوجي كتاب (البصائر النصرية)<sup>(6)</sup> ومن شعراء الفارسية أوجد الدين محمد بن اسحق الأنوري (ت 515هـ/ 1189م) الذي امتدح نصر الدين المروزي بعدة قصائد<sup>(7)</sup>. أما الوزير "قوام الدين أبو القاسم حسن الدرگزيني" (ت 527هـ/ 1132م) وهو ممن وزر للسلطان سنجر أيضاً - فقد كان على علم تام ببعض فنون الفصائل مثل الشعر والإنشاء، ولذا اهتم بالشعراء فشملمهم بعنايته وإحسانه<sup>(8)</sup> فنظم الشعراء أشعاراً في مدحه، وللمعزى ثلاث قصائد في مدحه<sup>(1)</sup>. وحذا حكام الأقاليم وكبار رجال الدولة وبالأخص القراخانيون حكام إقليم الصغد في العصر السلجوقي حذو السلاطين في تشجيع العلم والعلماء، فكانوا يجزلون العطاء للعلماء، كما أحاطوا أنفسهم بنخبة من الأدباء والشعراء الذين نظموا

(1) عباس إقبال: الوزارة، ص353.

(2) البنداري: آل سلجوق، ص45.

(3) عباس إقبال: الوزارة، ص354.

(4) خواندمير: دستور الوزراء، ص280.

(5) عباس إقبال: الوزارة، ص385.

(6) البنداري: آل سلجوق، ص246.

(7) خواندمير: دستور الوزراء، ص283.

(8) خواندمير: نفسه، ص287.

(1) عباس إقبال: الوزارة، ص394.

القصاصد لمدهم، ولم يقف دورهم عن حد التشجيع بل كان من بين حكام وأمرأ هذه الأسرة من نبغ في الأدب والشعر، ومنهم الأمير "علي بوري تكين"، كان من أشهر الشعراء ومن مصنفاته "ترجمان البلاغة وحدائق السحر"، وكان والده بوري تكين أبو إسحاق إبراهيم بن نصر حاكماً على سمرقند وبخارى<sup>(1)</sup>، كما اشتهر الأمير خان إبراهيم (ت 460هـ / 1067م) بتدينه الشديد، وكان والده نصر من الزهاد حاكماً على سمرقند، ولما مات قام مقامه ابنه طمغاج الذي اشتهر بشدة ورعه، فكان لا يأخذ مالاً من أحد حتى يستفتي الفقهاء<sup>(2)</sup>.

وكان السلطان شمس الملك نصر بن إبراهيم بن نصر (ت 472هـ / 1080م) صاحب بلاد ما وراء النهر من أفاضل الملوك علماً وأدباً وصرفاً وسياسة، درس الفقه، وأملى الحديث وخطب على منابر سمرقند وبخارى، وكان فصيحاً<sup>(3)</sup> وكان يقدر العلماء ويجزل لهم العطاء ويقر بهم إليه، فكان يُجلس عمر الخيام معه على سرير الملك إجلالاً لعلمه وتشريفاً للعلم في شخصه<sup>(4)</sup>. وكان أخوه الخضر (ت 473هـ / 1081م) راعياً للشعراء مجزلاً للعطاء لهم، ومن الشعراء الذين قاموا بمدحه وبلغوا شهرة عظيمة في بلاطه عمق البخاري، وسيد الشعراء رشيد سمرقند، ونجيب فرغاني، وساجر جي<sup>(5)</sup>.

كذلك كان قلع طمغاج خان محباً للعلم والعلماء، ألفت باسمه بعض الكتب منها (تاريخ ملوك تركستان) لمجد الدين محمد بن عدنان، (وسندباد نامه) لبهاء الدين الظهيري<sup>(1)</sup> ونال هذا الحاكم من مدائح السوزني ما لم ينله ممدوح آخر، ويبدو أن الصلة بينهما كانت قوية جداً، إذ

(1) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات درباران، طهران، 1353هـ، جلد 2، ص 8.

(2) عبدالعظيم رضا: تاريخ ده هزار ساله ايران، أزغزنويان تا انقراض صفوية، جلد 3، جاب نجم، جاب إقبال ومروي، ص 52.

(3) الأسنوي: طبقات الشافعية، ط عيسى البابي الحلبي، بدون، ت، ج 2، ص 224؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ط بيروت، 1997م، ج 27، ص 49؛ الزركلي: الأعلام، ط دار العلم، بيروت، 1986م، ص 20.

(4) محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، القاهرة، 2004م، ص 186.

(5) سعيد نفيسي: تاريخ نظم ونثر درباران، جلد أول، 1344هـ، ص 97.

(1) النظام العروض: جهاز مقاله، ص 144.

مدحه بما يزيد عن خمس عشر قصيدة مدحية<sup>(1)</sup>. ومما يجدر الإشارة إليه أن رعاية العلم والعلماء لم تكن قاصرة على الحكام والوزراء وحدهم في العصرين السلجوقي والخوارزمي، بل كان للقضاة دورهم البارز، فكان القاضي أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السغدري إماماً فاضلاً مناظراً، سمع جماعة من العلماء وتوفي سنة 461هـ/ 1068م<sup>(2)</sup> ومحمد بن أحمد ابن أبي الفرج أبو منصور بن الدقاق الوكيل - المحامي - ببابه القضاة سمع الحديث بإفادة خاله محمد بن ناصر بن أحمد المحاملي وعبدالله بن أحمد السمرقندي وحدث عنها، وكان ثقة صحيح السماع توفي سنة 575هـ/ 1179م<sup>(3)</sup>.

وكانت اللغة العربية هي اللغة الأم في التأليف ثم تأتي الفارسية الحديثة بعدها والتي اعتمدت على اللغة العربية في كثير من كلماتها واصطلاحاتها والتي تكتب أيضاً بالحروف العربية<sup>(4)</sup> وفي قوالب اللغتين حسب المفكرين والعلماء وعلماء الدين والفقهاء والكتاب والأدباء عصاره أفكارهم ونتاج قرائحهم دون مبالاة منهم بأصلهم الفارسي، ووعيمهم القومي النابض، فهم كلهم مسلمون، وظلت العربية هي لغة الكتابات السلطانية لدى كثير من البيوتات الشرقية<sup>(5)</sup>.

وفي العصر الخوارزمي اهتم خوارزمشاه محمد بن تكش (596-617هـ/ 1199-1220م) بتشجيع العلم والعلماء وأسبغ رعايته عليهم، فقرب إليه الإمام فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسين الرازي (ت 606هـ/ 1209م)، نزيل سمرقند، ورفع منزلته وأسنى رزقه<sup>(1)</sup>.

---

(1) محمد محمد يونس: السوزني السمرقندي وشعره الجاد، دراسة تحليلية نقدية، ط2، القاهرة، 1989م، ص39.  
(2) السمعاني: الأنساب، وضع حواشيه محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/ 1998م، ج3، ص259.  
(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص9.  
(4) نورلدين آل علي: دروس اللغة والأدب الفارسي، دار الثقافة، القاهرة، 1978م، ص16.  
(5) سعيد نفيسي: المرجع السابق، ص97.  
(1) القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة، 1965م، ص190.

ويمثل العصر الخوارزمي 551-629هـ/ 1156-1231م الذي سبق الغزو المغولي لإقليم ما وراء النهر، ورغم ما خاضه الخوارزميون من حروب، إلا أن عصرهم أيضاً كان مثلاً في تشجيع العلم وطلابه والعلماء والأدباء والفقهاء<sup>(1)</sup> فالسلطان أئمز خوارزمشاه (ت551هـ/ 1156م) كان يحترم العلماء ويقربهم إليه كالطبيب زين الدين إسماعيل الحسيني (ت531هـ/ 1136م) الذي ألف كتاباً باللغة الفارسية في علم الطب وأهداه إلى السلطان أئمز<sup>(2)</sup>.

كما زخر العصر الخوارزمي بالكثير من العلماء، والأدباء، أمثال الزمخشري (ت538هـ/ 1143م) الذي حظي برعاية السلطان أئمز خوارزم فألف كتاب (مقدمة الأدب) وأهداه إليه<sup>(3)</sup>. وكان السلطان تكش خوارزم شاه (ت596هـ/ 1119م) حسن السيرة عالماً بالفقه وأصوله، حنفي المذهب، وقد أولى العلوم النقلية، والعقلية اهتماماً كبيراً، وأغدق على العلماء، ورعاهم، فألفوا له عديداً من الكتب<sup>(4)</sup> وكان لابنه السلطان علاء الدين خوارزم شاه 596-617هـ/ 119-1220م<sup>(5)</sup> اهتماماً كبيراً بالعلم وأهله، فقد كان محباً للعلماء ومناظرتهم، مهتماً بالفقه وأصوله، يتبارك بأهل الدين، ولذلك أغدق عليهم الكثير من الإقطاعات والأموال<sup>(6)</sup>.

وعندما توفي السلطان علاء الدين الخوارزمي، وخلفه ابنه جلال الدين منكبرتي عام (617هـ/ 1120م) كان له اهتمام كبير بالعلم والعلماء<sup>(1)</sup> وممن حظي باهتمام السلطان من الأدباء والكتاب محمد بن أحمد النسوي (ت642هـ/ 1244م) الذي أصبح كاتباً للسلطان وألف

---

(1) محمد سعد عزب: الحياة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي والخوارزمي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، 2004م، ص59.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص169.

(3) مصطفى الصادوي الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن، ط3، دار المعارف بمصر، د. ت، ص61.

(4) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج3، ص193.

(5) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، 1981م، ج3، ص36.

(6) خواندمير: دستور الوزراء، ص312.

(1) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق د. حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953م، ص312.

له كتاباً يحمل سيرته<sup>(1)</sup>. وبرز في عهده عدد كبير من العلماء والأدباء وكثرت المؤلفات القيمة التي أفادت الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر بصفة خاصة، وأقاليم المشرق الإسلامي بل والغربي أيضاً، وهكذا أسهم تشجيع الحكام والوزراء والأمراء للعلم والعلماء في ازدهار الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي، وليس أدل على ذلك من أن كتب التراجم، والطبقات مليئة بأسماء الآلاف من هؤلاء العلماء والأدباء والشعراء والمؤرخين والأطباء والمفسرين وغيرهم.

### الإسلام والتعريب:

تزامن انتشار اللغة العربية بين الأتراك في إقليم ما وراء النهر مع انتشار الإسلام الذي كان الهدف الأول للفاطحيين المسلمين، منذ أن استقرت أقدامهم في الإقليم، فمنذ أن أتم القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي فتوحاته، أسرع في بناء المساجد في كل أنحاء الأقاليم التي تم فتحها، وخاصة إقليم الصغد وفرغانة التي كان نصيبها كبيراً في هذا المجال<sup>(2)</sup> وأتبع قتيبة عدة أساليب لنشر الإسلام بين الأتراك منها أنه أمر بصرف مكافأة نقدية لكل من يقيم صلاة الجمعة من الأتراك<sup>(3)</sup> وسمح لهم بقراءة معاني القرآن الكريم باللغة التركية والفارسية، كما أنشأ بكثير من مدن الإقليم مصليات للعيد في ساحات كبيرة، واحتشد فيها المسلمون للصلاة مرتين في العام - عيدي الفطر والأضحى - ليظهر قوة الإسلام ووحدته<sup>(1)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، فقد أشرك قتيبة وغيره من الولاة الأتراك سكان إقليم ما وراء النهر في الجيش الإسلامي وساواوا بينهم وبين الجند العرب في العطاء، والفيء والغنيمة،

(1) النسوي: نفسه.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص420.

(3) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص521.

(1) الترشيحي: تاريخ بخارى، ص50؛ محمد أحمد محمود: بخارى في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992م، ص99.



فأدى ذلك إلى دخول أعداد غفيرة منهم في الإسلام<sup>(1)</sup> وفي ذلك يقول الجاحظ<sup>(2)</sup> "وكذلك ترى أبناء العرب والأعراب الذين نزلوا خراسان، لا تفصل بين من نزل أبوه بفرغانة وبين أهل فرغانة، ولا ترى بينهم فرقاً في السبال والصهب<sup>(3)</sup> والجلود القشرة والأكسية الفرغانية، وكذلك جميع تلك الأرباع لا تفصل بين أبناء النازلة، وبين أبناء الثابتة". كما أسهم التابعون الذين صحبوا الجيوش الإسلامية في أثناء الفتوح بنصيب وافر في نشر الإسلام في هذه البلاد، فقد قدموا إلى هذا الإقليم في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، الثامن الميلادي، واستقروا في مدنه وقراه، وأخذوا في تدريس علوم القرآن الكريم، والحديث للأتراك، حتى ذاع شهرة بعض هؤلاء الأتراك، ومنهم عبدالله بن المبارك المروزي فهو أول أبناء الشعوب التركية الذي ذاعت شهرته في العالم الإسلامي<sup>(4)</sup>. كما شهد العهد الأموي دخول عدد كبير - من الأتراك - الإسلام وأشهرهم الأمير "صورت كمين"<sup>(5)</sup> الذي كان أول أمير تركي يشهر إسلامه أمام قبر الرسول ﷺ، وعاش بقية حياته في العمل من أجل الدعوة الإسلامية، وتأسس في عهده ما يقرب من أربعين جامعاً ومسجداً<sup>(1)</sup>، وكان الخليفة عمر بن عبدالعزيز (99-101هـ/717-719م) من أكثر الخلفاء الأمويين حرصاً على نشر الإسلام عن طريق الدعوة السلمية، بإرسال رسل ودعا حكام الترك للإسلام<sup>(2)</sup>، كما شجع الدعاة، وأعانهم بالمال، فقد رصد مائة دينار في العام لكل داعية،

(1) عبدالشافى محمد عبداللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ط3، القاهرة، 1993م، ص349، 350.

(2) رسائل الجاحظ (مناقب الترك) تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م، ج1، ص63، 64.

(3) يقصد بالسبال الشارب، أما الصهب فهو ذو اللون الأصفر المائل إلى الحمرة والبياض، ينظر، المعجم الموجز، تأليف مجمع اللغة العربية، الناشر وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994م، ص372.

(4) عبدالله عواتوف: علم الحديث في آسيا المركزية، بحث منشور ضمن ندوة رأس الخيمة التاريخية بعنوان العلاقات التاريخية بين الخليج العربي، وبلدان آسيا الوسطى والقوقاز، 1999م، ص33، 34.

(5) لفظ تركي اختصار (صول قول آغاسي) أي رئيس الجناح الأيسر، (ضباط الصف) في الجيش، ينظر، محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، ط1، دار الأندلس الخضراء، السعودية، نشر دارين حزم، بيروت، 1418هـ/1998م، ص240.

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص540.

(2) البلاذري: نفسه.

هذا إلى جانب سياسته العادلة الحكيمة التي قربت الأتراك للإسلام، ودخل فيه أعداد كبيرة منهم<sup>(1)</sup>. وأسهم الدعاة العباسيون بدور بارز في نشر الإسلام بين الترك، وذلك بإحيائهم لسنة رسول الله ﷺ، وإعطائهم للمسلمين الجدد كافة حقوقهم السياسية، والمدنية بطريقتهم القائمة على العدل، والإمامة للرضا من آل محمد<sup>(2)</sup> كما أكثر العباسيون من استخدام الترك في الجيش، وخاصة الخليفة المأمون (198-218هـ/ 813-833م) وأخوه المعتصم (218-227هـ/ 833-841م) اللذان استكثرا من الأتراك في الجيش العباسي<sup>(3)</sup>، حيث قدر عدد من استخدم من الأتراك في الجيش العباسي سبعين ألفاً لم يكن جميعهم مسلمين في ذلك الحين بل كان منهم مجوس، وسرعان ما اعتنقوا الإسلام بعدله وسماحته، ورسخت قدم الإسلام بين القبائل التركية، وزاد عدد القواد الأتراك الذين قربهم المعتصم إليه، ورفع من شأنهم<sup>(4)</sup>.

وشكل الدين الإسلامي بيئة علمية خصبة، حيث اهتم القرآن الكريم بالعلم وحث على طلبه وأمر به نبينا محمد ﷺ في قوله تعالى "أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"<sup>(5)</sup> وجعل المصطفى ﷺ طلب العلم فريضة بقوله (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)<sup>(1)</sup> (والعلماء ورثة الأنبياء)<sup>(2)</sup> فظهرت أعداد كبيرة من المسلمين من الفقهاء والعلماء، والأدباء والمؤرخين، والأطباء، وغيرهم من أبناء إقليم ما وراء النهر، واحتلوا مكانة بارزة في العالم الإسلامي. وأظهر القادة الفاتحون لإقليم ما وراء النهر حرصهم الشديد على نشر الإسلام، واللغة العربية بعدة أساليب أهمها توطين

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، 2001م، ج2، ص207.

(2) محمد عبدالعظيم يوسف: الدولة العباسية، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م، ص71، 72.

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، 1986م، ج5، ص311؛ محمد علي الفراء: العلاقات الثقافية بين عرب الجزيرة وشعوب آسيا الوسطى، بحث ضمن ندوة العلاقات التاريخية بين الخليج وبلدان آسيا الوسطى والقوقاز، 1999م، ص124.

(4) السيد عبدالعزيز سالم: العصر العباسي الأول، الإسكندرية، 1969م، ص122.

(5) سورة العلق: الآية 1.

(1) صحيح البخاري: ج2، ص246.

(2) صحيح مسلم: ج4، ص312.

كثير من القبائل العربية في مدن وقرى الإقليم، وفي ذلك يقول النرشخي<sup>(1)</sup> (وصلت عملية التوطين حتى الشاش وفرغانة) وهذه القبائل العربية التي سكنت بجوار الشعب التركي الأصلي لتعليمه الإسلام واللغة العربية، ساعدت أترك ما وراء النهر على تعلم اللغة العربية من أهلها فأصبحوا علماء في شتى المجالات، ليس هذا فحسب بل قاموا ببناء المدارس الإسلامية في إقليم ما وراء النهر، الأمر الذي ساعد على قيام نهضة علمية قوامها اللغة العربية التي انتشرت بين سكان هذا الإقليم، فكتبوا بها مؤلفاتهم في شتى مجالات العلم<sup>(2)</sup>.

كما كان لدخول أعداد غفيرة - من الترك - في الجيش الإسلامي، ثم تحولهم إلى الإسلام أثراً كبيراً في حرص هؤلاء المسلمين الجدد على تعلم اللغة العربية، لفهم تعاليم الدين الجديد الذي أنزل قرآنه بالعربية<sup>(3)</sup>. كما مثل الاتصال، والاحتكاك الحضاري والثقافي بين الجزيرة العربية التي وفد منها معظم قادة وجنود حملات الفتح الإسلامي، وبين شعوب ودول ما وراء النهر عاملاً مهماً من عوامل انتشار اللغة العربية وازدهارها<sup>(4)</sup> فلم تعد اللغة العربية هي لغة الوافدين فحسب، بل توطنت بين أهالي البلاد الأصليين، حتى أصبحت لغة الكتابة في تلك الأقاليم<sup>(1)</sup> ومع اصطباغ اللغة العربية بالموروث التركي والفارسي، نتج عن هذا الامتزاج ثقافة جديدة مثلت عصباً ذهبياً للثقافة التركية، فهذه التأثيرات المتبادلة أوجدت نمط حياة جديدة في حياة السكان الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية<sup>(2)</sup> وأصبحت اللغة العربية هي السائدة بين سواد الناس، فكان

---

(1) تاريخ بخارى، ص73.

(2) غوارم تشيكو فاني: العرب في الاتحاد السوفيتي، بحث نشر ضمن ندوة العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وبلدان آسيا الوسطى، 1999م، ص59.

(3) النرشخي: تاريخ بخارى، ص73.

(4) محمد علي الفراء: العلاقات الثقافية، ص124.

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص234؛ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ط2، ترجمة عبدالعليم النجار، دار المعارف بالقاهرة، 1986م، ج2، ص9-12.

(2) غوارم تشيكو فاني: العرب في الاتحاد السوفيتي، ص60.

تعلمهم لها ضرورياً، لقراءة القرآن الكريم وفهم هذه الثقافة الجديدة الوافدة عليهم<sup>(1)</sup> فكثرت الترجمات من الفارسية إلى العربية، وكان هؤلاء المترجمون من غير العرب، وتطور الأمر وصارت العربية هي لغة المراسلات، والمعاملات والمصنفات من أدب، وشعر، ونثر، وتاريخ وغيرها<sup>(2)</sup>. وهكذا كان الإسلام واللغة العربية من العوامل التي أسهمت في نهضة الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر فالقرآن حثنا على طلب العلم وتحصيله من أي مكان حتى ولو كان بالصين وأثبتت اللغة العربية دورها الكبير، فهي لغة غنية تواكب كل الحضارات، وتستوعب تراث الأقاليم الماضية، فلو لم تكن اللغة العربية على قدر كبير من الثقة والتطور والسعة لما واكبت اللغات الأخرى كال يونانية والفارسية والسريانية التي ترجم تراثها إلى العربية فمن المعروف أنه لا يمكن الترجمة من لغة إلى لغة أخرى، إلا إذا كانت اللغتان على قدر من التكافؤ وهذا ما أثبتته الكم الهائل من المترجمات إلى اللغة العربية، وليس هناك دليلاً أكبر من ذلك، على أن اللغة العربية كانت من العوامل الهامة لازدهار الحركة الفكرية بإقليم ما وراء النهر، إلا أن هذا لا يعني إن إقليم ما وراء النهر قد تعرب تماماً، أو أنها كانت هي اللغة الرسمية فنحن نشير إلى وجودها واحتلالها حيزاً كبيراً من الثقافة التركية ولكنها لم تكن الوحيدة السائدة بل إنها دخلت في صراع مع اللغات القومية الموجودة بالإقليم<sup>(1)</sup> وليس أدل على وحدة اللغة والإسلام الذي جاء للناس عامة قول الرسول ﷺ (ليست العربية بأحدكم ولا أبيه، إنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي)<sup>(2)</sup>.

(1) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج2، ص14، 15.

(2) حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والترك والفرس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971م، ص65-71.

(1) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م، ص221، 222.

(2) صحيح البخاري: ج4، ص3113.

## ظهور نمط الكتابة المحلية (الإقليمية):

ظلت الكتابات التاريخية حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي تتحدث عن التاريخ العام، إلى أن ظهر ما يعرف بالكتابة الإقليمية أو المحلية أو كتب الأقاليم والمدن، تمييزاً لها عن الكتب العامة، فقد ظل العرب طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة هم رواد المدرسة التاريخية، فكتبوا في السيرة والأنساب، والتراجم، والمغازي، والتاريخ حسب الموضوعات وتاريخ الطبقات، كما كتبوا في التاريخ العالمي، وهذا كله دليل على رقي المدرسة التاريخية العربية<sup>(1)</sup>.

وهذا النوع من الكتابة كان وليد الشعور بالقومية وتعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بإقليمه وهنا دارت إشكاليات حول ولادة هذه الظاهرة المحلية المنهجية، ثم بواعث نموها ومظاهر انتشارها في المشرق الإسلامي<sup>(2)</sup>. فهناك من قال إنها جاءت نتيجة لانتشار حركة الترجمة للعربية، وآخرون يرون أنها جاءت نتيجة لتفكك وحدة الخلافة العباسية سياسياً وإدارياً، والتي كانت تدور في فلكها كثيراً من الولايات في المشرق الإسلامي، وخاصة بعد أن استقرت الفتوحات الإسلامية، وانتشار الإسلام بين أهالي تلك الأقاليم الجديدة، فأثر ذلك في ظهور ظاهرة جديدة مرتبطة بالناحية السياسية والإدارية، وهي رغبة الأقاليم والشعوب في الاستقلال، والنزوع إلى المحلية بفعل استغلال ضعف الخلافة أحياناً، أو استجابة لنزعات شعبية في أحيان أخرى، وأسباب دينية من ناحية ثالثة<sup>(1)</sup>. وبدأت بعد ذلك ظاهرة الدويلات المستقلة كدول، وأسر، وأنظمة حاكمة وافقت الخلافة العباسية على وجودها مضطرة، فواكب هذه الدويلات توجه ثقافي يميل إلى الإقليمية أو المحلية خاصة بين الفرس والأتراك، وانطبع ذلك بالتالي على الكتابة التاريخية، حيث جعل أمراء هذه الدول - من عواصم دولهم بصفة خاصة، وأقاليمهم بصفة عامة، محل نظر

(1) فتحي أبو سيف: ظهور كتب الأقاليم والمدن كظاهرة منهجية في المشرق الإسلامي، عين شمس القاهرة، د. ت، ص 4.

(2) روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العماش، بيروت، 1983م، ص 443.

(1) السيد عبدالعزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسات شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ت، ص 121.

المؤرخين في تلك العواصم<sup>(1)</sup>. وفي حالات كثيرة كانت الأسر الحاكمة في بلاد المشرق الإسلامي تطلب من بعض المؤرخين كتابة تواريخ الأقاليم، ومدن بعينها، بقصد رصد الإنجازات السياسية، والحضارية، والتي تمت في فترات حكمهم<sup>(2)</sup> ولنا أن نتصوركم هذه الكمية من الكتب المطبوعة بطابع الذاتية إلى حد كبير، وكيف أن الوقائع والأحداث ستأخذ اللون الذي قد يجد المؤرخ نفسه مضطراً أن يلونها به مبتعداً بها عن الواقع العملي، والعقلي<sup>(3)</sup>. ولهذا نجد أن كثيراً من المؤرخين من رواد المدرسة الإقليمية قد غالوا في كتاباتهم هذه لدرجة أنهم وضعوا أحاديث نبوية غير صحيحة لمدح مدنهم ونسبوها<sup>(4)</sup> إلى رسول الله ﷺ ومن جهة أخرى كان للتفاخر والتنافس بين الإمارات المستقلة في الرواية والسند وكثرة الحفاظ أثر كبير في ظهور الكثير من مؤلفات التاريخ الإقليمي، والمحلي، فكثير من المؤلفين برروا إقدامهم على التأليف لمدنهم لرغبتهم في إبراز علماء بلدهم، وإثبات فضلهم، يضاف إلي ذلك حب الوطن، والتعصب له، والتفاخر برجاله، والرغبة في تمجيد الحكام المحليين لأغراض سياسية وفعية<sup>(1)</sup>.

كل ذلك أدى إلى ظهور ما يسمى بظاهرة الكتابة الإقليمية، التي اتسع نطاقها في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، مما ساعد على نمو وازدهار الحياة الفكرية، نتيجة لحركة التأليف، والترجمة التي صاحبت تلك الظاهرة، فقد حرص كثير من الحكام على تدوين تواريخ أقاليمهم، ورحلاتهم، كرحلات الحج، والوفود، وغيرها<sup>(2)</sup>.

(1) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م، ص286.

(2) انظر على سبيل المثال، تاريخ بخارى، للنرشخي: تاريخ قم للقمي، وتاريخ جرجان للسهمي وتاريخ بغداد، للبيгдаي.

(3) فتحي أبو سيف: ظهور، ص10.

(4) أبرز مثال على ذلك حديث النرشخي عن بخارى وسمرقند " أن الرسول ﷺ " قال " يا جبريل اذكر اسم هذه المدن التي بخراسان فقال جبريل واحدة من هذه المدن تسمى بالعربية (سمران) وبالفارسية (سمرقند) ويقال للثانية فاخرة وبالفارسية "بخارى" ينظر: تاريخ بخارى، ص7.

(1) محمد عبدالعظيم يوسف: مصادر ومناهج البحث، آداب الزقازيق، 2005م، ص9.

(2) نيقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، 1987م، ص145.

ويمكن أن نميز بين نمطين واضحين المعالم من أنماط الكتابة التاريخية الإقليمية أحدهما دنيوي، والآخر ديني<sup>(1)</sup>، وقد تفوق التاريخ المحلي الدنيوي بصفته مظهراً من مظاهر القومية الفارسية أو التركية، والتي عرفت بالشعبوية<sup>(2)</sup> وهي محاولة الارتقاء بالفارسية على حساب العربية<sup>(3)</sup>.

وهذه الشعبوية كانت لها أثرها في الدراسات التاريخية في أقاليم ما وراء النهر خاصة، ودائماً ما كانت تهتم هذه الكتب بطوغرافية المدينة، وتاريخها القديم، وعاداتها، وتقاليدها<sup>(4)</sup> ومن هذه المؤلفات التي ظهرت ببلاد ما وراء النهر كتاب تاريخ بخارى لأبي بكر محمد بن جعفر النرشخي (ت 348هـ / 959م) الذي ألفه من أجل حاكم زمني ويشمل الكتاب على مادة تاريخية هامة عن بخارى قبل الإسلام وبعده، ويؤرخ لأمرأة الدولة السامانية التي اتخذوها حاضرة لهم<sup>(1)</sup> ويأتي كتاب الكافي في تاريخ خوارزم لمؤلفه أبو أحمد محمد بن سعيد القاضي (ت 346هـ / 957م) والكتاب يحتوي على مادة تاريخية عن خوارزم، وهو الكتاب الذي صاغه ونشره وترجمه إلى الإنجليزية، العالم الألماني زخاو، تحت اسم (صفحات من تاريخ خوارزم وسني أحداثها)<sup>(2)</sup> أما كتاب (القند في ذكر علماء سمرقند) لمؤلفه (أبو حفص عمر بن محمد بن لقمان النسفي ت 537هـ / 1143م) واختصره تلميذ النسفي محمد بن عبدالجليل السمرقندي<sup>(3)</sup> وحققه يوسف

---

(1) فتحي أبو سيف: ظهور، ص 12-19.

(2) حركة فارسية، برزت بدايتها في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وازدادت بعد ذلك، وفي بدايتها كانت تهدف في الظاهر إلى الاستهانة بالعرب، واللغة العربية، والتراث العربي، وإحياء اللغة الفارسية، والتراث الفارسي، وترمي في الواقع إلى القضاء على الإسلام وتطورت أهدافها لكي تسمو بالفارسية وتراثها على حساب العربية وتراثها، عبدالعزيز الدوري: الجذور التاريخية للشعبوية، ط4، دار الطليعة، بيروت، 1986م، ص 11.

(3) حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والترك، ص 39، 40.

(4) السيد عبدالعزيز سالم: التاريخ، ص 120.

(1) مقدمة تاريخ بخارى، ص 7.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، القاهرة، 1966م، ج3، ص 213.

(3) السمعياني: الأتساب، ج3، ص 112.

الهادي ونشره في طبعته الأولى في طهران سنة 1999م<sup>(1)</sup>، وهو كتاب يميل إلى الجانب الديني لأن مدينة سمرقند مدينة ثغرية، وهي دائماً عرضة للهجوم من شتى الطامعين فقد استدعت الضرورة أن تعزز حاميتها بالمقاتلين الذين كان كثير منهم من المتطوعة لذلك نجد لقب (المطوعي) يتردد كثيراً في ثنايا كتاب (القند)<sup>(2)</sup> واستدعى لذلك أن يكون للمدينة مناقب ووضع أحاديث لرفع شأنها<sup>(3)</sup>. ومعظم كتاب القند تشغله الأحاديث النبوية وسير الأولياء والحكام والكلام عن أضرحتهم مع إشارات واضحة عن أوقات زيارتها، وما يرتبط بها من شعائر<sup>(4)</sup> مما يساعد الباحث كثيراً في الجوانب الثقافية، ورغم ما اتسم به القند كغيره من كتب المدن بالكثير من الأحاديث الموضوعية عن فضائل المدينة ومحاسنها، إلا أن به علماء أجلاء أسهموا بقدر كبير في خدمة الحضارة الإسلامية<sup>(5)</sup>. أما وادي كشكادريا (كش ونسف) فيأتي أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفري النسفي (ت 432هـ/ 1043م) خطيب نسف على رأس المؤلفين في تاريخها فله كتاب أخبار (مشاهير كش ونسف)<sup>(1)</sup> في مجلدين كبيرين وكان فقيهاً فاضلاً ومحدثاً صدوقاً رحل إلى خراسان وأقام بها، وأخذ العلم عن شيوخها وتلاميذه جمع كثير لا يحصى<sup>(2)</sup> وعلق عليه السمعاني<sup>(3)</sup> بقوله (إنه كان كتاباً مشبعاً يشتمل على ثمانين طبقة أو أكثر، اقتبس منه السمعاني كثيراً في الأنساب)<sup>(4)</sup>.

(1) من مقدمة يوسف الهادي في تحقيقه لكتاب القند، ص19، والقند في العربية عصارة القصب إذا جمد أو أنها معرب كلمة (كند) وهي من أصل هندي، وفي اللغة السكريدية فإن (Rhonda) تعني القطعة مطلقاً وقطعة القند بشكل خاص.

(2) يوسف الهادي: مقدمة كتاب القند، ص34.

(3) عنها انظر: محمد عبدالعظيم: مصادر ومناهج البحث، ص25.

(4) بارتولد: التركستان، ص79.

(5) محمد عبدالعظيم: مصادر، ص25.

(1) ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص2-11.

(2) السمعاني: الأنساب، ج4، ص529.

(3) الأنساب، ج4، ص529.

(4) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج4، ص1157؛ قحطان الحديثي: التواريخ المحلية لخراسان، البصرة، 1990م، ص119.



وغير هذه الكتب والمؤلفات نتيجة لهذه الظاهرة كثير سوف نتحدث عنها فيما بعد في

#### الفصلين الرابع والخامس.

ولكن نتيجة لهذه الظاهرة ورغم أن الكتابات التاريخية المحلية كتبت باللغتين العربية والفارسية إلا أن تعصب أبناء الأقاليم لمدنهم وتواريخهم ولغتهم بدأت اللغة العربية تتلاشى على حساب اللغة الفارسية<sup>(1)</sup> التي بدأت تنمو مع نمو الحركات الاستقلالية عن الخلافة العباسية، مما أدى إلى إثراء عملية التدوين التاريخي المحلي، إلى جانب أن علماء المسلمين كانوا ملمين بأكثر من لغة خاصة العربية والفارسية<sup>(2)</sup>. ولم تقتصر تلك الظاهرة على كتب التاريخ فقط بل شملت كتب الجغرافية الإسلامية العامة كأحد منابع تواريخ الأقاليم، والمدن المشرقية<sup>(3)</sup> وهذه الكتب الجغرافية أسهمت أسهاماً كبيراً في رقي الحركة الفكرية والثقافية في إقليم ما وراء النهر، فما كان من كتاب جغرافي إلا وذكر صاحب الإقليم بموقعه وحدوده، ومناخه، وعاداته وتقاليده، وصادراته، ووارداته، وأشهر رجاله وعلمائه<sup>(1)</sup>.

كما أسهمت كتب الخراج والنظم المالية في دراسة تواريخ أقاليم المشرق الإسلامي ومدنه، وهي الكتب التي تختص بموضوعات الأموال والخراج<sup>(2)</sup>.

وهناك سؤال يطرح نفسه أيهما كان أكبر أثراً في الحياة الفكرية بإقليم ما وراء النهر التعريب أم الشعوبية؟ ويكمن الإجابة على هذا السؤال من خلال استعراض الكم الهائل من النتائج الفكرية الخاص بإقليم ما وراء النهر، فأغلبه نسج باللغة العربية على الرغم من عدم تعريب

---

(1) حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والترك والفرس، ص 25-27.

(2) محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، (دار مكتبة الحياة، بيروت، 1980م)، ص 41.

(3) كراتشكو فسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية، د. صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، 1996م، ج1، ص 57؛ بارتولد: تركستان، ص 17.

(1) محمد الفراء: العلاقات الثقافية، ص 128.

(2) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط، القاهرة، 1973م، ص 41.

الإقليم كله، وعلى الرغم من سيادة العنصر التركي والفارسي إلا أن معظم نتاج علماء ما وراء النهر قد نسج باللغة العربية<sup>(1)</sup> وليس هناك دليلاً أكبر من ذلك على مدى تأثير علماء ومشايخ هذا الإقليم باللغة العربية. إلا أننا أيضاً لا يمكن أن ننكر ذلك التنوع في الكتابة الإقليمية التي لم تقتصر على التأليف بالعربية فقط بل شملت الفارسية أيضاً، مما أدى إلى تنوع المادة العلمية، والفكرية التي كتبت بها هذه الكتب، وإن كان أغلبها باللغة العربية، وساعد على ذلك تنافس الحكام والملوك، والأمراء في السبق بالنهوض بالعلم، والأدب، تزداد به دولتهم، وتسمو مكانتها عن غيرها، فكان هذا التنافس البناء، هو ما دفعهم إلى جذب العلماء، والمؤرخين وغيرهم للحديث عن مدنهم، وأقاليمهم، وأجزلوا لهم العطاء، وبنوا لهم المدارس والأربطة وأوقفوا عليهم الأوقاف للصرف عليهم، وعلى طلابهم ومؤلفاتهم<sup>(2)</sup> فزاد ذلك من رقي وازدهار الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر.

## الصراع المذهبي وأثره في ازدهار الحياة الفكرية:

### أولاً: الصراع السني - السني:

دخل أتراك إقليم ما وراء النهر وبقية سكانه من الأجناس الأخرى الإسلام على مذهب أهل السنة والجماعة، ونظراً لما حدث من تطور سياسي أدى إلى ظهور بعض الفرق الفقهية بداية من العصر الأموي مثل الخوارج والشيعة، كان لا بد أن يعتنق بعض سكان الإقليم كغيرهم من أقاليم المشرق الإسلامي هذه المذاهب، وكان إقليم ما وراء النهر وخراسان مقراً للدعوة العباسية التي دعت إلى العدل، والمساواة، والرضا لآل محمد<sup>(1)</sup> وحرص الخلفاء الأوائل من بني العباس أمثال أبي جعفر المنصور، والمهدي، وهارون الرشيد على إتاحة الفرصة لظهور كافة المذاهب

(1) انظر فصل النتاج العلمي في الرسالة.

(2) عبدالمتعال الصعيدي: المجددون في الإسلام، دار هجر، القاهرة، 1992م، ص149.

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص20.

السياسية، فظهر المذهب الحنفي في عهد أبي جعفر المنصور<sup>(1)</sup> وظهر المذهب المالكي والشافعي في عهد الخليفة هارون الرشيد الذي كان قصره، ومجالسه العلمية ساحة لاختلاف هؤلاء العلماء في الفقه، وغيره من علوم الدين<sup>(2)</sup> كما ظهر المذهب الحنبلي في عهد الخلفاء المأمون، والمعتصم والواثق<sup>(3)</sup>. ومن المعروف أن اختلاف هؤلاء الأئمة الأربعة كان اختلافاً في فروع الدين وليس في أصوله، ثم تفرع الفرع الواحد إلى عدة فرق، تصارعت فيما بينها في أغلب مدن العالم الإسلامي<sup>(4)</sup> ودار الصراع السني - السني، ونتج عنه كم هائل من المؤلفات العلمية التي عكست تعصب مذهب معين للرد على مذهب مخالف، مما أثرى الحياة العلمية لنصرة هذا المذهب أو ذاك<sup>(1)</sup> كما كان للعلماء المنتمين إلى المذاهب الأربعة دور عظيم في إثراء الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر منذ العصر العباسي الأول، وحتى نهاية العصر الخوارزمي، تمثل في إنشاء المدارس الشافعية، والحنفية، والحنابلة، وكان لكل مذهب مدارس معروفة، وقد أدى ذلك إلى انتعاش علمي هائل تمثل فيما ظهر من المؤلفات العلمية المختلفة للدفاع عن العقيدة، وشرح أصولها، وإبراز وجهات النظر الفقهية المذهبية وإخراج تراجم لرجالها، والكتابة عن مناقب شيخ المذهب<sup>(2)</sup>. وتعددت مجالس المناظرات بين أصحاب هذه المذاهب، وأسهم علماء ما وراء النهر ممن تنوعت مذاهبهم بين الأحناف والشافعية، وغير ذلك في عدد من المناظرات العلمية، والأدبية والدينية مما ساهم في إثراء الحياة العلمية بالإقليم<sup>(3)</sup> ورغم ذلك سار أئمة المذاهب الأربعة

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج7، ص652؛ محمد عبدالعظيم: الدولة العباسية، ص37.

(2) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ج3، ص337.

(3) أحمد الشامي: الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، دار الإصلاح، الإحصاء، 1983م، ص87.

(4) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفجر، القاهرة، 1988م، ج1، ص255؛ رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق خلال العر البويهية، مكة المكرمة، 1997م، ص81.

(1) عبدالمجيد بدوي: التاريخ السياسي، ص11، 12.

(2) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص151، 152.

(3) أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م، ص165.

على نهج معين في اختلافاتهم فقهيًا بحيث سادت روح التعصب بينهم، ووقعت بينهم كثيراً من الأحداث الدامية<sup>(1)</sup> بل وكثر الخلاف الفقهي، والمذهبي بين أصحاب المذهب الواحد، ولكن ينبغي التأكيد على أن علماء أهل السنة، والجماعة قد واطبوا على إصدار كتبهم المتنوعة واضعين في حسابهم أن ما يقومون به إنما هو الله تعالى، لذلك فإنهم غالباً ما رفضوا اتخاذ أجراً على التعليم، والتأليف فعندما علم علماء فرغانة، وغيرها من أقاليم ما وراء النهر، بأن أسانذة النظاميات في بغداد وغيرها يأخذون أجراً على علومهم (أقاموا الجوائز من أجل ذلك)<sup>(2)</sup>. وكان من عادة علماء أهل السنة أن يوزعوا كتبهم على الدارسين، بل يودعونها في الجوامع الكبيرة، مما وفر قيام مكتبات قيمة ملحقة بالجامع، ولا غرابة في ذلك، فقد كان أهل السنة يتمتعون بغزارة الإنتاج العلمي، وكثرة الكتب<sup>(1)</sup>. وظهرت مؤلفات علماء أهل السنة في مختلف التخصصات بغية إظهار الحقائق للناس وبطبيعة الحال فإن كتب العلوم الشرعية كانت على رأس العلوم التي اشتغل بها معظم علماء السنة والجماعة، ثم تلتها في الأهمية العلوم المساعدة مثل علوم النحو، والأدب والصرف<sup>(2)</sup> وقد كانت للعلوم العقلية نصيب أيضاً من اهتمام علماء أهل السنة مما أدى إلى غزارة الإنتاج العلمي لأهل السنة<sup>(3)</sup> ولم يكتفوا بالتأليف، بل نظموا حركة واسعة النطاق تمثلت في عقد مجالس الوعظ، والإرشاد، والمناظرات العلمية العامة في المساجد، وبيوت العلماء لتوضيح وحدة الشريعة الإسلامية السمحة، حيث استند كل منهم على الكتاب والسنة، ولذلك سميت اختلافاتهم بالمذهبية، وليس بالفرق، فلا فرق بين علماء السنة والجماعة<sup>(4)</sup>.

(1) للمزيد انظر، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص831؛ البغدادي: تاريخ بغداد، ج4، ص189.

(2) الرواندي: راحة الصدور، ص213.

(1) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص180.

(2) آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج3، ص308، 309.

(3) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص180، 181.

(4) البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص456.

وأدت المناظرات والمحاورات والمجادلات، والتعصب بين المذاهب السنية إلى تحريك العامة وإثارتهم وإبراز تعصبهم<sup>(1)</sup> كما تدخل سلاطين السلاجقة ووزرائهم بصورة بشعة لنصرة طائفة على أخرى، فأيدوا فرقا كثيرة، وقسوا على علماء أجراء مثلما حدث في عهد السلطان طغرلبيك الذي تعصب للأحناف، وأمر بالتعصب لهم بناء على توصية وزيره عميد الملك الكندري<sup>(2)</sup>.

### الصراع السني - الشيعي:

لم يكن الصراع السني - الشيعي وليد العصرين السلجوقي والخوارزمي أو الذي قبلهما، وإنما كان نتيجة ظروف وملابسات عقائدية وسياسية حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ ولقد انتشر التشيع<sup>(1)</sup> في معظم بلدان العالم الإسلامي، خاصة في بلاد خراسان وما وراء النهر<sup>(2)</sup>. وعد الشيعة خلفاء بني العباس غاصبين للخلافة، واتهموهم بالتقاعس وعدم الاهتمام بالإسلام والامتناع عن الدفاع عن حدود العالم الإسلامي<sup>(3)</sup>. واحتدم هذا الصراع في العصر العباسي الثاني، وعصر الدويلات المستقلة، وخاصة في العصرين السلجوقي والخوارزمي، فقد بدأت بذور هذا الصراع عندما تنازل العلويون عن الدعوة للعباسيين سنة 98هـ/ 716م ودار صراع طويل بين العلويين، والأمويين<sup>(4)</sup>، وعندما قامت الدولة العباسية عام 132هـ/ 749م واتخذت بغداد مقراً

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص413.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط دار الكتب المصرية، 1933م، ج5، ص54.

(1) التشيع: نسبة إلى الشيعة وهو لفظ يطلق على أتباع الرجل وأنصاره، فيقال فلان من شيعة فلان أي ممن يهوى هواه، أو كل قوم اجتمعوا على أمر فهم الشيعة، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، بدون، ط، مصر، 1306هـ، ج5، ص405، والشيعة هم الذين شايعوا علي بن أبي طالب ﷺ على الخصوص، وقالوا بإمامته، وخلافته، نصاً ووصية، واعتقدوا أن خلافته لا تخرج عن أولاده وأحفاده، وقالوا بالعصمة والإمامة، الشهر ستاني: الملل والنحل، تحقيق، د/ محمد سيد كيلاني، ط عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1396هـ/ 1976م، ج1، ص146.

(2) أحمد الشامى: الدولة العباسية، ص25-36.

(3) المقرئزي: انعاظ الحنف، ج1، ص58.

(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج14، ص185.

وعاصمة لها، دخل إقليم ما وراء النهر في حلبة الصراع بين العباسيين والعلويين<sup>(1)</sup> ولم يكن اختيار العباسيين لخراسان، وما وراء النهر من أجل نشر دعوتهم اختياراً عشوائياً بل هو اختياراً مدروساً، له دوافعه التاريخية والدينية، حيث مثلت خراسان وما وراء النهر مركزاً أساسياً لنشر مبادئ الدعوة العباسية في تلك البلاد، وذلك لأن أهالي خراسان وما وراء النهر، كانوا على دراية بفكر التشيع<sup>(2)</sup>. وظل العباسيون - والعلويون شركاء في الدعوة العباسية - يلقون المصير نفسه من تتكيل بني أمية، فقد أذاق دعاة الدعوة العباسية كل ألوان العذاب والصعاب ما بين حبس وقتل، وتمثيل بهم وشهدت سنة 124هـ/ 741م فشل ثورة زيد بن علي ابن الحسين<sup>(3)</sup> وكذلك سنة 125هـ/ 742م فشل ثورة يحيى بن زيد ومقتله، وصلب بالجوزجان<sup>(1)</sup>، وظل مصلوباً حتى ظهر أبو مسلم الخراساني، الذي أنزله، وكفنه، وصلى عليه، وأمر الناس بالنياحة عليه<sup>(2)</sup>. ثم تحول الصراع العلوي - الأموي إلى صراع عباسي - علوي بمجرد إعلان الخلافة العباسية عام 132هـ/ 749م واحتدم هذا الصراع طيلة العصر العباسي الأول (132-232هـ/ 749-486م) وبرز العلويون الزيديون من أمثال محمد ابن النفس الزكية، وأخيه إبراهيم، إبان عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (136-158هـ/ 753-744م)<sup>(3)</sup> والحسين بن علي بن الحسن إبان خلافة الخليفة الهادي (169-170هـ/ 785-786م) وانتهى الأمر بقتله في معركة فخ سنة 170هـ/ 686م<sup>(4)</sup> والتي فر منها إدريس بن عبدالله إلى بلاد المغرب، وأخوه يحيى إلى الشام

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص15، 16.

(2) راجع الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص333.

(3) زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب: من سلالة السيدة الزهراء فاطمة رضي الله عنها وزعيم فرقة الزيدية بالبصرة، والعراق، واتصفت دعوته بالاعتدال، الشهر ستاني: الملل، ج1، ص100.

(1) الجوزجان: الجهة الغربية من ربع بلخ وهي بين بلخ ومرو الروج، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص149.

(2) إحسان ألهي ظهير: الشيعة والتشيع (فرق وتاريخ) ط2، إدارة ترجمة جماعة السنة لاهور باكستان، 1984م، ص204، 205.

(3) محمد عبدالعظيم: الدولة العباسية، ص71-78.

(4) السيد عبدالعزيز سالم: العصر العباسي الأول، ص89.

وظهر ثانياً في عهد هارون الرشيد<sup>(1)</sup>. وحاول الخليفة المأمون استمالة العلويين بتعيين الإمام علي الرضا ولياً للعهد، ولكنه تخلص منه سنة 204هـ / 819م، واستمر الحال في عهد الخليفة المعتصم حيث قتل الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا حفيد الإمام جعفر الصادق<sup>(2)</sup> وكذلك الخليفة الواثق بالله ابن المعتصم الذي استمر على السياسة نفسها المناوئة للشيعة والعلويين<sup>(3)</sup>.

وما يهمننا من هذه الخلافات السياسية - المذهبية، هو نتاج الحرب الكلامية التي نجمت عن هذه الأحداث، وما خلفته الحروب من النتائج العلمي الهائل الذي زخرت به مكاتب ومجالس العلم في العصر العباسي الأول، حيث انبرى كل فريق من السنة، والعلويين يؤلفون الكتب للرد على الفريق الآخر<sup>(1)</sup>. وشارك إقليم ما وراء النهر في الثورات المذهبية التي قامت ضد الخلافة العباسية في عصرها الأول، والتي أخمدها خلفاءها، فقد كان أول انتشار للتشيع عند الفرس، ولما كان الفرس عنصراً من سكان إقليم ما وراء النهر فقد عرفوا التشيع ومنهم من اتبعه، ولكون العباسيون سنة فقد كان هناك صراع مذهبي بين التابع والمتبوع، فعلى الرغم من انجذاب بعض أهالي ما وراء النهر وآسيا الوسطى للدعوة العباسية ومبادئها، إلا أن البعض الآخر قد اشترك في الصراع المذهبي الذي دار بين السنة من جهة، والشيعة والخوارج من جهة أخرى، ونجد أن أهالي ما وراء النهر اشتركوا في أغلب هذه الثورات المذهبية ضد الخلافة العباسية السنية<sup>(2)</sup>.

(1) محمود إسماعيل: الأدراسة في المغرب الأقصى، مكتبة الفلاح، الكويت، 1409هـ / 1989م، ص22-35.

(2) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1963م، ص218.

(3) المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص87.

(1) أكثر شيء دار حوله الصراع السني - الشيعي هو (الخلافة) وعلى أي من الأسس يتم اختيار الخليفة، فالسنة يرون أن الاختيار والانتخاب بين أهل الحل والعقد، والشيعة لا يحبذون هذه الطريقة، ويرون أن الخلافة تكون في بيت الرسول ﷺ وفي أقرب الناس إليه ويقصدون سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ، ألهمى ظهير: الشيعة والتشيع، ص163 وما بعدها.

(2) سعيد عاشور: العلاقات العربية التركية من منظور عربي، القاهرة، 1976م، ج1، ص32.

لم يقتصر الانخراط في الصراع المذهبي على الفرس، والأتراك فقط، بل أشترك فيه العرب الذين عاشوا ببلاد ما وراء النهر، وكانوا مُعادين للحكم العباسي، فعلى سبيل المثال تعد الثورة التي وقعت أحداثها في بخارى سنة 133هـ/ 751م بزعامة شريك بن شيخ الهروي<sup>(1)</sup> من الثورات التي عانى منها العباسيون، وكان هدفها تقويض الحكم، وتفكيك وحدته، وشارك فيها كثير من سكان بلاد ما وراء النهر حيث استطاع شريك خلال فترة وجيزة أن يجتذب إلى دعوته كثيراً من المؤيدين في سمرقند وبيكند، وفرغانة، وخجندة، والشاش وغيرها، وقدروا بأكثر من ثلاثين ألفاً، وانضم إليه أمراء من بلاد ما وراء النهر منهم أمير فرغانة، وقد اتفق هؤلاء الأمراء فيما بينهم على نشر دعوة شريك، ومحاربة كل من يتصدى له<sup>(2)</sup> فوجه أبو مسلم الخراساني قائده زياد بن صالح ومعه عشرة آلاف مقاتل للقضاء عليه، وهزمه وقتله، وعقب مقتل شريك بن شيخ، أمر زياد بن صالح بإضرام النيران، في المدينة، التي ظلت ثلاثة أيام كاملة<sup>(1)</sup>.

واستمرت ثورات الشيعة في بلاد ما وراء النهر تناوئاً الحكم طوال العصر العباسي الأول، ولكن قوة خلفائه وسيطرتهم على الأمور كانت كفيلة بالقضاء عليها<sup>(2)</sup> ولم تخل تلك الصراعات المذهبية من تأليف الكتب، للرد على تلك الفرق الخارجة عن سلطان الخلافة، كما هو الحال في عهد الخليفة المهدي الذي عقد كثيراً من المجالس العلمية للمناظرة بين علماء عصره، وعلماء وشيوخ العلويين<sup>(3)</sup>.

---

(1) رجل من العرب أقام ببخارى، وكان من الشيعة البارزين، رفع لواء الثورة باسم العلويين، حيث دعا الناس إلى خلافة أبناء علي كرم الله وجهه، ومن قوله في ذلك (قد تخلصنا الآن من عناء المروانيين، فلا حاجة بنا إلى عناء بني العباس)، "ويجب أن يكون أبناء النبي خلفاءه" وكان مقتله سبباً في عداوة زياد بن صالح العباسي، مع أبي مسلم الخراساني نظراً لأن أبا مسلم الخراساني قد أخذ عليه كثرة القتل، ينظر، النرشخي: تاريخ بخارى، ص95؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص135.

(2) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص243.

(1) النرشخي: تاريخ بخارى، ص96، 97.

(2) لمزيد من التفاصيل، انظر، شريات أحمد مصطفى راشد: تركستان في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب قنا، مصر، 2005م، ص47-67.

(3) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج6، ص397.



وكان الخليفة المتوكل أشد العباسيين عداوة بعد الخليفة المنصور والرشد للعلويين، فقد أمر سنة 246هـ/ 850م بهدم قبر الحسين بن علي في كربلاء وهدم ما حوله من المنازل، ومنع الناس من زيارته وكان يجالس الشعراء مثل أبي الجهم الشاعر، وغيره ممن أشعروا له رداً على العلويين فنتج عن ذلك ازدهار الشعر كأحد ألوان العلوم اللغوية، وروافد العلوم النقلية في تلك الفترة<sup>(1)</sup>. وعندما أقام الطاهريون حكمهم في خراسان سنة 205هـ/ 820م اشتد الصراع بين الفرق المذهبية ونال إقليم ما وراء النهر نصيبه من هذه الصراعات، وكان الطاهريون وخاصة عبدالله بن طاهر بن الحسين (ت 230هـ/ 844م)، حريصون على محاربتهم، وعلى نشر التعليم بين جميع فئات المجتمع خاصة الفقراء منهم، حتى لا يتسرب إليهم الفكر العلوي الشيعي<sup>(2)</sup>.

ففي عام 219هـ/ 834م خرج محمد بن القاسم بن علي بن الحسين بن علي من الطالقان بخراسان يدعو للرضا من آل محمد، واجتمع عليه خلق كثير من أشروسنه، وفرغانة والشاش<sup>(1)</sup> وقاتله قواد عبدالله بن طاهر مرات عديدة إلى أن تم قتله<sup>(2)</sup> ومن فرق الشيعة التي ظهرت في آسيا الوسطى في العصر الصفاري ثم الساماني الإمامية<sup>(3)</sup> والناووسية<sup>(4)</sup> والسملطية أو الشمطية<sup>(5)</sup> والعظمية<sup>(6)</sup>. وفي العصر الغزنوي استمر الصراع السني - الشيعي حيث استمر الشيعة في اعتقادهم أن خلفاء بني العباس غاصبون للخلافة، واتهموهم بالتقاعس، وعدم الاهتمام بالإسلام

(1) محمد حسين الزين: الشيعة في التاريخ، دار الآثار، بيروت، د. ت، ص 204.

(2) عصام عبدالرؤوف الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985م، ص 203.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج15، ص 725.

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 312.

(3) القائلون بإمامة علي ﷺ نصاً ظاهراً، وبقيناً صادقاً، الشهر ستاني: الملل والنحل، ج1، ص 134.

(4) اتباع رجل من أهل البصرة يقال له فلان بن فلان الناووس، وقيل نسبوا إلى قرية ناوسا من بلاد أشروسنه: وانتشرت في بقية الأقاليم، وقالوا إن جعفر بن محمد حي لم يموت، ولا يموت حتى يظهر ويولي أمر الناس، وإنه هو المهدي، الشهر ستاني: الملل والنحل، ج1، ص 144.

(5) تنسب إلى يحيى بن أبي السميظ أو أبي الشميظ، وهم القائلون إن الإمام بعد جعفر بن محمد ابنه محمد بن جعفر، وذلك لأن أباه جعفر وصى له في صباه، إحسان آلهي ظهير: الشيعة، ص 225.

(6) القائلون بإمامة عبدالله بن جعفر بن محمد، وسموا بذلك لأنه كان أفتح الرأس أو أفتح الرجلين، وقيل إنهم نسبوا إلى ريس من أهل الكوفة، إحسان آلهي ظهير: الشيعة، ص 226.

والامتناع عن الدفاع عن حدود العالم الإسلامي<sup>(1)</sup> وتمكن الشيعة من الظهور بكثرة وحرية، حينما سيطر ملوك بني بويه الشيعة على مقدرات الأمور في بغداد، وبعد أن أصبح للفواطم الشيعة خلافة قوية في القاهرة، والتي حاولت الترويج لطائفها في معظم بلدان المشرق الإسلامي، وخاصة خراسان وما وراء النهر عن طريق دعاة لهم يدعون للفرقة الإسماعيلية<sup>(2)</sup>.

ويدخل السلاجقة بغداد سنة 447هـ/ 1055م زاد الصراع السني - الشيعي، وتعصب السلاجقة لأهل السنة ولخلفاء بني العباس، ودافعوا عن المذهب السني - مذهب الخلافة العباسية<sup>(1)</sup>. وظهر ذلك جلياً سنة 450هـ/ 1058م حينما أصبحت بغداد مدينة فاطمية شيعية لمدة عام كامل، أثار فتنة أبي الحارث أرسلان البساسيري<sup>(2)</sup> وكان سيف السلطان طغرلبيك السلجوقي كفيلاً بالقضاء على البساسيري سنة 451هـ/ 1059م<sup>(3)</sup>.

ولم يهدأ الشيعة خاصة بعد تعصب السلاجقة ووزرائهم للسنة، واضطهادهم لكل الفرق الشيعية، وطردهم من أجهزة الدولة بعد أن عاب نظام الملك الطوسي على سلاطين السلاجقة أنهم قاموا بتوظيف عدد من غير المسلمين كاليهود والنصارى، ومسلمين كالإسماعيلية<sup>(4)</sup> واستجاب سلاطين السلاجقة له، وطردوهم من الوظائف الإدارية، واستخدموا القوة معهم خاصة

---

(1) محمد عبدالعظيم: الدولة العباسية، ص38.

(2) من قال بإمامة إسماعيل فرقتان، فرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل، وأنكرت موته في حياة أبيه، وفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر هو حفيده محمد بن إسماعيل، وسموا بالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن إمام جعفر الصادق، انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص191؛ برناردلوييس: أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرومطيين، راجعه وقدم له، د. خليل أحمد خليل، بيروت، 1980م، ص69.

(1) عبدالنعيم حسانين: سلاجقة إيران، ص41.

(2) يفتح الباء الموحدة، والسين المهملة، وبعد الألف سين مكسورة ثم باء ساكنة، ويعدها راء، نسبة إلى بلدة بفارس يقال لها بساو والعرب سمونها (فساو) والنسبة إليها (فسوي) وهو أبو الحارث البساسيري التركي مقدم الأتراك في بغداد، وكان مملوكاً عند البويهيين وتدرج في المناصب حتى أصبح من كبار رجال الجند ببغداد، وأشعل ثورة ضد الخليفة العباسي القائم بأمر الله (ت450هـ/ 1058م) وتمكن طغرلبيك من قتله، ينظر: محمد عبدالعظيم: طغرلبيك، ص51-63.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص91؛ محمد عبدالعظيم: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ص69.

(4) نظام الملك: سياسة نامة، ص243.

(الإسماعيلية الباطنية)، واشتد الصراع بين الإسماعيلية والسلاجقة سواء أكان سياسياً أو فكرياً<sup>(1)</sup> حتى إن الرفضية<sup>(2)</sup> في ذلك العهد كانوا يرادفون عبدة النار والكفار، وكان يضرب المثل بقوة السلطان ألب أرسلان في هذا الصدد حتى قبل إنه منعهم من امتلاك المدارس وغيرها من مؤسسات التعليم، ومنع أفرادها من حضور مجالس البحث والنظر<sup>(3)</sup> بل إن علماء السنة الذين عاشوا في خراسان وما وراء النهر، بما لهم من نفوذ كبير ينادون بمعادة الفرق غير السنة كافة، ويروجون عدداً من الأحاديث تحرض على قتلهم<sup>(1)</sup> ولقد قام نظام الملك ببناء المدارس النظامية في بغداد، ونيسابور، وهراة، ومرو وغيرها لنشر وتعليم المذهب الأشعري السني، ولمقاومة الفكر الشيعي الإسماعيلي<sup>(2)</sup>، بل قاوم سلاطين السلاجقة المذهب الإسماعيلي بأقصى ما يستطيعون من قوة وصبغوا عداة الإسماعيلية للدولة السلجوقية بصبغة العداة للدين الإسلامي<sup>(3)</sup>.

ورغم هذا الصراع فقد حدث احتكاك بين هذه الفرق، كما حدث احتكاك آخر بين الفقهاء في كل أقاليم الدولتين السلجوقية والخوارزمية، فكان كل فريق يتسلح بالعلم أمام خصومه وبكل الأساليب ليتغلب عليهم، ونتج عن ذلك كم هائل من المصنفات العلمية للرد على بعضهم البعض<sup>(4)</sup>. وفي ظل هذه الظروف - المفعمة - بالاضطرابات، والنزاعات نبتت بذور فرقة

---

(1) محمد سعد عزب: الحياة الفكرية في خراسان في العصر السلجوقي، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م، ص110.  
(2) الرفضية: سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأنه مدح الشيخين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، وعندما سمعت شيعة الكوفة مدحه لهما، وعرفوا أنه لا يتبرأ منهما رفضوه حتى أتى قدره عليه، فسميت رافضة، الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص151.

(3) نصير الدين أبو الرشيد عبدالجليل: بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض، ط طهران، 1311هـ، ص45 وما بعدها.

(1) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص219.

(2) عبدالكريم عرابية: العرب والأترك، ص98.

(3) لمزيد من التفاصيل عن هذا الصراع بين السلاجقة والإسماعيلية، انظر، مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت، 1965م، ص214-217؛ محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية في إيران، مؤسسة سجل العرب، 1975م، ص98 وما بعدها؛ محمد سعد عزب: الحياة الفكرية في خراسان، ص111-122.

(4) لمزيد من التفاصيل حول النتائج العلمي لهذه المذاهب والفرق، راجع الفصل الرابع من الرسالة.

المعتزلة<sup>(1)</sup> وأثيرت مسائل دينية اختلف بشأنها المسلمون وهي حكم مرتكب الكبيرة، ومسألة القضاء والقدر، فنشأ تراثٌ من المناظرات، والمجادلات عبارة عن أحكام متضاربة هي في حقيقتها تراث كل فرقة، وموروثها الاعتقادي، وظهرت فرق أخرى كالمرجئة<sup>(2)</sup> التي حكمت على مرتكب الكبيرة بأنه مع فسقة الخوارج<sup>(3)</sup> حكموا عليه بأنه كافر مشرك، أما المعتزلة فقالوا إن مرتكب الكبيرة يكون في منزلة بين المنزلتين، وبذلك يكون قد نُقل الموقف السياسي إلى مسار ديني، وكان نتاج ما دار من جدل هو إرهابات لعلم الكلام<sup>(1)</sup> ونال المعتزلة ما نالهم في العصر الأموي، وما أن بدأ العصر العباسي الأول إلا وتنفس المعتزلة الصعداء وباعتناق الخلفاء المأمون والمعتصم والوائق لفكرهم<sup>(2)</sup>. وتوطدت صلة المأمون بالمعتزلة، حتى أضحى الاعتزال هو المذهب الرسمي للدولة العباسية، واتخذ المأمون بطانته منهم، وكانوا يعقدون مجالس المناظرة بعيداً عن الفكر السلفي القديم<sup>(3)</sup>. وبطبيعة الحال كان نصيب إقليم ما وراء النهر، من الفكر الاعتزالي نصيباً كبيراً بحكم تبعيتها للخلافة العباسية، وفرض المأمون والمعتصم، والوائق المذهب فرضاً، ودخلوا في صراع فكري طويل مع الحنابلة<sup>(4)</sup> فظهر علم الكلام<sup>(5)</sup> كأحد العلوم

(1) ظهرت فرقة المعتزلة في البصرة في أوائل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، كفرقة إسلامية لها أرواها على يد واصل بن عطاء الذي اعتزل شيوخه الإمام الحسن البصري فسمي اتباعه بالمعتزلة أو الواصلية، الشهر ستاني: الملل والنحل، ج1، ص95.  
(2) الأجزاء على معنيين، أحدهما بمعنى التأخير، والثاني إعطاء الرجاء، وهي جماعة كانت تؤمن بتأخير العمل عن النية، والعقد، وكانوا يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقالوا بتأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، الشهر ستاني: الملل والنحل، ج1، ص11.  
(3) الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في موقعة صفين، بعد أن بايعوه أو لأنهم خرجوا إلى المدائن أو خرجوا من الجماعة، الشهر ستاني: الملل، ج1، ص97، 98.

(1) مني حسن محمود: المعتزلة في بلاد المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس، 2007م، ص32، 33.  
(2) ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق، د. علي عمر، مكتبة النعام، القاهرة، 2001م، ص50؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق، د. طه عبدالسلام عبدالرؤوف، مؤسسة الحلبي، القاهرة، د. ت، ص15 وما بعدها.  
(3) ابن دحيه: النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق، د. عباس العزاوي، بغداد، 1949م، ص76.  
(4) ابن كثير: البداية والنهاية، ج15، ص279.  
(5) علم الكلام هو إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، فهو العلم الذي يبحث في الأدلة اليقينية المتعلقة بالعقائد الإسلامية وهذه الأدلة مبناها العقل المستند إلى المنطق، ابن خلدون: المقدمة، تحقيق، د. ماجد أحمد طاهر، دار الفجر، القاهرة، 2004م، ص551.

المهمة في إقليم ما وراء النهر ولقي اهتماماً كبيراً من قبل العلماء وخاصة أهل الكلام، في العديد من المسائل الدينية التي خالفوا فيها الجمهور<sup>(1)</sup> فأهل الحديث كانوا يرون أن آراء المتكلمين بدعة ورموهم بالإلحاد والزندقة<sup>(2)</sup>.

وانتشر الاعتزال بين بلدان إقليم ما وراء النهر، وكثيراً ما ألفت الكتب في علم الكلام للرد على المسائل الفقهية الكثيرة التي دارت بين الفرق، والمنتبع لهذه الفرق يري أن الاختلاف بينها هو اختلاف في فروع العقائد، وليس في أصولها المتفق عليها بين الجميع، فقد اختلفوا في قضية خلق القرآن الكريم وصفات الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من المسائل<sup>(1)</sup> واشتهر بإقليم ما وراء النهر العديد ممن برزوا في علم الكلام، واستخدموا النظم والنثر لإيراد الحجج، والبراهين التي تثبت آراءهم، والرد على الآراء الأخرى المخالفة لهم<sup>(2)</sup>.

وهكذا أثرى الصراع المذهبي بين المذاهب والفرق الإسلامية الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر، بكثرة المؤلفات في شتى الفروع سواء أكانت فقهية أو التفسير أو الحديث أو علم الكلام، وغيرها من العلوم، وهذا ما سوف يتضح في دراستنا للنتاج العلمي في الفصل الرابع.

### الرحلات العلمية (الرحلة في طلب العلم):

دعا الإسلام إلى الرحلة في طلب العلم وأخذ العبرة من أحوال الأمم قال تعالى " فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"<sup>(3)</sup> وقال ﷺ "تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة ودراسة تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من

(1) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج2، ص316، 317.

(2) عصام عبدالرؤوف الفقي: تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م، ص306.

(1) لمزيد من التفاصيل راجع، محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، (محاولة تنظير) طور التكوين، ج1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1980م، ص203-213؛ سوسيولوجيا الفكر الإسلامي (طور الازدهار) دار سيناء، القاهرة 2000م، ج3، ص213-216.

(2) لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الرابع من الرسالة.

(3) سورة التوبة: الآية 122.

لا يعلمه صدقه وهو عند الله لأهله قريبة، إذا مات مؤمن وترك ورقة واحدة عليها علم تكون الورقة يوم القيامة سترًا بينه وبين النار وأعطاه الله بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات<sup>(1)</sup>. وقال الحبيب ﷺ من خرج في سبيل العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع<sup>(2)</sup> وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود اتخذ نعليك حديد وعصاك من حديد، واطلب العلم حتى يتمزق النعلان، وتتكسر العصا<sup>(3)</sup>. وتعتبر الرحلة في طلب العلم من الفرائض والسنة الشريفة يقول ﷺ (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)<sup>(4)</sup> وعن صفوان بن عسال المرادي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع"<sup>(1)</sup>.

قال الإمام الشافعي رحمه الله طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم، وقال ما تقرب إلى الله تعالى بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم<sup>(2)</sup>.

وتعتبر الرحلة في طلب العلم من أهم مميزات جهود المسلمين، هذا ما يمكن ملاحظته من خلال دراسة تراجم الآلاف من العلماء في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي فقد رحل العلماء إلى مناطق نائية سعياً وراء العلم والمعرفة غير مبالين بما يعترضهم من مشقة وعناء، وجهد ونفقة، بجانب متاعب السفر وصعوبته ومخاطره في ذلك الوقت وما يتطلبه من استعدادات وتجهيز القوت، ويبدو أن الطلبة كانوا يعتمدون على أنفسهم في أثناء رحلاتهم العلمية إلى الأقطار البعيدة وعبر قوافل الحج والتجارة<sup>(3)</sup>.

(1) محمد بن أبي بكر السمرقندي: شرعة الإسلام إلى دار السلام، تعليق سيد محمد منورينار، دلهي، بدون، ص27.

(2) محمد بن أبي بكر السمرقندي: نفس المرجع، ص38.

(3) عبدالباري محمد: خراسان وما وراء النهر، ص144.

(4) صحيح البخاري: باب العلم، ج1، ص226.

(1) أخرجه بن ماجه في المقدمة (باب فضل العلماء) والحث على طلب العلم، الحديث رقم 226.

(2) ماجد إسلام البنكاتي: رحلة العلماء في طلب العلم، الرياض، 1414هـ، ص3.

(3) علي حسنى الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ب. ت، ص230.

وكان طلاب العلم في إقليم ما وراء النهر وغيره يجوبون البلاد سعياً إلى موارد العلم والمعرفة، مما يسر للدارسين الأخذ بحظ وافر من العلوم المختلفة، مما أدى إلى تقدماً علمياً ملموساً في أغلب العلوم المعرفية في ذلك العصر، فقد كان طلاب العلم يرحلون في طلب علم الحديث مسافات شاسعة<sup>(1)</sup> كما كان الشعراء والأدباء الذين كانوا يرغبون في الحصول على أكبر قسط من الفصاحة العربية، كانوا يذهبون إلى البادية طلباً للبيان والبلاغة<sup>(2)</sup>.

والرحلات العلمية أدت إلى اتصال العلماء بعضهم ببعض، وتبادل المعرفة بينهم واستفاد كل عالم من زملائه، كما أدى تبادل الكتب والزيارات والمناسبات إلى النهوض بالحركة الفكرية وازدهارها، كما أن رحلة الطلاب بين المدن الإسلامية لطلب العلم، قد أتاح لهم الاستفادة من العلماء ومجالس المناظرة التي عقدها حكام السلاجقة والخوارزميين في قصورهم، أو المناظرة في المساجد والمنازل والدكاكين وغيرها من مؤسسات العلم، كل ذلك أدى إلى ازدهار الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر<sup>(1)</sup>. وكانت الرحلة في طلب العلم من سمات الحياة العامة في إقليم ما وراء النهر في العصر السلجوقي والخوارزمي، وساعد على تيسير هذه الرحلة عدم وجود حواجز أو حدود بين أقطار العالم الإسلامي، حيث كانت البلاد الإسلامية وحدة ثقافية واحدة<sup>(2)</sup> وكان جواز سفر الطالب هو إسلامه، رغم التفكك السياسي للخلافة الإسلامية، فبفضل تنافس دول الإسلام تعددت البيئات الفكرية وأصبح لكل دولة إسلامية شهرة في ناحية خاصة من الثقافة، ولم تمنع الخصومات السياسية بين الدول من التعاون الثقافي<sup>(3)</sup>. ولا شك أن وحدة اللغة والدين في جميع

---

(1) ساجد الرحمن الصديقي: نشأة علم الحديث وتطورها، ط1، مكتبة كلية الآداب، القاهرة، 1425هـ/2009م، ص25.

(2) علي حسني الخريطلي: الحضارة الإسلامية، ص244.

(1) محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م، ص132.

(2) عبدالباري محمد: خراسان، ص144.

(3) عبدالنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ط، القاهرة، 1978م، ص152؛ محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، ط2، بيروت، 1978م، ص191.

أنحاء العالم الإسلامي قد ساعدت على نشاط التبادل الفكري وانتقال العلماء<sup>(1)</sup> وللرحلة في طلب العلم فوائد جمة منها التمكن من الجوانب العلمية لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ والتلقي عن الرجال<sup>(2)</sup> ونشر العلم الذي حصله العالم واتساع الثقافة العامة، وكسب صداقات جديدة خالصة<sup>(3)</sup>. علاوة على ما للرحلة من أثر في تهذيب الطباع ورفي الآداب، ذلك أن كثرة ما يلاقيه الرجل في السفر من المشاق يقوي في نفسه خلق الحلم، ومن فرائض الإسلام ما لا يؤدي إلا بوسيلة الرحلة، وهو حج بيت الله الحرام، فكان الحج من أهم العوامل التي دفعت المسلمين من كل فج عميق. وظهرت الحاجة للرحلة في طلب العلم في إقليم ما وراء النهر بمدنه وقرانه منذ بداية دخول أهله الإسلام، حيث لم يكن للإسلام إلا معلم واحد هو رسول الله ﷺ، وإلا مركز واحد هو مكان إقامته، مكة أولاً ثم المدينة ثانياً، وكان علماء ما وراء النهر يتخذون الرحلة وسيلتهم لاستتمام العلم، وإكمال المعرفة، فينبغ العالم منهم الواحد منزلة ما، فيتقف ثقافة ويتعلم علم أهله وبلده وإقليمه، ومهما كانت منزلة العلماء الذين تعلم عليهم فلا يتم له العلم إلا بالرحيل إلى المراكز العلمية المعروفة، وكانت متعددة في كل مكان في العالم الإسلامي في ذلك الوقت<sup>(1)</sup>. ولا ريب أن الشغف العلمي الشديد هو الذي دفع العلماء في مدن وقرى ما وراء النهر وسائر مدن العالم الإسلامي إلى الرحلة من بلد إلى بلد طلباً للعلم مهما تجشموا في ذلك من مشاق إيماناً منهم بأن العلم لا وطن له ولا نهاية له، وأن العالم مهما بلغ علمه وارتفع شأنه، فسيجد عند غيره فوائد أو زوائد، قد لا تكون عنده<sup>(2)</sup>.

(1) سعيد عاشور: المدينة الإسلامية، ط2، القاهرة، 1982م، ص87؛ منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين في القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقار، السعودية، 1981م، ص67.

(2) الشاشي: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق ياسمين أحمد إبراهيم، بيروت، 1988م، ج1، ص21.

(3) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عنتر، بيروت، 1975م، ص25-27.

(1) محمد الخضر حسين: أثر الرحلة في الحياة الأدبية والعلمية، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1954م، ج3، ص318.

(2) القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق محمد موسى الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م، ج3، ص43.



كان طلاب العلم في إقليم ما وراء النهر في أثناء رحلاتهم يدرسون وينتقلون عن الشيخ ويجتمعون بالعلماء، وكان علماء اللغة يرحلون إلى البادية لجمع الألفاظ النادرة والمهجورة، ومفرداتها<sup>(1)</sup> ورحل الأدباء في أقطار الدول الإسلامية يأخذون عن أدبائها، ويفيدون من شروحيها، وكان الفقهاء يرحلون بدورهم للتلمذ على أئمتهم، ومثلهم العلماء المختلفون في كل فرع من فروع العلم<sup>(2)</sup> وكان المحدثون أنشط الطلاب على الرحيل في طلب العلم وأصبرهم على عنائه<sup>(3)</sup> ولما كان الحديث الشريف هو المصدر الثاني للتشريع فقد أعطاه العلماء غاية اهتمامهم ويزلوا من أجل الحديث وأسانيده كل ما في وسعهم، فكانت الرحلة في طلب الحديث من لوازم طريقة المحدثين ومنهجهم في التحصيل العلمي<sup>(1)</sup> يقول الخطيب البغدادي<sup>(2)</sup> ولو كان حكم المتصل والمرسل واحداً لما ارتحل كتبة الحديث وتكافوا مشاق الأسفار إلى ما بعد من الأقطار، للقاء العلماء، والسماع منهم في سائر الآفاق<sup>(3)</sup>. وتنقسم الرحلات العلمية من إقليم ما وراء النهر وإليه إلى مراحل عدة فالمرحلة الأولى يمكن أن نطلق عليها مرحلة الفتوحات العربية الإسلامية<sup>(4)</sup> حيث رحل الصحابة، والتابعين من حفظة القرآن الكريم، والحديث، والفقهاء الذين اصطحبهم معها جيوش الفتح لإقليم ما وراء النهر، وكانت تلك بداية مبكرة لرحلات العلماء العرب إلى هذه البلاد، إذ تؤكد كتب الفتوح دورهم البارز في تعليم أهل تلك البلاد القرآن الكريم، والحديث، وتعاليم الدين الحنيف<sup>(5)</sup>.

(1) شوقي ضيف: العصر العباسي الثاني، دار المعارف، 1976م، ص126.

(2) عبدالباري محمد: خراسان وما وراء النهر، ص146.

(3) ماجد إسلام البنكاتي: رحلة، ص4.

(1) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، ص16.

(2) الخطيب البغدادي: الكتابة في علم الرواية، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت، ص402.

(3) الخطيب البغدادي: المصدر نفسه، ص420.

(4) محمد علي الفراء: العلاقات الثقافية، ص124، 125.

(5) محمد سعيد رضا: الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب في العصر العباسي الثاني من خلال الرحلات العلمية، بغداد،

1991م، ص47؛ مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص24.

أما المرحلة الثانية فتميزت بكفاءة أسانذتها، الذين اشتهروا بسعة علمهم، وتهافت طلبة العلم على حلقاتهم التدريبية، على الرغم من المجهود المضني الذي تكلفه طلاب العلم من جهد ومال<sup>(1)</sup>. وتميزت حلقات العلم التي كان يرحل فيها الطلاب إلى بلاد ما وراء النهر أو منها بالتنوع في العلوم إلى جانب المناظرات، وطرح المسائل المفضلة بحرية تامة في الرأي وأكسبتهم هذه المناظرات المفتوحة خصوصية، أدت إلى انتقال طلاب العلم إليهم مهما كلفهم ذلك من مشقة<sup>(2)</sup> ولا شك أن دخول العلماء في المناظرات كان بمثابة دافع قوي للتعلم وتطور الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر وكان من عادة هذه الفئة المناظرة كثرة الأسفار من بلد إلى بلد لمقابلة علمائها والتزود من معارفهم، ومناظرتهم في مجالات العلم المختلفة<sup>(1)</sup>.

وساعد على ازدهار الرحلة في طلب العلم في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي كثرة الطرق التجارية التي لعبت دوراً كبيراً في تيسير الرحلات، فقد كان الإقليم يقع على أهم الطرق التجارية التي حملت العلماء، والزهاد، والفقهاء، والطلاب الذين صحبوا القوافل التجارية من الإقليم وإليه من بلاد المشرق الإسلامي ومن أشهرها طريق الحرير العظيم<sup>(2)</sup> والذي يبدأ من الصين إلى همدان وقزوين ونيسابور ثم الشام ثم يتجه إلى بغداد<sup>(3)</sup> وكان لطريق الحرير دوراً بارزاً من كونه طريقاً تجارياً كان يمثل حلقة الوصل بين حضارات البلاد في الشرق والغرب ويربط بين ثقافات الشعوب بعضها ببعض<sup>(4)</sup>.

- 
- (1) محمد سعيد رضا: نفس المرجع، ص16.
  - (2) ابن أبيك الصفي: الوافي بالوفيات، تحقيق، د. أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ج8، ص154.
  - (1) محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين، ص109.
  - (2) إيرين فرانك: طريق الحرير، ص7.
  - (3) بدر الدين الصيني: العلاقات بين العرب والصين، ص11، 12.
  - (4) إيرين فرانك: طريق الحرير، ص7.

ثم الطريق التجاري الذي يسير من المنطقة الواقعة عند مصب نهر السند نحو فارس ماراً بولاية سجستان ومنها نحو خراسان غرباً وبخارى وسمرقند شمالاً<sup>(1)</sup> والطريق التجاري بين بلاد الروس والمشرق عن طريق بحر قزوين ومنه تنقل التجارة إلى بخارى وسمرقند ببلاد ما وراء النهر، ومنها إلى الصين<sup>(2)</sup>. ثم الطريق الملكي أو الذهبي بين سمرقند وبخارى<sup>(3)</sup> إلى جانب كثير من الطرق التجارية الداخلية بين المدن والقرى في إقليم ما وراء النهر<sup>(4)</sup> كما كانت طرق الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة وسيلة من الوسائل التي حملت العلماء، والطلاب من إقليم ما وراء النهر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأخذ علماء الإقليم من علماء الحرمين الشريفين علومهم، وسمعوا من محدثيها، وتلقوا الفقه على يد أئمتها، وانتقلوا بعد انتهاء موسم الحج إلى إقليم ما وراء النهر ينقلون ما تعلموا إلى طلابهم<sup>(1)</sup> لذلك كثرت أسفار العلماء وطلاب العلم عبر الطرق التجارية إلى المدن والحواضر في شبه الجزيرة العربية، والعراق والشام ومصر، وبلدان آسيا الوسطى بغية أخذ العلم من مصادره ومنابعه<sup>(2)</sup>.

والمجال هنا لا يتسع لذكر من رحل من العلماء إلى إقليم ما وراء النهر أو منه فلو تحدثنا عن ذلك بالتفصيل ما وسعنا صفحات البحث، ولكن سنضرب مثلاً على ذلك بذكر بعض العلماء الذين رحلوا أو الطلاب الذين دخلوا الإقليم، فمن علماء سمرقند الذين وصلوا إلى بلدان العالم الإسلامي الإمام الحافظ الرحال أبو محمد الحسن بن أحمد بن قاسم بن جعفر السمرقندي (ت 491هـ / 1097م) صاحب الحافظ جعفر بن محمد المستغري وسمع ببخارى وبلخ وسمرقند،

(1) إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، بيروت، 1989م، ص 245.

(2) هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ص 53.

(3) إيرين فرانك: طريق الحرير، ص 15.

(4) عنها انظر: لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 503 وما بعدها.

(1) محمد سعيد رضا: الصلات الثقافية، ص 24.

(2) محمد علي الفراء: العلاقات الثقافية، ص 129.

له كتاب بحر الأسانيد في صحاح المسانيد<sup>(1)</sup> ومحمد بن محمد بن أيوب أبو محمد القطواني (ت506هـ / 1115م) من أهل سمرقند سافر البلدان وسمع كثيراً، وكان إماماً واعظاً له القبول بين الخواص والعوام<sup>(2)</sup> وأيضاً أبو القاسم محمد بن ميمون بن محمد بن عبدالله الدبوس (ت530هـ / 1135م)، كان من كبار العلماء الرحالة، وكان شريك السمعاني في الدرس والرحلة إلى نيسابور<sup>(3)</sup>.

أما العلماء الذين وفدوا إلى سمرقند من أنحاء العالم الإسلامي فهم كثيرون منهم الإمام الرحالة أبو طاهر محمد بن أحمد بن علي بن حمدان الخراساني الحافظ (ت441هـ / 1049م)، سمع بسمرقند من أبي سعد السمعاني، ونيسابور بن بكر الطرازي والحافظ أبي بكر الجورقي، وبالري بن جعفر ابن أحمد وبمرو من أبي الفضل محمد بن السجين الحداد، وسمع من أبي سعيد بن أحمد النيسابوري<sup>(1)</sup> ومنهم أبو القاسم حمدان علي الطبرستاني (ت442هـ / 1050م) كان من كبار المحدثين، له رحلة واسعة في طلب العلم في بلدان العالم الإسلامي سمع بسمرقند والري والبصرة ونيسابور وأنفق على أصحاب الحديث أموال كثيرة<sup>(2)</sup> والإمام الحافظ الجوال أبو الوليد الحسن بن محمد بن عبدالرحمن البلخي (ت456هـ / 1063م) سمع ببغداد ودمشق وبلغ ونيسابور وهرات وطوف البلاد وحصل الأسانيد والضرائب ومات بسمرقند<sup>(3)</sup> والشيخ الإمام المحدث أبو مسلم عمر بن علي بن الليث المفيد، لطواف (ت460هـ / 1067م) كان من كبار الرحالة سمع بسمرقند، وكش<sup>(4)</sup> فضلاً عن محمد بن محمد بن محمد أبو عبدالله، مجد الدين الحنفي

(1) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1230؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، تحقيق محمد علي عمر، القاهرة، 1993م، ص1973.

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص173، 174.

(3) السمعاني: الأنساب، ج1، ص555.

(1) أبو عبدالله دمشقي: طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وآخر، بيروت، 1996م، ج3، ص305.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص62-64.

(3) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص437.

(4) أبو عبدالله دمشقي: طبقات، ج3، ص352، 353.

(ت576هـ/ 1180م) أحد علماء الحنفية، كان أبوه من ملوك من ما وراء النهر، وهد وترك الملك، وهاجر في طلب العلم إلى سمرقند وبخارى وخراسان، فتفقه ثم رحل إلى الشام ومصر ودرس بمصر إلى أن مات<sup>(1)</sup>.

وأبو المظفر عبدالرحيم بن عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت617هـ/ 1220م) الفقيه المحدث مسند خراسان، صحب والده لسمع الحديث وطاف به في خراسان وما وراء النهر، وخاصة سمرقند وبخارى، كان فقيهاً عارفاً بالمذهب انتهت إليه الشافعية ببلده، وختم به البيت السمعاني<sup>(2)</sup>.

كما انتشر علماء وطلاب في بلاد المشرق الإسلامي أمثال أبي الوفاء الأخشيكثي<sup>(1)</sup> وقد وصفه ياقوت بقوله (كان إماماً في اللغة، متقناً، أديباً، فاضلاً، حسن الشعر، عالم بالتاريخ، وكان مقامه بمرور وبها مات<sup>(2)</sup>) وممن رحل من فرغانة أيضاً أبو جعفر القرنماني (ت632هـ/ 1235م) الذي قرأ النحو العربي في فرغانة على يد عديد من المشايخ، وقرأ المنطق اليوناني أيضاً على يد الفخر الرازي<sup>(3)</sup> وبرع في نقل الألفاظ البليغة، ورحل إلى مدينة "سنجار"<sup>(4)</sup> ورزق بها على تدريس ما تعلمه، وأفاد الطلبة الذين كان يدرس لهم بالجامع علم النحو والفقه، والمنطق، حتى أوشي به عند أحد خصومه عند سلكان الدولة، فتم إبعاده ورحل عن سنجان إلى بغداد،

---

(1) ابن أبي الوفاء القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق، د. عبدالفتاح الطو، ج1، دار هجر، القاهرة، 1413هـ/1993م، ج3، ص348؛ المقرئزي: كتاب المقضي الكبير، تحقيق محمد البعلوي، 1999م، ج7، ص91، 92.

(2) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص75، 76.

(1) هو محمد بن القاسم بن أحمد الأخشيكثي، أبو الوفاء المعروف بأبي المناقب، رحل إلى مرو وتوفي سنة 522هـ/ 1228م، السمعاني: الأنساب، ج1، ص93؛ ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص439.

(2) معجم البلدان، ج1، ص123.

(3) ابن الفطحي: أنباء الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952م، ج2، ص123.

(4) بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره، وراء، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة الفراتية بينها وبين الموصل ثلاث أيام وهي في لحف جبل عالي، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص262.

وهناك درسٌ وأفاد، ونال مكانة عظيمة، وعمل بالمدرسة المستنصرية وعندما علم صاحب سنجار بما آل إليه، ندم على إبعاده عن بلده أشد الندم<sup>(1)</sup>.

ورحل إلى فرغانة عديد من العلماء من مختلف الأقطار في مختلف تخصصات العلم ممن أفادوا وأفيدوا بدخولهم فرغانة، ومنهم أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة البسكري (ت465هـ/1073م) كان جوالاً في طلب القراءة، من أهل بسكرة بإقليم الزاب الصغير، قال عن نفسه: فجملة ما لقيت في هذا العلم ثلاث مائة وخمسة وستون شيخاً من آخر المغرب حتى فرغانة يميناً وشمالاً، جبلاً وبحراً، ولو علمت أحداً تقدم علي في الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته<sup>(2)</sup>.

ويتضح من رحلته إلى فرغانة أنه قصد فرغانة ليأخذ عن شيوخهم في القراءات فقد نبغ كثيرون في هذا العلم ومنهم الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسين القمي المعروف بالشيخ الجليل الصدوق<sup>(1)</sup> الذي رحل إلى بلدان كثيرة ومنها بلاد ما وراء النهر وتحدث عن رحلته "بأنها كانت من أجل التمسك بالكتاب، وأهل بيت الوحي" وممن رحل إلى فرغانة أيضاً شمس الأئمة أبو بكر محمد بن أحمد الحنفي السرخسي (ت483هـ/1090م)، وله كتاب أصول الفقه، بدأه وهو محبوس في الجب (البئر) في أوزكندة بفرغانة، وكان سبب سجنه أنه نصح أمير فرغانة بكلام آثر غضبه فسجنه وكان تلاميذه من الفرغانيين وغيرهم يأتون ويجلسون على جوانب السور المحيط بأعلى البئر، وأملى عليهم الإمام السرخسي وهو في ظلمة البئر الكتاب من ذاكرته، وهو كتاب (المبسوط) ويحتل أكبر كتب الفقه الحنبلي وأقدمها ويقع في ثلاثين جزءاً<sup>(2)</sup> وبعدهما خرج السرخسي من محبسه وصل إليه الطلبة، وأكمل مبسوطه ولنا أن نتخيل كم الطلبة الذين استفادوا

(1) ابن القفطي: إنباء الرواة، ج2، ص331، 332.

(2) الدمشقي: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة، وأنسابهم، وألقابهم، وكناهم، تحقيق، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ج9، ص239.

(1) انظر: الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي أكبر الفقاري، مؤسسة النشر الإسلامي، الدراسات الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران، 1405هـ، ص6.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص112.

من إملاء هذا العالم لمؤلفه الفقهي، وكم عالم خرج من تحت يديه، متأثراً بأفكاره المذهبية الحنفية<sup>(1)</sup>. وهناك الآلاف من العلماء والطلبة الذين رحلوا من إقليم ما وراء النهر أو إليه خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي، مما لا يتسع المجال لذكرهم، ولذلك اهتم الحكام بالطرق التجارية التي حملت هؤلاء العلماء اهتماماً كبيراً، وأوقفوا عليها الأوقاف وحرصوا على تأمينها وضمان سلامتها، وتوفير ما يلزم المسافرين في رحلاتهم بين الإقليم وما جاوره من بلدان فكثرت الرحلات من الإقليم وإليه ومثلت عاملاً كبيراً من عوامل النهضة الفكرية بإقليم ما وراء النهر.

### الأوقاف وأثرها في ازدهار الحياة العلمية:

الوقف<sup>(1)</sup> نوع من أنواع الصدقات (صدقات التطوع) التي يقوم بها الإنسان بإرادته، فيوجه بذلك جزء من أمواله إلى وجوه البر، والخير التي تخدم مصالح الجماعة، وينماز هذا النوع من الصدقات بصفة الدوام، والاستمرار لأنه في الغالب يعني حبس العين والتصدق بالمنفعة<sup>(2)</sup> وهو ما قصده رسول الله ﷺ بقوله (إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)<sup>(3)</sup>. وساعد على ظهور الأوقاف في العالم الإسلامي عوامل عدة منها ما هو شخصي حيث يقوم الشخص المسلم بالوقف لذاته، ومنها ما يعود إلى الظروف العامة للدولة<sup>(4)</sup>. وقد أوجز ابن خلدون<sup>(5)</sup> هذه الأسباب بصفته خير من شخصها فقال "إن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على ما تخلفونه من ذريتهم، لما له عليهم من الرق أو

(1) محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين، ص197.

(1) في اللغة: الواو، والقاف، والفاء أصل واحد يدل على تمكث في شيء ثم يقاس عليه، ومن أصل التمكنك يؤخذ الوقف الشرعي فإنه ماكنث الأصل، وفي الاصطلاح (تجيس الأصل) (تسهيل المنفعة) فالمراد بتجيس الأصل أن يجبس المالك المكلف الحر الرشيد أو وكيله المنتصف بهذه الصفات، ويمكن تعريف الوقف بوجه عام أنه (الحبس) للعين عن تملكها لأحد من العباد والتصرف بالمنفعة على وجوه الخير، انظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1381هـ، ج3، ص969؛ محمد عبدالعظيم يوسف: الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، دار عين، القاهرة، 2004م، ص3،4.

(2) الزبيدي: تاج العروس، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، وزارة الإعلام الكويت، 1986م، ج4، ص124.

(3) محمد فؤاد عبدالباقي: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، القاهرة، 1972م، ج3، ص285.

(4) أحمد الخطيب: الوقف والوصايا، بغداد، 1986م، ص35، 36.

(5) المقدمة، ص364.

الولاء، ولما يخشي من معاطب الملك ونكياته، فاستكثروا من بناء المدارس، والزوايا، والربط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة، يجعلون فيها شركاء لولدهم ينظر عليها، أو نصيب منها مع ما فيها غالباً من الجنوح إلى الخير، والتماس الأجور في المقاصد، والأفعال، فكثرت الأوقاف كذلك، وعظمت الغلات والفوائد، وكثر طلاب العلم، ومعلمه بكثرة جرياتهم منها.

والوقف نوعان خاص ورسمي، والوقف الخاص ينقسم إلى الوقف الأهلي<sup>(1)</sup> والوقف الخيري<sup>(1)</sup> وعرف الوقف الرسمي حينما أوقف السلاطين والأمراء ضياعاً كثيرة من أجل العلم، ومصالحة المساكين، والساكين في الحرمين الشريفين، والمجاهدين في الثغور، وغير ذلك من نواحي البر<sup>(2)</sup>. وتعددت الأوقاف ذات الأهداف الثقافية، والتي تمثلت في المساجد والكتاتيب، والزوايا، والأربطة، وخزائن الكتب الشخصية، ودور العلم العامة (المكتبات العامة) والكتب الموقوفة في المدارس، وحوانيت العلماء، والوراقين حيث اهتم الكثير من الحكام، والأمراء، والأعيان، بجمع الكتب واقتنائها على شكل خزائن الكتب<sup>(3)</sup> فمنهم من كان يجمعها بدافع حب العلم، وزيادة المعرفة ومنهم من كان يجمعها كهواية ومنافسة لغيره<sup>(4)</sup>.

والغالب على إقليم ما وراء النهر هو كثرة الأوقاف الأهلية، والخيرية، والرسمية التي أوقفت فيه ويؤيد ذلك قول بن حوقل<sup>(5)</sup> "وترى الغالب على أهل الأموال بما وراء النهر صرف نفقاتهم إلى الرباطات، وعمارة الطرق، وبناء المساجد، والمدارس، والوقوف على سبيل الجهاد، ووجوه

---

(1) هو الوقف المخصص للأنباء والزرية خوفاً من الفقر، والفاقة، انظر: حسام الدين السامرائي: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، دمشق، 1971م، ص297.

(1) هو الوقف الذي يرصد لجهة من جهات الخير، وتنوعت هذه الجهات بحيث شملت معظم وجوه البر المختلفة، والأعراض الدينية، مثل بناء المساجد، والمدارس، والمكتبات، والربط ونفقات القرآن، والعلماء والبيمارستانات وغيرها، محمد عبدالعظيم: الأوقاف، ص8.

(2) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص270.

(3) يحيى محمود سعاتي: الوقف وبنية المكتبة العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1408هـ، ص33.

(4) كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق، ط المعارف، بغداد، 1948م، ص96.

(5) صورة الأرض، ص386، 387.



الخير"، بل إن كثيراً من العلماء قد أوقفوا كتبهم في دور علمهم وسواء أكان ذلك في المدارس والمساجد على طلبه العلم، وظهر ذلك جلياً بوضوح في عهد السلاجقة والخوارزميين، والذين أوقفوا الكثير من الضياع، والأموال على طلبه العلم فتحولت دولتهم إلى مصدر إشعاع ثقافي إسلامي، امتد من الصين شرقاً حتى كاشغر وحوض الفولجا غرباً، ويقول الثعالبي<sup>(1)</sup> عن منطقة ما وراء النهر "إنها كعبة العلماء، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أنبياء الأرض، وموسم فضلاء الدهر". ومن المساجد التي أوقفت عليها الأوقاف مساجد بخارى وسمرقند وفرغانة وغيرها ففي فرغانة أوقفت الأوقاف على مسجد أخسيكث الذي بناه قتيبة بن مسلم الباهلي عند دخوله المدينة<sup>(1)</sup> ومسجد انديكان وقبا وكانت هذه المساجد بجوار دار الإمارة<sup>(2)</sup>.

ولم يقف دور الوقف عند هذا الحد، بل امتد إلى البيمارستانات التعليمية والتي أقيمت لأغراض العلاج والعلم حيث كان يصرف عليها من تلك الأوقاف، وكانت تلك البيمارستانات على أعلى درجة من الناحية المعمارية، والنظافة، والخدمات والأطباء، والعاملين، والنفقات بسبب غنى الموقوف عليها<sup>(3)</sup>. كما أوقفت الأوقاف على المدارس التي بنيت في كل مدن الإقليم فكانت تقدم الدفاتر والأقلام والأوراق، والطعام والكساء، والأموال إلى طلاب العلم، ونتيجة لهذه التيسيرات، نجحت في استقطاب أبناء الفقراء، وساعدتهم على أن يصبحوا علماء وفقهاء<sup>(4)</sup>.

كما خصصت بعض الأوقاف للصرف على الفقهاء الذين يؤمنون المساجين ويعلمونهم ويصلحونهم، ليخرجوا من السجن متقنين لعلم من العلوم<sup>(5)</sup> ومما زاد من أهمية الوقف في ازدهار

(1) بيتيمة الدهر، ج2، ص265.

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص210.

(2) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص522.

(3) عبدالرؤوف الماناوي: تيسير الوقوف، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، 1418هـ، ص81، 82؛ أحمد عبدالملك السيد: الدور

الاجتماعي للوقف، جدة، 1410هـ، ص245.

(4) ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص269.

(5) عبدالرؤوف الماناوي: الدور الاجتماعي للوقف، ص82.

الحياة الفكرية أن كثيراً من الأوقاف قد أوقفت على المؤسسات الأمنية التي كانت تحمي طرق المسافرين والتجار والحجاج، والتي كان يصابها العلماء، وطلاب العلم الذين ينتقلون من بلد إلى بلد، في حرية وأمن واستقرار<sup>(1)</sup> واتضح دور الأوقاف في النهوض بالحياة الثقافية أكثر منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حين أصبحت المدرسة مؤسسة منفصلة عن المجتمع<sup>(2)</sup> حيث أن سلاطين السلاجقة قد هيئوا للعلماء أرزاق سخية يتقاضونها في أوقات ثابتة، وكان لكل مدرسة وقف ثابت يفي بنفقاتها للإنفاق على العلماء، والمدرسين بها<sup>(1)</sup> وامتدت أرزاق الأوقاف لتطول المترجمين الذين قاموا بدور كبير في ترجمة ونقل ذخائر العلوم المختلفة للحضارات القديمة إلى اللغة العربية، وامتد الوقف أيضاً للمخطوطات وحفظها وصيانتها<sup>(2)</sup> ولم يهمل المسلمون الخيرون العناية بالمكفوفين، فقد وقفوا ووقف لفائدتهم، وخصصوا من يعلمهم القراءة والكتابة، والعلوم المختلفة ونتيجة لذلك نبغ كثير من أعلام الفكر والأدب - الذين جعلوا البصيرة تفوق الباصرة - وهم مكفوفين<sup>(3)</sup>.

وهكذا لعبت الأوقاف دوراً كبيراً في ازدهار الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر وغيره من أقاليم العالم الإسلامي.

### العلاقات التريكية - الصينية، وصناعة الورق:

العلاقات بين إقليم ما وراء النهر والصين علاقات قديمة قبل الإسلام ببضعة قرون عن طريق التجار، الذين انتقلوا بتجارتهم عبر طريق الحرير العظيم من الصين وإليها مروراً بإقليم ما

(1) عبدالنعيم حسانيين: سلاجقة إيران والعراق، ص204.

(2) محمد عبدالعظيم: طغريك، ص50.

(1) عبدالنعيم حسانيين: السلاجقة، ص129.

(2) محمد عمارة: دور الوقف في النمو الاجتماعي وتلبية حاجات الأمة، ندوة نحو دور تنموي للوقف، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، 1993م، ص162.

(3) محمد بن عبدالله: ناظر الوقف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامي، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف، المغرب، 1989م، ص281.

وراء النهر والذي كانت لا تفصله عن الصين سوى مدينة كاشغر<sup>(1)</sup> ويؤكد معظم المؤرخين على أن الإسلام وصل إلى الصين في وقت مبكر جداً عن طريق التجار المسلمين، لأن السعي التجاري لم ينقطع غالباً بين العرب والصين<sup>(2)</sup> إلى أن دخل قتيبة بن مسلم الباهلي - كاشغر سنة 96هـ/ 714م التي كانت تتبع الصين آنذاك، وخير الإمبراطور الصيني بين الإسلام أو دفع الجزية، فقبل الإمبراطور دفع الجزية<sup>(1)</sup> ومن هذا التاريخ سُمح للعرب المسلمين بدخول الصين، واستيطانها فزاد عدد المسلمين بها<sup>(2)</sup> وتعلم العرب والأترك كثيراً، واستفادوا من الحضارة الصينية، وزادت العلاقات التركية - الصينية بعد معركة "طلس أو طلاس"<sup>(3)</sup> سنة 133هـ/ 750م والتي استمرت خمسة أيام، بين العرب الفاتحين من العباسيين بقيادة زياد بن صالح والصينيين وهزمت الصين وعادت أدرجها<sup>(4)</sup> والتي كان من أهم نتائجها انتصار زياد بن صالح القائد العباسي على الإمبراطور الصيني، وأسر عشرين ألف أسير من الصين وكان من ضمنهم بعض الصينيين الذين يتقنون صناعة الورق<sup>(5)</sup> وهؤلاء نقلوا هذه الصناعة إلى العرب، ومنذ ذلك الحين، ساهم ظهور الورق إسهاماً فعالاً في ازدهار حركة التأليف والتدوين، والكتابة، لسهولة تداول المخطوط الورقي، بل وأسهم في حركة الترجمة الضخمة التي قام بها العرب والمسلمون لنقل مختلف العلوم، والفنون، والآداب من الحضارات، والثقافات القديمة - كالفارسية، والهندية،

(1) بدر الدين جي الصيني: العلاقات بين العرب والصين، ص8-20؛ زكي محمد حسن: الصين وفنون الإسلام، القاهرة، 1952م، ص7.

(2) وجد في مدينة كانتون الصينية قبراً يحمل اسم سيدنا "وقاص" قيل إنه واحد من التجار المسلمين الأتقياء وكان قد سافر إلى الصين في أواخر القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ومات هناك ودفن فيها، انظر: فهمي هويدي: الإسلام في الصين، عالم المعرفة، الكويت عدد يوليو 1981م، ص42.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص76؛ محمود شيت خطاب: قادة الفتح، ص406.

(2) بدر الدين جي الصيني: العلاقات، ص23.

(3) طلس أو طلاس: بكسر الطاء وفتحها نسبة إلى نهر طلاس، وهو أحد روافد نهر سيحون وعلى شاطئه عرفت باسم طلاس أو طلس أو طراز، تقع على مقربة من مدينة أولايمو هي الحالية بالصين، انظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص123؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص27.

(4) النرشخي: تاريخ بخارى، ص123.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص279.

واليونانية، إلى اللغة العربية<sup>(1)</sup> ومن ذلك يتضح ارتباط العلم بصناعة الورق والوراقة، وهي صناعة وحرفة أيضاً<sup>(2)</sup>. ولم يكن الأمر قاصراً على استفادة العرب والأتراك من الصينيين فقط بل استفادت الصين أيضاً منهم، فقد انتقلت علوم وإنجازات العالم العربي المتمثلة في الرياضيات المتطورة، وعلوم الفلك، وتحديد التقويم والملاحة والجغرافية والطب والأدوية وغيرها إلى الصينيين<sup>(1)</sup> وكان شغف ملوك وأباطرة الصين بالخيول الفرغانية (الخيول السماوية) التي اعتقد أباطرة الصين أنها ولدت في الماء وحملت الحكام شبه الأسطوريين إلى السماء حيث يخلدون - حسب الأسطورة، وسبب تلك الخيول كثيراً ما أرسل أباطرة الصين جيوشهم إلى فرغانة للاستيلاء عليها بالقوة بعد أن رفض ملوك فرغانة إرسالها لهم<sup>(2)</sup>.

كما كانت هناك علاقات تجارية بين الصين، وبلاد ما وراء النهر نظراً لقربها فقد تبادلوا الحرير، والمصنوعات الذهبية والفضية، والرقيق حيث كان رقيق ما وراء النهر هو خير رقيق على وجه الأرض<sup>(3)</sup> والحبر الذي كانت تستورده بلاد ما وراء النهر من الصين، حتى صنعته محلياً من الزاج (ملح الصباغة) أو من العفص أو الصمغ أو الرماد<sup>(4)</sup> وهكذا تسربت المؤثرات الصينية - ضمن ما تسرب - عن طريق الاتصال والتعاون الاقتصادي، فقد ارتبط طلاب العلم بالتجارة، وتبودلت السلع والأفكار<sup>(5)</sup> ونتج عن الاتصال الحضاري بين الصين وإقليم ما وراء النهر انتشار مصانع الورق في سمرقند وبخارى وبيكند والشاش وأشروسنه وفرغانه وغيرها وتبعه

---

(1) ستانودكب: المسلمون في تاريخ الحضارة، ترجمة محمد فتحي عثمان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص99، 100.

(2) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر، ج1، ص150.

(1) جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2000م، ج2، ص482.

(2) إيرين فرانك: طريق الحرير، ص127.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص325.

(4) رشيد الجميلي: الحضارة العربية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، منشورات جامعة قارون، ليبيا، 1982م، ص195، 196.

(5) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر، ج1، ص151.

حوانيت الوراقاة والوراقين، الذين أصبحت دكاكينهم أماكن ثقافية يرتادها الأدباء، وتتعقد فيها المناظرات وتدور فيها المناقشات<sup>(1)</sup>.

وبرز من علماء إقليم ما وراء النهر عدد هائل من الوراقين ممن أفادوا العالم الإسلامي والأوربي أيضاً وهذا ما سوف نتناوله في فصل النتاج العلمي، لأن الوراقاة كصناعة قد بلغت شأنأ بعيداً خاصة وازدادت أهميتها بالنسبة لأهل العلم من أدباء وعلماء، فلا بد لكل عالم وكاتب من الإمام ببعض أمور الوراقاة وقد جعلها النويري<sup>(1)</sup> شرطاً من الشروط الواجب توافرها في الكاتب.

وهكذا كانت للعلاقات الصينية التركية وصناعة الورق أثرها في ازدهار الحياة العلمية في بلاد ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي.

هذه هي العوامل التي أدت إلى ازدهار الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي، وهي مجموعة من الثوابت التي أدت إلى نهضة الإقليم علمياً مما أسفر عنه بناء الكثير من المؤسسات التعليمية في الإقليم وهذا هو موضوع الفصل الثالث.

---

(1) عبدالمجيد بركو: المخطوط العربي في عصر الوراقين، مجلد الراقء، العدد 70، الشارقة، 2003م، ص89.  
(1) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد علي البيجاوي، مطبعة دار الكتب المصرية، 1933م، ج9، ص11.

## الفصل الثالث

المؤسسات التعليمية في إقليم ما وراء النهر

في العصرين السلجوقي والخوارزمي

- الكتابيب
- المساجد
- المدارس
- الزوايا والربيط والخانقاوات
- القلاع والحصون
- المكتبات
- حوانيت العلماء
- حوانيت الوراقين
- البيمارستانات
- المجالس العلمية: مجالس التدريس - مجالس الوعظ - مجالس المناظرات - مجالس الفتوى

نظراً لازدهار إقليم ما وراء النهر اقتصادياً خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي، وتشجيع السلاطين والوزراء للعلم والعلماء، واستقرار الأمن وتأمين الطرق التجارية، لقد أنشأ السلاطين والأمراء والوزراء الكثير من المؤسسات التعليمية في إقليم ما وراء النهر التي كان لها أثر كبير في ازدهار الحياة العلمية في الإقليم، ومن هذه المؤسسات:

• الكُتَّاب (الكتاب)<sup>(1)</sup>:

هو مدرسة المسلمين الأولى، وأهم مركز لتعليم الصغار، وهو المرحلة التمهيديّة التي تهيء الصغار لمرحلة الدراسة في المسجد<sup>(2)</sup> كما اعتنى معلمو البنات بتحفيظهن القرآن في الكُتَّاب<sup>(3)</sup>. وأوجز الغزالي<sup>(4)</sup> ما يدرسه الصغار في المكتب أو الكُتَّاب بقوله: "إنه على الصبي أن يتعلم في الكُتَّاب القرآن الكريم، وأحاديث الأخيار، وحكايات الأبرار، وأحوالهم ليغرس فيهم حب الصالحين، ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر القرآن، وسيرة الرسول ﷺ وأهله" وغالباً ما كان الكتاب بجوار المسجد، أو في زاوية منه ويشرف عليه إمامه، ويصرف عليه ما يصرف على المسجد<sup>(5)</sup>. ويقول ابن خلدون<sup>(6)</sup> في تعليم الصبيان "اعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب في رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن الكريم وبعض فنون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل وجوه من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغار أشد رسوخاً وهو أصل لما

---

(1) جمعه كتاتيب ومكاتب، وهو موضع تعليم الصغار - بنين وبنات - للقراءة والكتابة والحساب - وتحفيظ القرآن الكريم، والرسول ﷺ أول من أنشأ الكتاب في الإسلام وهو (كتاب الشجرة) بعد انتصاره في معركة بدر الكبرى سنة 2هـ/623م، ينظر، ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق محمد محي الدين، القاهرة، 1995م، ص215؛ ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص699.

(2) الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العربي، بيروت، د.ت، ص103.

(3) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، دار المعارف، ط1، بدون، ص78؛ محمد عطية الأبراشي: التربية في الإسلام، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، 1380هـ/1961م، ص46.

(4) إحياء علوم الدين، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، د.ت، ج3، ص78.

(5) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص216.

(6) المقدمة، ص260.

بعده واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم في اعتبار ما ينشأ عن ذلك للتعليم من الملكات" ولم يقتصر دور الكتاب في إقليم ما وراء النهر على تعليم القرآن الكريم، والحديث الشريف، وعلوم الدين فقط، بل امتد إلى علوم ومعارف أخرى، مع التركيز على النواحي الأخلاقية والسلوكية<sup>(1)</sup> وكان معلم الكتاب يسمى المعلم أو المكتبي<sup>(2)</sup> أو المؤدب ولكن المؤدب كان أكبر مكانة من المعلم أو المكتبي، فهو متبحر في مجالات عدّة من العلم، يوثق بعلمه، ودينه، وقدراته<sup>(3)</sup> وكان أكثرهم لا يتقاضى أجراً على تعليمهم<sup>(4)</sup>.

واتسع نطاق الدراسة في الكتاب، فيذكر ابن خلدون<sup>(5)</sup> "إن الدراسة اشتملت على القرآن الكريم، وأحاديث الأخبار، وبعض الأحكام الدينية، والشعر، ومبادئ الحساب وبعض من قواعد اللغة العربية، إلى جانب تعليم القراءة والكتابة، والخط الذي كان له مدرسون متخصصون، واستعمل الصبيان الألواح في الكتابة".

وعرفت بلاد ما وراء النهر نوعين من الكتاب كغيرها من قرى ومدن وأقاليم العالم الإسلامي، الكتاب الخاص بتعليم القراءة والكتابة، وكان غالباً يقام في منزل المعلمين أو بجوار المساجد أو في داخلها، والثاني العام وهو الكتاب المختص بتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي، وغالباً ما يعقد في المساجد<sup>(6)</sup>.

والواقع أن هذا الرأي بجانب للحقائق التاريخية الواضحة التي تؤكد شمولية التعليم في الكتاب وامتزاجه مع التربية، وأن الكتاتيب ما هي إلا المرحلة التمهيديّة التي تهيب الصبيان لمرحلة الدراسة التالية في المساجد، وحلقات المشايخ التي كانت تقوم بدور بارز في التعليم منذ

(1) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، ط6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978م، ص260.

(2) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص183.

(3) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص216.

(4) الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص55.

(5) المقدمة، ص396-398.

(6) عبدالله عبدالدائم: التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ص1460.



صدر الإسلام<sup>(1)</sup>. وفي الحقيقة أن الكتاب كان له دوراً بارزاً في تعليم الصبيان القرآن الكريم، وغيره من العلوم الأخرى، حيث إنه المعهد العلمي الأول الذي هياً للطالب أسباب العلم والمعرفة<sup>(1)</sup> ويتميّز الفتح العربي الإسلامي بأنه فتح ديني ثقافي قائم على كتاب مبين وهو القرآن الكريم فما كان هذا الفتح إلا من أجل نشر تعاليم الدين الإسلامي، ولغته العربية ومعالم الثقافة العربية الإسلامية، ولذلك نشأ الكتاب مع الفاتحين في حطهم وترحالهم إذ إن الكثير منهم كانوا يحملون معهم نساءهم وأبناءهم في تنقلاتهم، وكان الكتاب في البداية خيمة من خيام المعسكر بكل مصر من الأمصار<sup>(2)</sup>. وبمجرد فتح قتيبة بن مسلم الباهلي لإقليم ما وراء النهر، سارع إلى بناء الدور والمساجد والكتاتيب لتعليم أبناء المسلمين كتاب الله، وعلوم الدين واللغة العربية، والقراءة والكتابة<sup>(3)</sup> حيث انتشرت هذه الكتاتيب في كل أقاليم ما وراء النهر بدءاً من إقليم خوارزم، والصغد، وأشروسنه والشاش وفرغانه والصغانيان والختل، فما من قرية أو مدينة إلا وأنشئت فيها العديد من الكتاتيب<sup>(4)</sup>. وكان الكتاب في هذه المدن والقرى عبارة عن حانوت أو حجرة مجاورة للجامع أو بعيدة عنه أو غرفة في منزل، وقد بينى الكتاب خصيصاً لتعليم وتحفيظ القرآن بينيه صاحبه احتساباً، ولم يتطور الكتاب في شكل بنائه في إقليم بلاد ما وراء النهر إلا عندما حل بها علماء خراسان والعراق الذين أتوا بهندسة خاصة للكتاتيب، وخاصة في عهدي السلاجقة والخوارزميين<sup>(5)</sup>. وفي البادية داخل إقليم ما وراء النهر كان الكتاب خيمة من جملة خيام الحي

---

(1) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص216.

(1) علي محمد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، مكة المكرمة، 1417هـ/ 1996م، ص225.

(2) إبراهيم التوزوري: تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1995م، ص102.

(3) محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين، ص156.

(4) قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص58-64.

(5) محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين، ص157، 158.

(خيمة المؤدب) وكان المعلم هو الذي يكري الكتاب يقول القابسي<sup>(1)</sup> "وعليه كراء الحانوت وليس ذلك على الصبيان" وبضيف ولا يكون الإكراء على الأولياء إلا إذا استتجر المعلم على صبيان معلمين سنة معلومة، فعلى أولياء الصبيان كراء موضع المعلم، فقد كان أئمة ما وراء النهر يكرون بيوتاً يعلمون فيها الصبيان<sup>(1)</sup>.

يقول ابن جبير<sup>(2)</sup> "وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين، ويعلمون الخط، والأشعار، وغيرها تنزيهاً لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو، وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حده، والمكتب على حده، فينفصل من التلقين إلى التكتيب". ويرى بعضهم أن الكتاتيب أو المكاتب قد بدأت في بيوت خاصة بالعلماء، مفتوحة على الدوام أو ملحقة بالمسجد، أو في زاوية فيه، ولما زاد عدد الصبية انتقلت إلى حوانيت مخصصة لهذا الغرض، وكان أكثرها بأسواق المدن<sup>(3)</sup>. وكانت كتاتيب ما وراء النهر كغيرها من كتاتيب العالم الإسلامي مؤثثة ببعض الحصر المصنوعة من السمار أو الحلفاء، وكانت أدوات المؤدب أو المعلم أو المحفظ المصحف والدرة والفلقة يقول ابن سحنون "وعلى المعلم أن يكسب الدرة والفلقة وليس ذلك على الصبيان"<sup>(4)</sup> وكان لكل تلميذ لوح من خشب مصقول ودواة وقلم من قصب ومصحف في بعض الأحيان، وكانوا يحون ألواحهم في إناء يسمى أجانة يصبون فيها الماء الطاهر بالتناوب<sup>(5)</sup>. أما عن برامج التعليم في هذه الكتاتيب فقد اعتمد اعتماداً كلياً على تعاليم مبادئ الدين، كما احتوت على مواد صالحة للحياة أيضاً لرفع مستوى الصبي العقلي

---

(1) القابسي، أبي الحسن علي بن محمد بن خلف، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق أحمد خالد، نشر الشركة التونسية للطباعة، 1986م، ص232.

(1) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص220.

(2) الرحلة، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر، بيروت، 1964م، ص272.

(3) عبد الله عبدالدائم: التربية في التاريخ، ص146.

(4) آداب المعلمين، ص51.

(5) القابسي: الرسالة المفصلة، ص229.

والعلمي، لذلك رأى الفقهاء أن يقسم البرنامج الدراسي إلى مواد إجبارية يفرض على المعلم تعليمها للصبيان، وإلى مواد اختيارية يعلمها إياهم إذا ما حصل الاتفاق بينه وبين الآباء أو أولياء الأمور تطوعاً منه<sup>(1)</sup>. فالبرنامج الإجمالي يشتمل على تحفيظ القرآن كلاً أو جزءاً، ومبادئ الدين عاماً وعملاً ومبادئ النحو واللغة العربية والقراءة والكتابة، أما الاختيارية فمثل الشعر والعربية والحساب<sup>(2)</sup>، ويشترط في تعليم القرآن حسن الترتيل وجودة القراءة، والقراءة المتبعة في بلاد ما وراء النهر كانت قراءة حفص وورش<sup>(3)</sup>.

ويشتمل البرنامج الإجمالي أيضاً على تعليم الصلاة التي هي عماد الدين وما يتبعها من وضوء وتشهد وأدعية، ويرى الفقهاء أنه ينبغي تعليم الصبيان الصلاة ابتداءً من السنة السابعة من عمرهم، وأن يضربوا عليها إذا كانوا في سن العاشرة كما ورد في الحديث الشريف "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهِمْ وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ"<sup>(4)</sup>.

وكان معلمو ومؤدبو الكتاتيب في إقليم ما وراء النهر يحرصون على تعليم القرآن الكريم للصغار لأنه لا يسهل إلا بتعليم القراءة والكتابة اللتين جاء القرآن الكريم حاثاً على تعليمها في أول سورة نزلت على النبي ﷺ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)"<sup>(5)</sup> يقول الإمام سحنون<sup>(6)</sup> "إنه ينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن ذلك لازم، والشكل والهجاء، والخط الحسن".

وكان البرنامج الاختياري يحتوي على الفنون التي يمكن للمعلم أن يعلمها للصبيان تطوعاً ويشترط يشترط وهي الحساب، وأيام العرب، وأخبارهم أي التاريخ وجميع النحو واللغة العربية وفي

(1) إبراهيم التوزري: التربية، ص 105، 106.

(2) ابن خلدون: المقدمة، ص 540.

(3) عبدالله عبدالدايم: التربية عبر التاريخ، ص 136.

(4) صيغ البخاري: باب الصلاة.

(5) سورة العلق: الآيات 1-5.

(6) آداب المتعلمين، ص 52.

ذلك يقول القابسي<sup>(1)</sup> "وينبغي له أن يعلمهم الحساب وليس ذلك يلزم له إلا أن يشترط عليه ذلك، وكذلك الشعر والحديث، وجميع النحو هو في ذلك متطوع، ولا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا فحش فيه ومن كلام العرب وأخبارهم وليس ذلك بواجباً".

وكان المقصود من تعليم الصبيان الحساب هي غاية عملية، فالحساب يعين على إجراء عمليات الفرائض والمعاملات، وهو صالح للتاجر في متجره، والصانع في مصنعه، ولا نظن أن تعليمه كان لغاية تثقيفية مجردة<sup>(1)</sup>.

ولم ير فقهاء بلاد ما وراء النهر حرجاً في تعليم التاريخ والشعر للصبيان في الكتاتيب، فقد كان أغلبهم شعراء ولكنهم يشترطون أن يكون الشعر بعيداً عن الفحش ويكره منه ما فيه ذكر الحمية (أي التعصب القبلي) أو قبح الهجاء<sup>(2)</sup> مستندين في رأيهم على قول النبي ﷺ (إنما الشعر كلام فحسنة حسن وقبحه قبيح)<sup>(3)</sup> فالقابسي<sup>(4)</sup> يرى ضرورة تعليم الشعر للصبي لأنه يقوم لسانه ويُفصّحه ويأنس إليه في بعض الأوقات"، ومن الفنون المستحبة تعليمها للصبيان في كل العصور أيام العرب وما أشبه ذلك من علم الرجال وذوي المروءات<sup>(5)</sup> وهذا الحصر لا يشمل التاريخ فقط بل يشمل العلوم الإنسانية بصفة عامة، والقصد من ذلك هو تحريك همم الصبيان وحثهم على فعل الخير والتمسك بالمروءة والتشبه بالرجال العظام، وهذا له ارتباط متين بتعليم الأدب (أي الأخلاق) الذي هو واجب، قال محمد بن سحنون<sup>(6)</sup> (وليعلمهم الأدب فإنه من الواجب لله عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم).

---

(1) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ص232.

(1) إبراهيم التوزري: التربية، ص158.

(2) القابسي: الرسالة المفصلة، ص305.

(3) صحيح البخاري: باب العلم وطلبه.

(4) القابسي: الرسالة المفصلة، ص305.

(5) القابسي: نفسه، ص304.

(6) آداب المعلمين، ص53.

وكان نظام التعليم في كتاتيب مدن وقرى إقليم ما وراء النهر خلال العصرين السلجوقي والخورزمي يبدأ الأسبوع الدراسي صبيحة يوم السبت، وينتهي عند ظهر يوم الخميس فتكون الإجازة الأسبوعية في النصف الثاني من يوم الخميس وكامل يوم الجمعة<sup>(1)</sup> وبيئداً الصبيان يومهم الدراسي بحفظ القرآن الكريم من الصباح الباكر إلى الضحى، ثم يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر<sup>(2)</sup>، وعند ذلك ينصرفون إلى بيوتهم لتناول الغداء ثم يعودون بعد صلاة الظهر<sup>(3)</sup> وتخصص حصة المساء لتدريس بقية المواد التي نص عليها البرنامج اليومي كالنحو والحساب واللغة العربية والشعر وأيام العرب، وعشية الأربعاء وصباح الخميس يخصصان للمراجعة والتخابر، والاستظهار، وتدوم هذه الحصة إلى ما بعد صلاة العصر<sup>(4)</sup>.

ويأخذ التلاميذ بمناسبة الأعياد إجازة بمناسبة عيد الفطر يخلون من يوم إلى ثلاثة أيام قبل العيد، ويوم العيد، وثانيه<sup>(5)</sup> وبمناسبة عيد الأضحى المبارك يأخذون عطلة من ثلاث أيام إلى خمسة<sup>(6)</sup> وعند ختمه القرآن الكريم لأحد الصبيان يأخذ الصبيان يوماً أو بعض يوم للاحتفال به<sup>(7)</sup>. أما عن طرق التعلم بالكتاب في إقليم ما وراء النهر، فكان التلاميذ أو الصبيان يذهبون إلى الكتاب في الصباح الباكر فيجدون المعلم جالساً في صدر المجلس، فيحيطون به في شبه دائرة وقعوداً على الحصر، وفي حجر كل واحد منهم لوحه الذي كان قد كتبه بالأمس، فيشرعون في الحفظ فرادى كل على شاكلته لأنهم غالباً ما يكونون متفاوتين في الأحزاب، فتقاعد أصواتهم مشتبكة مختلفة تعم الأذان، ويعاقب المعلم أو المؤدب صغار التلاميذ على التهجي والحفظ،

---

(1) عبدالله عبدالدائم: التربية، ص 147.

(2) محمد سحنون: آداب المتعلمين، ص 51.

(3) إبراهيم التورزي: التربية، ص 109.

(4) القابسي: الرسالة المفصلة، ص 314.

(5) القابسي: نفسه، ص 217.

(6) ابن سحنون: آداب المتعلمين، ص 48.

(7) إبراهيم التورزي: التربية، ص 110.

والعصا لا تبرح يده يقرع بها رأس من خفت صوته أو تلهى عن الحفظ<sup>(1)</sup> وعند الضحى يعرض الصبيان على المعلم ما حفظوه من ألواحهم الواحد تلو الآخر ثم يمحو ألواحهم، ويعرضونها للشمس أو النار حتى تجف، وعند ذلك يحل وقت الكتابة فيبدأ المعلم في إملاء آية مستعملاً طريقة غريبة، ذلك أنه يملي على التلميذ الأول آية ويتركه يكتب ثم يقبل على الثاني فيملي عليه آيته، ثم يلتفت إلى الثالث فالرابع والخامس وهكذا...، وبعد ذلك يعود إلى الأول فيملي عليه متوخياً الطريقة الأولى نفسها إلى استيعاب الآيات المزمع إملاؤها على كل واحد منهم<sup>(1)</sup>.

وقد يكلف كبار التلاميذ بنسخ أجزاءهم من المصحف مباشرة ثم يتعقب المعلم كتابهم لتدارك ما قد يعلق بها من الأخطاء، وإذا كان عدد التلاميذ كبيراً اتخذ المعلم معه عريفاً (مكرر) يعينه على الإملاء والكتابة والتعريض، ويشترط الإمام سحنون (أن يكون العريف قد حفظ القرآن وهو مستغن عن التعليم)<sup>(2)</sup> وقد يملي كبار التلاميذ على صغارهم "ولا بأس أن يجعلهم يملي بعضهم على بعض لأن ذلك منفعة لهم"<sup>(3)</sup>.

ومن طرق التعليم بالكتاب أيضاً التخابر، والتناظر، أي التنافس فالصبيان مجتمعون بعد الظهر يتذكرون ويتنافسون في الحفظ والإعراب وغيرهما، فذلك مما يوقظ الشعور ويشد العزائم ويدعو إلى الاجتهاد، إلا أن التنافس قد ينقلب شراً مستطيراً، ولكن المصادر لم تذكر لنا كيف كانت طرق تعليم النحو والحساب، وأيام العرب وغيرها في فترة الدراسة فالغالب على الظن أنهم كانوا يعتمدون على الحفظ إلى حد بعيد<sup>(4)</sup>. وكان الثواب والعقاب خير الوسائل لتأديب التلاميذ وتحفيزهم على الفهم والحفظ، فقد جعل المربون في إقليم ما وراء النهر مبدأ العقاب والثواب أحد

---

(1) القابسي: الرسالة المفصلة، ص216.

(1) القابسي: الرسالة المفصلة، ص316.

(2) آداب المعلمين، ص59.

(3) نفسه.

(4) أحمد فؤاد الأهواني: التربية، ص80، 81.

أهم الوسائل التربوية في الكتاب فنصحوا المري بالتغاضي في أول الأمر حتى إذا عاد الطفل إلى الخطأ قابله بالعبوس على إلا أن يكون المري عبوساً مع التلاميذ دائماً خيفة من أن تزول هيئته معهم يقول القابسي<sup>(1)</sup> (فكونه عبوساً أبداً من الفظاظة الممقوتة ويأنس الصبيان بها فيجروون عليه) وعلى المعلم أن ينبه الصبي المرة تلو الأخرى، وإذا لم يفد ذلك يعزل التلميذ يقول القابسي<sup>(2)</sup> "ينبه مرة بعد مرة فأكثر التغافل ولم يغن فيه العزل والتقريع بالكلام على أن لا يكون التقريع بالكلام البذيء والشتم لأن ذلك يخرج كرامة التلميذ ولربما تسببت له في عقد نفسية ومركبات يتحتم تجنبها". وعلى المعلم ألا يعاقب التلميذ وهو في حالة غضب، ولا يحرمه من راحته وطعامه وشرابه التي هي أشد عقوبة تسلك عليه لأنها تتال من توازنه الجسمي فإن المريين في بلاد ما وراء النهر حجروا هذا النوع من العقاب من باب الرفق، يقول القابسي<sup>(3)</sup> "ومن رفقته بالصبيان أن الصبي إذا أرسل وراءه ليتعدى فيأذن له، ولا يمنعه من طعامه وشرابه، وإذا لم تنفع هذه العقوبات لجأ المعلم إلى الضرب وهو عقاب رادع زاجر في آن واحد"<sup>(4)</sup>.

ولكن عقوبة الضرب لم تكن محببة لدى السلف بل كانوا يحبذون تجنبها قدر المستطاع يقول الإمام سحنون لمعلم ابنه محمد (لا تؤدبه إلا بالمدح ولطف الكلام، فليس هو ممن يؤدب بالضرب والعنف)<sup>(5)</sup>. على أن الضرب الذي أوصي به المريون ينبغي ألا يتجاوز ثلاث ضربات على الرجلين "لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاث أشواط شيئاً"<sup>(6)</sup> وينبغي أن يكون عود الدرة رطباً مأموناً<sup>(7)</sup>.

---

(1) الرسالة المفصلة، ص316.

(2) الرسالة المفصلة، ص316.

(3) نفسه، ص317.

(4) إبراهيم التورزي: التربية، ص110.

(5) ابن سحنون: آداب المتعلمين، ص32.

(6) ابن سحنون: نفسه.

(7) القابسي: الرسالة المفصلة، ص313.

ولم يحرم فقهاء ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي تعليم البنات الذي أباحه الإسلام بكل حرية، ولكنهم كانوا يفضلون تعليم البنات على حده غير مختلطات بالصبيان يقول الإمام سحنون "أكره أن يعلم الجوارى ويختلطن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم<sup>(1)</sup> ويؤيده القابسي<sup>(2)</sup> بقوله "من حسن النظر ألا يخلط بين الذكران والإناث" بل إنه رغب في تعلمها القرآن والعلم لأنه من مصلحتها، وكان الأمراء والسلاطين من السلاجقة والخورزميين حريصين على تعليم بناتهم، وكانوا يدعون الفقهاء والعلماء لتعليمهن القرآن والكتابة والقراءة والحساب في قصورهم<sup>(3)</sup>.

وظهر معلمو الكتاتيب في بلاد ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي، ومن أشهرهم المؤدب أبو الحسين أحمد بن إبراهيم بن علي الأديب الخليل الخجندی<sup>(4)</sup> ومكتب المكتبي محمد بن الحسين الهاشمي الكاثاني توفي سنة 550هـ/1155م<sup>(5)</sup> وقد علم فيه الصبيان علوم القرآن، والحديث والتفسير<sup>(6)</sup> وكذلك مكتب المؤدب رزق الله بن محمد أبو المكارم القباوي<sup>(7)</sup> الذي علم الصبية - بجانب علوم القرآن الكريم الفقه الأدب<sup>(8)</sup> ومكتب المؤدب أبي عمران موسى بن عبدالله المؤدب الخجندی<sup>(9)</sup> ومكتب المؤدب عبدالعزيز ابن إبراهيم الكرابيسي الفريري البخاري فقيه صالح ومؤدب مات سنة 549هـ/1154م<sup>(10)</sup> ومكتب المؤدب أبي طاهر محمد ابن يعقوب الديمسي البخاري مات في حدود سنة 430هـ/1038م<sup>(11)</sup> والمؤدب أبي الفضل بكر بن محمد

---

(1) ابن سحنون: آداب المتعلمين، ص54.

(2) الرسالة المفصلة، ص313.

(3) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص219.

(4) النسقي: القند، ص80.

(5) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص430.

(6) ياقوت: نفسه.

(7) النسقي: القند، ص83.

(8) السمعاني: الأنساب، ج4، ص435.

(9) السمعاني: نفسه، ج2، ص327.

(10) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص867.

(11) السمعاني: الأنساب، ج5، ص452.



بن علي بن الفضل الأنصاري الزرنجيري البخاري، كان إماماً ومؤيداً حنفي المذهب، أجازه  
السمعاني مات سنة 512هـ / 1118م<sup>(1)</sup> ومنهم المؤدب الواعظ صابر بن أحمد بن أحمد الدرغمي  
السمرقندي مات سنة 518هـ / 1124م<sup>(2)</sup>.

ومحمد بن عدى بن الفضل السمرقندي المؤدب نزيل مصر مات سنة 444هـ / 1052م<sup>(3)</sup>.  
ومكتب المؤدب أحمد بن الأشعث أبوبكر السمرقندي سكن دمشق مدة، وكان يكتب بها  
المصاحف ويقرأ القرآن ويحفظه مات سنة 489هـ / 1095م<sup>(4)</sup> والمؤدب أبو محمد عبدالرحمن  
بن عبدالرحيم العصار الحافظ السمرقندي مات سنة 524هـ / 1129م<sup>(5)</sup>.

ومكتب المؤدب عتيق بن عبدالعزيز بن عبدالكريم الدرغمي الخاخسري السمرقندي أبوبكر  
الأديب المحفظ مات سنة 560هـ / 1164م<sup>(6)</sup> ومكتب الإمام أبي بكر محمد بن عبدالله بن فاعل  
السرخسكي السمرقندي كان إماماً فاضلاً مناظراً مؤدباً مات سنة 518هـ / 1124م<sup>(7)</sup> ومنهم  
المؤدب أبو محمد بن عبدالرحمن بن يونس الجكلي الشاشي توفي سنة 516هـ / 1122م<sup>(8)</sup> كان  
يعلم الصبيان في كتاتيب سمرقند وجكل إحدى قرى الشاش<sup>(9)</sup> والمؤدب أبو المظفر محمد ابن  
الحسن بن أحمد النجاكتي الشاشي كتب عنه السمعاني مات سنة 551هـ / 1156م<sup>(10)</sup> ولقي  
هؤلاء المؤدبين وغيرهم مما لا مجال لحصرهم في إقليم ما وراء النهر ترحيباً وتكريماً من قبل  
السكان، ومن قبل أولياء الأمور، فهو "الرجل المرغوب فيه الذي تتخاطفه العشائر البدوية ليكون

(1) السمعاني: الأنساب، ج6، ص288.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص568.

(3) السمعاني: الأنساب، ج5، ص315.

(4) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص133.

(5) السمعاني: الأنساب، ج2، ص335.

(6) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص201.

(7) السمعاني: الأنساب، ج7، ص120.

(8) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص89.

(9) السمعاني: الأنساب، ج3، ص299.

(10) السمعاني: نفسه، ص88.

المؤدب والإمام، والمرشد والكاتب والحكيم والعريف، وما زالت قاعدة الاحترام والإكرام للمؤدب مرعية في دول بلاد ما وراء النهر حتى اليوم<sup>(1)</sup>.

ونال الكتاب والتعليم الأولي اهتماماً كبيراً من قبل سلاطين السلاجقة والخوارزميين، حيث عمموا الكتاتيب في جميع أنحاء دولتهم، وجعلوا التعليم فيها إجبارياً ومجانياً وأوقفوا الأوقاف للصرف عليه وعلى المؤدبين والطلاب، بل أحدثوا بعض التطور في مرحلة الكتاب، وذلك من خلال إدخال بعض الألعاب الرياضية في التعليم من ركوب الخيل والرمي بالسهم والقوس وغير ذلك، فقد كانوا عسكريين في المقام الأول<sup>(2)</sup>.

وكان الآباء وأولياء الأمور في إقليم ما وراء النهر بمدنه وقراه، يراقبون أولادهم ومدى التزامهم بالأخلاق الفاضلة فإذا نما إلى علمهم أن هذا المعلم أو ذلك بدر منه ما يؤخذ عليه، سارعوا إلى منعه من تعليم أبنائهم، وفي معظم الأحيان لا يكتفي ولي الأمر بما يسمح عن المؤدب المقترح مهما كانت سمعته العلمية والخلقية، ومهما امتدحه المستشارون، بل يحرص على اختياره بنفسه<sup>(3)</sup>.

#### • المساجد:

المسجد هو مدرسة المسلمين الأولى، وملتقى المسلمين، وموضع الصلاة، والنواة التي يرتكز عليها المجتمع الإسلامي، لترسيخ تعاليمه، ونشر مبادئه، وتأسيسها<sup>(4)</sup> بل يرتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطاً وثيقاً<sup>(5)</sup> وحافظ المسجد طوال العصور الإسلامية وما زال على

(1) القابسي: الرسالة، ص105.

(2) محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص112-114.

(3) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1979م، ج1، ص148.

(4) علي عبدالحليم محمود: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، دار المعارف بمصر، د. ت، ص26.

(5) عبدالله عبدالدائم: التربية عبر التاريخ، ص152..

مكانته التعليمية، واستمر يؤدي الدور نفسه طوال هذه العصور<sup>(1)</sup> فقد كانت المساجد ولا تزال أهم المراكز الثقافية فقد كانت الدراسات أيام الإسلام الأولى هي دراسات دينية شرعية تشرح تعاليم الإسلام وتقام في المساجد، ثم توسع المسلمون في عصورهم التالية في فهم مهمة المسجد فاتخذوه مكاناً للعبادة ومعهداً للتعليم، وداراً للقضاء، وكان أول مسجد أنشئ في الإسلام هو مسجد قباء، ثم مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة وكانت تعقد فيه حلقات العلم وتخرج منه ألوية الحرب والجهاد في سبيل الله<sup>(2)</sup>. ومهمة المساجد الكبرى هي التعليم، رغم انتشار المدارس في العالم الإسلامي بعد ذلك، حتى إن المساجد الجامعة كانت بمثابة الأماكن الأساسية للدراسة، والسماع والإملاء والوعظ والإرشاد، والمناظرات العلمية وبها ملتقى العلماء والطلاب، ومكاناً للتقاضي<sup>(3)</sup> وعلى هذا أعدّ المسجد أهم مؤسسة تعليمية إسلامية على الإطلاق، ودراسة هذه المؤسسة في أي منطقة من مناطق العالم الإسلامي، هي دراسة المكان الرئيسي للحياة الثقافية الإسلامية، وقد قام المسجد بدوره في التعليم، منذ صدر الإسلام وكان المسجد النبوي الشريف خير دليل على ذلك<sup>(4)</sup>. وتعد المساجد هي المرحلة التالية للكتاتيب، فمن يريد أن يكمل دراسته يذهب إلى المسجد الذي مثل مؤسسة تربوية عليا عن الكتاب (المكتب) بل كانت المساجد بمثابة جامعات للعلم والعلماء، إذ كان لكل عالم في فرع ما من فروع العلم - حلقة كبرى خاصة<sup>(5)</sup> وقد يصل عدد حلقات الدرس في المسجد الواحد أكثر من مائة حلقة لكل منها شيخاً، أو فقيهاً، ولهم تلاميذهم<sup>(6)</sup>. وتواكب بناء المساجد في إقليم ما وراء النهر مع الفتح العربي الإسلامي لها، فقد اعتنى القادة والفاثون، والأمراء والسلطين والوزراء ببناء المساجد، حيث قام قتيبة بن مسلم

(1) سعد مرسي أحمد وآخرون: تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتاب، القاهرة، 1972م، ص172.

(2) عبدالله عبدالدائم: التربية عبر التاريخ، ص223.

(3) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص223.

(4) عبدالله عبدالدائم: التربية عبر التاريخ، ص153.

(5) ابن عبدالبر القرطبي: جامع بيان العلم وفقهه، تحقيق، د. مسعود السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص23.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص205.

الباهلي ببناء المساجد في بخارى وسمرقند وكشن ونسف وكل مدن إقليم ما وراء النهر التي لم يقتصر دورها كدور للعبادة فقط، بل كانت تمثل أيضاً مدارس علمية<sup>(1)</sup> فقد شيد قتيبة بن مسلم سنة 94هـ/712م داخل قلعة بخارى مسجداً وعندما زاد دخول الناس فيه بعد أن فشا الإسلام بينهم، لم يعد ذلك المسجد يتسع لداخله، إلا أن الوالي العباسي (الفضل بن يحيى ابن خالد البرمكي (147-148هـ/794-795م) في خلافة هارون الرشيد، حيث تجمع أهالي بخارى وأجمعوا فيما بينهم على تشييد مسجد جامع جديد بين القلعة والشهر ستان، وصلوا فيه صلاة الجمعة، وكان للفضل بن يحيى دور كبير في عمارة المسجد حيث، أنفق عليه الكثير من الأموال، كما يحسب له أيضاً أنه أول من أمر بقناديل تضاء في المساجد خاصة في شهر رمضان، واشتهرت بخارى أيضاً بمسجد القرشيين نسبة لمقاتل بن سليمان القرشي الذي عاش هناك، وكان مولى حيان البنطي من مشاهير ورفاق قتيبة<sup>(2)</sup>.

كما وجد في بلدة بيكند مسجد جامع ذو بنيان مزخرف قبلته في زخرفها وحسنها لا يعلم بناء مثلها<sup>(3)</sup> وفي قرية كاسان إحدى قرى نسف شيد بها أحد رجالها الصالحين وهو (أبو عبدالرحمن معاذ بن يعقوب النسفي الكاساني) الجامع العتيق عام 219هـ/834م في سكة الزهاد<sup>(4)</sup>. وفي مدينة درغان وجد جامع حسن بالناحية مثله، فيه جواهر وتزويق جميلة<sup>(5)</sup> وفي إقليم فرغانة شيدت الكثير من المساجد وأقدمها المساجد التي بناها قتيبة بن مسلم الباهلي في

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص421.

(2) النرشخي: تاريخ بخارى، ص68-89؛ بارتولد: تركستان، ص201-204، وكان مما أتبعته السلطات السوفيتية في أثناء احتلالها لتركستان الغربية، هو هدم كثير من المساجد وتحويلها لمسارح ودور لهو ونوادي وقد بلغ عدد تلك المساجد 1882 مسجداً من بينها مسجد قتيبة وجامع الأمير الفضل بن يحيى، شرين عبدالنعميم حسانيين: مسلمو تركستان والغزو السوفيتي، دار التعاون للنشر، القاهرة، 1985م، ص26.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص281.

(4) السمعاني: الأنساب، ج3، ص144.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص289.

مدن وقرى فرغانه<sup>(1)</sup> ويتضح ذلك من قول ياقوت الحموي<sup>(2)</sup> "كان بها أربعون منبراً" ويقصد أربعون جامعاً في مدنها وقراها، ومن أشهرها المسجد الجامع في أخسيكث - قسبة الإقليم - والذي بُني وسط المدينة ومصلّى العيد بها المقام على شط نهر الشاش أي خارج القلعة، وبلغ اتساع جامعها أن سمي أحد أبوابها الأربعة باسم باب الجامع<sup>(3)</sup> وكان ممن علم في مسجد أخسيكث أبا القاسم محمود بن محمد الصوفي الذي كانت له حلقات درس في المسجد الجامع، وتخرج من تحت يديه نخبة من العلماء والفقهاء ممن كان لهم دور بارز في الحياة الثقافية بفرغانة بعد ذلك<sup>(4)</sup> وأحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد بن رشاد الأخسيكثي الملقب بذي الفضائل فقد كان من أبرز تلاميذ أبي القاسم محمود، وسمع منه الشعر، والنظم، درس فيه النحو، واللغة، والأدب وأصبح متميزاً في علوم ومعارف عدّة<sup>(5)</sup>.

وعندما انتقل ذي الفضائل إلى مرو، أخذهُ السلطان وولاه الديوان لنبوغه، وعمل مدرساً في المدارس النظامية، وتخرج على يديه كثير من طلبة العلم<sup>(6)</sup> وممن أفاد من أبي القاسم السمعاني أيضاً، حيث التقيا في جامع أخسيكث<sup>(7)</sup>. وممن دخل مساجد أخسيكث للتدريس فيها أبو معاذ خالد بن سليمان البلخي، وكان من كبار الحفاظ والفقهاء، دخل سمرقند، ثم فرغانة حينما نفاه علي بن عيسى بن ماهان أمير خراسان درس الحديث بمساجد أخسيكث، كما أخذ على محدثيها أيضاً، وحفظ عشرة آلاف حديث<sup>(8)</sup> وممن درس الحديث كذلك أبو الحجاج خارجه ابن مصعب

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص486.

(2) معجم البلدان، ج4، ص253.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص420.

(4) السمعاني: الأنساب، ج1، ص95.

(5) ابن قطلوبغا: تاج التراجم في طبقات الحنفية، تحقيق، د. محمد خير رمضان، دار القلم، دمشق، 1992م، ص16؛ الخوانساري: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق أسد الله إسماعيليان، إيران، 1391هـ، ص71.

(6) ابن الفطحي: أبناء الرواة، ج1، ص132.

(7) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص148، 149.

(8) النسفي: القند، ص130.

الفرغاني الذي يعد من كبار المحدثين، وأخذ عنه الكثيرون<sup>(1)</sup>. أما مساجد خجنده - المتاخمة لفرغانه - والتي تقع على الجانب الغربي لنهر الشاش<sup>(2)</sup> فكان مسجدها الجامع يقع وسط المدينة، وإليه كان يذهب طلاب العلم على اختلافهم، وبه كانت تعقد حلقات تدريس في فروع العلوم كافة، على يد علماء وأفاضل أمثال أبو حفص عمر بن هارون الخجندي<sup>(3)</sup> وهو شيخ صوفي رحل بعد أن درس في مساجد خجنده ثم رحل إلى حلب بالشام ثم بغداد ثم عاد ثانية لحلب، وأخذ منه السمعاني أبياتاً من الشعر<sup>(4)</sup>.

وتعد قبا ثاني أكبر مدن فرغانة، ومن أشهر مساجدها: المسجد الجامع الواقع داخل القلعة والقريب من الإمارة<sup>(5)</sup> وممن عقد حلقات علم فيه أبو المكارم رزق الله أبو الحسن القباوي<sup>(6)</sup> وأبو عبدالرحمن بن عبدالله بن يزيد القباوي - المقرئ شيخ قبا، وقارئها، ومحدثها، وكان له حلقات تدريس في جامعها، وأفاد منه العديد من الطلاب<sup>(7)</sup> ومنهم كذلك أبو نصر أحمد علي الحسن بن غيث بن داود المقرئ الضرير المرغيانى الفرغاني، والذي تعلم في مرغيان ثم انتقل إلى قبا، وأصبح خطيباً، وإماماً لجامعها، وتلمذ على يديه أعداداً غفيرة من طلبة العلم<sup>(8)</sup>.

أما مساجد أوش - والتي تلي قبا في الكبر<sup>(9)</sup> فقد زخرت بالعلماء وطلاب العلم الذين كانوا يملكون عندهم الحرية الكاملة في التنقل بين حلقات، ومجالس العلم المختلفة، وحضور حلقات الدرس من حديث أو فقه، أو تفسير، وغيرهم، فالطلاب هم من يختارون شيوخهم الذين يميلون

---

(1) ابن العماد والحنبلي: شذرات الذهب، ج2، ص265.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص420؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص522.

(3) السمعاني: الأنساب، ج2، ص387.

(4) السمعاني: نفسه.

(5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص420.

(6) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص356.

(7) ابن العماد والحنبلي: شذرات الذهب، ج1، ص356.

(8) النسفي: القند، ص71.

(9) ابن حوقل: صورة الأرض، ص420.

لِلدِّرَاسَةِ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَالْأَخْذَ وَالرَّوَايَةَ عَنْهُمْ مِمَّنْ يَتَّقُونَ فِي عِلْمِهِمْ، وَكَانَتْ مَوَاعِيدُ الدِّرَاسَةِ فِي جَوَامِعِ فَرْغَانِهِ يَتِمُّ تَحْدِيدُهَا مِنْ قَبْلِ الشَّيْخِ، وَالْعُلَمَاءِ، فِي الْفَتْرَةِ الْمَمْتَدَّةِ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَإِلَى مَنْتَصَفِ اللَّيْلِ بَيْنَ مَحَاضِرَاتٍ، وَمَنَاطِرَاتٍ، وَاسْتِمْلَاءٍ، وَمَنَاقِشَاتٍ، وَسَمَاعٍ، وَوَعْظٍ، وَإِرْشَادٍ<sup>(1)</sup> وَكَانَ مَسْجِدُ أَوْشِ الْجَامِعِ يَقَعُ وَسَطَ السُّوقِ<sup>(2)</sup> وَمِمَّنْ تَوَلَّى التَّدْرِيسَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنَ مُحَمَّدٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْشِيُّ الْفَقِيهَ تَوَفِيَ سَنَةَ 613هـ/ 1216م<sup>(3)</sup> وَكَانَتْ لَهُ حَلَقَاتٌ فَكثيرةٌ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَوْشِيُّ - شَيْخُ الْإِسْلَامِ - الْمَلَقَبُ بِنَصْرِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ يَعْقِدُ مَجْلِسًا عِلْمِيًّا بِالْجَامِعِ، فَكَانَ مَجْمَعًا الْعَدِيدُ مِنَ الطَّلَابِ الَّذِينَ تَلَفَوْا عُلُومَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ<sup>(4)</sup> وَمِنْهُمْ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرَالدِّينُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلَقَبُ بِإِمَامِ الْمَهْدِيِّ السَّمَرْقَنْدِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ الْحَنْفِيَّةِ، وَمِنْ الزُّهَادِ الْمُتَصَوِّفِينَ أَيْضًا وَالتَّفَّ حَوْلَهُ الطَّلَابُ يَنْهَلُونَ مِنْ فَقْهِهِ، وَدُرُوسِهِ<sup>(5)</sup>.

وَمِمَّنْ عَقَدَ حَلَقَاتٍ لِلتَّدْرِيسِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونِ بْنِ سَالِمِ الْفَقِيهِ الْحَافِظِ - مُؤَدِّبِ جَامِعِ أَوْشٍ<sup>(6)</sup>، كَمَا حَظِيَّتْ مَسَاجِدُ أَوْزَكَنْدِ آخَرَ مَدَنِ فَرْغَانِهِ مِنْ جِهَةِ التَّرْكِ<sup>(7)</sup> بِنَصِيْبِ وَافِرٍ مِنْ حَلَقَاتِ التَّدْرِيسِ، وَكَانَ لِفَقْهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ حَلَقَاتٌ خَاصَّةٌ بِهِمْ مِثْلَ حَلَقَاتِ الشَّيْخِ مَسْعُودِ بْنِ مَنْصُورِ الْأَوْزَكَنْدِيِّ تَوَفِيَ سَنَةَ 519هـ/ 1125م<sup>(8)</sup> وَمَرْغِينَانَ الَّتِي كَانَ مَسْجِدُهَا الْجَامِعُ دَاخِلَ الْقَلْعَةِ<sup>(9)</sup>

(1) ابن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص469.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص272.

(3) السمعاني: الأنساب، ج3، ص48.

(4) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج3، ص164.

(5) الزركلي: الأعلام، ج8، ص105.

(6) السمعاني: الأنساب، ج3، ص108.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، ص420.

(8) السمعاني: الأنساب، ج1، ص244.

(9) لسترنج: بلدان الخلافة، ص522.

تولى الخطبة بها الإمام الزاهد أبو بكر بن زياد المرغيناني، وقد كان هذا الجامع وخطيبه بالإضافة إلى التدريس في حلقات العلم التي كان أكثرها من عقدها، ملتقاً حوله الطلاب<sup>(1)</sup>.

كما بنيت المساجد في كل مدن وقرى فرغانة فلم تخل مدينة منهم من مساجد، ومساجد جامعة، احتضنت الكثير من العلماء، والفقهاء، والمتصوفة، والعديد من الطلاب<sup>(2)</sup>.

والملاحظ على مساجد فرغانة أن معظمها كان بعضها من بعض قريباً، وأكثرها تقع داخل الأسواق نظراً لكثرة تجمع الناس بها، كمساجد أخسيكث<sup>(3)</sup> ومساجد يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة<sup>(4)</sup> في أوزكند، ونسيا العليا، ونسيا السفلى، وبعضها أخذ اسم مدينته أو قريته، مثل مسجد قبا وكاسان<sup>(5)</sup>. واهتم ولاية الدولة العباسية ثم ولاية الدويلات المستقلة وخاصة في العصرين السلجوقي والخورزمي بتعمير المساجد في كل إقليم ما وراء النهر والتي اتسمت بالفخامة وذلك ناجم عن الاهتمام بالعمارة والبراعة في التصميم، والبناء، وبداخلها منبر ومقعد للمؤذن أو الخطيب، وبداخلها كما يقول المقدسي<sup>(6)</sup> "قدور من نحاس كبار على كراسي يطرح فيها الماء المجدد يوم الجمعة". كذلك بنيت مساجد كثيرة في إقليم الشاش وكانت أغلبها في الأسواق مثل جامع بنكت قسبة إقليم الشاش الذي يقع في السوق لأنه من المعروف أن هذه المنطقة يكثر فيها الشعب لكثرة التجمع بها، فكان قنينة دائماً يجعل مساجده في هذه النقاط حتى يفرقهم ويمنع أي شغب يضر بالمدينة والمسلمين بها، وحتى يجذب بعض التجار وحديثي العهد بالإسلام إلى الإسلام، وكان بمدينة طشقند وحدها في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي

(1) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص273.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص391 وما بعدها.

(3) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص321.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص332؛ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي، ج2، ص543.

(5) ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص182.

(6) أحسن التقاسيم، ص328.



ثلاثمائة مسجد<sup>(1)</sup>. وفي إقليم أشروسنه بنيت مئات المساجد في حاضرتها بونجكت وزاميين<sup>(2)</sup>، كما ارتفعت المآذن فوق المساجد في إقليم الصغانيان والختل وطخارستان<sup>(3)</sup> إلى جانب المساجد التي بنيت في إقليم خوارزم في الجرجانية وكاث يقول المقدسي<sup>(4)</sup> "كورة جليلة واسعة كثيرة المدن منابرها في الأسواق وهي كثيرة". وكان يتم ترتيب حلقات الدرس بمساجد إقليم ما وراء النهر ببسر، فالمدرس يتخذ مكانه إلى جانب اسطوانة في المسجد، مستنداً إليها بظهره إن أمكن، وإذا اقترب أحد من هذه الحلقة سمع النداء "دوروا وجوهكم إلى المجلس"<sup>(5)</sup>، وكانوا يكتبون على الألواح، ويحضرون كتبهم في شئ يسمى قارورة<sup>(6)</sup>.

وكان نظام الحلقات هي نظام الدراسة بالمساجد في الإقليم كغيره من مساجد المسلمين عامة وكان هذا النظام تقليداً ظلت الأجيال تتوارثه منذ أن جلس الرسول ﷺ بالمسجد معلماً<sup>(7)</sup>. أما النظام المتبع في الحلقة فهو أن يجلس الشيخ بجانب عمود من أعمدة المجلس ويجلس حوله طلابه على شكل حلقة أو دائرة<sup>(8)</sup> بترتيب معين، فلكل طبقة مكان، فيجلس المعيدون والمختارون من الطلاب على يمين الشيخ ويساره، وكانت العادة أن يحرص كل فرد قريباً من الشيخ ولكن بشرط إلا يتعدى المكان الذي هو أهل له<sup>(9)</sup> ثم تطورت الحلقات عبر العصور، وصار موضع

---

(1) أحمد عبدالقادر الشاذلي: الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا الحاضر والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنوفية، 1415هـ/1994م، ص27.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص379.

(3) بارتولد: تركستان، ص150، 151.

(4) أحسن التقاسيم، ص286.

(5) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ص314.

(6) هي المحبرة، ولكنها هنا تدل على ما يشبه الصندوق، وربما اتخذت هذا الاسم من المحبرة، التي يكتبون بها راجع: آدم متز: الحضارة، ص316.

(7) الصنعاني: مسالك الأبصار وعجائب الأخبار ومحاسن الأعشار وعيون الآثار، تحقيق علي بن الحسين الأكوغ، صنعاء، 1985م، ص183.

(8) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص54.

(9) سعيد إسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ص224.

العالم يتميز بالسجادة التي يصلي عليها، وانقسم أصحاب الحلقات حسب أماكنهم في المساجد إلى أصحاب الكراسي وهم القصاص وأصحاب الزوايا وهم أهل المعرفة<sup>(1)</sup>.

ومن المساجد التي اشتهرت بحلقات العلم في إقليم الصغد المسجد الجامع في سمرقند، ومسجد البكريين، ومسجد بلال بن إسماعيل المقرئ، ومسجد سكة أبي الرحمن، ومسجد سكة عبادة<sup>(2)</sup> ومسجد عز في آخر سكة رشتوخ ومسجد العطارين ومسجد مقابل ومسجد المنارة<sup>(3)</sup>.

واشتهرت بعض العلماء بملازمتهم للتدريس والوعظ بالمساجد وكانت لهم حلقات علم منهم الشيخ الحاكم الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الاسترابادي من كبار أئمة الحديث بسمرقند، كان له مجلس إملاء بمسجد المنارة توفي سنة 432هـ / 1040م<sup>(4)</sup> والشيخ أبو نصر سفيان بن عبدالله بن محمد بن أحمد السرخس المدني كان له مجلس إملاء بمسجد المنارة، توفي سنة 432هـ / 1040م<sup>(5)</sup> وأبو القاسم أحمد ابن الحسيني ابن محمد الفارسي، له مجلس إملاء بمسجد المنارة توفي سنة 444هـ / 1052م<sup>(6)</sup>.

كما كان الحافظ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الترمذي من كبار أئمة الحديث سكن سمرقند، وعقد مجالس الإملاء في مسجد رأس سكة أبي عبدالرحمن في سكة حائط كو سكان بسمرقند توفي سنة 447هـ / 1055م<sup>(7)</sup> والشيخ أبو محمد عبدالخالق ابن أبي مالك البلخي الصوفي، كان له مجلس إملاء بمسجد المنارة، توفي سنة 448هـ / 1056م<sup>(8)</sup> والشيخ أبو محمد عبدالصمد بن إبراهيم بن الفضل بن أحمد ابن الليث الحنظلي، كان له مجلس إملاء بمسجد سكة

---

(1) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص54.

(2) النسفي: القند، ص451-542.

(3) السمعاني: الأنساب، ج5، ص461.

(4) النسفي: القند، ص545.

(5) النسفي: نفسه، ص233.

(6) السمعاني: الأنساب، ج1، ص301.

(7) النسفي: القند، ص540.

(8) السمعاني: الأنساب، ج5، ص198.

عباد بسمرقند، توفي سنة 455هـ / 1063م<sup>(1)</sup>، كذلك كان أبو حفص عمر بن منصور بن أحمد بن منصور ابن موسى البزار الدهقان البخاري المعروف بابن خنب من كبار الحفاظ، حدث بمسجد المنارة بصحيح البخاري<sup>(2)</sup> وكانت له حلقة إقراء بمسجد سكة مقاتل، واختلف إليه الأئمة ومنهم أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل المقرئ الهروي الساكن سمرقند سمع بقراءته، توفي سنة 461هـ / 1068م<sup>(3)</sup>.

ومن أشهر العلماء الذين جلسوا للتدريس في مساجد سمرقند، محمد بن عبدالكريم اليمان الزيركي أبو البديع الإمام الحاكم من أهل سمرقند، كان يدرس ويملي الحديث بمسجد العطارين توفي سنة 479هـ / 1086م<sup>(4)</sup> والشيخ أبو المعالي محمد بن محمد ابن زيد من كبار العلماء، جلس للإملاء في جامع سمرقند، وحضر مجلسه فحول العلماء ومنهم الشيخ أبو نعيم عبدالرحمن بن الحسن العامرة النسفي<sup>(5)</sup> كما عقد الشيخ أبو المعالي محمد بن محمد مجلساً للإملاء في مسجد المنارة وحضره عبدالملك بن عبدالرحمن بن بكر الكرمني، وتوفي الشيخ سنة 491هـ / 1097م<sup>(6)</sup> كما كان أبو الحسن إدريس بن حمزة علي الشافعي الرملي من فحول الأئمة فقيهاً فاضلاً، استوطن سمرقند، وفوض إليه تدريس الفقه على المذهب الشافعي في مسجد المنارة، وكان علماء سمرقند تعظمه وتهابه لفصاحته وفضله، توفي سنة 504هـ / 1110م<sup>(7)</sup>. وكان الشيخ أبوبكر أحمد بن محمد بن الفضل الفارسي يعقد مجلساً علمياً للإملاء بمسجد المنارة

---

(1) النسفي: القند، ص 387.

(2) النسفي: نفسه، ص 389.

(3) السمعاني: الأنساب، ج 5، ص 199، 200.

(4) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج 3، ص 336.

(5) النسفي: القند، ص 370.

(6) السمعاني: الأنساب، ج 1، ص 301.

(7) السبكي: طبقات الشافعية، ج 7، ص 40، 41.

بسمرقند وتوفي سنة 525هـ / 1130م<sup>(1)</sup> والشيخ أبو محمد بن يوسف ابن علي بن العباس بن أبي بكر بن سالم النجانيكثي الأسروشنى، كان مقيماً بسمرقند ويدرس للطلاب بمسجد العطارين توفي سنة 527هـ / 1132م<sup>(2)</sup>.

ومحمد بن عبدالخالق بن عبدالوهاب بن سلمه السمرقندي، كان إماماً مبرزاً ورعاً حسن السيرة، كان له حلقة يوم الجمعة في جامع سمرقند وكان يحدث، قال السمعاني<sup>(3)</sup> "سمعت منه أحاديث يسيرة"، توفي سنة 551هـ / 1156م<sup>(4)</sup>.

وممن درس في مساجد مدينة كاش التابعة لإقليم الصغد الإمام الفقيه صديق ابن أبي بكر بن الحسين الفريزاني الكمشي، أقام بسمرقند ثم رحل إلى كاش وله حلقة تدريس في الفقه في مساجدها توفي شهر شعبان سنة 568هـ / 1172م<sup>(5)</sup>، ومن علماء كاش إحدى مدن إقليم خوارزم أبو عاصم المظفر بن محمد بن محمد الكاشي كان فقيهاً فاضلاً حسن السيرة ورعاً راعياً للحقوق كانت وفاته سنة 499هـ / 1105م<sup>(6)</sup>، وممن درس في مساجد بخارى أبو محمد عيسى بن موسى التميمي، الملقب بغنجان، وإنما لقب به لحمرة وجنتيه، كان فاضلاً صدوقاً عابداً من أهل بخارى رحل إلى العراق والحجاز ومصر، وأدرك العلماء مات سنة 432هـ / 1040م<sup>(7)</sup> ومنهم أبو محمد عبدالله بن الأحوص بن عمار الدبوسي نسبة إلى مدينة الدبوسية إحدى مدن الصغد درس في مساجدها كان عالماً مشهوراً مذكوراً بالخير والعلم توفي سنة 455هـ / 1063م<sup>(1)</sup> وأبو بكر محمد خالد بن الحسين المطوعي البخاري سكن بيكند ودرس في مساجدها الفقه مات سنة 515هـ /

(1) النسفي: القند، ص105.

(2) السمعاني: الأنساب، ج5، ص461.

(3) الأنساب، ج5، ص462.

(4) السمعاني: نفسه، ج4، ص261.

(5) النسفي: القند، ص106.

(6) السمعاني: الأنساب، ص263.

(7) السمعاني: الأنساب، ج4، ص284.

(1) النسفي: القند، ص133.

1121م<sup>(1)</sup>. واستمر هذا الشكل من التدريس (نظام الحلقات) حتى بعد إنشاء المدارس، كما أنه لا يزال معمولاً به في بعض أقطار العالم الإسلامي، ولم يصيبها تغيير سوى الأمور المتعلقة بوجود إدارة لمؤسسات دائمة للتعليم<sup>(2)</sup>. وكان ترتيب حلقات التدريس بمساجد إقليم ما وراء النهر يتم على ثلاث مراحل، الأولى: تعلم القراءات بعد حفظ القرآن الكريم، والثانية: دراسة الفقه على يد مشايخ وفقهاء العصر، والمرحلة الثالثة: دراسة أصول الفقه، والحديث النبوي، والسيرة النبوية والتبحر في العلوم الأخرى<sup>(3)</sup> وكان باب التعليم في المساجد مفتوحاً لكل من شاء، بشرط أن يكمل الطالب تعليمه الأول في المكتب من قراءة، وكتابة، وخط وغيرها<sup>(4)</sup> وعلى الطالب - أو من يعوله - أن يوفر ما يلزم للتفرغ للدراسة، إذ كان عليه تحمل نفقات لباسه ومعيشته، وسكنه، وأقلامه، ومحبرته، وألواح الكتابة، وما إلى ذلك<sup>(5)</sup>.

على أن بعض الطلبة الفقراء لم يمنعهم فقرهم من استكمال تعليمهم، مما توفر لهم من تبرعات الأغنياء، أو مما خصص على سبيل الوقف، أو الصدقات، وكان بوسع بعض طلاب العلم أحياناً السكن في المساجد معظم الوقت، ودور الضيافة الملحقة بها، مع احتراف حرفة أو عمل يدر عليهم ما يسد تكاليف معيشتهم<sup>(6)</sup> مع استمرار دراستهم، كما كان هناك عدد من أثرياء الإقليم، وغيره، يقدمون المساعدة للمحتاجين من الطلاب النابهين، والمعسرين<sup>(7)</sup>.

وكان الطلاب في مساجد بلاد ما وراء النهر ينقسمون كغيرهم إلى فئتين، فئة عارضة وأخرى منتظمة، ويحضرون الدروس بين الحين، والآخر، ويحضرون مجالس الوعظ والإماماء،

(1) السمعاني: الأنساب، ج5، ص213.

(2) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص54، 55.

(3) آدم منز: الحضارة الإسلامية، ص314.

(4) القابسي: الرسالة المفصلة، ص293.

(5) سعد مرسي: تاريخ التربية والتعليم، ص171، 172.

(6) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج9، ص11، 12.

(7) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص222.

وحلقات العلم، غير أنهم لا يواصلون دراستهم، ولا يواظبون على تحصيلهم العلمي<sup>(1)</sup> أما المنتظمون فقد كانوا يقضون شطراً كبيراً من حياتهم في مواصلة التعليم، وغالبيتهم يقومون برحلة، أو رحلات في سبيل الحصول على قدر أكبر من المعرفة، أو للدراسة على عدد أكبر من مشاهير المشايخ في البلدان الإسلامية الأخرى<sup>(2)</sup> وهذا النوع الأخير كان هو الغالب على طلاب العلم في فرغانة، فأغلبهم تعلم أولاً فيها، ثم رحل منها إلى سمرقند، وبخارى، والشام ومصر والعراق والأندلس، للتعلم كلما سمع عن عالم، وتعلم فيها على يد شيوخها، وداخل جوامعها<sup>(3)</sup> وكانت المساجد مفتوحة بدورها يقصدها من يأنس في نفسه الكفاءة لتعليم الناس وظل العلماء يقصدون المساجد ليؤدوا هذا العمل دون انتظار من يحثهم على الذهاب وظل الناس يلتفون حولهم، ويأخذون عنهم من غير أن تدخل السلطات في ذلك، ولكن بدأ تدخل السلطة في التعليم عندما اقترح القائمون بالأمر موضوعاً معيناً ليدرس، وبالأحرى عندما شيدت السلطة معاهد تعليمية كالمدارس النظامية، وعينت لها المدرسين ونظمت لهم الأجور، وبهذا وذاك تدخلت السلطة في التعليم<sup>(4)</sup>، وكانت السلطة قبل ذلك لا تتدخل في الحركة التعليمية وكان يقتصر تدخلها على التأكد من عدم تعارض ما يجري في هذه الدراسة من مناقشات مع الدين وسياسة الدولة<sup>(5)</sup>، وكان كل مسجد بمثابة جامعة تتألف من كليات عدّة، فكان المسجد الواحد يضم من حلقات التعليم عدد منها حلقات لتعليم الفقه، وهناك لتعليم الحديث، وأخرى لتدريس علم الكلام<sup>(1)</sup>.

(1) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص469، ج6، ص42-272.

(2) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص222.

(3) محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين، ص109.

(4) عصام عبدالرؤوف الفقي: تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م، ص182، 183.

(5) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ص193، 194.

(1) خالد عزب: التراث الحضاري والمعماري للمدن الإسلامية، القاهرة، 2003م، ص118.

ولم تقتصر الدراسة في المساجد على القرآن الكريم والحديث الشريف والفقهاء فقط وإنما شملت اللغة وآدابها والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم<sup>(1)</sup>، وأحب طالب العلم مجالسة العلماء، وكان عليه أن يتحلى بأدب وتواضع ولا يضجرهم في السؤال، ولا يناظرهم مناظرة من يريهم أنه أعلم منهم، وإنما هدفه البحث لطلب الفائدة منهم ويحسن توقيير العلماء، حتى يزداد به عند الله تعالى فهماً في دينه<sup>(2)</sup> ويحذر طالب العلم أشد الحذر أن يماري أستاذه فإن المرء شر كله، وعليه أن يحترم شيخه في كل الحالات حتى لو قام بتوبيخه بسبب ما فيه من نقیصة أو كسل يعتریه، وعلى الطالب أن يلتزم السكون والوقار في مجلس العلم<sup>(3)</sup>. كما كان لجلوس العلماء والفقهاء في المساجد وقيامهم بمهمة التدريس شروط، منها أن يكون كل واحد منهم زاجراً في نفسه، وأن لا يتصدى لما ليس بأهل له، فيضل به المستهدي ويذل به المسترشد، وجاء في الأثر "أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على جرائم جهنم" وينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالماً بوجوه القرآن، عالماً بالأسانيد الصحيحة عالماً بالسنن<sup>(4)</sup>.

على أية حال ازدهرت المساجد في إقليم ما وراء النهر، وأصبحت مركزاً علمياً من أكبر مراكز التعليم والتدريس آنذاك، وجذبت إليها الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكانت تلك المساجد تزدان بكثرة حلقاتها العلمية التي يترأسها الفقهاء ورجال العلم للدراسة والمناظرة<sup>(5)</sup>.

خلاصة القول ازدانت مساجد إقليم ما وراء النهر بحلقات العلماء، وشهدت الكثير من حلقات أصحاب الحديث والفقهاء، ولم تكن هذه الحلقات تخص شخصاً معنياً، بل كان بإمكانه أي شيخ راغب في الحديث أن يحدث فيها، كما زخرت بحلقات الفقه والمناظرة والقراءات، ولا شك أن

(1) أحمد شلبي: تاريخ التربية، ص93.

(2) ابوبكر الأجرى: أخلاق العلماء، تحقيق أحمد عبدالرحيم السايح، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993م، ص52، 51.

(3) أبو عبدالله محمود بن سعيد بن رسلان: آداب طالب العلم، القاهرة، 1988م، ص75-81.

(4) ابن الفراء الحنبلي: الأحكام السلطانية، تعليق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص226.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج38، ص64؛ السمعاني: الأنساب، ج5، ص360.

هذه الحلقات أسهمت إسهاماً كبيراً في التطور الفكري والتعليمي في العصر السلجوقي والخورزمي، وجدير بالذكر أن المسجد حافظ على مكانته كمركز إشعاع علمي، رغم انتشار المدارس في إقليم ما وراء النهر، وظل للمسجد دوره الرائد وبخاصة في العلوم الدينية التي ترتبط بطبيعة المسجد، فكان ومازال ملتقى العلماء وطلاب العلم، وقال ابن الحاج<sup>(1)</sup> في هذا الصدد: (مواضع التدريس ثلاثة "البيت، والمدرسة، والمسجد" وقال إن المسجد أفضلها جميعاً، لأن الفائدة من التدريس أن تظهر به سنة، أو تخمد به بدعة، أو يتعلم به حكم من أحكام الدين، والمسجد خير مكان تتوافر فيه هذه الفوائد، لأنه موضع مجتمع من الناس). هكذا أقبل طلاب العلم في إقليم ما وراء النهر على العلم يحثهم في ذلك قول الرسول ﷺ (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)<sup>(2)</sup>.

والملاحظ على إقليم ما وراء النهر كثرة مساجده، وعدد علمائه، وهذا يشير بوضوح إلى نشاط علمي واسع، فكان الطالب يتعلم في حلقات الشيوخ في المساجد ثم إذا أراد أن يغادر الإقليم إلى مكان آخر، كان له كامل الحرية في ذلك، وهناك يلتقي بعدد من العلماء، والمشايخ، ثم يعود وقد حصل على إجازات<sup>(3)</sup> كثيرة أو يكاتب العلماء دون أن يرحل، ويستعبر كتبهم، أو يزور البيت الحرام، ويلتقي بالعلماء والفقهاء في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، أو يمر على مصر ويلتقي بعلمائها أو أدباءها<sup>(4)</sup>. وكانت جميع مساجد، وجوامع إقليم ما وراء النهر مؤسسات

(1) المدخل إلى الشرع الشريف على المذاهب، القاهرة، 1929م، ج1، ص85.

(2) القرطبي: بهجة المجالس، ص50، 51.

(3) في اللغة: المصدر من أجاز، أي أعطاه الأذن، وأجاز له، أي أذن له، وفي الاصطلاح أذن لغيره أن يروي عنه حديثاً أو كتاباً أو جزء من كتاب، فهي رخصة، تتضمن تحويل المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث معين، أو كتاب محدد يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه، وهي نوعان شفوية وتحريرية، ينظر، ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص326؛ دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص433.

(4) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج2، ص316.



لحلقات تعليمية بالإضافة إلى وجود مكتبة ملحقة بكل مسجد، غنية بالكتب في مختلف صنوف المعرفة، والمخطوطات، فقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد وطلاب العلم فيها<sup>(1)</sup>. وهكذا شهدت المساجد في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي نشاطاً علمياً واسعاً، وما يؤكد كثره المحدثين والفقهاء والقراء وتلامذتهم واستمرت المساجد تؤدي دورها التعليمي جنباً إلى جنب مع المؤسسات التعليمية الأخرى.

#### • المدارس:

من أهم المؤسسات التعليمية في الإسلام، وقد دار جدل واسع حول نشأة المدارس وأصولها في العالم الإسلامي، ويُعدّ المسجد هو الأصل الذي تعود إليه فكرة إنشاء المدرسة، بمفهوم المكان المحدد، الذي يجتمع فيه الدارسون مع معلمهم، أو شيوخهم<sup>(2)</sup> فقد كان التعليم في المدارس امتداداً لحركة التعليم في المساجد، وتمثل المدرسة أسمى إنجازات النظام التربوي الإسلامي الذي وصلت إليه فلم تظهر المدرسة فجأة، وإنما هي مرحلة متقدمة في سلسلة التطورات التي مرت بها حركة التعليم، ونضوجاً لفكرة راودت أصحابها عبر ما لا يقل عن أربعة قرون<sup>(3)</sup>. وذكرت بعض المصادر بأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أمر ببناء المكاتب (الكتاتيب) مما يدل على وجود فكرة المدرسة منذ صدر الإسلام<sup>(4)</sup>، ويمكن القول بأن مدرسة الإمام أبي حفص الفقيه البخاري توفي سنة 217هـ/ 832م وهو أستاذ شيخ المحدثين الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - أول مدرسة أسست في ديار الإسلام<sup>(1)</sup>.

(1) محمد عمارة: دور الوقف، ص162.

(2) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص236.

(3) سعيد إسماعيل: معاهد التربية الإسلامية، ص304.

(4) الكتاني: التراتيب الإدارية، تحقيق، عبدالله الخالدي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ص294.

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص123.

ثم نشطت بعد ذلك حركة تأسيس المدارس، وعلى ذلك يمكن القول بأن أول مدرسة أسست في ديار الإسلام كانت في بخارى فيما وراء النهر، وإن قال البعض "إن دار الحكمة التي أنشأها الخليفة المأمون العباسي في بغداد كانت أول مدرسة رسمية في ديار الإسلام"<sup>(1)</sup>.

وانتشرت المدارس في بلاد المسلمين لازدحام المساجد بحلقات العلم، وكان ينبعث من كل حلقة من هذه الحلقات صوت المدرس يلقي الدرس وأصوات الطلاب يسألون ويناقشون، وكانت تتلاقى الأصوات المتصاعدة من الحلقات المختلفة فتحدث في المساجد شيئاً من الضجيج يمنع الصلاة والعبادة من أن تؤدي على وجهها الصحيح<sup>(2)</sup> فضلاً عن أن العلوم تطورت وأصبحت هناك مواد تستدعي دراستها كثيراً من الحوار الثقافي والجدل والحوار، ومثل هذه المواد تتنافى طبيعة تدريسها مع ما يجب أن يكون عليه رواد المساجد من هدوء وجلال<sup>(3)</sup> ومن ناحية أخرى كان لدى الدولة الرغبة في السيطرة على التعليم وتوجيهه للقضاء على البدع، كما كانت في حاجة إلى عدد من الموظفين والدعاة لذا فرضت على التعليم شروطاً ومواصفات تخص المناهج<sup>(4)</sup>.

وتُعدّ المدارس أكبر المؤسسات العلمية والثقافية، والتي درست فيها الكثير من العلوم، حيث يُعدّ القرن الخامس الهجري/ الثالث عشر الميلادي فاتحة جديدة بالنسبة لنظام التعليم والمدارس في الإسلام<sup>(1)</sup> وكان العصر السلجوقي هو عصر تأسيس المدارس الرسمية وهي المدارس النظامية التي أنشأها وأسسها الوزير القدير نظام الملك الطوسي في بغداد ونيسابور وهراة ومرو وبلخ وجزيرة بن عمر وغيرها لنشر وتعليم المذهب الأشعري السني، ولمقاومة الفكر الشيعي

---

(1) خضر عطا الله: بيت الحكمة في بغداد، ص151.

(2) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ص96.

(3) محمد الحسيني عبدالعزيز: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991م، ص35.

(4) سعيد إسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم، ص173.

(1) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص367.

الإسماعيلي<sup>(1)</sup> فسلم منابر التدريس في المدارس النظامية إلى علماء الشافعية<sup>(2)</sup> ولم يكن الإقبال على تلك المدارس قاصراً على الطلاب بل والعلماء<sup>(3)</sup> ولم يكن يسمح لأحد من طلبة المدارس بالانتظام بها ما لم يكن له نصيب وافر من مختلف العلوم والفنون<sup>(4)</sup>. فقد كان التدريس بها يشمل مختلف العلوم التعليمية، كالقرآن والتفسير، والحديث والفقه وأصوله على المذهب الشافعي، كذلك علوم اللغة العربية كالنحو والبلاغة وغيرها<sup>(5)</sup> كما عنيت المدارس النظامية بالعلوم العقلية كالرياضيات، والطب والصيدلة<sup>(6)</sup>. هذه المدارس النظامية، أصبحت نموذجاً يعتد به مؤسسو المدارس العلمية في مشارق العالم الإسلامي ومغاريه، وتأثر إقليم ما وراء النهر بطبيعة الحال ببناء المدارس النظامية ونظمها التعليمية وتعيين المدرسين ودرجاتهم، ومناهج التدريس، ومواعيد المحاضرات، وأساليب التدريس وآدابه ولغته، بحكم الجوار الجغرافي ورحلة العلماء والطلاب من الإقليم إلى خراسان يتعلمون في هذه المدارس ثم يعودون إليه أساتذة لطلابه. ولكن علماء ما وراء النهر اعترضوا على نظاميات خراسان أنها تعطي رواتب لأساتذتها فقابلوا ذلك بعدم الرضا، ويؤكد شعورهم هذا ما روى عنهم (ولقد كوشف علماء ما وراء النهر بهذا الأمر، ونطقوا به لما بلغهم بناء المدارس ببغداد أقاموا مأتم العلم، وقالوا كان يشتغل به أرباب الهمم العلمية، والأنفس الذكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به، فيأتون علماء وينتفع بهم وبعلمهم، ولما جعل عليه أجرة تتطلبه النفوس الرذيلة، وتجعله مكسباً لحطام الدنيا، ويتزاحم عليه لا ليتحصل على شرف

---

(1) عبدالكريم عرابيه: العرب والأترك، ص98؛ مصطفى جواد: المدرسة النظامية ببغداد، مقال منشور بمجلة سومر، بغداد، ج2، مج9، 1953م، ص323.

(2) عبدالهادي محبرية: نظام الملك، ص354.

(3) عبدالمجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري، ص186.

(4) خواندمير: دستور الوزراء، ص253.

(5) مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص276.

(6) يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، بحث بمجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1395هـ/ 1975م، ص568.

العلم، بل لتحصيل المناصب الدنيوية السفلة الفانية، فيزول العلم برذالتهم ولا يشرفون بشرفه<sup>(1)</sup>. ومن الجدير بالذكر أن بلاد ما وراء النهر قد شهدت بناء المدارس قبل النظاميات ففي سمرقند أنشأ الأمير إبراهيم طمغاج خان 444-460هـ/ 1052-1067م مدرسة<sup>(2)</sup> على أن نظام الملك يعد أول من رتب لطلاب المدارس والعاملين بها مرتبات شهرية، وأمدهم بالحبر والورق، ولم تكن المدارس التي أنشئت قبل ذلك تخصص لطلبتها جرايات<sup>(3)</sup>.

وسرعان ما أصبحت النظامية وما جعل بها من مساكن ورواتب للطلبة والأساتذة نموذجاً يحتذى به في سائر المدارس التي أنشئت في إقليم الصغد ولاسيما سمرقند، وصارت مراكز إشعاع للعقيدة الإسلامية<sup>(4)</sup> فمن المدارس الكبرى التي اشتهر بها إقليم ما وراء النهر مدرسة قثم بن العباس<sup>(5)</sup> والتي أنشئت قبل سنة 491هـ/ 1097م وقام بالتدريس فيها محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن علي أبو طالب العلوي، تفقه على والده وبرع في الفقه، وأقام على التدريس ونشر العلم إلى أن مات سنة 491هـ/ 1097م<sup>(6)</sup> وقام بالتدريس في هذه المدرسة أيضاً أبو المعالي مسعود بن الحسن بن الحسين بن محمد الكشاني وحدث وأملى بها توفي سنة 540هـ/ 1145م<sup>(1)</sup>.

ومدرسة رأس سكة حيان في رأس قنطرة غاتغر، قام بالتدريس فيها أبو يعقوب يوسف بن بختيار بن محمد الساغري، توفي سنة 502هـ/ 1108م<sup>(2)</sup> ومدرسة رأس سكة عمورشيدت قبل

(1) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص311؛ حسين أمين: المدرسة المستنصرية، ج1، ص24.

(2) السيوطي: حسن المحاضرة، مطبعة إدارة الوطن بمصر، 1299هـ، ج2، ص184.

(3) السيوطي: نفسه، ص185؛ المالقي: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، القاهرة، 1984م، ص219.

(4) حسن الباشا: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971م، ص137.

(5) ابن عم الرسول ﷺ استشهد بسمرقند سنة 57هـ/ 676م، البلاذري: فتوح، ص402.

(6) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج3، ص318.

(1) السمعاني: الأنساب، ج5، ص73.

(2) النسفي: القند، ص241.

سنة 505هـ/ 1111م، وقام بالتدريس في هذه المدرسة أبو علي الحسين بن يوسف بن أبي يعقوب الخرفاني الإمام الخطيب، وكان فقيهاً فاضلاً سمع عنه الإمام عمر بن محمد النسفي، توفي سنة 505هـ/ 1111م<sup>(1)</sup>.

ونظراً لكثرة الشيعة في إقليم ما وراء النهر لقد سمح سلاطين السلاجقة والخورزميين للشيعة ببناء مدارس للشيعة الاثني عشرية، ومراكز لتعليم المذهب شأنها شأن مدارس السنة تنعم بإقبال الدارسين والمدرسين، ووجدت بسمرقند وبخارى، وأشروسنه والشاش وخورزم مدارس للشيعة منها مدرسة الأمامية التي أسسها محمد بن مسعود العياش الذي عمل على نشر المذهب الشيعي فيما وراء النهر وخراسان<sup>(2)</sup>.

أما عن خصائص هذه المدارس الشيعية فإنها نحت نحو التخصص رغم شمولية التعليم في الجمهرة الكبرى من المدارس الإسلامية، أي إن هذه المدارس شيدت عادة لمذهب معين من المذاهب الإسلامية، ولم يكن يسمح لأتباع المذاهب الأخرى السننية طبعاً الالتحاق بها، واستقر التدريس فيها على المذهب الشيعي الذي خصصت من أجله المدرسة، مع مراعاة حظر تدريس العلوم التطبيقية والفلسفية، وذلك لرغبة مؤسسي هذه المدارس في اقتصارها على العلوم الدينية واللغوية، ابتغاء مرضاة الله<sup>(1)</sup> أما فيما يتعلق بتدريس الطب فازدهرت دراسته في البيمارستانات (المستشفيات)<sup>(2)</sup> وأحياناً كان يدرس في المدارس وذلك لإيمانهم بأن العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان<sup>(3)</sup>.

(1) السمعاني: الأنساب، ج3، ص199.

(2) رسول جعفریان: الشيعة في إيران دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري، تعريب علي هاشم الأسدي، 1420هـ/ 1378 ش، ص241.

(1) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات دار إيران، جلد دوم، ص250.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، 1406هـ/ 1981م، ص8.

(3) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، القاهرة، 1981م، ص9-11.

وواجه السنة الشيعية ببناء مؤسسات تعليمية عرفت باسم دور السنة وكانت بمثابة مدارس لدراسة الحديث مستقلة عن المدرسة التي أضحت تركز على الفقه فكان الشيوخ يعقدون فيها مجالس الحديث والذكر حيث يجلس المملي أو المحدث على دكة كي تتسنى للجميع رؤيته<sup>(1)</sup> ومن دور السنة المهمة بسمرقند الدار الجوزجانية<sup>(2)</sup> ومن أشهر العلماء الذين تولوا التحديث بها الإمام الفاضل ذو الفضل حمزة الساباطي المدرس المفتي بسمرقند في محلة أمير نوند، توفي سنة 437هـ/ 1045م<sup>(3)</sup> كما تولى التدريس بها القاضي أبو سفر أحمد بن محمد بن حميد بن عبدالله بن الأشعث الكشاني كان إماماً فاضلاً، توفي سنة 443هـ/ 1051م<sup>(4)</sup> والشيخ الفقيه علي بن الحسين ابن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي بكر القنطري النسقي كتب عن أبيه وعن مشايخ نسق ومشايخ سمرقند توفي سنة 444هـ/ 1052م<sup>(5)</sup>.

وممن أملى في الدار الجوزجانية الشيخ الإمام الزاهد الخطيب أبو محمد عبدالجبار ابن أحمد الداري توفي سنة 448هـ/ 1056م<sup>(6)</sup> والشيخ أبو المظهر عبدالرشيد ابن أحمد بن طاهر بن عوض الطاهري السمرقندي كتب الحديث بسمرقند، وكتب أمالي الملك نصر إبراهيم بن طمغاخ خان في الدار الجوزجانية، توفي سنة 493هـ/ 1099م<sup>(1)</sup>.

وتعددت المدارس في كل من نسف وبيكند وبخارى، وأشتيخن وكانت مدارس دينية في المقام الأول<sup>(2)</sup> وممن درس في هذه المدارس محمد بن حمدي بن الفضل أبو صالح البخاري نزيل

---

(1) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات، ص 251.

(2) الدار الجوزجانية: دار منسوبة للأسرة الجوزجانية التي كان منها بعض المشايخ مثل أبو الليث السمرقندي الذي درس فيها، النسفي: القند، ص 157.

(3) النسفي: نفسه، ص 169.

(4) السمعاني: الأنساب، ج 5، ص 73.

(5) النسفي: القند، ص 571.

(6) النسفي: نفسه، ص 402.

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 34، ص 173.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 278-325.

مصر مات سنة 444هـ / 1052م<sup>(1)</sup> وأحمد بن عمر بن الاشعة أوبكر السمرقندي سكن دمشق مدة وكان يكتب بها المصاحف ويقرى القرآن مات سنة 489هـ / 1095م<sup>(2)</sup>.

كما أنشأت المدارس في إقليم الشاش في أسفيجاب، وايلاق، وخرشكت، وتنتكت وبيجاكت ودرس فيها أبو المظفر محمد بن الحسن بن أحمد البجاكشي المعروف بفضيه الشاش كتب عنه السمعاني مات سنة 551هـ / 1156م<sup>(3)</sup>.

وأوقفت الأوقاف على هذه المدارس، كما قام بالصرف عليها الفقهاء، والعلماء واليسوريين، والحكام، والأمراء، والوزراء، والسلاطين، ورغم صمت المصادر التاريخية عن ذكر هذه المدارس بالتفصيل وتركيزهم على دور المسجد في العملية التعليمية، إلا أن هذا لا يمنع الباحثة من الاستدلال عليها من معلمها، لأن سكوت المصادر عنها ليس دليلاً على عدم وجودها، فلقد تأثر إقليم ما وراء النهر كغيره من الأقاليم الإسلامية، بالحركة العلمية الواسعة، والتي تشجع على الإنتاج العلمي، وتأثر أيضاً بوجود المدارس النظامية<sup>(4)</sup>.

ولا شك أن هذه المدارس ساعدت على نشر الثقافة في أرجاء العالم الإسلامي ولعبت على اختلاف أنواعها دوراً هاماً في تنمية وتقدم الحركة الفكرية والعلمية في إقليم ما وراء النهر، وأسهمت في إقامة الصرح العلمي الذي تميزت به الحضارة الإسلامية خلال القرنين الخامس والسادس الهجري / الحادي عشر والثاني عشر، كما أمدت أجهزة الدولة بالعناصر المتعلمة المثقفة التي كان لانضمامها إلى جهاز الدولتين السلجوقية والخورزمية الآثار البعيدة على دقة التنظيم، علاوة على ذلك فإن مدن إقليم ما وراء النهر أمدت المدارس الأخرى في أنحاء العالم الإسلامي بعناصر مؤهلة من العلماء والأساتذة الكبار، وكان أشهرهم أبو القاسم علي بن المظفر

(1) السمعاني: الأنساب، ج5، ص149.

(2) النسفي: القند، ص313.

(3) السمعاني: الأنساب، ط، ص319.

(4) ناجي معروف: المدرسة النظامية، ص317.

بن حمزة بن زيد الحسيني الشريف العلوي الدبوسي توفي سنة 483هـ / 1090م<sup>(1)</sup> استدعاه الوزير نظام الملك للتدريس في نظامية بغداد لبراعته في الفقه والجدل<sup>(2)</sup> فقد كان نظام الملك دقيقاً في اختيار أساتذة المدارس النظامية بحيث كانوا أعلام عصرهم في علوم الشريعة وكان نظام الملك يختبر معلوماتهم خلال المناظرات التي كان يعقدها في المناسبات المختلفة، ويلقي عليهم أسئلة، فإذا لمس في أحدهم علماً وذكاء عينه في الحال، وإذا صدر الأمر بالتعيين سار المدرس إلى الجهة التي اختير لها<sup>(3)</sup> ومنهم أيضاً - أي الذين درسوا في مدارس العالم الإسلامي - أبو الحسن علي بن موجود بن الحسن الكشاني كان إماماً فاضلاً ومناظراً محلاً، تولى بالتدريس بالمدرسة الخاقانية بمرو، توفي سنة 557هـ / 1161م<sup>(4)</sup> والشيخ حميد الدين السمرقندي كان من أشهر العلماء الذين تولوا التدريس بالمدرسة العذراوية بحارة الغرباء بدمشق<sup>(5)</sup> كما كان أول من درس بالمدرسة المبطورية بجبل الصالحية بدمشق<sup>(6)</sup> وكان أول من درس بالمدرسة الزنجارية وتقع خارج باب تومار وباب السلامي بدمشق، وظل يدرس بها إلى أن توفي سنة 635هـ / 1237م<sup>(1)</sup> كان هؤلاء العلماء أشبه اليوم الأساتذة الزائرين في الجامعات، مما يؤكد النهضة العلمية والثقافية التي تمتعت بها مدن إقليم ما وراء النهر خلال فترة الدراسة.

وكان التعليم في تلك المدارس على أقسام عدّة: فكان هناك قسم للقراءات، ودراسة القرآن الكريم، وقسم لتدريس الفقه وأصوله، وآخر لتدريس الحديث والوعظ، وفرع لتدريس اللغة العربية، وآدابها كالنحو، والشعر، والنثر، وآخر لتدريس العلوم الاجتماعية كالتاريخ، والجغرافيا، والمنطق

---

(1) كان الشريف العلوي على المذهب السني الشافعي من الأصل أو تحول إلى السني قبل أن يستدعي للتدريس في النظامية لأنه لم يكن يسمح بالتدريس فيها لغير أهل السنة، عبدالمجيد بدوي: التاريخ السياسي، ص 181.

(2) عبدالهادي محبوبة: نظام الملك، ص 356.

(3) عبدالهادي محبوبة: نظام الملك، ص 356.

(4) السمعاني: الأنساب، ج 5، ص 74.

(5) النعمي: الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، بيروت، 1988م، ج 1، ص 373.

(6) النعمي: المصدر نفسه، ج 1، ص 604.

(1) النعمي: نفسه، ص 527.



وغيرها من العلوم<sup>(1)</sup>. علاوة على هذه المواد الدينية والأدبية كان يدرس أيضاً علم الحساب والطب، وكان تدريس العلوم الأدبية ومقدمات علم الحساب المحتاج إليه في الفقه (في علم الفرائض والمواريث) أمراً شائعاً في مدارس إقليم ما وراء النهر، أما تدريس الطب فكان مكانه البيمارستانات، ومع ذلك درس الطب في قليل من المدارس، أما سائر العلوم العقلية فكانت مكروهة عند علماء المسلمين كالفلسفة التي علمها علماءها خارج المدارس والمساجد<sup>(2)</sup>.

وكانت مناهج الدراسة التي يسير بموجبها الطلبة تتدرج من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب، إذ تبدئ بالعلوم الأساسية التي تعتمد على اللسان ومقوماته، ثم تنتقل بالطالب إلى العلوم الإنسانية المسموح بها، والتي تعتمد على التفكير<sup>(3)</sup>، وكانت حلقات الدرس منتظمة تعقد صباح كل يوم إلى قرب صلاة العصر، حيث يتلقى الطلبة دروسهم على أساتذتهم المتخصصين ثم تستأنف الدراسة في العصاري والأماسي قبيل صلاة المغرب وبعده<sup>(4)</sup>.

وبالطبع كان لكل موضوع في المدرسة شيخ مختص بتدريسه فكان هناك أستاذ اللغة وأستاذ للتفسير، وآخر للحديث وهكذا، وكان المدرس يجلس على مكان عالٍ وهو يرتدي الطيلسان، والطريقة المتبعة أن الطلاب يجلسون أمامه على شكل نصف حلقة، وكان مجال المناقشة مفتوحاً أمام الطلاب ليتمكن الطالب من فهم المسائل العلمية، وكانت للمناقشة بين الأستاذ وطلابه آداب خاصة تكفل للأستاذ وقاره وهيئته، ومكانته، كما تحقق للطالب طريق الفهم والتعلم<sup>(1)</sup>.

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص229.

(2) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص50، 51.

(3) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص213.

(4) عبد الهادي محبوبة: نظام الملك، ص359، 360.

(1) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص214.

أما هيئة التدريس فكانت تتألف من الآتي:

• **المدرسون:** وهم الأساتذة المتبحرون في العلم<sup>(1)</sup> يقول القلقشندي<sup>(2)</sup> واصفاً وظيفة المدرس بأنه هو الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من تفسير وحديث، وفقه ونحو وصرف وما إلى ذلك.

• **المعيدون:** والمعيد دون المدرس وكان يسمى النائب في مدارس بلاد ما وراء النهر وأرقى درجة من الطالب، وهو الذي يعيد الدرس بعد إلقاء المدرس المحاضرة على الطلبة، كأنه معين للشيخ على الطلبة، وقد ظهرت هذه الوظيفة في القرن الخامس الهجري حيث لم يعثر على اصطلاحها الوظيفي قبل هذا التاريخ<sup>(3)</sup> وهي وظيفة ظهرت بعد تأسيس النظاميات وكانت ذات علاقة وثيقة بوظيفة المدرس المسؤول عن الدرس وتحضير المادة وترتيب المنهج، ويساعده المعيد<sup>(4)</sup>.

وكان بإمكان المعيد أن يرقى إلى درجة (مدرس)، ولم يكن هناك سن معين أو نظام معين لإحالة المدرس إلى التقاعد، فقد استمر كثيرون منهم يدرسون حتى يوم وفاتهم<sup>(1)</sup>.

• **وظيفة الواعظ:** وكان القصد من الوعظ والإرشاد نحو اتباع الأخلاق الحسنة والآداب الطيبة وكان الواعظ يجلس للوعظ بعد أوقات الصلاة، وعقدت هذه المجالس في المدارس والمساجد<sup>(2)</sup> وكانت مجالس الوعظ والإرشاد أشبه بمدارس شعبية<sup>(3)</sup>.

---

(1) الحسين بن رشيد المالكي: لباب المحصول في علم الأصول، تحقيق محمد غزالي عمر جابي، الإمارات، 2001م، ج1، ص45.  
(2) صبح الأعشى، ج5، ص464.  
(3) حسين أمين: تاريخ العراق، ص232.  
(4) حسين أمين: المدرسة النظامية، ص239.  
(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص29، 30.  
(2) السبكي: طبقات الشافعية، ج3، ص215.  
(3) أحمد عبدالرازق: وسائل التسلية عند المسلمين، دار النهضة العربية، 1988م، ص82، 83.

## استعداد المدرسين للدرس:

كان المدرسون يحترمون الدرس، فكان الواحد منهم إذا عزم على التدريس تتظف وتطيب، ولبس أحسن ثيابه، قاصداً بذلك تبجيل العلم، وتعظيم الشريعة، وإذا تعددت الدروس قدم الأشرف فالأشرف، والأهم فيقدم تفسيراً للقرآن الكريم، ثم الحديث الشريف، ثم أصول الدين ثم الفقه وأصوله<sup>(1)</sup> وكان هناك شخص يسمى (المرتب) يرتب الحاضرين، ومن يدخل عليهم على قدر منازلهم، ويوقظ النائم ويأمر بسماع الدرس، والإنصات له، وكانت وظيفة المرتب موجودة في مجالس العلم في المدارس والمساجد<sup>(2)</sup>.

ولم تخضع المدارس لرقابة المحتسب، مثلما خضعت الكتاتيب والمساجد التي تمهد للدراسة في المدارس، فكانت موضوعات التعليم وطرق التدريس للصغار والكبار والمساجد تحت إشراف المحتسب، لأن الصغير ينشأ على هذه الطرائق والموضوعات، فإذا كانت سيئة كان نقلهم عنها بعد الكبر عسيراً لذلك كان المحتسب يفرض المعلمين من توافر عمله، وحسنت طريقته، ويمنع من قصر وأساء من التصدي لما يفسد به النفوس وتخبت به الآداب<sup>(1)</sup> ولم يكن هذا التفتيش سارياً على النظاميات والمدارس في بلاد ما وراء النهر.

وكان الطلبة أحراراً في اختيار الأساتذة في المادة التي يرغبون في دراستها، وكانت المناقشة والجدل من أهم الوسائل التعليمية آنذاك، حيث كان الطلبة أحراراً في مناقشاتهم على ألا تتعدى الآداب العامة المألوفة، حتى ألف المعنيون بالتربية وأصول التدريس كتباً فيها، وكانت المحاضرات يتخللها الدعايات والنوادر<sup>(2)</sup>.

(1) حسين أمين: المدرسة النظامية، ص 239.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج 8، ص 122.

(1) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 287.

(2) عبدالهادي محبوبية: نظام الملك، ص 340.

## أساليب التدريس وآداب ولغة التعليم:

كانت اللغة العربية هي لغة التعليم لجميع الطلاب، الأمر الذي ساعد على بناء وحدة ثقافية متكاملة في المجتمع الإسلامي، ويسر على الطلاب حرية التنقل في مختلف أنحاء، وأتاح لهم فرص التلقي عن العلماء، وهذا ما عرف بالرحلة في طلب العلم، فقد كان مطلوباً من الطلبة أن يدرسوا النحو والصرف والشعر، واللغة والآداب باللغة العربية دون غيرها، وكان لا يغفر لهم إن ارتكبوا خطأ لغوياً، فقد كان على كل متعلم أن يتقن اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وعلى الرغم من أن السلاجقة أعاجم (أتراك) كذلك الخوارزمون، فقد حافظوا على لغتهم التركبية، ولكنهم لم يجبروا أحداً على تعلم لغتهم، بل كانت لغة المدارس هي العربية وعلومها<sup>(1)</sup>.

وكان من آداب الدرس العامة، والتي يجب على الطلاب مراعاتها أن لا يمد الطالب رجليه في المجلس، ولا يتخطى زملاءه ليحتل مقعداً بالقرب من أستاذه، ولا يضحك أو يكلم أحداً، غير أنه كان للأساتذة حرية تقديم مقاعد بعض الطلاب، وتأخير بعضهم الآخر وفقاً لما يراه، ودأب بعض الأساتذة على منع طلابهم من تدوين ملاحظاتهم في أثناء المحاضرة لأن ذلك قد يؤثر على انتباههم بينما أباحه آخرون، وكان من واجب الأستاذ ألا يميز في المعاملة بين طلابه، بل كان عليه أن يراهم جميعاً كوله<sup>(1)</sup>.

وكان أغلب الأساتذة يمتنعون عن القيام في أثناء المحاضرة، لتحية السلاطين والوزراء وغيرهم من الشخصيات البارزة إكباراً منهم لشرف العلم ومكانته، وكانوا حريصين على الجلوس جلسة معتدلة أمام العلماء، ولا يتصرفون إلا بما يليق بمقام العلم من الوقار<sup>(2)</sup>.

(1) البغدادي: تاريخ بغداد، ج9، ص419؛ منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص62.

(1) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص62، 63.

(2) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص219.

## أما عن أساليب التدريس:

فكانت تتم عن طريق ثلاث نظم، هي السماع، الإملاء، الإجازة، وهي تتفاوت فيما بينهم من حيث الأهمية، فالسماع يكون بقراءة الأستاذ من كتابه (أصول) أو من ذاكرته ما يريد روايته للطلبة، وهي أعلى طرق التعليم<sup>(1)</sup> وقد يكون السماع بأن يقرأ الطالب من كتاب أستاذه أو من نسخته هو أو من ذاكرته بحضور أستاذه وهذا يسمى "العرض" أو أن يسمع الطالب (العرض) من غير حضور أستاذه، وبعض العلماء لم يحبذ السماع أو العرض خشية أن يكون الطلبة غير منتبهين لما يقرأ عليهم<sup>(2)</sup>.

أما الإملاء فهو خير أساليب التدريس حتى لمن يأخذون أساليب السماع، حيث كانت مجالس الإملاء تعقد، ويستعان فيها بالمعידين الذين يعيدون ما يلقيه الأستاذ ليسمعه البعيدون عنه فيكتبوه، وكان بعضهم يتخذ الاستملاء مهنة يتعاش منها<sup>(3)</sup>.

والإجازة هي السماح بنقل العلم إلى الآخرين وهي على قسمين الأول أن يعطي الشيخ أو الراوي المجاز، إجازة أو تصريحاً لآخر، بأن يروي نصاً محدداً، والثاني أن يمنحه إجازة أو تصريحاً برواية كتب، لا تسمى بالتفصيل، كأن يقول له (أجزيك رواية كل ما أرويه، ويقول المحتمل عن هذا الطريق: إجازتي، أو إجازة<sup>(1)</sup>).

## أما عن طلاب المدارس في إقليم ما وراء النهر:

احتضنت المدارس في الإقليم نخبة مميّزة من الطلاب الفضلاء الذين كانوا مثلاً في السعي للعلم والاجتهاد في تحصيله، وأصبح لهم فضل كبير في نقل علومهم إلى غيرهم، ولم

(1) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص63.

(2) منير الدين أحمد: نفسه.

(3) رمضان عبدالقواب: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1986م، ص17، 18..

(1) ابن الصلاح الشهرذوري: مقدمة بن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، تحقيق، د. بنت الشاطي، القاهرة، 1976م، ص248.

يكن هناك سن محدد للقبول في هذه المدارس<sup>(1)</sup> كما لم يكن هناك وقت محدد للمدة التي يستغرقها الدرس الذي يحضره الطالب، أو عدد الدروس اليومية، فقد يستمر ساعة أو ساعتين، وقد يكون هناك درسان في اليوم الواحد أحدهما قبل الظهر والثاني عشاء<sup>(2)</sup>. وكانت مدة الدراسة التي يقضيها الطالب في الدراسة غير محددة، لأن مناهج الدراسة نفسها لم تكن محددة أيضاً، ثم إن الطالب كانت له حرية اختيار الأستاذ، وتحديد مدة الاشتغال على يديه فطلبة الحديث مثلاً كانوا يقضون السنين في جمعه، ثم يأخذون في تدقيق فنونه وأسانيده، ويشرعون في تصنيفه وتبويبه، وقد يستغرق ذلك حياتهم كلها<sup>(3)</sup> وكانت أقصى مدة للدراسة في العلوم الأخرى في المدارس أربع سنوات كاملة<sup>(4)</sup>.

أما عن سكن الطلاب في مدارس ما وراء النهر فكانت منازل الطلاب هي دور سكنتهم إلى جانب المساجد والبيوت التي يستأجرها الطلبة الغريباء من أموال الوقف، بل إن بعض الأساتذة كانوا يدعون طلابهم للإقامة معهم، علاوة على وجود الخانات والفنادق التي كان يبيت بها المسافرون من الغريباء<sup>(1)</sup>، وكانت بعض المدارس توفر لطلابها الإقامة داخلها<sup>(2)</sup>.

### أما عن علاقة الطلاب بعضهم ببعض:

شكل طلاب المدارس في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي طائفة متشابكة المصالح والاهتمام، بتعاون أعضاؤها في أمور حياتهم وشئون دراستهم، وكان الطالب الجديد في أمس الحاجة لنصائح زملائه القدامى وإرشادهم، ولهذه الأسباب كانت العلاقات بين

---

(1) محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، بيروت، 1956م، ص 14-33.

(2) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص 74.

(3) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص 74.

(4) أسعد طلس: تاريخ التربية، ص 26.

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 389.

(2) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص 74، 75.

الطلاب تسودها روح الزمالة والتعاون والمساعدة، فالغني منهم يساعد الفقير، والتمكن من موضوعه يساعد الضعيف، وكانوا يتبادلون الخبرة، ويعرضون مدونتهم بعضهم على بعض ثم إن الطلاب وأساتذتهم يمثلون مزيجاً من شعوب شتى، ولعل ذلك يكون الأول من نوعه في العالم<sup>(1)</sup> وكانت رابطة العلم هي الرابطة القوية والغزيرة على قلوبهم التي كانت تشدهم بعضهم إلى بعض بعد رابطة الإسلام، فضلاً عن وحدة اللغة<sup>(2)</sup>.

وكانت علاقة الطلاب بشيوخهم علاقات ود وصداقة في الغالب الأعم، وكان الطلبة يكونون عظيم الاحترام والتقدير لشيوخهم، إذ هم الذين أناروا لهم الطريق، وكان الطالب حراً في موضوع دراسته والمدة التي يريد قضاؤها في الدراسة، ولذلك فإن إرشادات الأستاذ كانت مهمة جداً من أجل اختيار الموضوع الملائم وتوجيه الطالب الوجهة الصحيحة، وكان الأساتذة يرحبون بتلاميذهم في أي وقت طرقت أبوابهم فيه، ويلبون مطالبهم، ويعرضون لهم ما فاتهم من الدرس وإن كان ذلك على حساب راحتهم<sup>(3)</sup>.

وكان بعض الأساتذة يساعدون طلابهم في الحصول على وظائف حسنة ويحسنون ذكركهم أمام الكبراء من سلاطين ووزراء وأمراء، وكان الطلاب يقابلون ذلك بالاحترام والتقدير، وأوقفت الأوقاف للصرف على الطلبة والإنفاق على معاشهم، بل إن بعض الأغنياء كانوا يرسلون الأموال لمساعدتهم، فضلاً عن أن الطلاب الأغنياء كانوا يساعدون زملاءهم الفقراء على تلقي العلم<sup>(1)</sup> أما عن أعداد الطلاب فلم يكن محدداً، كما أن هيئة المدرسة لم تحدد أعدادهم، بل كان التعليم مفتوحاً أمام الجميع، كما كان للطلاب حرية اختيار الأستاذ الذي يدرس على يديه ويستمتع

(1) منير الدين أحمد: نفسه، ص 77، 78.

(2) البغدادي: تاريخ بغداد، ج 11، ص 256.

(3) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص 78.

(1) محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص 51.

إليه، لذا نلمس بعض اختلاف أعداد الطلاب الحاضرين عند بعض الأساتذة، فبعضهم يحضر حلقة عشر طلاب، والآخر تكون حلقة مئاة الطلاب<sup>(1)</sup>.

وسمح العلماء للمرأة في إقليم ما وراء النهر بحضور الدروس في المساجد والمدارس، كانت هناك بعض الدروس الخاصة بهن يلقىها بعض الشيوخ، وغالباً ما تكون في المساء<sup>(2)</sup> وكان تعليمهن يتم في أماكن خاصة كالبيوت وداخل المساجد والمدارس، وكانت الجوارى يحظين باهتمام كبير من أسيادهن، فيعلمن النحو والشعر وآداب المجتمع<sup>(3)</sup> وقد وجدت الكثير من المثقفات في الحديث، وكان لهن دور بارز في التعليم<sup>(4)</sup>. أما عن التخرج والإجازة فإذا انتهى الطالب من دراسته، وتخرج، كان يقام حفل كبير لتكريم هؤلاء الطلاب الخريجين، حيث يحصل الخريج، على ما يعرف بالإجازة وهي الوثيقة الدراسية أو (شهادة التخرج) وكان الاستماع للدرس من شروطها، لأنها لا تفي بالقصد من الدراسة والغرض من التعليم، إذا لم يصحبها حضور، وهذه ما علل به الماوردي<sup>(1)</sup> لحمل الإجازة إلا بعد حضور الدرس، وقد يمنح الطالب عدة شهادات من شيوخ متعددين، وطريقة الحصول عليها في المادة كان بناء على طلب يتقدم به الطالب لمدرسه بعد أن ينتهي من دراسته<sup>(2)</sup>.

وهكذا لعبت المدارس دورها في ازدهار الحياة العلمية في إقليم ما وراء النهر في العصرين

السلجوقي والخوارزمي.

---

(1) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص 79.

(2) منير الدين أحمد: نفسه، ص 80، 81.

(3) البغدادي: تاريخ بغداد، ج 14، ص 443.

(4) أسعد طلس: تاريخ التربية، ص 31.

(1) الأحكام السلطانية، ص 228.

(2) أسعد طلس: التربية، ص 75.



## • الزوايا والربط والخانقاوات:

الزوايا جمع زاوية وهي لفظ عربي معناه الركن من الدار، أو المكان عامة<sup>(1)</sup> وهي من مؤسسات العلم والثقافة، وهي عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها، ويعقدون فيها دروسهم في علوم الدين وما يتصل بالعلوم النقلية والعقلية<sup>(2)</sup> وكانوا يقفون هذه الزوايا ومثلها التكايا على الفقراء الصوفية، وكانت الزوايا تبنى أحياناً لشيخ مشهور يقوم بنشر العلوم وينقطع للعبادة<sup>(3)</sup>.

ولكون إقليم ما وراء النهر معبراً يسلكه العلماء، والفقهاء، والمجاهدون والتجار، فقد كثر بناء هذه الزوايا في غالبية مدنه وقراه، فقد بناها أمراء بني سامان والسلاجقة والخوارزميين في كل من فرغانة وخوارزم والشاش، وأشروسنه وغيرها<sup>(1)</sup> وكان يجتمع فيها العلماء والمتصوفة وينقطعون للعبادة، ومنها تلك الزاوية التي بناها الشيخ أبو سعيد خلف بن يوسف بن أيوب توفي سنة 512هـ/ 1118م وكان زاهداً متصوفاً وقدوة لكثير من طلاب العلم<sup>(2)</sup> وأيضاً زاوية الشيخ عبدالله بن علي البرشخاني المرغياني، الذي ولد بقرية برشخان بفرغانة<sup>(3)</sup> وكذلك الزوايا الكثيرة التي وجدت في مدينة شكت التي اشتهرت بكثرة الجوز ورخص ثمنه واعتمد عليه العلماء والطلاب، في طعامهم وملئت بالطلاب<sup>(4)</sup> كما أقيمت الزوايا في مدن وقرى بخارى، مثل زاوية

(1) المقرئزي: السلوك، ج1، حاشية 3، ص182.

(2) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص250.

(3) عبدالله عبدالدائم: التربية، ص162.

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص421.

(2) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج2، ص34.

(3) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص446.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص281.

أحد كبار قرية سيشكت إحدى قرى بخارى وكانت في غاية الروعة وأقام بها الصلاة ووهبها للعلماء والطلاب<sup>(1)</sup> كما بنيت الكثير من الزوايا في الدبوسية وكرمنية إحدى مدن بخارى<sup>(2)</sup>.

أما الأربطة: فقد أطلق الرباط في صدر الإسلام على رباط الخيل مستمداً من قوله سبحانه وتعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"<sup>(3)</sup> ومنه أخذت المرابطة، أي ملازمة الثغور لمحاربة الأعداء، ومرابطة المجاهد الذي يقيم في الرباط لدرء الأعداء، وحماية من ورائه من المسلمين<sup>(4)</sup>.

وكان الرباط بهذا الشكل معسكراً صغيراً محصناً على حدود الدولة الإسلامية، يعسكر فيه المتطوعون التواقون للجهاد والدفاع عن دار الإسلام، وكانوا مستعدين لتقديم خدماتهم القتالية من رباطاتهم وأما في فترة السلم فيكرسون أنفسهم للعبادة والتعليم<sup>(5)</sup> ومع ازدياد أعداد المرابطين أصبح الرباط مسكناً للفقهاء، والغرياء، واليتامى، والفقراء، ومأوى للعاجزين، وبذلك أدت الربط إلى جانب خدماتها الدفاعية خدمات اجتماعية ودينية، وتعليمية كالوعظ، والإقراء والحديث والسماع والإفتاء، وقام بعضها بمنح الإجازات العلمية، وتصنيف الكتب، وأنشؤوا فيها الخزائن، ووقفوا فيها الكتب، وعينوا عليها القوام والخزان ومن يقوم بعينياتها وترتيبها ونظافتها<sup>(1)</sup>. وكان الزهاد والمتصوفة الساكنون في الأربطة أو المترددون عليها يقضون وقتهم بالمكتبات التي كانت في ربطهم، وأما العلماء فيتخذون من الربط أماكن للمطالعة والكتب والاستتساخ والتأليف، وقد ألفت في الربط التي كانت مجمع الزهاد كثيراً من كتب التصوف<sup>(2)</sup>.

(1) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 28.

(2) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص 314.

(3) سورة الأنفال: آية 60.

(4) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص 239.

(5) ناجي جلول: الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، تونس، 1999م، ص 15-19.

(1) ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1975م، ص 464.

(2) شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، 1987م، ص 340.

ولما كانت الأريطة تقع على طرق المواصلات فجعلها ذلك مكاناً لحماية الطرق من جانب، وملاً للعلماء والتجار والطلاب وطلاب العلم يرتادونه في تنقلاتهم بين البلدان من جانب آخر<sup>(1)</sup> ومن ثم أحدثت هذه الأريطة حركة ثقافية بين الجنود المرابطين حيث كان الجنود يتدارسون القرآن والحديث والفقه وغيرها من العلوم، كما كان هناك مجالس للإملاء، ورأى بعض العلماء ضرورة الاختلاف إلى هذه الرباطات لاستكمال شخصيته<sup>(2)</sup>.

واتخذت الأريطة أماكن للدراسة والمطالعة، والكتابة والتأليف، وساعدهم على ذلك أن الواقفين أنشؤوا فيها خزائن الكتب، ووقفوا فيها الكتب، وعينوا عليها من يقوم بصيانتها ومناولتها ليطلع عليها العلماء والفقهاء<sup>(3)</sup>.

ولم تعد الربط تقتصر على العبادة والزهد، بل أصبحت أماكن للتأليف والقراءة والتعليم، منها تؤخذ الإجازات وفيها تلقى المحاضرات، وألحقت بها مكتبات عامرة يرتادها المتصوفة فيدرسون ويتدارسون ويؤلفون ويصنفون<sup>(4)</sup> وصار المرابط بمعنى المجاهد في الحرب أو مجاهد النفس بطاعة الله، ولكل رباط شيخ وخادم، أما الشيخ فهو الرئيس الأعلى وفي الغالب يعين ممن اشتهر بالتصوف والزهد، ومن أهم واجباته الإشراف والسهر على راحة النزلاء فيه<sup>(2)</sup>.

وكان الغالب على أهل المال والثروة ببلاد ما وراء النهر صرف نفقاتهم وأموالهم على الرباطات ووقف الأوقاف على سبيل الجهاد ووجوه الخير، وكان بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط<sup>(3)</sup> وبالإضافة إلى الرباطات التي أنشأتها الدولة وأهمها رباط الملك على طريق بخارى

---

(1) طه الولي: المساجد في الإسلام، دار العلم، بيروت، 1988م، ص105.

(2) ناجي جلول: الرباطات، ص12.

(3) سعيد إسماعيل: معاهد التربية الإسلامية، ص595.

(1) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص377.

(2) ناجي معروف: مدارس ما قبل النظامية، بغداد، 1969م، ص82.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص389.

سمرقند قام بتشييده شمس الملوك نصر ابن إبراهيم طمغاج خان سلطان القره خانيون بسمرقند<sup>(1)</sup> كما وجدت كثير من الأربطة الأهلية ومنها رباط المربعة الذي بناه الواعظ إسحاق بن إبراهيم ابن جعفر بن داود ابن يوسف بن جبله السمرقندي توفي سنة 259هـ / 872م<sup>(2)</sup> ورباط أبي أحمد الزاهد السمرقندي في قرية قطوان بسمرقند، نسبة إلى من قام بتشييده وتوفي في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي<sup>(3)</sup> ورباط خرقان بإحدى قرى سمرقند<sup>(4)</sup> ورباط دشت أو رباط الغزاة<sup>(5)</sup> ورباط الرضراضة، ورباط سورغ<sup>(6)</sup> ورباط نصر ابن جابر عجلة عند باب دستان، ورباط غوكمين<sup>(7)</sup>. كما ارتبطت بعض الرباطات الجديدة بالمدن الجديدة التي بناها الأمراء أو الفاتحين، كما ارتبط بناؤها بالمساجد التي تنشأ، ومن أمثلتها الجامع الذي شيد في مدينة أسبيجاب من مدن ما وراء النهر، وكان يلحق به أربعة رباطات هي، رباط السمرقنديين، ورباط النجاريين، ورباط النخشبيين، ورباط فراتكين<sup>(1)</sup>.

ومن أشهر الرباطات في إقليم أشروسنه (رباط خديسر) في مدينة ديزك وكان يرباط فيه أهلها للجهاد وهي على بعد فرسخين من المدينة، وهو من بناء القائد التركي الأفشين، وفي وسطه عين ماء تتبع وعليه أوقاف وضياع وهو أقرب الرباط بلاد العدو (الأتراك الشرقيين)<sup>(2)</sup> كما بنى الأفشين رباطات بشومان وصرمنجي والصغانيان وكل منها نفيس في ذاته وعليه الحبس

---

(1) النسفي: الأنساب، ص182.

(2) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ط3، بيروت، 1986م، ج1، ص347.

(3) السمعاني: الأنساب، ج2، ص315.

(4) النسفي: القند، ص382.

(5) النسفي: المصدر نفسه، ص141.

(6) النسفي: نفسه، ص305.

(7) النسفي: نفسه، ص628.

(1) بارتولد: تركستان، ص291؛ عبدالبار محمد: خراسان وما وراء النهر، ص172..

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص414.

لنفقاته ومؤنه وصيانتته<sup>(1)</sup> وتنسب بعض الأربطة لمؤسسها مثل أبي محمد بن الحسن الذي كان حسب ابن حوقل<sup>(2)</sup> (من أرغب خلق الله في الخيرات وفعل الصالحات) وكان أهالي فرغانة ينفقون أموالهم على الرباطات، وفي ذلك يقول الاصطخري<sup>(3)</sup> "وبتتافس أهل فرغانة على أن ينفقوا أموالهم على الرباطات، وفي عمارة الطرق، والوقوف على سبيل الجهاد" وفي هذه الأربطة إذا نزل النازل أقيم له علف دابته، وأعطوه طعامه إن احتاج إلى ذلك<sup>(4)</sup> والسبب المباشر في كثرة هذه الأربطة علله بعض الجغرافيين "بكثرة جهادهم، فهم أشد شوكة وبأساً من غيرهم في الجهاد"<sup>(5)</sup>، وكثرت الأربطة، وانتشرت في مدن وقرى إقليم فرغانة، فكان في خنجنده كثير من الأربطة التي حملت أسماء علمائها مثل رباط الشيخ أحمد بن ثابت، فهو من أماكن التعليم الهامة بفرغانة<sup>(6)</sup>. واشتهرت أوزكند بأربطتها التي بناها الغزنويون، والسلاجقة، والخوارزميون لملاحقة الأتراك الشرقيين، الذين لم يسلموا بعد، ثم تحولت إلى أماكن للتعليم وحلقات لتدريس<sup>(1)</sup> كما عرفت أوش برباطاتها الحسنة، ولكونها ملاصقة للجبل فقد هيا لها ذلك كثرة بناء الرباطات<sup>(2)</sup> وعن أوش يقول المقدسي<sup>(3)</sup> (وبها رباط عظيم يقصده المطوعة من كل جانب) ومن أشهر أربطة فرغانة رباط سرهنك "رباط القائد" الموجود بقرية كاخ التي توجد بالقرب من قرية "جلال كدك" وهي إحدى قرى أنديجان بفرغانة<sup>(4)</sup>.

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص372.

(2) صورة الأرض، ص415.

(3) مسالك الممالك، ص286.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص420.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص395؛ القزويني: آثار البلاد، ص415.

(6) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج1، ص368.

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص380.

(2) الاصطخري: مسالك الممالك، ص333.

(3) أحسن التقاسيم، ص272.

(4) سبب شهرة هذا الرباط أن به قبر القائد الفاتح لبلاد ما وراء النهر قتيبة بن مسلم الباهلي والذي يعد من أهم المزارات الدينية بفرغانة، بارتولد: تركستان، ص272.

وأشهر من علم بأربطة فرغانة الشيخ سعيد بن القاسم الأندنكاني الفرغاني توفي سنة 389هـ/ 998م الذي علم في رباطات أنديكان علم القراءات<sup>(1)</sup> وتعلم في هذه الأربطة كثير من الطلبة منهم أبو معاذ خالد بن سليمان البلخي الذي لازم في رباط أوش، وأصبح من كبار الحفاظ والفقهاء، ثم رحل إلي سمرقند<sup>(2)</sup> ومنهم أبو المنهال الزاهد المقرئ<sup>(3)</sup> دخل أخشيكت وتعلم في مساجدها، وأربطتها، ثم رحل إلى سمرقند، فإن هناك الكثيرون مما تعلمه في فرغانة<sup>(4)</sup> وكذلك رباط كروان الذي قال عنه الاصطخري<sup>(5)</sup> "رباط كروان من عمل ابن فريغون". وفي إقليم خوارزم بنبت الكثير من الأربطة فعلى طريق كركانج خراسان يوجد رباط أفراوه أو فراوه الذي كان يتكون من ستة حصون متصلة ويبعد عن نسا مسافة أربعة فراسخ<sup>(6)</sup> ووفقاً لقول السمعاني<sup>(7)</sup> فقد بنى هذا الرباط عبدالله بن طاهر توفي سنة 230هـ/ 844م. كما وجدت رباطات أخرى في خوارزم منها رباط دباهان، ورباط مهدي، ورباط مياه شاه، ورباط أبي سهل، ورباط دوغاج، ورباط جعفر ورباط دهان شير ورباط نوشاكر أنوشاكر<sup>(1)</sup>. وكان الرباط في بلاد ما وراء النهر يعتمد اعتماداً كلياً على الوقف<sup>(2)</sup> وكان أبو الحسن أعين بن جعفر ابن الأشعث السمرقندي شيخاً فاضلاً مكرماً للفضلاء له آثار جميلة ومنها أنه بنى رباطاً على طريق كش، وأوقف عليه الضياع، توفي سنة 354هـ/ 965م<sup>(3)</sup>. هكذا كان للرباط دور مهم في حركة التعليم في مدن إقليم ما وراء النهر حيث كان أماكن للدراسة وبصفة خاصة فيما يتعلق بالعلوم الأساسية، كما كان ملجأ للفقراء والصوفية

(1) السلمي: طبقات الشافعية، ص 249.

(2) النسفي: القند، ص 130.

(3) النسفي: نفس المصدر، ص 283.

(4) السمعاني: الأنساب، ج1، ص 395.

(5) مسالك الممالك، ص 272.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 327.

(7) الأنساب، ج3، ص 219.

(1) بارتولد: تركستان، ص 264-266.

(2) ابن جبیر: الرحلة، ص 229.

(3) السمعاني: الأنساب، ج2، ص 27.

والزهاد علاوة على ذلك كان منازل للعلماء والطلاب الراحلين إلى بلاد ما وراء النهر لطلب العلم أو نشره ومكاناً لتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف والوعظ<sup>(1)</sup>.

ولعل من المفيد عرض أهم ما ورد عن دور الربط في الحركة التعليمية في مدن إقليم ما وراء النهر والعلماء الذين شاركوا في الحركة التعليمية وأهمهم أبو سهل سعيد بن عمر بن محمد بن إبراهيم ابن الفضل العطار الصغار المحتسب، قدم سمرقند وأملى في رباط المربع بسمرقند سنة 429هـ/ 1037م<sup>(2)</sup> فضلاً عما كان للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن عثمان بن إسماعيل الخراط السمرقندي من مجالس إملاء في رباط المربع وتوفي سنة 501هـ/ 1116م<sup>(3)</sup> وكان للشيخ طاهر بن يونس ابن علي الغاني توفي سنة 519هـ/ 1125م المقيم بسمرقند في رباط أبي الأشعث مجلس للإملاء<sup>(4)</sup> وكذلك كان للفقيه مسعود بن منصور الأوشي الفرغاني توفي سنة 519هـ/ 1125م الساكن سمرقند، مجالس إملاء في رباط حمزة بسمرقند<sup>(1)</sup> كما كان للسيد الواعظ أبي الصمصام ذي الفقار بن محمد بن معيد الحسيني مجالس إملاء بسمرقند، وجلس للعامّة في رباط المربع وتوفي سنة 536هـ/ 1141م<sup>(2)</sup>.

وكان ممن درس في رباطات إقليم الصغد أبو موسى بن المنذر بن جنك النسفي كان يروي كلام الزهاد توفي سنة 491هـ/ 1097م<sup>(3)</sup> وأبو علي الحسن بن عبدالله ابن محمد بن الحسن بن معدل المقرئ النسفي توفي سنة 551هـ/ 1156م<sup>(4)</sup>.

---

(1) ميرفت رضا أحمد حسنين: الحياة الثقافية في إقليم الصغد، مكتبة الثقافة الدينية، 2014م، ص169.

(2) النسفي: القند، ص204.

(3) النسفي: المصدر نفسه، ص564.

(4) النسفي: نفسه، ص288.

(1) السمعاني: الأنساب، ص5، ص211.

(2) النسفي: القند، ص158.

(3) السمعاني: الأنساب، ج1، ص59.

(4) السمعاني: نفسه، ص293.

هكذا أسهمت الربط مساهمة فعالة في ازدهار الحركة الثقافية والصوفية في إقليم ما وراء النهر وكانت مكاناً لتلقي العلوم الأساسية والتأليف والتصنيف، كما كانت تحوي خزانة للكتب قيمة، وعلاوة على ذلك كانت منازل للعلماء الرحالين من بلد إلى آخر في طلب العلم ونشره.

#### • الخانقاوات<sup>(1)</sup>:

كانت بلاد ما وراء النهر هي المكان الأول الذي ظهرت فيه الخوانق، فتمتاز مناطق الرباط بها بتعدد خانقاهاتها<sup>(2)</sup> والتي ارتبطت بنشأة الفرقة الكرامية<sup>(3)</sup> التي استقرت في بلاد ما وراء النهر<sup>(1)</sup> وفي ذلك يقول المقدسي<sup>(2)</sup> "وللكرامية جلبة بهراة ولهم خوانق بفرغانه" وكانت هذه الخوانق تبنى على شكل يشبه المسجد، إلا أنه به عديد من الغرف، لمبيت الصوفية، والفقراء، وبه فناء كبير، يحتوي على باب أو أكثر، كما أنها ليس بها مئذنة ولا منبر، لندرة إقامة صلاة الجمعة في هذه الخوانق<sup>(3)</sup> وتضم الخانقاه مسجداً، ويلحق به أحياناً ضريح أو مدرسة أو سبيل، والتدريس في الخانقاه يشمل العلوم الدينية على المذاهب الأربعة، وهكذا قامت الخانقاه أحياناً بدور أوسع من المسجد في نشر الوعي الديني<sup>(4)</sup>.

---

(1) كلمة فارسية معناها بيت وقيل أهلها (خونقاه) أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، المقريري: الواعظ والأعتبار، ج4، ص271، حاشية 2.

(2) ناجي جلول: الرباطات، ص30.

(3) إحدى الفرق التي نسبها الأشعرية إلى التصوف، وينسبون إلى محمد بن كرام، زعيمهم والذين انتقلوا من بيت المقدس إلى بلاد ما وراء النهر، واستقروا به وعملوا على نشر مبادئهم بها وأطلق على أتباعه لفظ خانقاني لمعشتهم في الخانقاوات، ومن مبادئهم أن التصوف أخلاق كريمة، ظهرت في زمان كريم، من رجل كريم، مع قوم كرام، وعاداهم علماء الشافعية الأشعرية أمثال الإمام الجويني والغزالي، فقالوا إنها تفرعت عن المرجئة التي تقول بتأخير العمل عن الإيمان وفصله عنه وبأنه لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة، فالإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، واعتكف أفراد الكرامية في الرباطات قبل تأسيس الخانقاوات الخاصة بهم وكانت تعقد فيها حلقات الذكر، ولكنها تصدعت منذ القرن التاسع الميلادي إلى فرق عدة، للمزيد، ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ص311؛ شوقي شعث: الخانقاه في التراث الحضاري الإسلامي، مؤتمر المؤرخون العرب، الشارقة، 2001م، ص391؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص134.

(1) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص124، 125.

(2) أحسن التقاسيم، ص324.

(3) المقريري: السلوك، ج1، ص163؛ دائرة المعارف الإسلامية، ص463 مادة خانقاه.

(4) شوقي شعث: الخانقاه، ص391.



وامتلأت مدن وقرى إقليم ما وراء النهر بالخانقاوات، وفي بداية الأمر كان بعض الأفراد هم الذين يضعون أنظماً حاكمة لها، ومع التطور السريع لدورها أصبحت السلطة خاصة السلجوقية - تعقد تحالف بينها، وبين أهل الخانقاوات<sup>(1)</sup> وأخذت الخانقاوات تتحول شيئاً فشيئاً إلى مؤسسات تابعة للسلطة الحاكمة آنذاك<sup>(2)</sup> حتى إنها أصبحت غير قاصرة على المتصوفين، بل صارت مختلطة، وتشمل عدداً من المؤسسات كالمسجد، والمدرسة، والضريح<sup>(3)</sup>.

وكان ينفق على هذه الخانقاوات من عوائد الأوقاف الكثيرة من أراضي، وديار، وأشجار، أوقفها الموسرون من أجل بنائها، والإنفاق عليها، ودفع أجور شيوخها، والإنفاق على روادها من الطلاب والمحتاجين، مع توفير الإضاءة والتدفئة، وتوفير ما يلزم من المطابخ الملحقة بها، ومن مستلزمات طهي الطعام لروادها<sup>(4)</sup> كما اهتم سلاطين السلاجقة والخورزميين ووزراؤهم ببناء الخوانق لجماعة صوفية، ومفاخرتهم ببنائها، لاعتقادهم أنه بإمكان الفقراء المتصوفة الإتيان بالخوارق، وكشف الضر عنهم، بدعائهم له<sup>(1)</sup>.

وساعدت هذه الخوانق على تثقيف الناس بدينهم، إلى جانب وظيفتها الاجتماعية، والتعليمية، حيث درس فيها العلوم الدينية - كعلوم القرآن الكريم، والسنة الشريفة كما كانت مدرسة يتعلم فيها الناس روح الجهاد في سبيل الله<sup>(2)</sup>.

---

(1) دائرة المعارف: مادة خانقاه.

(2) المقرئ: السلوك، ج2، ص427؛ دائرة المعارف: مادة خانقاه.

(3) Nizamirh, (A): Someaspect obrhanq ahinmed dieual, ino1191.971, p. 25.26.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص422؛ آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج1، ص124.

(1) الأذفوي المصري: الموفي بمعرفة التصوف، والصوفي، تحقيق محمد عيسى صالحية، مكتبة العروبة، الكويت، 1988م، المقدمة، ص6.

(2) شوقي شعث: الخانقاه، ص394.

كما انتعشت حركة الثقافة عن طريق المجالس، والمناقشات، والمناظرات التي عقدت بها، كما أسهمت في تأسيس المدارس<sup>(1)</sup> وتشجيع الطلبة على ريادتها وكان الشيوخ يلقون دروس على روادها في علوم اللغة والحساب والفلسفة، والمنطق وغيرها من العلوم<sup>(2)</sup>.

ومن أشهر خوانق إقليم ما وراء النهر (خانقاه أوش) في فرغانة، التي بناها الأمير نوح بن نصر الساماني للصوفية، وأوقف عليها الأوقاف، وجالس أهلها، وأصبحت مقصداً للطلاب<sup>(3)</sup> والخانقاه التي كانت بكاشان، وكان شيخ الصوفية بها أبو حفص الاندكاني الصوفي توفي سنة 545هـ/ 1150م<sup>(4)</sup> وهو شيخ عالم بالروايات، قارئ للقرآن، وتعلم على يديه الكثيرون، وخدم بالخوانق فترة طويلة<sup>(5)</sup> وممن خدموا في خوانق مرغينان الشيخ عبدالعزيز المرغيناني الذي بقي بها وقام على خدمتها حتى وفاته سنة 447هـ/ 1055م<sup>(6)</sup> وممن درس بخانقاوات بخارى أبو العلاء محمد بن أحمد بن الحسين الخزواني البخاريتوفي سنة 480هـ/ 1087م<sup>(1)</sup> كذلك أبو الفضل بكر بن الفضل الأنصاري الزرنجيري البخاري كان إماماً على مذهب أبي حنيفة مات سنة 512هـ/ 1118م<sup>(2)</sup>.

وكان الشيخ أبو القاسم علي بن أحمد بن يوسف السمرقندي يحدث في مسجده قبالة الخانقاه في نهر القصارين، توفي سنة 454هـ/ 1062م<sup>(3)</sup>.

(1) عبدالله عبدالدائم: التربية، ص160.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص422.

(3) ابن حوقل: نفسه.

(4) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص261، 262.

(5) ياقوت: المصدر نفسه.

(6) النسفي: القند، ص430.

(1) السمعاني: الأنساب، ج5، ص124.

(2) السمعاني: نفسه، ج6، ص288.

(3) النسفي: القند، ص560.

ومما يؤسف له أن الخانقاوات انتهت كمقابر للفقراء والمحتاجين والدرأوش الذين كانوا يتعبدون ولا يعملون مما يتنافى مع الدعوة، وصار دورها سلبياً بعد أن كان من المؤسسات العلمية الفعالة في المجتمع الإسلامي<sup>(1)</sup>.

خلاصة القول كانت الزوايا والربط والخانقاوات تعمل جنباً إلى جنب مع المدارس على رعاية شؤون الطلبة وإيوائهم، والملاحظ أن أغلب الربط والخانقاوات كانت تجاور المساجد والمدارس والجوامع فهي تشبه إلى حد كبير مساكن للطلاب، ولم يكن بعضها يخلو من علماء يسكنون فيها مع طلابهم علاوة على احتوائها على خزائن للكتب يلجأ إليها الطلاب للبحث والمطالعة<sup>(2)</sup>.

#### • القلاع والحصون:

اشتهرت مدن إقليم ما وراء النهر بكثرة بناء القلاع والحصون والأسوار لحماية المدن والقرى<sup>(1)</sup> واتخذت هذه القلاع والحصون نقاطاً حربية، إلى جانب كونها مكاناً للتعليم، حيث كان يربط بها الفقهاء، والعلماء، والطلاب، فتحولت من قلاع حربية إلى قلاع علمية<sup>(2)</sup>.

ومن هذه القلاع قلعة خجندة في إقليم فرغانة، التي كان يوجد بداخلها السجن، وقد كانت مكاناً حصيناً، وبعد انقضاء مهمتها الحربية تحولت إلى مكان يربط به الفقهاء، والعلماء، والطلاب<sup>(3)</sup> وأخسيكث التي يقول عنها الاضطخري<sup>(4)</sup> بأنها مدينة حصينة ذات قلاع، فهي إلى جانب كونها قسبة إقليم فرغانة فهي تتسم بكبر مساحتها ومبانيها الضخمة البديعة<sup>(5)</sup>.

(1) طه الولي: المساجد، ص 91، 92.

(2) يحيى محمود الساعاتي: الوقف، ص 108.

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج 4، ص 287.

(2) بارتولد: تركستان، ص 277.

(3) محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي، ج 3، ص 540.

(4) مسالك الممالك، ص 287.

(5) بارتولد: تركستان، ص 227.

أما قلعة أوش بإقليم فرغانة التي بها دار الإمارة فهي ملاصقة للجبل<sup>(1)</sup>، فقد أعطى ياقوت<sup>(2)</sup> وصفاً لقلعة كاسان بقوله "بأنها قلعة حصينة فيها دار الإمارة، ويقصدها العلماء والمتصوفة"<sup>(3)</sup> ومن القلاع العلمية أيضاً في فرغانة (قلعة فغ) القديمة في مدينة كاسان إلى الشمال من أخسيكث<sup>(4)</sup> والواقعة على نهر يحمل الاسم نفسه، وكانت كاسان عاصمة لإقليم فرغانة في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين، مما يدل على مكانتها وأهميتها<sup>(5)</sup>.

أما كورة جدغل والتي تقع في الجزء الشمالي من فرغانة، ومدينتها أرد لأنكث<sup>(1)</sup> فقد كانت قلعتها حصينة، ونظراً لوجود معظم المساجد بالقلاع فقد مثلت مركزاً لمؤسسات علمية، وثقافية مهمة<sup>(2)</sup>. أما مدينة نصر آباد فهي مدينة كبيرة، بني بها الأمير نصر بن نوح الساماني قلاعاً وحصوناً عديدة، ومساجد<sup>(3)</sup> ومن أشهر القلاع التي اتخذت فيما بعد مكاناً للتعليم (قلعة خوقند)، جنوب نهر سيحون، وصارت خوقند في الأزمنة الحديثة قسبة فرغانة<sup>(4)</sup>.

ومن القلاع العلمية بإقليم الصغد القلعتان اللتان توجدان في مدينة نمودجكث إحدى مدن بخارى، أحدها تقع خارج المدينة في الریض، والأخرى داخلها ولها بابان يطل أحدها على باب الجامع وتسمى إحداهما قلعة (أرك) دمرها المغول<sup>(5)</sup>.

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 422.

(2) معجم البلدان، ج4، ص 448.

(3) اليعقوبي: البلدان، ص 449.

(4) الاضطخري: مسالك، ص 345.

(5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 375.

(1) بارتولد: تركستان، ص 277.

(2) النرشخي: تاريخ بخارى، ص 159.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 362.

(4) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 522.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 280.

وأيضاً قلعة بركد إحدى مدن بخارى مدينة قديمة وكبيرة ولها حصن عظيم وتسمى هذه القلعة (بركد علويان) لأن الأمير إسماعيل الساماني اشتراها وأوقف عليها الأوقاف على العلويين والدرابيش والصوفية الذين سكنوها وحولوها إلى مركز علمي استمر حتى العصر الخوارزمي درس فيها أبو جعفر محمد بن أحمد البركدي القاضي مات سنة 481هـ / 1088م.

وكانت قلعة مدينة أشتيخن التابعة لإقليم الصغد لها مكانتها الاقتصادية والثقافية فقد كانت قلعة حصينة منفردة بها المسجد الجامع وكان أشهر من درس فيها أبوبكر محمد بن أحمد بن مث الأشتيخي الذي كان من أئمة أصحاب الشافعي حدث بصحيح البخاري توفي سنة 489هـ / 1095م<sup>(1)</sup>.

وفي إقليم الشاش كثر بناء القلاع والحصون، فكلما تجد قرية أو مدينة بلا قلعة للجهد والدفاع ومن أشهرها قلاع اسفيجاب التي كانت تجاور بلاد الترك فهي ثغر للجهد والدفاع ضدهم<sup>(1)</sup> درس فيها أبو الحسن علي بن منصور بن عبدالله بن أحمد المؤدب المقرئ الأسفيجابي مات سنة 483هـ / 1090م<sup>(2)</sup> ولعبت هذه القلاع والحصون دوراً محورياً في النهضة العلمية، فقد عكف فيها العلماء والفقهاء والمتصوفة استعداداً للجهد وتعلم العلوم الشرعية التي تحثهم على الجهد في سبيل الله.

#### • المكتبات (خزائن الكتب):

كانت المكتبات من المؤسسات التعليمية في إقليم ما وراء النهر وكان لها أثر كبير في إثراء الفكر وتقدم العلوم، وأسهمت إسهاماً فعالاً في توسيع نطاق الحضارة الإسلامية وتغذيتها ورفيها، وكانت دائماً ملتقى العلماء، وعشاق المعرفة وميداناً للمناظرات العلمية، وتعدّ المكتبات

(1) السمعاني: الأنساب، ج1، ص360.

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص273.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص249.

بمحتوياتها الدعائم الأساسية التي تشاد عليها صروح العلم والثقافة والمعرفة التي تغذي تقدم الأمم العلمي والحضاري بماء الحياة والبقاء<sup>(1)</sup>. ويعد انتشار المكتبات وتنوعها وعدد الكتب ونسبتها إلى القراء من أعظم المعايير والمقاييس المستعملة في الوقت الحاضر، وأكثرها دقة للدلالة على رقي الأمم والشعوب ورسوخ قدمها في مضمار الحضارة، فالمكتبات الإسلامية بهذا المعنى مرآة تنعكس فيها حياة المسلمين وتظهر فيها هذه الحياة واضحة صافية مشرقة<sup>(2)</sup>.

وقد شهد العصر العباسي حركة نشطة في مجالات التأليف وصناعة الورق، وقد تبع ذلك ظهور كثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب، فكثر المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها، وأصبحت هذه المكتبات من أهم المؤسسات الثقافية الإسلامية<sup>(1)</sup>. واتخذت المساجد مستودعات للكتب، فكانت خزائنها غنية بالكتب لاسيما الكتب الدينية التي كان العلماء والطلاب ينهلون منها أو يقفونها على القراء<sup>(2)</sup> وفي القرن الخامس الهجري عندما تأسست المدارس النظامية رسمياً أسهمت هذه المدارس مع المساجد في تطوير ثقافة الشعوب حيث انتشرت خزائن الكتب في المؤسسات التعليمية (المساجد - المدارس) وانتشرت إلى جانبها خزائن الكتب الخاصة بالخلفاء والسلطين والوزراء في قصورهم<sup>(3)</sup> مثل خزانة الكتب النفسية للخليفة القائم بأمر الله العباسي (422-467هـ / 1030-1074م)<sup>(4)</sup> ومكتبة الوزير عميد الملك الكندري توفي سنة 456هـ / 1063م<sup>(5)</sup>.

---

(1) محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، الرياض، 1421هـ، ص7.

(2) محمد ماهر حمادة: علم المكتبات والمعلومات، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص5.

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج4، ص430.

(2) يوسف العث: دور الكتب العامة وشبه العامة لبلاد العراق ومصر والشام في العصر الوسيط، ترجمة عن الفرنسية نزار أباطة ومحمد صباغ، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991م، ص180.

(3) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص263؛ هالة شاكر: المكتبات في المشرق الإسلامي، دار عين، القاهرة، 2013م، ص123.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص407.

(5) الرواندي: راحة الصدور، ص252.

ففي عصر السلاجقة زاد الاهتمام بالحركة الفكرية بشكل عام، وبدور الكتب بشكل خاص التي حظيت باهتمام المسؤولين في الدولة السلجوقية حتى شاعت وانتشرت دور الكتب، وأصبح من النادر أن تخلو مدرسة أو مسجد أو بيمارستانات في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي عن مكتبة عامرة ملحقة بها<sup>(1)</sup>.

واهتم نظام الملك بالمدارس النظامية، ووقف عليها الوقوف، ثم أنشأ بكل مدرسة دار كتب<sup>(1)</sup> وكان يختار بنفسه من يقوم على خزنة الكتب ويدقق في اختياره ويجب أن يكون عالماً، عارفاً سني المذهب شافعيّاً أصلاً وفروعاً له معرفة جيدة بالآداب والعلوم، حسن الخط كتب كثيراً من الكتب الأدبية<sup>(2)</sup> وكان نظام الملك يصدق الأموال والهدايا على خزائن الكتب، كما كان يشتري الكتب بأوفر الأثمان<sup>(3)</sup> وكانت دور الكتب مزودة بالأقلام والأحبار والورق ليتمكن الكتاب من نسخ ما يريدون من الكتب التي تشمل الأدب وسائر العلوم<sup>(4)</sup>.

واشتهر إقليم ما وراء النهر بكثرة وجود المكتبات نتيجة لاختراع الورق الذي كان من أكبر النعم التي أسداها المسلمون بسمرقند إلى العالم حيث عرفت سمرقند بصناعة الورق (الكاغد) والذي عرف بكاغد سمرقند، وأصبحت من أشهر المدن في صناعته، فكانت الكواغد المصنوعة في مصانعها من أنعم الكواغد وأحسنها وأرفقها حتى عطلت قراطيس مصر وهي التي لا نظير لها في الجودة والكثرة<sup>(5)</sup>.

وارتبط حرص العلماء على اقتناء الكتب، وتكوين المكتبات الخاصة في البيوت والتي تضم مئات بل آلاف المجلدات، ليقضوا أوقاتهم بين الكتب، ويشتغلون بالاطلاع فيها والاستفادة

---

(1) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص192.  
(1) محمد ماهر حمادة: المكتبات، ص153.  
(2) محمد ماهر حمادة: المكتبات، ص5.  
(3) السبكي: طبقات الشافعية، ج4، ص383.  
(4) يوسف العث: دور الكتب العامة، ص174.  
(5) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص288؛ قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص509.

منها<sup>(1)</sup> كما اهتم الأثرياء والعلماء في إقليم ما وراء النهر بإقامة المكتبات العامة والخاصة لمحبي العلم وطلابه، وكانوا يتباهون بما يجمعون فيها من كتب منسوخة وينفقون عليها ببذخ شديد لتميتها وتضمينها بالمخطوطات التي لا توجد في أي مدينة سواها<sup>(2)</sup>، وذلك لتسهيل المطالعة وتيسيرها للراغبين وبخاصة غير القادرين منهم على اقتناء الكتب بسبب غلائها وندرتها آنذاك<sup>(1)</sup>. ولما اتسع أفق المسلمين العقلي وازدهر تقدمهم الحضاري وتنوعت اهتماماتهم في إقليم ما وراء النهر، زادت النسبة نفسها في عدد المكتبات من أجلها، فوجدت بها معظم أنواع المكتبات العامة المفتوحة للجمهور على اختلاف أنواعه وثقافته<sup>(2)</sup> وكان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد<sup>(3)</sup> أو على المدن التي سكنوها وأقاموا بها<sup>(4)</sup>.

وارتبط ظهور المكتبات العامة وانتشارها بالوقف<sup>(5)</sup>، الذي يعدّ هو الطريق الرئيسي في تكوين أية مكتبة، لأن الواقفين تعودوا على أن يوقفوا مجموعات كاملة، وتُمد هذه المجموعات بعد ذلك بطرق أخرى كالنسخ، ولا تغفل الإهداء كمصدر هام من مصادر تزويد المكتبة الإسلامية<sup>(6)</sup>. وأدرك كافة الواقفين للمدارس والأربطة والخانقاوات، وحلقات الدرس في المساجد والمدارس أهمية الكتاب في العملية التعليمية، وأن الاقتصار على تشييد المباني وتوفير جهاز للتدريس غير كاف، فاهتموا بوقف الكتب عليها لتكون وسيلة ميسرة للتحصيل والمراجعة، توفر مادة علمية يستند عليها المعلم والمتعلم في وقت واحد، فأصبح من المعتاد وجود مكتبة في كل

---

(1) عصام الدين عبدالرؤوف: تاريخ الفكر الإسلامي، ص50.

(2) رحيم كاظم وعواطف شفقارو: الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، 1991م، ص159.

(1) محمد ماهر حمادة: المكتبات، ص82.

(2) محمد ماهر حمادة: المكتبات، ص82؛ هالة شاكور: المكتبات في المشرق الإسلامي، ص124.

(3) آدم منتر: الحضارة الإسلامية، ج1، ص322.

(4) عمر أحمد غنام: المؤسسات التربوية في الإسلام، دار الرائد العربي، القاهرة، 1992م، ص169.

(5) وقف الكتب معناه حبس الكتب بذاتها على مكتبة معينة أو على طائفة معينة لا يجوز التصرف فيها بحال من الأحوال إلا في الغرض المحدد له، يحيى محمود الساعاتي: الوقف وبنية المكتبة العربية، ص22.

(6) محمد ماهر حمادة: المكتبات، ص83.



مدرسة أو جامع، أو رباط أو خانقاه وقفت على طلبية العلم وغيرهم<sup>(1)</sup>. وانتشرت المكتبات الوقفية في أرجاء العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ومنه إقليم ما وراء النهر – الذي كلما وجدت مدينة من مدنه تخلو من مكتبة موقوفة. وأصبحت هذه المكتبات قبلة لطلاب العلم تعينهم على التزود بكل جديد، وتوفر لهم فرص مواكبة الأفكار والآراء المدونة لمؤلفين من أنحاء العالم الإسلامي<sup>(1)</sup>. أما المكتبات الخاصة فهي المكتبات التي أنشأها العلماء الذين لهم القدرة على شراء واقتناء الكتب في بيوتهم<sup>(2)</sup> ورغم أن هذه المكتبات كانت تخص أفراداً معينين لكنهم حرصوا على أن تكون للنفع العام ولخدمة العلم<sup>(3)</sup> وهذا النوع من المكتبات كان كثيراً جداً وواسع الانتشار في بلاد ما وراء النهر، إذ كان من الصعب أن تجد عالماً أو أديباً دون أن تكون له مكتبة يرجع إليها في دراسته<sup>(4)</sup> ومن هذه المكتبات مكتبة أحمد بن عمر بن محمد بن لقمان بن الليث بن شيخ الإسلام أبي حفص النسفي السمرقندي المعروف بالمجد توفي سنة 552هـ / 1157م، كان يعير الكتب والأجزاء للسمعاني عندما كان بسمرقند سنة 549هـ / 1154م<sup>(5)</sup>.

ومكتبة الشيخ محمد بن داود بن أحمد بن رضوان الإيلاقي الخطيب، الذي اشتهر بالتجليد ونسخ الكتب وإعارتها، مات سنة 539هـ / 1144م<sup>(6)</sup>، ومكتبة أبو حامد أحمد بن حمزة ابن محمد بن إسحاق المطوعي التوزيجي الشاشي والذي أوقف معظم كتبها على طلبية العلم في

(1) يحيى الساعاتي: الوقف، ص22.

(1) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات دار إيران، ص252؛ يحيى الساعاتي: الوقف، ص23.

(2) سعيد أحمد حسن: أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ص8.

(3) رحيم كاظم: الحضارة العربية الإسلامية، ص162.

(4) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ص179، 180.

(5) السمعاني: الأنساب، ج1، ص234.

(6) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص421.

قريته توزريج بإقليم الشاش<sup>(1)</sup> ومنها أيضاً مكتبة الشريف حمزة بن علي ابن الحسن بن محمد بن جعفر بن موسى الخيلامي من ذرية أبي بكر الصديق ﷺ كان فقيهاً فاضلاً، وكانت له مكتبة عامرة بمدينة خيلام بإقليم فرغانة أوقف كتبها على طلاب العلم مات سنة 532هـ/1128م.

#### • مكتبات المساجد:

ومن المساجد ذات المكتبات الكبيرة مسجد مدينة قبا بإقليم فرغانة الذي كان بسوقها<sup>(1)</sup> وأوقف كل من سعد أبو المكارم رزق الله محمد بن أبي الحسن بن عمر القبائي الذي كان أديباً صالحاً، وإبراهيم بن علي بن الحسين أبو إسحاق القبائي الصوفي شيخ الصوفية توفي سنة 471هـ/1078م كتبهم على طلبه العلم<sup>(2)</sup>.

وفي مدينة أردخشميين إحدى مدن خوارزم زارها ياقوت الحموي سنة 616هـ/1219م وكتبها (أرثشميين)<sup>(3)</sup> وعند الاضطخري<sup>(4)</sup> (حشميين) كانت مكتبة مسجدها عامراً بالكتب في مكتبة عامرة دمرها المغول سنة 617هـ/1220م<sup>(5)</sup> كما كانت هناك مكتبة عامرة بالكتب في مدينة "جاز" التابعة لخوارزم أوقفها العلماء الخوارزميون على طلبه العلم<sup>(6)</sup> وزار السمعاني مساجد مدينة زمخشر التابعة لإقليم خوارزم ووجد مكتباتها عامرة بالكتب والمخطوطات النادرة والمصاحف المنسوخة<sup>(7)</sup> وكانت مساجد بخارى من أكثر المساجد التي احتوت على المكتبات عامة يرتادها العلماء وطلاب العلم من كافة مدنهم وقراها وجوارها للتزود من سطورها التي

(1) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401هـ/1981م، ج1، ص133.

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص272.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص227.

(3) معجم البلدان، ج1، ص191.

(4) مسالك الممالك، ص299.

(5) فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ص133؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ترجمة عبدالوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2000م، ص3-31.

(6) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص567.

(7) السمعاني: الأنساب، ج7، ص20.

امتثلت بالثمين من العلم<sup>(1)</sup> ووصف الجغرافيون مساجد أشروسنه كما وصفوا مكتباتها بالعامرة بالكتب والمخطوطات ومنها مسجد مدينة بونجكت الذي كان يقع داخل المدينة وامتثلت مكتبته بالمخطوطات والكتب النادرة في التفسير والفقه والحديث وغيرها، والتي سمح للطلاب والعلماء بإعارتها<sup>(1)</sup> وهذا يرجح وجود الإعارة الخارجية في مكتبات إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي، بيد أنها لم تكن مطلقة، بل وضعت عليها قيود لتنظيم العمل وحسن سيره وكثيراً ما يحدد وقت للمستعير بحيث يلزمه رد الكتاب دون تجاوز هذا الوقت<sup>(2)</sup> وكثيراً ما كان يطلب من المستعير أن يدفع ضماناً للكتب التي استعارها<sup>(3)</sup> ولكن هناك بعض العلماء وأفاضل الناس من دفع ذلك الضمان، كما حدث مع السمعاني وفي ذلك يقول الشاعر:

أيها المستعير مني كتاباً \* ارض لي منه ما لنفسك ترضى<sup>(4)</sup>.

وكان للتعامل مع الكتب آداب، فيقول ابن جماعة<sup>(5)</sup>: "ولا يجعل الكتاب خزانة أو غيرها أو مخدة أو مروحة، ولا مكباً ولا مسنداً ولا متكأ" وعن إعارة الكتب فيقول "إعارة الكتب للطلبة والمشیخة أمر قد استحسنة الأولون والآخرين لما فيه من نشر العلم، وإفادة الناس كافة، حتى عد من صفات العلماء المحمودة<sup>(6)</sup>.

ومن آداب التعامل مع الكتب عند شرائها أو استعارتها أو أعارتها أن يتفقد المشتري أو المستعير أو مالکها بأن تتعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب ألوانه وكراريسه، ويتصفح أوراقه، ولعل

---

(1) النرشخی: تاریخ بخاری، ص155، 156.

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص327.

(2) أحمد شلبي: تاريخ التربية، ص136.

(3) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج1، ص227.

(4) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تحقيق عبدالسلام عامر، القاهرة، 2005م، ص243.

(5) المصدر السابق، ص243، 244.

(6) ابن جماعة: تذكرة السامع، ص244.

من الأعمال الحسنة التي كان يقوم بها بعض العلماء وقف الكتب رجاء الأجر، وللمحافظة عليها من التلف<sup>(1)</sup>.

ويغلب على الظن أن المكتبة أول الأمر كانت جزءاً غير مستغل عن المؤسسة نفسها كما هو الحال في مكتبات الجوامع والمدارس والأربطة، فهذه كانت ملحقة بالمؤسسة التي وجدت من أجل خدمتها، أما المكتبات الكبرى فكان لها بناء مستقل خاص بها<sup>(1)</sup> في أبنية جميلة لتستقبل جمهور العلماء والباحثين وكان بها حجرات متعددة تربط بينها أروقة فسيحة، وثبتت الرفوف بجوار الجدران لتوضع عليها الكتب وخصصت الأروقة للاطلاع وبعض الحجرات للنسخ، والبعض للاجتماعات وأثنت هذه المكتبات بأثاث فخم وفرشت أرضها بالبسط والحصر حيث كان يجلس القراء<sup>(2)</sup>.

وكان يعمل بالمكتبة العامة موظفون يرأسهم الخازن، وهو أمين المكتبة، وكان من أصحاب العلم والمكانة، والمترجمون والنساخ، والمجلدون والمناولون، وهم الذين يرشدون القراء إلى موضع الكتب على الرفوف أو إحضار الكتب لهم من أمكنتها إلى حجرات المطالعة<sup>(3)</sup>.

وكان للحسن بن أحمد السمرقندي الذي توفي سنة 470هـ/ 1077م حجرة في نظامية نيسابور يسكنها، وكانت مملوءة بالأجزاء وهو قاعد وسطها، وكان يعتمد عليه في خزانة الكتب الموضوعة في المدرسة النظامية، وهو المسؤول عن صيانتها، وكان يحضرها كل يوم من الظهر إلى العصر ويفتح باب الخزانة ويحضرها المستفيدون<sup>(4)</sup>.

---

(1) أبو عبدالله محمد رسلان: آداب طالب العلم، ص 86، 87.

(1) شعبان عبدالعزيز: الكتب والمكتبات، ص 371.

(2) أحمد شلبي: تاريخ التربية، ص 129.

(3) سعد موسى وسعيد إسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم، ص 176؛ شعبان عبدالعزيز: الكتب والمكتبات، ص 376.

(4) ناجي معروف: مدارس ما قبل النظامية، ص 117.

ولم تكن المكتبات في إقليم ما وراء النهر لمجرد الزينة أو للتباهي والتفاخر أو لقطع الوقت والفرغ، أو إرضاء لهوية جمع الكتب، بل كانت لغة أسمى من ذلك بكثير فكانت مكاناً لتثقيف الشعب كله، ومكاناً للبحث والدرس والتأليف والتمحيص بشكل خاص، إن النشاط الهائل الذي أظهره علماء الإسلام وأدبائه عائد بالدرجة الأولى إلى حسن استخدامهم المواد التي توفرت لديهم في مكتباتهم<sup>(1)</sup>.

خلاصة القول كانت المكتبات في إقليم ما وراء النهر شعلة وضياء ونبراساً من نور يهتدي به العلماء وطلاب العلم إبان ازدهار الحضارة الإسلامية فالمكتبات تعكس في تاريخها حياة المجتمع، وهي في ذات الوقت نتاج هذا المجتمع وثمرته وحياته وتمتع العلماء في مدن وقرى إقليم ما وراء النهر خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي بسعة اطلاعهم، وتشهد مؤلفاتهم ومصنفاتهم بالنهضة الثقافية التي تجلت آنذاك وما عمرت به المكتبات من تلك المصنفات في جميع فروع العلم، تردد أصداء علمهم وفصاحتهم، وتعد المكتبات من هذا المنطقة من أهم المؤسسات الثقافية التي تعين على نشر المعرفة والارتقاء بمستوى الثقافة في أرجاء العالم الإسلامي، هكذا ترابطت حركة الثقافة في مدن الإقليم بالمكتبات<sup>(1)</sup>.

والجدير بالذكر أن مكتبات مدن وقرى إقليم ما وراء النهر دمرت عندما تعرضت للغزو المغولي سنة 617هـ/ 1220م، وكان الموت والدمار يحل بكل مكان تطؤه أقدامهم ولما دخلوا سمرقند مثلاً كانت مدينة زاهرة وعندما تركوها، تركوها أنقاضاً لا حياة فيها، سويت بالأرض، ولا شك أن نصيب مكتباتها من الدمار والخراب كان نصيباً كبيراً<sup>(2)</sup> وكان تدمير المكتبات ونهبها عل أيدي المغول نهاية مرحلة حضارية حملت فيها الأمة العربية الإسلامية مشعل الحضارة، ومضت

---

(1) محمد ماهر حمادة: المكتبات، ص195.

(1) مرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص180.

(2) فؤاد الصياد: المغول، ص312.

تضيء به للعولنا كلها طريق العلم والمعرفة؁ وكننفة طبعفة لنلك العاصفة اللف اءناحت الدولة الإسلامفة من الشرق أوف المكئباف إلى المساء والبلوف وئقلص دورها الحضارف؁ وأصبحت مجرد مسئودعاف ٱئجمع ففها ما سلم من كئب الئراء<sup>(1)</sup>.

#### • منازل العلماء:

قامئ منازل العلماء بءور كبفر فف نشر العلم؁ وئوسفع النشاف الفكري فف إقلفم ما وراء النهر؁ وكم من مرة وقف ففها الطلبة على أبواب الشفوخ لفسألوفهم أو لفسمعوا منهم؁ وكان الشفوخ والعلماء ٱئمئلون بقول الله ءعالف "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ"<sup>(1)</sup>.

وكانئ الءروس المنئظمة ءلقى فف البفوف اللف كان ءصمفم بنائفها ٱئلاءم مع هءه الأءراض<sup>(2)</sup> وربما عفءئ الءروس عنء عئبة الباب؁ هفئ فجلس الطلبة فف الطرفق مع شفوخهم اللف ٱلقى عففهم ءروسه<sup>(3)</sup>.

ولءلك اضطلع علماء المسلمفم بمهمة ءءلعم الفلفة على مر العصور؁ فكان من جملة الآءاب اللف فحرص عففا العلماء ما ذكره الغزالف<sup>(4)</sup> أعلم أن الإنسان فف علمه أربعة أءوال؁ ءال طلب واكئساب؁ ءال ءءصفل فغنف عن السؤل؁ ءال اسئبصار وهو ءءفكر فف المءصل والءمع به؁ ءال ءبصر وهو أشرف الأءوال فمن علم وعمل وهو الفو اللف فءعى عظفماً فف ملكوئ السماوائ. ومن ذلك ٱئضح أنه على العالم المعلم إفاءة المءعلم بالعلوم اللف فءرسها له؁

(1) عبءالسنار الطلوجف: ءراسائ فف الكئب والمكئباف؁ ص25.

(1) سورة البقرة: الآفة 159.

(2) منفر الءفن أحمد: ءارفء ءءلعم؁ ص71.

(3) البفءاءف: ءارفء بفءاء؁ ء12؁ ص535.

(4) إءفاء علوم الءفن؁ ء1؁ ص69-72.

ونظراً لزيادة النشاط الفكري الذي تميز به إقليم ما وراء النهر، وكثرة العلماء بالإقليم ونزولهم منازل العلماء وإقامتهم فيها مما كان له الأثر الكبير في عملية التعليم<sup>(1)</sup>.

ومن أشهر العلماء الذين كانت بيوتهم مكاناً للتعليم في إقليم ما وراء النهر الشيخ داود بن رشيد أبو الفضل الخوارزمي الذي مات سنة 439هـ/ 1047م الذي كان يجالس طلابه على عتبة داره<sup>(1)</sup> وأبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الأديب الذي كان أوحده عصره في حفظ اللغة والشعر توفي سنة 483هـ/ 1090م، وكانت له حلقات درس في منزله يرتاده طلاب العلم في كاث<sup>(2)</sup> ومنهم عبدالغفار بن لقمان بن محمد الكروي كان مدرساً بحلب في مدرسة الحدادين ثم عاد إلى الجرجانية (أركنج) بإقليم خوارزم مات سنة 562هـ/ 1166م<sup>(3)</sup> وكثيراً ما عقد حلقات الدرس في منزله<sup>(4)</sup>.

ومنهم أيضاً العالم أبو أحمد عبدالله بن عبدالرحمن البوزنمدي الزاهد، كانت له مجالس علم في بوزنمدي في إقليم أشروسنه وكثيراً ما عقد مجالسه في داره<sup>(5)</sup> وفي مسجد الشام ببخارى كان أحمد بن خالد النسفي يدرس فيه، وكانت له مجالس علم في منزله يقصده طلاب العلم، توفي سنة 435هـ/ 1043م<sup>(6)</sup>.

ومن علماء مدينة بيكند التابعة لبخارى والذين علموا في منازلهم أبو أحمد محمد ابن يوسف البيكندي، وأبو الفضل أحمد بن علي بن عمر السلياني البيكندي واللذان كانا من الحفاظ الكثيرين وكان للفضل أربعمئة مصنف قرأ أغلبها على تلاميذه في منزله وتوفي سنة

---

(1) محمد سعد عزب: الحياة الفكرية في خراسان، ص 227.

(1) السمعاني: الأنساب، ج3، ص 397.

(2) ياقوت: معجم الأديباء، ج2، ص 480.

(3) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص 257.

(4) ياقوت: نفسه.

(5) السمعاني: الأنساب، ج1، ص 329.

(6) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص 244.

431هـ/ 1039م<sup>(1)</sup>، ومنهم أيضاً الفقيه محمد بن علي بن عبدالعزيز بن إبراهيم الكرابيسي العزيزي فقيه صالح مات سنة 549هـ/ 1154م وكثيراً ما عقد مجالسه في داره<sup>(2)</sup> وكذلك أبو العلاء محمد بن أحمد الخزواني البخاري عالم من علماء خزوان ببخارى مات سنة 480هـ/ 1087م كانت مجالسه عامرة وأكثر ما كانت في داره<sup>(1)</sup>.

أما الواعظ صابر بن أحمد بن محمد بن أحمد الدرغمي السمرقندي، توفي سنة 518هـ/ 1124م فقد كان يجالس الفقراء والطلاب منهم في داره في قرية الدرغم التابعة لسمرقند<sup>(2)</sup> وكذلك أبو مزاحم سباع بن النضر بن سعدي السكري الواداري كان عالماً مجتهداً له دروس في داره توفي سنة 490هـ/ 1096م<sup>(3)</sup>.

والقاضي أبو محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم العصار الحافظ البندعيشي نسبة إلى قرية بندعيش إحدى قرى سمرقند، توفي سنة 524هـ/ 1229م والذي كان يعقد أكثر دروسه في داره<sup>(4)</sup>. ومن علماء فرغانة الذين كانت دورهم مؤسسات علمية يقصدها الطلاب أبو محمد الحسن بن الحسين الاندكاني الشيخ الفقيه، الذي كان يدعو طلابه ومريديه من بيته إلى طاعة الله، ودوام العبادة، وملازمة الرياضة، واتباع سنة الرسول محمد ﷺ<sup>(5)</sup>.

كما كان منزل العالم أبي عبيد محمد بن سليمان بن بكر الخطيب الذي كان داره مقصداً للطلاب، بل كان يطعم من يفتد عليه من الطلاب من حُر ماله<sup>(6)</sup> بل إن بعض العلماء وأحبوا طلابهم ووثقوا فيهم فزوجوهم بناتهم مثلما فعل الإمام علاء الدين السمرقندي، الذي كان تلميذه

(1) السمعاني: الأنساب، ج2، ص404.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص836.

(1) السمعاني: الأنساب، ج5، ص124.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص568.

(3) ياقوت: نفس المصدر، ج4، ص916.

(4) السمعاني: الأنساب، ج3، ص24.

(5) السمعاني: الأنساب، ج1، ص225.

(6) السمعاني: المصدر نفسه، ج4، ص615.



أبو بكر الكاساني الفقيه الحنفي المشهور والذي يعرف بملك العلماء، فزوجه ابنته فاطمة، التي أصبحت فقيهة عالمة بالشرائع حتى قيل إن الفتاوى كانت تصدر عنها ختم كل من الإمام السمرقندي وابنته فاطمة الفقيهة، وزوجها الإمام الكاساني<sup>(1)</sup>. ولو تتبعنا أسماء العلماء والذين كانوا يعقدون دروسهم في منازلهم في إقليم ما وراء النهر لما وسعتنا الصفحات فقد كان العلماء يتصفون بالتواضع وحب العلم مما أدى إلى ازدهار الحياة الفكرية في الإقليم.

#### • حوانيت العلماء:

كان بعض العلماء يعملون في الأسواق لكسب معاشهم، وكانوا يستقبلون طلابهم في حوانيتهم التي كانت أيضاً ملتقى العلماء، حيث كانوا يتباحثون في مختلف المواضيع خاصة المتعلقة بعلم الحديث والفقه والرواية والشعر، وما إلى ذلك من علوم<sup>(2)</sup>. حيث لم يكن كل علماء ما وراء النهر من الأثرياء، بل كان أغلبهم يعمل، ويكد ويجتهد لكسب قوته، ولم يكن جميعهم يحصل على أرزاق (أي رواتب) من الدولة ولهذا كان بعضهم يمتهن التجارة<sup>(3)</sup> فكانت حوانيتهم مؤسسات تعليمية ثقافية، يقصدها طلاب العلم ليتباحثوا في مختلف المسائل العلمية، وكان أغلب من يرتادون حوانيت العلماء من الطلاب الفقراء الذين لم تكن الظروف مهينة لهم لإكمال دراستهم في المسجد أو المدرسة أو ممن تضطروهم الظروف إلى الرحلة في طلب العلم، فيسعون إلى العالم في أي مكان يكونون فيه<sup>(4)</sup>. وكان العلماء في حوانيتهم يفعلون ذلك دون أخذ أجرًا على التعليم، خاصة تحفيظ القرآن وتدريس علومه، والحديث والفقه قال الغزالي<sup>(5)</sup>: "أن يقتدي

(1) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج4، ص123.

(2) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص72.

(3) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج6، ص526.

(4) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص320.

(5) إحياء علوم الدين، ج1، ص49، 50.

بصاحب الشرع، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً، ولا يقصد به جزاءً ولا شكوراً بل يعلم لوجه الله تعالى".

على أن بعض العلماء أباحوا للمعلم أن يأخذ أجر على تعليمه لتلاميذه، فالقائسي<sup>(1)</sup> يقول ولقد سمعت مالكا يقول "كل من أدركت من أهل العلم لا يرى بأجر المعلمين بأساً" وكثيراً ما كان العالم يعقد مجلساً علمياً في حانوته، في الحديث، أو الفقه أو الأدب، وكان الخلفاء والأمراء والسلاطين يشجعون العلماء على ذلك ببذل الهبات<sup>(2)</sup> وكثيراً ما دارت مناقشات ومناظرات ومحاورات علمية في هذه الحوانيت تتناول فروع العلم المختلفة في حوانيت العلماء ومنازلهم<sup>(3)</sup>.

ويتضح من ألقاب العلماء في إقليم ما وراء النهر أن أغلبهم كان يعمل بالتجارة أو كان حرفياً في صناعة معينة ومنهم: أبو علي إسماعيل بن يحيى الوراق السمرقندي<sup>(4)</sup> وأبو صالح بن يزداد الكرابيسي السمرقندي<sup>(5)</sup> وأبو محمد بن عبدالله ابن أحمد القطار السمرقندي<sup>(6)</sup> وأبو محمد القاسم بن عبدالله بن محمد بن عمر القطان السمرقندي ويتضح من اسمه أنه كان يعمل في تجارة القطن التي كانت تشتهر بزراعته سمرقند<sup>(7)</sup> وأبو عمر مسلم بن إبراهيم الأزدي النسفي القصاب من التافة كانت له مجالس علم في حانوته بنسف إحدى مدن إقليم الصغد<sup>(8)</sup> وأبو الفضل العباسي بن أحمد بن سعيد القمّاح الفرغاني والواضح من اسمه أنه كان يعمل بتجارة

---

(1) الرسالة المفصلة، ص295، 296.

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج1، ص253.

(3) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص229.

(4) النسفي: القند، ص63.

(5) النسفي: نفسه المصدر، ص259.

(6) النسفي: نفسه، ص448.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، ص433.

(8) السمعي: الأنساب، ج4، ص332.

القمح في أسواق خجندة بفرغانة<sup>(1)</sup> وأبوبكر محمد بن الحسن بن أحمد الصَّفار الكشي نسبة إلى كش في إقليم الصُّغد، وواضح من لقبه أنه كان يعمل بتبييض النحاس وكانت له مجالس في حانوته<sup>(1)</sup>. وأحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار أبوبكر البخاري فقيه بخاري كان ثقة عالماً وكانت حانوته دائماً مجلساً لعلومه<sup>(2)</sup>.

#### • حوانيت الوراقين:

انتشرت حوانيت الوراقين في كل مدن وقرى إقليم ما وراء النهر خاصة في سمرقند أول من أنتج الورق في العالم الإسلامي، وكانت هذه الحوانيت عبارة عن دكاكين صغيرة تقام قرب المساجد أو المدارس ويجلس فيها باعة الكتب الذين كان أكثرهم من الخطاطين والنساخين والمتأديبين<sup>(3)</sup>، ولم تكن مجرد أماكن لبيع الكتب بل كان كثير من أصحابها علماء يتمتعون بمعرفة واسعة، وعلم غزير، وثقافة عالية، إلى جانب معرفتهم الجيدة، بالكتب وأنواعها، وقيمتها العلمية، فأصبحت حوانيتهم مجمعاً للعلماء والأدباء، ومحبي الكتب الذين ما يكاد ينتظم عقدها حتى تتعالى أصواتهم بالنقاش والمحاورة<sup>(4)</sup> ووصف ابن حوقل<sup>(5)</sup> سوق الوراقين في خوارزم بقوله "إنها مجالس للعلماء والشعراء".

وكان أغلب من يعمل في هذه الحوانيت من الخطاطين، الذين لم يجعلوا حوانيتهم مخازن للكتب فحسب بل أماكن للبحث والدراسة<sup>(6)</sup> ولقد انتشرت هذه الحوانيت، وأصبحت مسرحاً للثقافة، والحوار العلمي في العواصم الإسلامية ومنها خوارزم، وبخاري وسمرقند، ونسف والكشانية

(1) النسفي: القند، ص503.

(1) السمعاني: الأنساب، ج5، ص31.

(2) السمعاني: نفسه المصدر، ج1، ص351.

(3) هالة شاکر: الورق والوراقين، ص134.

(4) كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة، ص8-25.

(5) صورة الأرض، ص423.

(6) هالة شاکر: الورق والوراقين، ص225.

والدبوسية وأشروسنه وبلاد الشاش والخنثل واسفيجاب وإيلاق وغيرها من مدن إقليم ما وراء النهر  
بعدد كبير من هذه الحوانيت<sup>(1)</sup>.

ومن أصحاب هذه الحوانيت محمد بن إبراهيم أبي سعد بن عثمان الخوارزمي الذي بذل  
المال وكسا الفقراء، وبنى المساجد، وحوانيت الوراقين، وله كتب في علوم الشريعة ودلائل النبوة،  
وسيرة العباد والزهاد<sup>(1)</sup>. وإلياس بن حامد الكاغدي الفرغاني الذي كان يعمل بصناعة الكاغد  
(الورق) وله حانوت يجالس فيه العلماء وينظرهم<sup>(2)</sup> كما كان حانوت أبي علي إسماعيل ابن  
إبراهيم بن جبريل الخجندي في خجندة من أكبر حوانيت الوراقين بها<sup>(3)</sup> وصديق بن أحمد  
الحامدي الوراق المستملي النسقي والذي كان له حانوت وراقية في نسف إحدى مدن إقليم  
الصغد<sup>(4)</sup> والوراق صالح بن محمود بن الهيثم الأشتايد يزكي السمرقندي<sup>(5)</sup>.

وهكذا أصبحت الوراقية صورة من صور النشاط الفكري، والعلمي في الحضارة الإسلامية  
حيث كان للوراقين أثر كبير في تنشيط الحركة العلمية وتيسرها، وتطوير الكتاب والإتقان في  
إخراجه، وتجليده، وتذهيبه<sup>(6)</sup> وكان للفرس والترك على حد سواء عناية خاصة بالتذهيب بالنقوش  
الثمينة في الخط، ولأن سكان ما وراء النهر كانوا خليطاً من الفرس، والترك فقد ازدهرت حوانيت  
الوراقين، ونشطت حركة تجارة الورق، ثم انتشرت مصانع صناعته في أغلب قرى ومدن  
الإقليم<sup>(7)</sup>.

(1) الاضطخري: مسالك الممالك، ص 293 - 295.

(1) الذهبي: تذهيب، ج 17، ص 256.

(2) النسفي: القند، ص 80.

(3) ابن الجوزي: المنتظم، ج 10، ص 243.

(4) ياقوت: معجم البلدان، ج 5، ص 532.

(5) السمعاني: الأنساب، ج 1، ص 169.

(6) هالة شاكر: الوراقية، ص 225.

(7) جوستاف لويون: حضارة العرب، ص 482.

## • البيمارستانات<sup>(1)</sup>:

كان الهدف الأساسي من إنشاء البيمارستانات هو علاج المرضى<sup>(1)</sup> إلا أنها لم تقتصر على ذلك، بل شملت تدريس صناعة الطب، حيث إنه لا بد لمن يتعلم الطب، ويدرسه، ويمارسه كمهنة، أن يعمل في المستشفيات حتى يتدرب ويتمرس، ليستطيع أن يكتسب الخبرة من الحالات التي يقابلها تحت إشراف الأساتذة العلماء<sup>(2)</sup>. كما أن بعضاً من الأطباء كانوا يجعلون لهم مجلساً خاصاً لتدريس الطب في منازلهم، أو في مدارس خاصة بذلك<sup>(3)</sup> وانتشر بإقليم ما وراء النهر كثير من البيمارستانات ففي مدينة أخسيكث عاصمة فرغانة بنى بها أو خارج بابها المسمى باب كاسان بيمارستان بناه الأمير نوح بن نصر<sup>(4)</sup> وكذلك البيمارستان شيد في مدينة أشتيقان بجوار الجبل خارج باب الجبل، وقد بنى على ضفة أحد أنهارها فهي مدينة كثيرة من الأنهار<sup>(5)</sup> وأدت الزيادة السكانية التي شهدتها مدينة خجندة أول مدينة فرغانية إلى الغرب إلى بناء العديد من البيمارستانات وسط المدينة وخارجها<sup>(6)</sup> كما شيدت بيمارستانات في مدينة (كند) واستخدم أهلها السفن للتنقل عن طريق فروع سيحون للذهاب إلى هذا البيمارستان الذي بنى على النهر مباشرة<sup>(7)</sup> كما بنيت بيمارستانات أخرى في كل من كروان، ونجم وخيلام، وغيرها من مدن فرغانة<sup>(8)</sup>.

---

(1) مفردها بيمارستان لفظة فارسية مكونة من مقطعين بيمار بمعنى مريض وستان بمعنى مكان فهي تعني مكان المريض أو مكان علاجه، أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص27؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة (مارستان).

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الابناء، ج1، ص31.

(2) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص7-9.

(3) محمد كامل حسين وآخرون: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ليبيا، د. ت، ص230.

(4) لسترنج: بلدان الخلافة، ص530-540.

(5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص395.

(6) الاضطخري: مسالك الممالك، ص333.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، ص395.

(8) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص273.

كما شيدت الكثير من البيمارستانات في مدن خوارزم كاث والجرجانية، وأزدخيوه وبراتكين، وجيت، حول نهر جيحون التي اختار السلاجقة والخوارزميون أماكنها بعناية فائقة خارج المدن في أماكن صحيحة الهواء جيد المناخ<sup>(1)</sup>.

وفي الصغانيان بنيت الكثير من البيمارستانات في أغلب مدنه في الفارياب والقواديان والخنل والتي تحولت إلى مؤسسات تعليمية يتعلم فيها الطلاب العلم<sup>(2)</sup>.

كما احتوت المدن والقرى الأثروسنه على العديد من البيمارستانات في بونجكت، وزامين، وديزك، ومرسمنده، وخرقانه، وأشتيخن وغيرها ارتادها طلاب العلم لتعلم الطب على يد أساتذة أجلاء<sup>(3)</sup>. ولعبت البيمارستانات دوراً تعليمياً كالمدارس، والمساجد<sup>(4)</sup> والتي كان يشيدها السلاطين، والملوك والأمراء السلاجقة والخوارزميين، وأهل الخير صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية، وتخليداً لذكراهم<sup>(5)</sup> ولم تكن مهمتها قاصرة على مداوة المرضى، بل كانت كذلك مدارس لتعليم الطب، يتخرج منها المتطبيبون والجراحون، وشهدت مدن وقرى إقليم ما وراء النهر نوعين من البيمارستانات الأول الثابت وهو ما كان بناءً ثابتاً في جهة من الجهات لا ينتقل كبيمارستانات فرغانة والصغد وغيرها<sup>(6)</sup>، والثاني: المتنقل أي ينقل من مكان لآخر بحسب ظروف الأمراض، والأوبية، والحروق، وشهدت أقاليم ما وراء النهر هذا النوع خاصة في حالات الحرب التي خاضها الأتراك السلاجقة والخوارزميون ضد الأتراك الشرقيين غير المسلمين وفي حروبهم الداخلية<sup>(7)</sup>. وقسمت البيمارستانات بنظام وترتيب إلى قسمين منفصلين عن بعضهما البعض قسم

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص62.

(2) قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص440-445.

(3) بارتولد: تركستان، ص226.

(4) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم هند العرب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1990م، ص501.

(5) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص3.

(6) ابن حوقل: صورة الأرض، ص395.

(7) الترشيحي: تاريخ بخارى، ص151؛ بارتولد: تركستان، ص251.

للرجال، وقسم للنساء<sup>(1)</sup> وكل قسم مجهز بما يحتاجه من أدوات، وخدم، من الرجال والنساء ومشرفين<sup>(2)</sup> وفي كل قسم عدة قاعات لمختلف الأمراض فقاعة للأمراض الباطنية، وقاعة للجراحة، وقاعة للأمراض النساء وغيرها<sup>(3)</sup>. واتسمت هذه القاعات بالاتساع وجمال المنظر، وبها ماء جارى وتحتوي على صيدلية تسمى شراب خانة، ولها رئيس يسمى شيخ صيدلي البيمارستان<sup>(4)</sup> وللبيمارستان رئيس ساعور ولكل قسم من أقسامه رئيس وكان فيه رئيس لكل مرض على حده<sup>(5)</sup>. وكانت الدروس الطبية تلقى عملياً داخلها أمام الطلبة الذين يتدارسون على معالجة المرضى، كما أوقفت الكثير من الأوقاف للنفقة عليها<sup>(6)</sup> وكانت تمنح للطلاب إجازة تسمى إجازة الطب بعد امتحان الأساتذة له، فإذا أتم الطالب دروسه تقدم إلى رئيس الأطباء، لطلب إجازته، وكان الطالب يتقدم برسالة في الفرع الذي يريد الحصول على الإجازة في معالجة بعض الأمراض التي يختارها، وقد تكون الرسالة خاصة بنتائجه هو، أو بنتائج أحد مشاهير الأطباء السابقين أو المعاصرين له، ويكون قد أجاد دراستها فينتقدم ليختبر فيما حصل من علم في هذا الفرع أو فيما توصل إليه من نتائج جديدة، وإذا أحسن الإجابة مُنح الإجازة التي سعى للحصول عليها<sup>(7)</sup>. وحرص سلاطين السلاجقة والخوارزميين على اجتذاب الطلاب وجلسوا معهم جنباً إلى جنب وأجزوا لهم الرواتب، والأرزاق، وتولاهم بالرعاية<sup>(8)</sup> مما أدى إلى تخريج المئات من الأطباء في مدن وقرى إقليم ما وراء النهر، بل امتدت الخدمة الطبية إلى القرى بواسطة مستشفيات متنقلة، وكانت الفكرة أن يذهب الأطباء ومعهم خزانة للأدوية، ليطوفوا في الريف، ويقوموا في كل

---

(1) توفيق الطويل: في تراثنا العربي والإسلامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، القاهرة، 1985م، ص114.

(2) محمد كامل: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة، ص530.

(3) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج2، ص276.

(4) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص34.

(5) ابن أبي أصيبعة: عيون البناء، ج2، ص100.

(6) توفيق الطويل: في تراثنا، ص115، 116.

(7) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص43.

(8) النظام العروض السمرقندي: المقالة الرابعة في الطب، ص76.

صقع منه مدة تدعوا إليها الحاجة ويعالجوا من فيه من المرضى، ثم ينتقلوا إلى غيره<sup>(1)</sup> ولم يخل ببيمارستاناً واحداً في المدن والقرى دون أن يكون به مكتبة تحتوى على الآلاف من الكتب المختلفة، وخاصة في مجال الطب، والصيدلة، والعقاقير والجراحات<sup>(2)</sup>.

#### • المجالس العلمية:

أول من أنشأ المجالس العلمية في الإسلام هو الرسول ﷺ حيث كان يجلس في مسجده الشريف بالمدينة المنورة، وحوله أصحابه، ليعلمهم أمور دينهم، فأصبحت مجالس المساجد للعلم سنة من بعده، سار عليها كثير من المسلمين<sup>(3)</sup> وصارت من عوامل تطور الحركة العلمية في البلدان الإسلامية، حيث كانت تقوم بدورها في التعليم، والمناقشة، والفتوى، والوعظ والإرشاد، والجدل، والمناظرة، والحديث والإملاء، ويدرس فيها كافة العلوم من حديث، وفقه وقرآيات، وتفسير وأدبا وغير ذلك<sup>(4)</sup> ويقدم لنا ابن الجوزي<sup>(5)</sup> وصفاً مشوقاً لهذه المجالس العلمية، ومجالس الوعظ، التي كان يقصدها هو لعامة الناس في الجوامع، وما كان يدور فيها من فتاوى ومحاويرات ومناظرات، وما يعكسه ذلك من نشاط ثقافي كان له أبعاد أثر في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية ليتزود بها الخاصة، والعامة من طلاب العلم<sup>(6)</sup> وقد أسهمت هذه المجالس التي كانت تعقد في الجوامع، وقصور السلاطين والوزراء والأمراء، ومنازل العلماء، وحوانيتهم، وحوانيت الوراقين، والأربطة والخوائق والبيمارستانات في إقليم ما وراء النهر، في إحياء نهضة علمية شاملة، وهي

(1) عزالدين فراخ: فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979م، ص126.

(2) سعد مرسي: تاريخ التربية، ص175، 176.

(3) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص55.

(4) علي الزهراني: الحياة العلمية، ص217.

(5) المنتظم، ج10، ص235-243.

(6) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص226.



إن لم تكن وسائل منظمة للتعليم، إلا أنها أسهمت إسهاماً كبيراً في التطور الثقافي، والفكري، والتعليمي في الإقليم<sup>(1)</sup>.

وكانت أكثر أنواع المجالس التي عقدت في جوامع إقليم ما وراء النهر، ومدارسه، ومنازل علمائه، وغيرها من المؤسسات الثقافية نوعان، عارضة ودائمة، فالعارضة هي أن يكون لدى المحدث أحاديث محددة، فيجلس لروايتها في مجلس، أو مجلسين ومثلها المجالس التي يحضرها العامة لسماع الحديث في المساجد، أو حوانيت الوراقين، أو الطرقات ويكون عدد الحاضرين فيها كبيراً<sup>(2)</sup> أو مجالس الحديث التي كانت تعقد في بيوت بعض الأعيان، أو الوزراء، فقد كانت دور الوزراء والأمراء مجتمعاً لأهل العلم والفضل والأدب والشعر، حيث كانت تعقد فيها المجالس العلمية المختلفة، وخاصة مجالس الحديث التي لم تكن لها وقت محدد، وكانت هذه المجالس خاصة بتبادل الآراء والمعلومات بين طلبة الحديث خاصة<sup>(3)</sup> لكنها تطورت عندما صار العلماء يتباحثون في الحديث في مجالس مفتوحة، يحضرها الطلبة، ثم تحولت هذه المجالس إلى مؤسسة علمية ذات قواعد محددة حيث تتناول فتوى الأحاديث، وأسانيدها، ورجالها، جرحاً وتعديلاً<sup>(4)</sup>.

ومن علماء ما وراء النهر الذين عقدوا هذه المجالس، الإمام أبو الحارث عبدالجليل بن نصير بن صالح الخجندي، ت 491هـ/ 1100م الذي كان يدرس الحديث في جوامع خجندة، ويلتف حوله كثيرون<sup>(5)</sup> وسهل بن محمد السمرقندي الذي روى الأحاديث عن أئمة ومنه قوله ﷺ (وَجُدَّتِ الحسنة نوراً في القلب، وزينة في الوجه، وقوة في العلم ووجدت الخطيئة سواداً في القلب،

(1) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص 60.

(2) السيوطي: الأنشباہ والنظائر في المناظرات، والمجالس والفتوى والمكاتبات والمراسلات، مكتبة عيسى الحلبي، القاهرة، 1964م، ج3، ص15.

(3) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص 58.

(4) ابن الجوزي: المنتظم، ج10، ص257.

(5) النسفي: القند، ص179.

وشيناً في الوجه ووهناً في العمل<sup>(1)</sup> وأبو محمد عبدالخالق ابن أبي مالك البلخي الصوفي حدث بسمرقند وتوفي في كش سنة 551هـ / 1156م<sup>(2)</sup>.

ومن حسنات تلك المجالس أن العلماء كانوا يفرزون واضعي الحديث ويعرفون الصادق من الكاذب، ومنهم أبو عبدالرحمن القاسم بن محمد بن عبدالله الفرغاني، توفي سنة 461هـ / 1068م<sup>(3)</sup> وقد كان يضع الحديث وضعاً فاحشاً وعليه ينطبق قول الرسول ﷺ (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)<sup>(4)</sup>.

أما مجالس الحديث الدائمة فهي التي كان يعقدها الشيوخ المتخصصون في الحديث في أيام معلومة من الأسبوع، ويحضرها الطلبة، ويداومون على حضورها حتى يفرغ الشيخ من إلقاء حديثه، وقد تستغرق عدة سنوات، تصل في بعض الأحيان إلى العشرين، أو الثلاثين<sup>(5)</sup> عاماً، وممن جلس في هذه المجالس من علماء الحديث الشيخ محمد بن عبدالحميد القرشي الأثروسي، توفي سنة 429هـ / 1037م وكان من خيرة علماء الحديث في أثروسنه<sup>(6)</sup>.

ومن أشهر هذه المجالس:

أولاً / مجالس التدريس:

لم تخل مؤسسة تعليمية في إقليم ما وراء النهر من هذه المجالس فهي متخصصة لدراسة الفقه، والنحو، وعلم الكلام، والأدب<sup>(7)</sup> وغيره، وكان شيوخ هذه المجالس يتبعون منهجاً في التدريس، فيبدؤون بالسهل، ويتدرجون إلى الصعب أو الأعلى مرتبة، وكان عدد الطلبة في هذه

(1) النسفي: نفسه، ص216.

(2) النسفي: نفسه، ص387.

(3) السمعاني: الأنساب، ج4، ص344.

(4) البخاري: فتح الباري، ج4، ص383.

(5) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص397.

(6) ابن الجوزي: المنتظم، ج10، ص411.

(7) البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص414.

المجالس غير كبير<sup>(1)</sup>. ومنهج التعليم الذي سار بمقتضاه الأساتذة، والشيوخ في هذه المجالس يشمل القرآن الكريم والحديث، والفقهاء على المذهب الأربعة، وعلم الكلام، النحو، ثم أخذت الدراسة تتوسع يوماً بعد يوم، وأخذت العلوم الرياضية طريقها إليها<sup>(2)</sup> وكان تسلسل المنهج، وتطبيقه يسير بطريقة تربوية سليمة من البسيط إلى المركب، إذ تبدأ العلوم النقلية التي تعتمد على اللسان، ومقوماته، ثم ينتقل الطالب إلى العلوم التي تعتمد على التفكير، ومن هذا كان النحو، والصرف بداية لمرحلة الدراسة الطويلة، وكان الفقه وأصوله هما نهاية التي ترافق الطالب إلى اللحد، ولذلك كان الفقه بمعناه الخاص هو فلسفة التشريع على اختلاف مذاهبه، وهي مرحلة الاجتهاد التي تستغرق بقية العمر<sup>(3)</sup>. وكانت اللغة العربية هي لغة التعليم لجميع الطلاب، الأمر الذي ساعد على وجود وحدة ثقافية متكاملة بين إقليم ما وراء النهر، وأنحاء العالم الإسلامي كله، ويسر على طلابها حرية التنقل في مختلف أنحاءه، وأتاح لهم فرصة مقابلة العلماء، فقد كان مطلوباً من الطلبة أن يدرسوا النحو والصرف، والشعر، والأدب باللغة العربية، وكان لا يغفر لهم إن ارتكبوا خطأ لغوياً فقد كان على كل متعلم أن يتقن اللغة العربية (لغة القرآن الكريم)<sup>(4)</sup>.

#### ثانياً / مجالس الوعظ والتذكير:

كان القصد من الوعظ والإرشاد، اتباع الأخلاق الحسنة والآداب العلمية، فكان الواعظ يجلس للوعظ بعد أوقات الصلاة، وكانت لهذه المجالس أهمية خاصة في العالم الإسلامي كله، حيث يقوم الواعظ مقام المدارس، ويحضرها عامة الناس دون تمييز، ويأخذ الواعظ على عاتقه مهمة تثقيف الناس ثقافة دينية، ويشرح لهم الشرائع ويجيب على جميع أسئلتهم، خاصة فيما

(1) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص58.

(2) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص216.

(3) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ص260.

(4) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص62.

يتعلق بالفتاوى الدينية<sup>(1)</sup> وكان قادة الفتح الإسلامي يعملون وعاضاً للناس، وكذلك الفقهاء ومنهم الشيخ عبدالمجيد ابن يوسف بن شعيب بن تبال الأخسيكتي، توفي سنة 557هـ / 1161م الذي تفقه بسمرقند، وأقام بها مدة، ثم رحل إلى أخسيكت ووعظ بها<sup>(2)</sup> ومنهم أيضاً أبو الحسن علي بن حكيم بن زاهر الخجندي، توفي سنة 435هـ / 1043م وهو من أشهر الزهاد، ويعرف بعلي البكاء من كثر بكائه أثناء وعظه، وتولى قضاء فرغانة ثلاثة أشهر، ثم تفرغ لمجالس الوعظ والتذكير<sup>(3)</sup> ومنهم أيضاً أحمد بن علي ابن عبدالرحمن ابن أحمد بن العلوي المروئي محمد كان حياً سنة 519هـ / 1125م والذي أقام بأوش مدة طويلة، وقضى معظم حياته في الوعظ والتذكير<sup>(4)</sup> ومن أشهر وعاظ فرغانة شرف الدين أبو الفتح علي بن محمد بن علي الأوشي الذي أقام بخجندة مدة واعظاً أهلها ثم انتقل إلى بخارى للوعظ بها، وذاع صيته وسمع وعظاً أبو العلاء الفرضي وعمران بن موسى الأوشي<sup>(5)</sup>. ومنهم أيضاً أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن محمد البذخوني البخارى الذي وعظ الناس بمسجد بذخون إحدى قرى بخارى<sup>(6)</sup> وأحمد بن علي بن طاهر بن محمد البسكائري الذي وعظ الناس وأبكاهم في مسجد قريته بسكاير التابعة لبخارى<sup>(7)</sup>.

### ثالثاً / مجالس المناظرات:

لاقت المناظرات أهمية كبرى لدى السلاطين، والأمراء، والوزراء وغالباً ما كانت تعقد في قصورهم، ودورهم، يتبادلون ويتحاورن في حلقات المناقشة المعقودة في المساجد أو القصور أو

(1) منير الدين أحمد: نفسه، ص 57.

(2) النسفي: القند، ص 441.

(3) ابن الجوزي: المنتظم، ج 7، ص 321.

(4) أبو جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج 2، ص 966.

(5) الدمشقي: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة، ج 1، ص 81.

(6) السمعاني: الأنساب، ج 2، ص 121.

(7) النسفي: القند، ص 314.

المنازل<sup>(1)</sup> وكانت تتناول المواضيع والمسائل الدينية، والعلمية، والأدبية، بل كانت تعقد بالمصادفة إذا التقى أكثر من عالم<sup>(2)</sup>. ومما هو جدير بالذكر أن هناك عدد قليل من العلماء كانوا ينادمون الأمراء، ممن يجالسونهم ويحدثونهم، ويشيرون عليهم غير أن هذا النوع يمثل أقلية محدودة من العلماء، ذلك أن السلاطين غالباً ما ينصب تذوقهم على الأدب والشعر<sup>(3)</sup>.

كما أن غالبية العلماء كانوا يتصفون بالورع، والزهد، ويتحفظون من التقرب للحكام، فقد وجب عليهم حث الحكام على الالتزام بالشرعية وتطبيق العدل، والاستقامة<sup>(4)</sup> ومن المناظرات في إقليم ما وراء النهر أبو علي الحسين بن أبو القاسم اللامشي المرغيناني الذي يعود نسبه إلى سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ ولد بمرغينان سنة 551هـ / 1171م وتوفي سنة 593هـ / 1197م ودفن بسمرقند، وكان إماماً فاضلاً مناظراً، له الباع الطويل فيه، كان يدخل على الملوك من الخوارزميين ويقول الحق في وجوههم<sup>(5)</sup> وكانت له مناظرات مع فقهاء المذاهب الأخرى<sup>(6)</sup>.

ومن أشهرهم أيضاً أبو عمر أحمد بن حاجب بن محمد الكاشاني وحفيده أبو علي إسماعيل بن أبي نصر محمد الكاشاني مات سنة 491هـ / 1097م، وكان يعظ وينظر في قصور السلاطين<sup>(7)</sup>.

#### رابعاً / مجالس الفتوى:

التي كانت غالباً ما تعقد في المساجد أو الطرقات، فقد كان أغلب علماء ما وراء النهر من الفقهاء يعقدون مجالس الفتوى يومياً أو أسبوعياً، أو شهرياً خاصة في شهر رمضان المبارك،

(1) الدمشقي: المشته، ج1، ص82.

(2) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص68.

(3) الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص140.

(4) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج9، ص671.

(5) النسفي: القند، ص555.

(6) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج1، ص384.

(7) السمعاني: الأنساب، ج1، ص232.

والغرض منها تبصير الناس بأمور دينهم<sup>(1)</sup> وإصدار الفتاوى وتكون هذه المجالس عادة مفتوحة للجميع، وكان الطلبة يحرصون على حضورها وتدوين الفتاوى التي تصدر فيها، كما تتاح لهم الفرصة لمشاهدة الجانب العملي لتطبيق الأحكام الفقهية التي درسوها على شيوخهم<sup>(2)</sup> وممن جلس للفتوى في إقليم ما وراء النهر فقهاء كثر لن تتسع الصفحات لذكرهم منهم الإمام عبدالعزیز ابن عبدالرازق بن أبي نصر بن جعفر المرغيناني قال أبو الوفا<sup>(3)</sup> (كان له ستة بنين كلهم يصلح للتدريس والفتوى، منهم محمود، وعلي، والعلاء، فإذا خرج مع أولاده قالوا سبعة من المفتين خرجوا من دار واحدة). ومنهم أيضاً أبو حامد أحمد بن حمزة بن محمد بن إسحاق المطوعي التوزيحي مات سنة 526هـ / 1131م نسبة إلى قرية توزيخ إحدى قرى إقليم الشاش جلس للإفتاء وجلس على بابه كثير من الناس يستفتونه في أمور دينهم<sup>(4)</sup>.

#### خامساً / مجالس القصص والمذكرين:

شكلت القصص في بداية الإسلام إحدى الوسائل المهمة لخدمة الدين الإسلامي، إذ كان القاص يشرح ويعكس القصص الماضية عن بدايات الخلق منذ آدم عليه السلام، ووصولاً إلى الحبيب محمد ﷺ والغرض من قصها هو الوعظ الديني، والاعتبار بمن مضوا من الأمم السابقة<sup>(5)</sup> فهو بذلك يقتدي بالقصص القرآني الذي كان يهدن هو الآخر للوعظ والإرشاد، وفي ذلك يقول تعالى: "قَافُصُصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"<sup>(6)</sup> وقوله تعالى: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ"<sup>(7)</sup> وكانت هذه المجالس من الظواهر المميزة للنشاط العلمي في كافة أرجاء العالم

(1) محمد سعد: الحياة الفكرية في خراسان، ص 194.

(2) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص 364.

(3) الجواهر المضيئة، ج1، ص 319.

(4) السمعاني: الأنساب، ج1، ص 311.

(5) ابن الجوزي: كتاب القصص والمذكرين، تحقيق د. محمد الصباغ، دمشق، 1998م، ص 157.

(6) سورة الأعراف: الآية 176.

(7) سورة يوسف: الآية 111.

الإسلامي ومنها إقليم ما وراء النهر، ذلك أن مجالسهم قد انتشرت في كل مكان في القرية والمدينة والأسواق، والطرق، والحدائق<sup>(1)</sup> ولكن من الواضح أن الذين تصدوا لهذه المجالس - وخاصة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، لم يكونوا من العلماء المشهود لهم كما قال ابن<sup>(2)</sup> "ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال، فبُعد المميزون من الناس عن الحضور عندهم، وتعلق بهم العوام والنساء، فلم يتشاغلوا بالعلم، وأقبلوا على القصص، وما يعجب الجهلة، وتنوعت البدع في هذا الفن"<sup>(3)</sup> إلا أن هذه المجالس أسهمت ولو بشكل محدود في تكوين الثقافة في إقليم ما وراء النهر.

ومما سبق نستخلص أن إقليم ما وراء النهر بمدنه وقراه لم يخل من المؤسسات التعليمية الكثيرة التي تضافرت، وأسهمت في بناء الثقافة داخل الإقليم، وأنتجت نتاجاً علمياً وفكرياً مميزاً وبرز في هذه المؤسسات علماء لم يقتصر دورهم على فرع واحد من فروع العلم بل امتد إلى كافة مجالاته وهذا ما سوف نوضحه في الفصول التالية.

---

(1) ابن الجوزي: كتاب القصاص، ص158.

(2) تلييس إبليس، تحقيق د. السيد الجميلي، بيروت، د. ت، ص333.

(3) ابن الجوزي: تلييس إبليس، ص334.

## الفصل الرابع

### النتاج العلمي والأدبي في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي (العلوم النقلية)

أولاً: العلوم الدينية (الشرعية):

- علم القراءات.
- علم التفسير.
- علم الحديث.
- علم الفقه.
- علم التوحيد - علم التصوف.
- ثانياً: العلوم اللغوية:
- اللغة - النحو.
- العلوم الأدبية - الأدب - الشعر - النثر.



## العلوم النقلية:

وهنا وجدنا أنفسنا أمام المشكلة الكبرى في هذا البحث، وتتمثل فيما نتج عن الموروث الثقافي لإقليم ما وراء النهر، والعوامل التي تضافرت لخلق حياة فكرية، ودور المؤسسات والمراكز العلمية في الحياة الفكرية في الإقليم والسمة العامة التي غلبت على هذا النتاج، وسنحاول استعراض ذلك النتاج بكل المعطيات السابقة لإبراز دور علماء ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي، وتتبع ذلك النتاج.

قسم علماء المسلمين العلوم إلى قسمين: علوم نقلية، وعلوم عقلية، فالعلوم النقلية هي التي يستخدم فيها العقل وتقسّم إلى قسمين أولهما علوم دينية "شرعية" وتشمل علم القراءات والتفسير، والحديث، والتوحيد، والفقه وأصوله، والتصوف، وثانيهما علوم اللغة وتشمل اللغة، والنحو، والأدب بأنواعه (شعراً، نثراً، ونظماً).

## أما العلوم العقلية:

فتشمل الطب، والصيدلة، والفلك، والرياضيات، والكيمياء، والفلسفة وعلم الكلام والمنطق، والتاريخ والجغرافيا.

وكغيره من أقاليم العالم الإسلامي، برز كثير من العلماء في إقليم ما وراء النهر في العلوم النقلية والعقلية في آن واحد، أو متخصص في عدة فروع نقلية في الوقت نفسه، فنجد عالماً ألم بالدراسات والعلوم النقلية عموماً، وإلى جانبها فرع أو أكثر من العلوم الفعلية، مما يشير إليه عند حديثنا عن القراءات أو الحديث مثلاً، وعن المنطق أو الرياضيات أو غير ذلك، مما سيضطرنا لذكره في أكثر من موضع لبيان نتاجه في كل فرع على حده فلا بد من التكرار، كما سنضطر إلى الاعتماد بشكل كبير على رصد جغرافي لياقوت الحموي لأنه فصل في مدن إقليم ما وراء

النهر وذكر إلى جانب ضبطها لغوياً وجغرافياً أهم العلماء والمشايخ إلى جانب كتب الأنساب والطبقات والتراجم.

أولاً: العلوم الدينية (الشرعية):

**علم القراءات:** القرآن الكريم هو أصل الشريعة<sup>(1)</sup> وهو معجزة الإسلام الخالدة، أنزله الله

سبحانه وتعالى على رسولنا الكريم محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور<sup>(2)</sup>.

وهو مصدر المعرفة<sup>(3)</sup> ومنبع العلوم والمعارف<sup>(4)</sup> ومحور اهتمام المسلمين في كل

العصور<sup>(5)</sup> وقد تفرعت عنه علوم كثيرة لخصها السيوطي<sup>(6)</sup> بقوله: (معرفة سبب النزول، ومعرفة

المناسبة بين الآيات، والفواصل، ومعرفة الوحدة والنظائر، وعلم المتشابه، وعلم المبهمات، وأسرار

الفواتح، وخواتم السور المكية، والمدنية...). وعلوم القرآن هي أولى العلوم التي اهتم بها

المسلمون عبر العصور التاريخية لذلك حرص المسلمون على تعلمه وتعليمه لأبنائهم، بالمداومة

على قراءته وتجويده، وتلاوته، وحفظه مستعينين في ذلك قول رسول الله ﷺ (خيركم من تعلم

القرآن وعلمه)<sup>(7)</sup>. وعرف ابن خلدون<sup>(8)</sup> علم القرآن بقوله: "القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه

المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رضوان الله عليهم رووه

عن الرسول ﷺ على طرق مختلفة، وكيفية ضبط الحروف في أدائها". وأول علوم القرآن التي

(1) الماوردي: أدب الدنيا والدين، حققه وعلق عليه / مصطفى السقا، ط5، مصطفى البابي الحلبي، 1406هـ / 1986م، ص95.

(2) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ج10، نشر، مطبعة وهبة، القاهرة، 1417هـ / 997م، ص3.

(3) الإمام شهاب الدين القسطلاني: لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق وتعليق الشيخ عامر السيد عثمان، القاهرة، 1972م، ص6.

(4) ابن الفاصح العذري: سراج القارئ المبتدأ، وسراج القارئ المنتهي، المكتبة التجارية، القاهرة، 1934م، ص2.

(5) ابن غلبون: كتاب التنكرة في القراءات، ط4، تحقيق عبدالفتاح بحيري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1991م، ج1، ص37.

(6) الإتيقان في علوم القرآن، ط2، القاهرة، 1925م، ج1، ص605.

(7) ثناء علي مخيمر: مباحث في علوم القرآن، ط1، الزقازيق، 1419هـ / 1988م، ص174.

(8) المقدمة، ص416.

اهتم بها المسلمون، علم القراءات<sup>(1)</sup> الذي مر بمراحل كثيرة قبل أن يصبح علماً له أصول ثابتة، وأئمة قراء مشهورون تسند إليهم القراءات<sup>(2)</sup> وذلك للتأكد من صحة القراءة، وبعدها عن القراءة الشاذة أو الضعيفة<sup>(3)</sup>. ويعتني علم القراءات بمذاهب الأئمة في قراءة القرآن الكريم، وهذه المذاهب باقية إجماعاً يقرأ بها الناس، ومنشؤها اختلاف في اللهجات، وكيفية النطق، وطرق الأداء من تقخيم وترقيق، وإمالة، وإدغام، وظهور، وإشباع، ومد وقصر، وتشديد، وتخفيف<sup>(4)</sup>. وكانت جميع القراءات جائزة عند المسلمين في الأقاليم الإسلامية<sup>(5)</sup>، وعند الأئمة، الجميع على صواب<sup>(6)</sup> وكان المسلمون يرجعون في إثبات صحة القراءة إلى الإسناد بالتسلسل كقولهم قرأ فلان على فلان، حتى ينتهي إلى قرأ علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(7)</sup>. واهتم سلاطين ووزراء السلاجقة والخوارزميين بالقرآن الكريم وعلومه، فقد كان الوزير نظام الملك الطوسي ت 485هـ/ 1092م، قد حفظ القرآن الكريم وهو في الحادية عشر من عمره وأجلس القراء يعلمون الناس القراءات<sup>(1)</sup>.

(1) هو العلم الذي يعرف منه إتقان الناقلين بكتاب الله تعالى، أو اختلافهم في الحذف، والإثبات، والتحريك، والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق، والإبدال، وغيره من حيث السماع، فهو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقل المزيد من التفاصيل، ينظر: البناء: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة العشر، وضع حواشيه الشيخ أنس فهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص 6، 7.

(2) كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن على كل قوم بلهجات مختلفة تتفق مع لهجاتهم، وتلى بعد الرسول من سمعوا منه، وهم قراء الجيل الأول، ولكن مع اتساع وانتشار الإسلام في بلاد كثيرة، ومرور وقت على وفاة النبي عليه السلام، ووجود المصحف العثماني الغير منقوط اختلف الناس في القراءات، وبدوا في الخطأ في الإعراب، أو النطق مع إسنادهم لقراء أصليين، فخاف المسلمون من تحريف القرآن، ولصيانته وُضع أساس لعلم القراءات بتحديد قراءات محددة مكتوبة، منقوطة، مسندة بالتسلسل لا يخرج عنها، للمزيد ينظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص 1-45.

(3) كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها في القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها بل هي من الحروف السبعة، أو من العشرة، أو عن غيرهم من الأئمة المقبولين، وحتى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، لمزيد من التفاصيل، ينظر: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الصباغ، المكتبة التجارية، مصر، د. ت، ج1، ص 9؛ محمد محمد محسن؛ المهذب في القراءات العشر وتوجيهها، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1996م، ج2، ص 30.

(4) السيوطي: الإتقان، ج1، ص 13.

(5) محمد عبدالسلام إبراهيم: المحتويات في الحضارة الإسلامية، آداب الزقازيق، بدون، ص 179.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 46.

(7) جورج زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج3، ص 68.

(1) خواندمير: دستور الوزراء، ص 245.

واشتهرت في العالم الإسلامي سبع قراءات معينة تواتر نقلها، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة، وبعدها بعضهم عشراً، ونسبت كل طريقة من هذه الطرق إلى من اشتهر بروايتها من بين الرواة الكثيرين<sup>(1)</sup>.

فالقراءات السبع هي القراءات التي جمعها ابن مجاهد (ت324هـ/ 935م)<sup>(2)</sup> باختياره الخاص فاشتهرت عنه<sup>(3)</sup>، ويقول ابن الجزري<sup>(4)</sup> أجمع الأئمة على القراءات السبعة، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون ما عدا السبعية ليس بصحيح، وقال النبي ﷺ "أنزل القرآن على سبعة أحرف"<sup>(5)</sup> وما اختلف فيه القراء بمعزل لأن ما اختلف فيه القراء عن خط المصحف الذي كتب على حرف واحد<sup>(6)</sup>.

### قراء إقليم الصغد:

واشتهر خلال فترة البحث عدد كبير من علماء إقليم ما وراء النهر المقرئين الذين صنفوا في علم القراءات، وأخذ عنهم طلاب العلم في الإقليم وغيره القراءات ومنهم: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الأسترابادي (ت 432هـ/ 1040م) قال النسفي<sup>(1)</sup>: "كان الأسترابادي مجتهداً يكتب عامة النهار، وهو يقرأ القرآن ظاهراً، ولا يمنعه أحد الأمرين عن الآخر، وإذا دخل عليه أحد فأكثر، قطع كلامه وجعل يقرأ القرآن، وكان يختم كل يوم ختمة"، وأبو أحمد عبدالرحمن

---

(1) القراء المشهورون الذين نسبت إليهم هذه الطرق هم أبو الحسن الكسائي، وأبو معيد عبدالله بن كثير، إمام أهل مكة في القراءات، وقراءة عاصم بن بهدلة أبي النجود في الكوفة، وعبدالله بن عامر في الشام، وأبو عمر بن العلاء في مكة والمدينة والبصرة، ونافع بن عبدالرحمن إمام أهل المدينة، وحمزة الزيات والقراءات الثلاثة الزائدة على السبع هي قراءة يعقوب وخلف وأبي جعفر ابن القعقاع وهي لا تخالف رسم المصحف وصارت القراءات عشر، طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة، بيروت، 1421هـ، ج2، ص41.

(2) عبدالعال سالم وأحمد مختار عمر: معجم القراءات القرآنية مع مقدمة من القراءات وأشهر القراء، مطبوعات جامعة الكويت، 1982م، ج1، ص73، 74.

(3) المرجع نفسه.

(4) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط البابي الحلبي، 1969م، ص635.

(5) صحيح البخاري: باب علم القرآن.

(6) ابن الجزري: منجد المقرئين، ص45.

(1) القند، ص545.

بن أحمد ابن محمد بن العباس بن إسماعيل بن أحمد المقرئ الهروي ساكن سمرقند (ت432هـ/1040م) كان من كبار القراء<sup>(1)</sup>.

كما يعد أبو نصر منصور بن محمد بن إبراهيم ابن هبة الله بن جرير السمرقندي المقرئ من أشهر قراء سمرقند (ت 450هـ/ 1058م) كان يعرف بالعراقي لكثرة مقامه بالعراق وسفره إليها، وكان من القراء المجودين، رحل في طلبها إلى العراق والحجاز وقرأ على مجموعة من شيوخها ورجع إلى بلاد ما وراء النهر وصنف التصانيف في القراءات، ومنها كتاب (الوقوف) وأيضاً الكتاب الذي رآه السمعاني ووصفه بأنه غاية في الإحسان وأورد فيه الروايات وذكر القراء مسبباً<sup>(2)</sup>. ومن القراء البارزين الشيخ أبو حفص عمر بن بانوش بن إسماعيل بن محمد ابن عطاء السمرقندي (ت 459هـ/ 1066م)<sup>(3)</sup> كما برز من مقرئ سمرقند أبو محمد عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله الغازي الكدكي (ت 471هـ/ 1078م) من أهل سمرقند صهر الإمام عمر القراء، روي عنه أبو حفص بن الأشعث القراء<sup>(4)</sup>.

ومن كبار القراء في إقليم الصغد أحمد بن علي بن محمد بن يحيى بن الفرج الهاشمي البصري الهباري (ت 483هـ/ 1090م) رحل في طلب القراءات إلى عديد من البلدان الإسلامية فدخل بغداد وقرأ بها ودخل دمشق، والعراق، وجال في خراسان وبلاد ما وراء النهر فدخل بخارى وسمرقند<sup>(1)</sup> ومنهم عبدالحميد بن منصور ابن محمد الأستاذ المقرئ المجود شيخ القراء بسمرقند (ت 486هـ/ 1093م)<sup>(2)</sup> وأيضاً أبوبكر أحمد بن عمر بن الأشعث السمرقندي المقرئ (ت489هـ/ 1095م) نزيل دمشق ثم بغداد، روي عنه عديد من القراء وكان يكتب المصاحف

(1) النسفي: القند، ص367.

(2) السمعاني: الأنساب، ج4، ص175، 176.

(3) السمعاني: المصدر نفسه، ص405.

(4) السمعاني: نفسه، ج5، ص38.

(1) النسفي: القند، ص334.

(2) السمعاني: الأنساب، ج4، ص176.

بخطه ومن حفظه، وكان محموداً متقناً ورعاً عارفاً بالروايات محققاً في الأخذ، وكان يكتب على طريقة الكوفيين<sup>(1)</sup>.

ويعد أبو نصر أحمد بن محمد بن المؤيد القلاس المقرئ (ت 493هـ / 1099م) نزيل سمرقند من أشهر القراء كان مقرئاً فاضلاً له مصنفات عديدة منها (تحف الأخبار في أقسام الأخبار) "وعدة السالكين وعمدة السائرين"، "والمنية في القراءات"<sup>(2)</sup> ومحمد بن أحمد ابن إسماعيل بن محمد ابن علي بن لقمان النسفي المقرئ (ت 494هـ / 1100م) نزيل كش وبخارى وسمرقند، وهو والد أبي حفص ابن عمر<sup>(3)</sup> وكان الشيخ أبو محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الحسن القطان السمرقندي (ت 497هـ / 1103م) من كبار القراء وكانت له حلقات مشهودة<sup>(4)</sup>. كما يعد محمد بن عمر بن عبدالعزيز أبوبكر الحنفي المقرئ البخاري (ت 535هـ / 1130م) ويعرف بكاك، من أشهر المقرئين في بخارى، سافر إلى البلاد وسمع بنيسابور وهمدان ثم عاد إلى نسف فسكنها مدة ثم قدم بغداد وحج وحدث بالحرمين الشريفين<sup>(5)</sup>.

وإسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي (ت 536هـ / 1142م) محدث حافظ مقرئ قرأ على أبيه<sup>(1)</sup> وعمر بن مظفر بن حفص المغازي البغدادي المقرئ والمحدث (ت 542هـ / 1147م) قرأ بالقراءات السبع، وكان من أهل العلم والفضل<sup>(2)</sup> وأبو الفتح عبد الملك بن عبدالله الكرخي الهروي (ت 548هـ / 1153م) شيخ صالح سديد السيرة، سكن بغداد مدة ثم

---

(1) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة السعادة، القاهرة، 1933م، ج1، ص92.

(2) الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د. ت، ج1، ص322-324.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج33، ص196.

(4) النسفي: القند، ص405.

(5) ابن الجزري: المنتظم، ج10، ص24؛ الصغدي: الوافي بالوفيات، ج4، ص243.

(1) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ج1، ص358.

(2) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج2، ص407.

رحل في طلب العلم وسمع القراءات فكان من أشهر القراء<sup>(1)</sup> كما كان شهاب الدين أبو أحمد محمد الخالدي الجبزي السمرقندي شيخ القراء بسمرقند قرأ بالروايات على والده وكان عارفاً بالمشهور والشاذ، روى عنه أبنة المقرئ شمس الدين<sup>(2)</sup>.

كما كان من كبار القراء بعد الغزو المغولي محمد بن الحسين بن الحسين بن محمد ابن إسحاق السمرقندي المقرئ (ت 631هـ / 1233م) القارئ بالتجويد، روى عن أحمد بن علي بن هبة الله المأمون<sup>(3)</sup>.

### قراء إقليم خوارزم:

ظهر علماء متخصصون بعلم القراءات في إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي، ولقد أمدتنا المصادر بذكر بعض أعلام خوارزم ممن اهتموا بالدراسات القرآنية عموماً والقراءات على وجه الخصوص، ولكن تلك الإشارات في تلك المصادر تخلو من تفصيلات أن فلاناً الخوارزمي كان مقرئاً أو مفسراً أو فقيهاً، وأحياناً نجد معلومات تفيدنا بأن بعض العلماء في خوارزم نشط في القراءات والتفسير والحديث والفقهاء وغيرها من العلوم دون أن يعطينا تفصيلاً يتبين من خلاله بروز أحد الجوانب على الآخر، مما يجعلنا نشير أحياناً إلى هذا العالم في أكثر من موقع في البحث، فنذكره مثلاً في مجال علم القرآن، ثم نشير إليه عند حديثنا عن الفقه مثلاً على اعتبار أن ذلك الشخص مقرئ وفقهه أو مقرئ ومفسر، أو مقرئ ومفسر وفقهه، وغير ذلك يقول المقدسي<sup>(1)</sup> عن مقرئ خوارزم: "وأقل إمام في القرآن لقينه إلا وله تلميذ خوارزمي قد تقدم وزجا، كما خصهم بصحة القراءة والذهن". ومن علماء خوارزم في

(1) عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر، وعصرة أهل العصر، تحقيق سامي مكي العائني، ط2، نشر مكتبة دار العروبة، الكويت، 1405هـ / 1985م، ج2، ص59.

(2) الذهبي: المشتهة في الرجال، تحقيق محمد علي الجبوي، القاهرة، 1962م، ج1، ص183؛ السمعاني: الأنساب، ج2، ص91.

(3) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج3، ص51؛ السمعاني: الأنساب، ج4، ص536.

(1) أحسن التقاسيم، ص227.

مجال القراءات خلال العصر السلجوقي، شيخ القراء أبو نصر محمد بن أحمد بن علي بن حامد الكركانجي (ت 484هـ / 1091م) كان إماماً في علوم القرآن والقراءات كثير التصانيف<sup>(1)</sup> ومن مصنفاته الحسنة كتاب (المغول) وكتاب (التذكرة لأهل البصرة)<sup>(2)</sup> وقال أن نصف القرآن في قوله تعالى: "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرًا"<sup>(3)</sup> النون والكاف في النصف الأول والراء والألف من النصف الثاني<sup>(4)</sup>.

ومن مقرئى خوارزم الذين كان لهم اهتمام بالقرآن الكريم وعلومه في العصر السلجوقي، عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي (ت 529هـ / 1134م)<sup>(5)</sup>. واهتم وزراء خوارزم في العصر الخوارزمي بالقرآن الكريم وعلومه، فكان الوزير شرف الدين فخر الدين علي الجندي وزير السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه (596-617هـ / 119-1220م) يتصف برقعة القلب وصفاء العقيدة والخشوع إلى الله عز وجل لدرجة أنه حينما كان يقرأ القرآن كانت دموعه تنهمر على خديه<sup>(6)</sup>. ومن مقرئى خوارزم في العصر الخوارزمي أبو محمد عبدالرحمن بن محمد الكركانجي وكان إماماً فاضلاً في القراءات وعلومها، حسن الأخذ والإقراء يقول السمعاني<sup>(1)</sup>: "لقبته ولم يتفق لي أن سمعت منه شيئاً يسيراً من الحديث فيما أظن وابنه أبوبكر محمد الكركانجي وكان شيخاً صالحاً وقرأ عليه السمعاني".

ومن علماء العصر الذين زاروا إقليم خوارزم، وانتشرت مؤلفاتهم في مختلف أنواع العلوم فخر الدين الرازي (ت 606هـ / 1209م) ومن مؤلفاته رسالة في التنبيه على بعض الأسرار

(1) ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص297؛ الذهبي: تهذيب، ج2، ج31، ص432.

(2) ياقوت: معجم الأديباء، ج5، ص157.

(3) سورة الكهف: الآية (74).

(4) ياقوت: معجم الأديباء، ج5، ص158.

(5) السيوطي: الإتقان، ج1، ص198.

(6) خواندمير: دستور الوزراء، ص311، 312.

(1) السمعاني: الأنساب، ج5، ص610.



المودعة في بعض سور القرآن العظيم، وكتاب إعجاز القرآن<sup>(1)</sup>. ومن المؤلفات العلمية في علوم القرآن أيضاً (مفتاح التنزيل)<sup>(2)</sup> وكتاب (التنبيه في إعجاز القرآن) لشيخ المشايخ محمد بن أبي القاسم بن بايجوك البقالي الخوارزمي (ت562هـ / 116م)<sup>(3)</sup> كما ألف فيما وقع في القرآن بغير لغة العرب، كتاب (تراجم الأعاجم) باللغة الفارسية أوله الحمد لله مانح الأعلق... الخ، ومختصر في تفسير مفردات القرآن على ترتيب السور<sup>(4)</sup>.

ولقد أسهمت هذه المؤلفات العلمية الخاصة بعلوم القرآن المختلفة في إثراء الحياة الفكرية

في إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي.

### قراء إقليم فرغانة:

اشتهر عدد كبير من قراء فرغانة الذين جابوا البلاد وصنفوا المصنفات في علم القراءات، وأخذ عنهم طلاب العلم ومنهم أبو نصر بن أحمد ابن إسماعيل الغزقي نسبة إلى قرية غزق بفرغانة (ت 465هـ / 1072م)<sup>(5)</sup> والذي صنف كتاب "الإشارات في القراءات العشر" والموجز في القراءات وكتاب "المنامات والرؤيا" وقد أسهم في تعميق دراسة القراءات في المساجد الفرغانية، بل امتد أثره إلى خراسان التي انتقل إليها، ومكث بها فترة طويلة فكان من المعمرين، وتفرد بأسانيد القراءات وعلت في وقته<sup>(1)</sup> ومنهم أيضاً أبو محمد البذخكثي الضحاك ولد بقرية بذخكث بفرغانة يوم عرفة سنة 435هـ / 1043م، وتوفي سنة 498هـ / 1104م، والذي أقام بسمرقند، وروى عن أبي حفص عمر البزار الحافظ، واستفاد من علمه حتى صار أبو محمد الضحاك ذا

(1) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص120.

(2) السيوطي: بغية الدعاة، ج1، ص215.

(3) إسماعيل باشا البغدادي: هداية العارفين، ج2، ص98.

(4) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص334.

(5) السمعاني: الأنساب، ج4، ص290؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص182.

(1) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج2، ص214.

مكانة عالية في علم القراءات<sup>(1)</sup>. ومنهم أبو حفص عمر بن طاهر الفرغاني الأندكاني، الصوفي، المقرئ، والذي ولد بأندكان بفراغانة عام 480هـ / 1087م، ورحل إلى بلدان كثيرة إلى أن توفي بقاسان إحدى قرى مرو بخراسان سنة 545هـ / 1150م<sup>(2)</sup> واتصف أبو حفص بالإصلاح والعلم، وإتقان القراءات جميعها، وكان مكثراً لتلاوة وقراءة القرآن الكريم، وتدرّس القراءات للطلبة سمع من أبي الرجاء الشاشي، وأبي الحسن الهراسي الواعظ، وغيرهم، وسمع ببخارى وتفرغ للخدمة المقامة على شط الرزيق بقرية كاشان من قرى مرو، والتدرّس لطلابها وتحفيظهم، كما عمل في أربطة الصوفية في كل مكان انتقل إليه، وأفاد الطلبة فيها، وظل يدرس إلى أن توفي بمرو<sup>(3)</sup>.

ومن أشهر قراء وعلماء فرغانة الإمام برهان الدين علي بن أبي بكر ابن عبدالجليل الفرغاني المرغيناني أبو الحسن<sup>(4)</sup>، الذي كان إماماً حافظاً، مقرئاً جامعاً للعلوم، متصفاً بالإتقان والتحقيق، درس على يد الأئمة المشهورين، وله مصنفات كثيرة في القراءات<sup>(5)</sup> أما شيخ قبا ومقرئها أبو عبدالرحمن يزيد القباوي المولود بقبا بفراغانة، وتوفي سنة 433هـ / 1041م وهو الذي عرف بشيخ قبا وتخرج على يديه طلاب قراءات متميزون<sup>(1)</sup> والمقرئ أبو الحسن علوية الكاغد الفرغاني (ت 435هـ / 1043م) الذي درس القراءات بسمرقند ونسف والدبوسية وغيرها من مدن الصغد<sup>(2)</sup> والمقرئ أبو الطيب طاهر بن جعفر المخزومي الأندكاني الذي توفي سنة 501هـ / 1107م تولى تدريس القراءات بمساجد أندكان، وأخذ عنه عدد كبير من الطلاب مع صحة

(1) السمعاني: الأنساب، ج5، ص602؛ عبدالله سعد: موسوعة علماء آسيا الوسطى، مهداة إلى مكتبة مبشر الطرازي بمركز الدراسات الشرقية، القاهرة، د. ت، ج5، ص636.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص261، 262.

(3) السمعاني: التجبير في المعجم الكبير، تحقيق منيرة ناجي سالم، ديوان الأوقاف، بغداد، 1975م، ج1، ص532، 533؛ ابن الأثير: اللباب، ج1، ص89.

(4) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج1، ص383، 384.

(5) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج4، ص228؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج2، ص47.

(1) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج2، ص29.

(2) النسفي: القند، ص134.

أسانيده ووثوقها<sup>(1)</sup> وممن أخذ وروى عنه ابنه أبو حفص سعيد الأندكاني الفرغاني (ت489هـ/1095م) الذي رحل إلى البصرة بعد أن أتقن القراءات على يد والده ودُرُس بالمدارس والمساجد بها وتخرج على يديه طلاب كثيرون<sup>(2)</sup>. والمقرئ أبو الطيب طاهر بن محمد بن جعفر بن عثمان الخواقندي، الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا خالد بن الوليد، وتوفي بسمرقند سنة 551هـ/1117م توطن سمرقند آخر حياته ودرس لطلاب فرغانة بخوقند أولاً ثم أكمل مسيرته العلمية بسمرقند، وقرأ على طلابها<sup>(3)</sup> والمقرئ الإمام أبو الربيع طاهر بن عبدالله المرغيناني الفرغاني الذي رحل إلى سمرقند عام 449هـ/1057م وأفاد طلابها<sup>(4)</sup>.

كما انتقل لفرغانة كثير من القراء الذين درسوا بها القراءات، وأفادوا الطلبة ولن تسعنا

الصفحات حول ذكرهم.

#### قراء إقليم أشروسنه:

ازدهر علم القراءات في إقليم أشروسنه كغيرها من أقاليم ما وراء النهر ومنهم أبو العباس أحمد بن عبدالله بن المفضل الحميري الساباطي نسبة إلى قرية ساباط بأشروسنه على نحو عشرين فرسخاً من سمرقند<sup>(1)</sup> كان يعلم القراءات في مساجد ساباط وغيرها من مدن أشروسنه<sup>(2)</sup> ومنهم أبو طلحة حكيم ابن نصر بن خالج بن جنديك الأشروسني (ت 429هـ/1037م) من أشهر قراء أشروسنه<sup>(3)</sup>.

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص399.

(2) السلمي: طبقات الصوفية، ص249.

(3) النسفي: القند، ص287.

(4) النسفي: المصدر نفسه، ص193.

(1) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص89.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص4.

(3) السمعي: الأنساب، ج2، ص107.

وأبو سهل أحمد بن يزيد الزامني نسبة إلى قرية زامين من قرى إقليم أشروسنه (ت433هـ/ 1041م وكان من أشهر القراء فيها إلى جانب روايته للحديث<sup>(1)</sup> وأبو حفص عمر بن بجير الخشوفغني (ت 436هـ/ 1044م) نسبة إلى قرية خشوفغن بأشروسنه التي كانت تعرف باسم (رأس القنطرة)<sup>(2)</sup> كان له مجلس إقراء في مساجدها وتعليم عدد كبير من الطلاب<sup>(3)</sup> وكان أبو حفص من العلماء الجوالين، ارتحل من خشوفغن واستقر حيناً بسمرقند حتى نسب إليها فقيل السمرقندي، وصفه الذهبي بأنه من أوعية العلم<sup>(4)</sup> ومنهم أيضاً أبو عبدالله القطواني (ت452هـ/ 1060م) المنسوب إلى قرية قطوان الأشروسنية كان من أشهر القراء والمحدثين<sup>(5)</sup>.

#### قراء إقليم الشاش:

أسهم إقليم الشاش كغيره من أقاليم ما وراء النهر في علم القراءات، فكان من أشهرهم أبو الفتح نصر بن الحسن بن القاسم التركي الشاشي التتكتي ولد سنة 406هـ/ 1015م وسمع على كبر من أبي الحسن الطفال بمصر ومن أبي الحسين الفارسي في نيسابور، الذي ساعده على ذلك أنه كان تاجراً وكثرت أمواله وكانت له مصنفات في علم القراءات<sup>(6)</sup>. ومنهم محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الإمام أبوبكر الشاشي الشافعي من فقهاء الشافعية الذين اشتغلوا بالتدريس والقراءات ودرس بالنظامية عام 504هـ/ 1110م<sup>(1)</sup>. ومنهم المؤمل بن مسرور بن أبي سهل الشاشي الرجاء ينسب إلى قرية خمرك من بلاد الشاش، وكان من الصالحين وأرباب العبادات

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص176.

(2) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص122.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص923.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص923.

(5) السمعي: الأنساب، ج1، ص267.

(6) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص532.

(1) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص343.

والمجاهدات (ت 517هـ / 1123م)<sup>(1)</sup> ولو تتبعنا كتب التراجم والأنساب والطبقات لرصد علماء القراءات في إقليم ما وراء النهر ما سعتنا صفحات البحث واكتفيت بذكر ما ذكرت فقط دليلاً ومثلاً على النهضة العلمية في هذا الإقليم في العصرين السلجوقي والخوارزمي.

والملاحظ أن الرحلة كانت عاملاً قوياً في إثراء علوم هؤلاء القراء حيث تنقل هؤلاء من الإقليم إلى خارجه أو داخله، ولم يمنعهم سن أو مرض من التوقف عن الإنتاج العلمي.

### علم التفسير<sup>(2)</sup>:

من أهم العلوم النقلية التي شغلت اهتمام العلماء المسلمين في كثير من البلدان الإسلامية لأنها تتعلق بالقرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ باللغة العربية، وبأساليبها البلاغية<sup>(3)</sup> فكان العرب يفهمونه، ويعلمون معانيه ومفرداته، وتراكيبه، ولكن الإسلام لم يقتصر على العرب فقط، بل هو دين عالمي، فلم يكن بوسع جميع الأقاليم غير العربية فهمه بسهولة، بل إن العرب أنفسهم لم يكن بوسعهم جميعاً فهم المقصد من كل الآيات دون تفسير<sup>(4)</sup> ومن ثم أصبح علم التفسير ضرورة لا غنى عنها، فهو من أشرف العلوم، وأرفعها منزلة لأن موضوعه هو كتاب الله العزيز ومقصده هو فهم آياته<sup>(1)</sup> فهو أولى العلوم بالتفصيل على الاستحقاق وأرفعها قدراً بالاتفاق علم التفسير لكلام القوي القدير<sup>(2)</sup> والتفسير لغة مأخوذ من فسّر وهو البيان والكشف

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص221.

(2) هو العلم الذي يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية على مقتضى القانون العربي، فهو الذي يعرف به أسباب نزول الآيات، وشؤونها، وأقصاها وأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيا ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها وخاصها وعمامها ومطلقها ومقيدها، ومجملها، ومفسرها، وحلالها وحرامها..، لمزيد من التفاصيل، ينظر، التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبدالبديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972م، ج1، ص24.

(3) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت، ج1، ص13.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ص391.

(1) الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1996م، ج2، ص4.

(2) الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، راجعه يوسف الغوش، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1996م، ج1، ص13.

فالتفسير بمعنى الإيضاح والتبيين<sup>(1)</sup> ومنه قوله تعالى: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"<sup>(2)</sup> أي تبيناً وإيضاحاً فالمراد بالتفسير بيان معاني القرآن الكريم وألفاظه<sup>(3)</sup> والغرض منه معرفة معاني آيات القرآن الكريم وفائدة حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية، وموضوعه كلام الله تعالى الذي هو منبع كل كلمة ومعدن كل فضيلة، وغايته التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه لينال به السعادة الدنيوية والأخروية<sup>(4)</sup>.

ومن أشهر المفسرين بإقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي عمر بن محمد بن عبدالله بن نصر البسطامي البلخي (ت475هـ/1082م) رحل في طلب العلم إلى مرو وهراة وسمرقند، وكان حسن الخلق، ظريف الجملة والتفصيل، قال السمعاني<sup>(5)</sup> "حدثنا عن مشايخنا".

ومن المفسرين البارزين الشيخ أبو محمد بن أحمد بن عمر بن عبدالله بن محمد الهروي (ت481هـ/1088م) المعروف بـ (بيهرري) أي صاحب التفسير سكن الكشانية إحدى مدن إقليم ما وراء النهر وأشتغل بالتفسير في مساجدها<sup>(1)</sup> وعلي بن محمد بن عبدالكريم بن موسى البزدوي (ت482هـ/1089م) نسبة إلى قرية بزدوي إحدى قرى بخارى، الإمام الكبير الجامع بين أشنات

(1) محمد أبو النور الحديدي صقر: التفسير المأثور ومناهج المفسرين فيه، مكة المكرمة، 1983م، ص11.

(2) سورة الفرقان: الآية 33.

(3) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرين، القاهرة، 1961م، ط، ص13، 14.

(4) محمد راغب الطباخ: الثقافة الإسلامية، حلب، 1950م، ص91؛ وقد تعددت أنواع التفاسير، فقد كان التفسير يتناقل بطريق الرواية، فالصحابية يروون عن رسول الله ﷺ كما يروي بعضهم عن بعض، والتابعون يروون عن الصحابة كما يروي بعضهم عن بعض وهذه هي الخطوة الأولى في التفسير، ثم ارتبط التفسير بالحديث، وعرف المسلمون أنواعاً منها التفسير بالمأثور الذي يعد أفضل أنواع التفسير وهو بيان معنى القرآن الكريم بما جاء في القرآن نفسه وبما جاء في السنة الصحيحة وبما نقل عن الصحابة والتابعين، واقتصر أصحاب التفسير المأثور بالمأثور في تفاسيرهم على مجرد الرواية ثم التفسير بالرأي هو تفسير القرآن بالاجتهاد، ثم التفسير الأشاري وتفسير الفرق الإسلامية المختلفة حيث تناولت كل طائفة كتاب الله تفسيراً بما ارتضته لنفسها، والتفسير الإشاري يعني الصوفي والشيعي، ثم التفسير العلمي وهو نوع من التفسير يحاول أصحابه الربط بين الدلالات القرآنية ومستحدثات العلوم، للمزيد، ينظر، محمد أنور الحديدي: التفسير بالمأثور، ص29؛ محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ط، ص25.

(5) الأنساب، ج1، ص352.

(1) النسفي: القند، ص483.

العلوم نزيل سمرقند له تصانيف كثيرة منها كتاب في تفسير القرآن يقال إنه مائة وعشرون جزء كل جزء في حجم مصحف<sup>(1)</sup>.

وبعد الإمام أبو محمد بن محمد بن أيوب القطواني الأثروسي (ت 506هـ / 1112م) من أشهر علماء التفسير، كان مفسراً مشهوراً ورد سمرقند وبخارى ويقال: إنه سقط عن دابته بعدما انصرف من صلاة الجمعة فاندقت عنقه ومات، وخلف أولاداً رأى أحدهم السمعاني<sup>(2)</sup> ومن كبار المفسرين أبو محمد أحمد ابن يعقوب بن أحمد بن إبراهيم ابن يوسف الروزياري (ت 526هـ / 1131م)، نسبة إلى قرية روزبار التابعة لسمرقند، وكان إماماً مفسراً بارعاً وتلميذ الشيخ الهروي المفسر روي تفسيره عنه روى عنه أبو الحسن الماتريدي<sup>(3)</sup>. كما كان نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي السمرقندي (ت 537هـ / 1142م) من أشهر المفسرين صنف في كل العلوم، ومن أجل مصنفاة ما صنفه في التفسير ومنه "التيسير في التفسير" ذكر في إحدى خطبه مائة اسم من أسماء القرآن، ثم عرف التفسير والتأويل وفسر الآيات بالقول وبسط في معناها كل البسط، كما صنف "الأكمل الأطول في التفسير"<sup>(4)</sup>.

ومن أئمة التفسير الكبار علاء الدين أبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسين ابن حمزة الأسمندي السمرقندي (ت 552هـ / 1157م) كان يملئ التفسير ويعلمه<sup>(1)</sup>. ومن كبار المفسرين بإقليم الصغد إبراهيم بن يعقوب بن أبي نصر بن أبي النضر ابن مدوسة الكاشاني (ت 553هـ / 1158م) سكن سمرقند، وتولى خطاباتها نيابة عن محمود ابن أحمد الساعزي الملقب بشيخ الإسلام، وكان إماماً بمسجد بكاشان إحدى مدن سمرقند، وكان حسن السيرة، سمع بالكشانية عن

(1) الزركشي: البرهان، ص 201.

(2) الأنساب، ج 4، ص 526.

(3) السمعاني: الأنساب، ج 3، ص 101.

(4) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج 4، ص 115؛ الداوودي: طبقات المفسرين، تحقيق محمد علي عمر، القاهرة، 1972م، ج 2، ص 177.

(1) السيوطي: طبقات المفسرين، طهران، 1960م، ص 35؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج 3، ص 49.

أبيه<sup>(1)</sup> كما كان أبو المحامد محمود بن أحمد بن الفرغ الساعزجي السمرقندي (ت 555هـ/

160م) نسبة إلى مدينة ساعزج البخارية كان إماماً فاضلاً، مفسراً عالماً<sup>(2)</sup>.

ومن أئمة علماء التفسير أبو القاسم محمد بن يوسف بن محمد العلوي الحسيني السمرقندي (ت 556هـ/ 1161م) حج، وأقام في أثناء عودته ببغداد مدة، ومات بسمرقند وقيل قتل صبراً، وكان شديد النقد للعلماء والأئمة<sup>(3)</sup> وشيخ الإسلام للإمام برهان الدين أبو الحسن علي ابن أبي بكر ابن عبدالجليل الفرغاني المرغيناني (ت 593هـ/ 1196م) نزيل سمرقند، كان جامعاً للعلوم ضابطاً للفنون، صنف في التفسير<sup>(4)</sup> ومن بينهم شمس الدين محمد السمرقندي (ت 600هـ/ 1203م) صنف كتاباً في التفسير ومات قبل أن يتمه، فأتمه الشيخ أحمد بن محمود الفرغاني الأصم (ت 971هـ/ 1563م)<sup>(5)</sup> ومحمد بن عثمان بن محمد بن حسام الدين العليا بادي السمرقندي (ت 628هـ/ 1230م) كان من أشهر علماء التفسير في سمرقند له مصنفات قيمة منها (مطلع المعاني، ومنبع المباني في تفسير القرآن في مجلدات)<sup>(6)</sup>.

وكان أبوبكر محمد بن علي بن حيدر الجعفري نسبة إلى سيدنا جعفر بن أبي طالب ﷺ من المفسرين ببخارى روي عنه عمرو بن عثمان بن علي البيكندري ببخارى سمع منه السمعاني (ت 559هـ/ 1163م)<sup>(1)</sup> والمفسر محمد بن أحمد ابن محمد البخاري الجنبزي نسبة إلى قرية جنبذ إحدى قرى بخارى، كانت له تصانيف كثيرة في التفسير<sup>(2)</sup>.

---

(1) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضيئة، ج3، ص116، 117.

(2) الداوودي: طبقات المفسرين، ج2، ص309.

(3) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضيئة، ج3، ص409؛ الزركلي: الأعلام، ج7، ص149.

(4) برهان الدين المرغيناني: الهداية شرح بداية المبتدي، تحقيق محمد تامر وحافظ عاشور، القاهرة، 2000م، ج1، ص8.

(5) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص274.

(6) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج3، ص483.

(1) السمعاني: الأنساب، ج2، ص93، 94.

(2) السمعاني: المصدر نفسه، ص119.



ومن مفسري إقليم فرغانة البارزين أبو عمران موسى الخجندي (ت 460هـ / 1067م) كان له مكتب تدريس في سمرقند، ورحل إليه طلبة العلم من الشاش وبخارى وسمرقند، ومن تلاميذه أبو سعد الإدريسي صاحب كتاب "تاريخ سمرقند" الذي كان من أبرز تلاميذه<sup>(1)</sup> ومن مفسري فرغانة أيضاً أسعد بن إسحاق بن أميرك المرغيناني المفسر، والإمام الجامع للعلوم برهان الدين المرغيناني السابق ذكره، الذي كان محققاً من المجتهدين<sup>(2)</sup> أما الإمام محمد بن الحسين بن الحسين الأزدي (ت 559هـ / 1164م) فكان من أكابر علماء التفسير، وله من الكتب كتاب "قيد الأوابد" في أكثر من أربعمئة مجلد، رحل إلى العراق والشام وخراسان ثم أقام بمرو، ودرس بمساجدها<sup>(3)</sup> ومنهم أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني الذي أخذ العلم على يد مفسري فرغانة، ومن أهم مؤلفاته "جامع التأويل في التفسير"<sup>(4)</sup>. ومن مفسري فاراب وهي من قرى نهر سيحون<sup>(5)</sup> أبو الفضل صديق بن سعيد الصوناجي الفارابي سمع بسمرقند محمد بن نصر المروزي وسمع ببخارى صالح ابن محمد بن جزرة، ومات بفاراب بعد سنة 535هـ / 1140م<sup>(6)</sup>.

ومن مفسري طخارستان وهي ناحية كبيرة مشتملة على بلدان وراء نهر بلخ أعلى نهر جيحون<sup>(1)</sup> خرج منها جماعة من الفضلاء والعلماء في كل فن، ومنه عالم التفسير أبو حاتم صالح الطخارستاني (ت 499هـ / 1105م)<sup>(2)</sup> وكان أبو محمد بكر ابن مسعود ابن الحسن بن الزراد الصغدني الفرنكدي<sup>(3)</sup> من أفاضل المفسرين، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفي

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص398؛ عبدالله سعد: موسوعة علماء آسيا الوسطى، ج2، ص188.

(2) السمعياني: الأنساب، ج5، ص260.

(3) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص489.

(4) الزركلي: الأعلام، ج6، ص50.

(5) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص314.

(6) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص19.

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص151.

(2) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص36.

(3) فرنك: قرية من قرى صغد سمرقند، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص482.

(ت 527هـ / 1134م)<sup>(1)</sup> وأبو إسحاق إبراهيم ابن نوح ابن كارك الفغانديزي نسبة إلى قرية فغانديزة من أعمال بخارى (ت 501هـ / 1107م)<sup>(2)</sup> ومن مفسري كاشغر أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف المشهدي الكاجغري<sup>(3)</sup> روى عنه أبو الفتوح عبدالغافر بن الحسين الألمعي الكاجغري (ت 584هـ / 1184م)<sup>(4)</sup> ومن مفسري نخشب أبو نصر أحمد بن الشيخ بن حمويه ابن زهير الكاساني الفقيه الشافعي، كان أديباً فاضلاً ومفسراً مناظراً، له تصانيف التفسير<sup>(5)</sup>.

وأسهمت قرى إقليم ما وراء في إمدادنا بعدد من المفسرين رصدتهم كتب الأنساب والتراجم والطبقات ومنهم أبو الفضل عزيز بن سليم بن منصور البزدي<sup>(6)</sup> والمفسر أبو طاهر حمزة بن محمد بن أسد البزغامي<sup>(7)</sup> توفي شهر رمضان 432هـ / 1040م<sup>(8)</sup> ومنهم إسماعيل بن يعقوب المقرئ والمفسر الدجاكتي مات 482هـ / 1089م، ومحمد بن أحمد ابن أبي القاسم بن إسحاق بن أحمد بن أبي بكر اللؤلؤي المعروف بالفقيه السونجي<sup>(1)</sup> اشتغل بعلم التفسير في مساجد قريته مات 553هـ / 1158م<sup>(2)</sup> وأبو إسحاق إبراهيم بن أبي القاسم أحمد بن حفص البيودي كان شيخاً زاهداً مفسراً في أربطه قريته يوزي التابعة لنسف<sup>(3)</sup>.

- 
- (1) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص140.  
(2) ابن الأثير: المصدر نفسه، ص147.  
(3) كاجغر: إحدى قرى كاشغر فيما وراء النهر، ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص174.  
(4) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص205.  
(5) ابن الأثير: المصدر نفسه، ص207؛ وكاش إحدى قرى نخشب في إقليم الصغد.  
(6) بزدة: بفتح الباء المنقولة بواحدة وسكون الزاي آخرها الدال المهملة، نسبة إلى بزدة من أعمال نسف من بلاد ما وراء النهر، ابن الأثير: اللباب، ج1، ص105.  
(7) بزغام: بضم الباء الموحدة وسكون الزاي وفتح الغين المعجمة، وفي آخرها الميم قرية من قرى نسف، ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص533.  
(8) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص105، 106.  
(1) دجاكن: بضم الدال المهملة وفتح الجيم قرية من قرى نسف، ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص497.  
(2) السمعاني: الأنساب، ج3، ص212.  
(3) سونج: قرية كبيرة من قرى نسف، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص23.

ومن مفسري قرى إقليم الشاش أبو جعفر التونكي نسبة إلى قرية تونكت من قرى الشاش<sup>(1)</sup> وأبو زكريا يحيى بن أحمد المفسر البارابي<sup>(2)</sup> ومن مفسري قرى طخارستان يعقوب بن عبد الرحمن عبد القادري الاسكندي<sup>(3)</sup> كانت له مجالس للتفسير<sup>(4)</sup> والإمام المفسر أبي بكر عباس البذخشاني<sup>(5)</sup> وأبو شعيب صالح ابن منصور بن نصر الجراح الدارزنجي الصغاني<sup>(6)</sup>.

ومن مفسري خوارزم ظهر في إقليم خوارزم عديد من مصنفى التفسير العقلي الذي يرجع إلى اللسان في معرفة البلاغة واللغة في تأدية المعنى بحسن مقاصد الأساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد، ومن أحسن ما اشتمل عليه في هذا الفن في إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي تفسير الكاشف للزمخشري المعتزلي المتوفى 538هـ/ 1143م<sup>(7)</sup>.

ويظهر أن تفسير القرآن الكريم كان في كل عصر من العصور متأثراً بالحركة العلمية فيه، وصورة منعكسة لما في هذا العصر من آراء ونظريات علمية ومذاهب دينية<sup>(8)</sup>.

ولذلك كان التفسير العقلي ملائماً لإقليم خوارزم وخاصة في العصرين السلجوقي والخوارزمي، حيث شهد العصر السلجوقي دخول مذهب المعتزلة في إقليم خوارزم عن طريق أبي جعفر محمود بن جرير الضبي ت 507هـ/ 1113م<sup>(1)</sup>.

(1) السمعاني: الأنساب، ج7، ص33.

(2) بآراب: بفتح الباء الموحدة والراء بين الألفين وفي آخرها الباء الأخرى وقد تبدل الباب فيقال فاراب وهي ناحية فيما وراء نهر سيحون، ابن الأثير: اللباب، ج1، ص76.

(3) أسكندي: قرية صغيرة من مدن طخارستان وهي كثيرة الخير وقد تسقط الألف فيقال سكند، ابن الأثير: اللباب، ج1، ص43.

(4) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص231.

(5) بذخشان: بفتح الباء الموحدة والذال وسكون الخاء، وفتح الشين المعجمة وفي آخرها النون، أعلى طخارستان وهي متاخمة لبلاد الترك، ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص451.

(6) الدارزنج: بفتح الدال وسكون الألف، وفتح الراء وسكون النون وبعدها جيم، وهي من قرى الصغانيين.

(7) ابن خلدون: المقدمة، ص394؛ الزركلي: الأعلام، ج8، ص55.

(8) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص487.

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج9، ص487.

ويشهد الرقي الفكري بخوارزم أن المذهب المعتزلي المعتمد على العقل والفكر انتشر بها منذ القرى الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي<sup>(1)</sup> حيث انتشر المذهب المعتزلي في إقليم خوارزم وسار الزمخشري على مذهب أستاذه أبي نصر<sup>(2)</sup> وألف تفسيره الكاشف عن حقائق التنزيل وفرغ من تأليفه يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول عام 528هـ / 1133م قال في خطبته: "إن أملاً العلوم بما يغمر القرائح علم التفسير"<sup>(3)</sup> ويقول ابن خلكان<sup>(4)</sup> صنف الزمخشري التصانيف البديعة، منها (الكشاف) في تفسير القرآن العزيز، لم يصنف قبله مثله، وانتشرت كتب التفاسير في إقليم خوارزم خلال العصر السلجوقي، أشهرها تفسير الخوارزمي لأبي الحسن علي بن عراق الخوارزمي (ت 539هـ / 1144م) سماه (شماريخ الدرر في تفسير القرآن)<sup>(5)</sup>. ومن أصحاب الزمخشري، المفسرين، حجة الأفاضل، علي بن محمد ابن عمران العمراني الخوارزمي ت 560هـ / 1164م، وله كتاب في (تفسير القرآن)<sup>(6)</sup>.

ومن تلاميذ الزمخشري والمفسرين أيضاً: محمد بن أبي طالب القاسم ابن بايجوك، زين شماريخ أبو الفضل الخوارزمي، الملقب الأدمي، أخذ عن الزمخشري وخلفه في حلقاته، وصنف تفسير القرآن، توفي 562هـ / 1166م<sup>(1)</sup>.

كما ألف أصحاب مذاهب الإمام أبي حنيفة النعمان كتباً في تفسير القرآن، وكذلك كان لأصحاب مذهب الإمام الشافعي نصيب من تفسير القرآن في العصر الخوارزمي، ومنهم المفسر نجم الدين أحمد بن عمر بن عبدالله المعروف بالشيخ نجم الدين الكبري الشافعي

(1) بارتولد: تاريخ الترك، ص145.

(2) مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص28.

(3) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص1475.

(4) وفيات الأعيان، ج5، ص168.

(5) ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ج4، ص185.

(6) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص446.

(1) الأوندوي: طبقات المفسرين، ص195.

(ت618هـ / 1221م)، وله في تفسير القرآن الكريم اثني عشر مجلداً<sup>(1)</sup>. وآخر المفسرين والذين عاش فترة بعد الغزو المغولي، محمد بن أحمد الخوارزمي الشافعي، العالم الفاضل والمحقق جمال الدين، صنف "ملتقط المعالم في التفسير" وهو مؤلف جليل القدر والشأن ينقل عنه المفسرون ويعدونه، وكانت وفاته 635هـ / 1637م<sup>(2)</sup>.

ولقد أسهم المفسرون من خلال تصنيف التفاسير وفقاً لمذهبهم في زيادة النشاط الفكري في إقليم خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي. مجمل القول أزدانت مدن وقرى إقليم ما وراء النهر بعيد من علماء التفسير البارزين الذين أسدوا للحضارة الإسلامية مؤلفات جليلة إلى جانب ازدهار علم التفسير في أرجاء العالم الإسلامي وأثرت المكتبة الإسلامية بمصنفاتهم، وكانت معظم التفاسير التي وجدت في مدن إقليم ما وراء النهر تنتمي إلى التفسير المأثور، ولا غرو في ذلك لأن أصحاب هذه التفاسير كانوا من المحدثين الذين التزموا بالسند والرواية<sup>(3)</sup> وتركز على تفسيراتهم معرفة أسباب النزول، وشؤونها وأقاصيصها، ومنسوخها، وخاصها، وعامها، وقامت تفسيراتهم لخدمة آرائهم الفقهية في معظم الأحيان<sup>(1)</sup>.

#### • علم الحديث<sup>(2)</sup>:

هو العلم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصفه خلقية أو خلقية نقلاً دقيقاً محرراً، فموضوع علم الحديث رواية "أقوال الرسول ﷺ" وأفعاله

(1) الداوودي: طبقات المفسرين، ج1، ص59.

(2) الأذنه وي: طبقات المفسرين، ص229.

(3) مرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص203.

(1) محمد عبدالعظيم: تاريخ المسلمين، ص244.

(2) الحديث في اللغة يطلق على الجديد، ضد القديم، ويطلق على الخبر والقصص، وعند إطلاق لفظ الحديث ينصرف الكلام إلى أحاديث الرسول ﷺ وهو ما نقل عنه من قول أو فعل أو تقرير والجمع أحاديث وهو شاذ على غير قياس، وقوله تعالى (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) الآية (11) سورة الضحى، أي بلغ ما أرسلت به، فالحديث والخبر في اللغة مترادفان، وأطلق علماء الحديث على علم الحديث اسم مصطلح الحديث وأصول الحديث، وكلها أسماء لمسمى واحد، ينظر، محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، بيروت، 1967م، ص7.

وتقريراته وصفاته، من حيث نقلها نقلاً دقيقاً فهو يتناول ضبط كل حديث<sup>(1)</sup> وذلك بالبحث عن إسناد الحديث، وفحص أحوال الرواة<sup>(2)</sup>.

وتمكن علماء المسلمين من تقسيم الأحاديث بحسب متونها من ناحية، وبحسب أسانيدھا من ناحية أخرى فقسمت الأحاديث إلى حديث صحيح، وحسن، وضعيف<sup>(3)</sup> وبعده أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت(279هـ / 892م) أول من قسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف<sup>(4)</sup>. والحديث هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، ويأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم، يقول السمعاني<sup>(5)</sup> (علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، إذ الأحكام مبنية عليها، ومستنبطة منها والله سبحانه وتعالى شرف رسولنا الكريم عليه السلام حيث يقول: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ"<sup>(1)</sup> ويقول عز وجل "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ" <sup>(2)</sup> ويقول عز من قال: "مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا"<sup>(3)</sup>.

وقد عني الصحابة رضوان الله عليهم بأحاديث الرسول ﷺ الذين سمعوا الرسول ﷺ فهم الجيل الأول من المحدثين، وكانوا يدققون في نقل الأخبار وقبولها وعمل بذلك التابعون، وحرصوا على التحقق من صدق الناقل لها، ولذلك ظهر علم الأسناد<sup>(4)</sup> وقيمته في قبول الأخبار<sup>(5)</sup>. ولأن

(1) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث، ص7.

(2) السمعاني: أدب الإملاء، ص172.

(3) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث، ص7.

(4) ابن تيمية: علم الحديث، تحقيق موسى محمد علي، بيروت، 1984م، ص81.

(5) أدب الإملاء، ص3.

(1) سورة النجم: الآية 4.

(2) سورة الحشر: الآية 7.

(3) سورة النساء: الآية 80.

(4) الأسناد: رواية الثقة عن الثقة، والعدل عن العدل، وصفات المسند إليه كثيرة عددها السمعاني بخمسين صفة، راجع السمعاني:

أدب الإملاء، ص30-57.

(5) محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث، ط9، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1996م، ص9.

الرسول ﷺ هو قديمتنا، فلا بد أن تكون ألفاظه وأفعاله وتقديراته، وأخباره منقولة صحيحة السند<sup>(1)</sup> بعيدة عن الأحاديث الموضوعة<sup>(2)</sup> التي بدأت تظهر في إقليم ما وراء النهر كغيره من أقاليم العالم الإسلامي خاصة بعد ازدياد شوكة الشيعة، الذين وضعوا أحاديث باطلة منسوبة للنبي ﷺ لتشويه بعض الصحابة رضي الله عنهم، والتطاول عليهم، مما استلزم التصدي لهم بشكل علمي مدروس فظهرت الحاجة إلى الإسناد أولاً ثم التاريخ والأنساب، والطبقات للتوفيق بين الأسانيد والتعريف برجالها والتأكد من صدقهم، إلى أن تطور الحال لظهور علم الحديث<sup>(3)</sup>. وهنا تتجلى نظرية أخرى، وهي إنعكاس الأحوال السياسية على العلوم الدينية لصالح القوى الاجتماعية المتصارعة، وجرى تكريس السنة وتوظيفها في الصراع الاجتماعي، فوضعت أحاديث ترجع أحقية البيت العلوي في الخلافة، وأخرى تفضل بعض الشعوب والقبائل، وجميعها تعكس الصراع الحقيقي حول مشكلة الإمامة التي تفجرت خلالها التناقضات الاقتصادية والاجتماعية<sup>(4)</sup>.

ولهذا أعتني المسلمون عناية عظيمة بما وضعوا من قوانين لتوضيح المعل من السليم، والضعيف من الصحيح والموقوف من المرفوع والمقبول من المردود، فعليه يقوم استنباط الأحكام من السنة الطاهرة وبواسطته يتم حسن الاقتداء بالرسول ﷺ<sup>(2)</sup> ولهذا كانت الرحلة في طلب الحديث من أطول الرحلات العلمية عند المسلمين<sup>(3)</sup>.

(1) السمعاني: أدب الإملاء، ص5.

(2) هي الأحاديث التي تباين العقول، وتخالف المنقول، وتتناقض الأصوات، أي تكون خارجة عن دواوين الإسلام في الأسانيد، والكتب المشهورة، والتأكد من ذلك بالشواهد، فهي أحاديث موضوعة غير صحيحة لا تنسب إلى الرسول ﷺ، محمد نجيب المطيعي: تبسيط علوم الحديث وأدب الرواية، مطبعة حسان، القاهرة، د. ت، ص29.

(3) تضم علوم الحديث المصطلح، ومعرفة دقة الرواة، والوصول إلى الإسناد العالي الصحيح، والتعريف بالكذابين، والمتروكين والضعفاء، والمجروحين، وصاحب تطور علم الحديث علم الرجال الناسخ والمنسوخ، والإسناد، وتعد الحديث وتصحيح أمهات الكتب المكتوبة وضبطها عن مصنفها، وذلك اقتداء بحديث الرسول ﷺ من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ينظر، السمعاني: أدب الإملاء، ص146؛ رشاد معنوق: الحياة العلمية، ص290.

(1) محمود إسماعيل عبدالرازق: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج1، ص138، 139.

(2) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث، ص9.

(3) ماجد إسلام النيكاتي: الرحلة، ص19.

## وصنف المشتغلون بعلوم الحديث ومن حفظهم من إتقانهم إلى:

**طالب الحديث:** وهو من شرع في طلب الحديث، المسند، هو من يروي الحديث لسنده سواء أكان عنده علم به أو ليس له إلا الرواية المجردة، **والمحدث:** وهو من يشتغل بعلم الحديث راوية ودارية ويعرف بالأسانيد أو العلل وأسماء الرجال، ويعرف علومه واصطلاحات أهله والمؤتلف والمختلف من رواته ويحفظ كثيراً من المتون<sup>(1)</sup> **والحافظ:** وهو أرفع درجة من المحدث بحيث يكون ما يعرفه في كل طبقة أكثر مما يجهله، ويحيط بما أجمع عليه العلماء وما اختلفوا فيه، وهذه الرتبة لا تطلق إلا على من تبحر في هذا العلم وأوتي سعه وبسطة في معرفته وتفهمه والوقوف على دقائقه حتى ذكر الخطيب البغدادي<sup>(2)</sup> "أنه أعلى صفات المحدثين، وأسمى درجات الناقلين، من وجدت فيه قبلت أقاويله، وسلم له تصحيح الحديث وتعليه، غير أن المستحقين لها يقل معدودهم، ويعز بل يتفرد وجودهم".

**ثم الحاكم:** وهو من أحاط بجميع الأحاديث المروية متناً وإسناداً وجرحاً وتعديلاً وتاريخاً<sup>(1)</sup> ثم أمير المؤمنين في الحديث وهو يطلق على من اشتهر في عصره بالحفظ والدراية حتى أصبح من أعلام عصره وأئمة<sup>(2)</sup>.

ولم تخل مدينة ولا قرية من مدن وقرى إقليم ما وراء النهر من ذكر محدث، أو أكثر والذين لا يحصى عددهم والذين أفنوا أعمارهم في جمعه وتصنيفه وضبطه وتنقيحه فخدموا العلم بجدهم وصبرهم على البحث ومنهم:

---

(1) السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1966م، ج1، ص43؛ محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث، ص17.

(2) تاريخ بغداد، ج9، ص331.

(1) الطحان: تيسير مصطلح الحديث، ص17.

(2) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث، ص447.



## محدثو إقليم خوارزم:

برز عدد كبير من محدثي خوارزم في العصرين السلجوقي والخوارزمي، ففي العصر السلجوقي، المحدث الحافظ عبدالغافر بن إسماعيل بن أبي الحسين عبدالغافر بن محمد الفارسي ثم النيسابوري، كان من أعيان المحدثين، ولقد صنف في علم الحديث كتاب (المفهم لشرح مسلم)<sup>(1)</sup> وصار إماماً في الحديث، وخرج من نيسابور إلى إقليم خوارزم، ثم رجع إلى نيسابور وولي الخطابة بها، وكانت ولادته سنة 451هـ / 1059م، وتوفي سنة 529هـ / 1134م بنيسابور رحمه الله تعالى<sup>(2)</sup>.

ومن محدثي الفترة الذين زاروا خوارزم، أبو العلاء الخطيب، صاعد بن منصور ابن إسماعيل بن صاعد، من أهل نيسابور سمع الحديث الكثير، وولي قضاء خوارزم وأملى الحديث وتوفي سنة 506هـ / 1112م<sup>(3)</sup>.

ومن محدثي خوارزم في العصر السلجوقي أيضاً الإمام الجليل الحافظ أبوبكر البيهقي إسماعيل بن أحمد بن الحسين الخسروجردي سمع من عبدالغافر بن محمد الفارسي، تفقه على أبيه وتخرج به في الحديث، وسافر كثيراً ودخل إقليم خوارزم فسكن به مدة وولي الخطابة، والتدريس للشافعية، ثم سافر إلى مدينة بلخ، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى بيهق، بعدما غاب عنها نحو ثلاثين سنة، وتوفي بها في جمادي الآخر سنة 507هـ / 1113م<sup>(1)</sup>.

ومن محدثي خوارزم أيضاً الحافظ البارع أبو سعد عبدالكريم ابن الحافظ أبوبكر محمد بن العلامة المجتهد منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد بن جعفر التميمي السمعاني المروزي (ت 562هـ / 1166م) صاحب التصانيف ولد في شعبان سنة 506هـ / 1112م، وحمله والده

(1) الذهبي: تذكرة الحفاظ، تصحيح عبدالرحمن المعلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج4، ص1275.

(2) ابن الصلاح: المقدمة، ص79.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص225.

(1) السبكي: طبقات الشافعية، ج7، ص44.

إلى نيسابور في آخر سنة 509هـ / 1115م، فمات أبوه وتربى مع أعمامه وأهله وحفظ القرآن والفقہ ثم حبب إليه هذا الشأن<sup>(1)</sup> وعني بالحديث والسماع، واتسعت رحلته، فعمت بلاد خراسان وما وراء النهر وإقليم خوارزم وألقى الحديث فيه<sup>(2)</sup>.

ومنهم محمود بن محمد العباسي بن أرسلان أبو محمد الخوارزمي (ت 568هـ / 1172م) الذي كان فقيهاً محدثاً صاحب كتاب (الكافي) وسمع الحديث من مشايخه كأبي بكر السمعاني يقول السبكي<sup>(3)</sup>: (أقام بقريته كردرا نخاسية، فكان هو العالم، والواعظ، والخطيب بها وكان ثقة صالحاً).

ومن المشتغلين بعلم الحديث في إقليم خوارزم الإمام الكبير والمحدث الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الذي كان إمام عصره، وطاف البلاد، وجاور بمكة مدة، ومن مصنفاته في علم الحديث (الفائق في غريب الحديث)<sup>(1)</sup>.

ومن تلاميذ الزمخشري في علم الحديث أيضاً، وكان أكبر أصحابه، علي ابن محمد بن أحمد بن مروان العمراني الخوارزمي، الملقب بحجة الأفاضل وفخر المشايخ كان كثير السماع والحفظ سمع الحديث من فخر خوارزم الزمخشري وغيره، وكان ولعاً بالسماع وكان فحول العلماء يرجعون إليه ويقروون عليه، ويفزعون إليه في حل المشكلات وشرح المعضلات، وهو مع العلم الغزير والفضل الكبير، عالم في الدين وكان يذهب مذهب الرأي والعدل، وتوفي فيما يقارب سنة 560هـ / 1164م<sup>(2)</sup>.

(1) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1416.

(2) السبكي: طبقات الشافعية، ج7، ص181.

(3) طبقات الشافعية، ج7، ص289.

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج5، ص488، 489.

(2) ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج4، ص319.

ومن محدثي خوارزم في العصر الخوارزمي، نجم الدين الكبرى الخيوقى، حدث بخوارزم، وكتب عنه الرحالة من أهل الحديث، وغيرهم، وهو شافعي المذهب إماماً في السنة<sup>(1)</sup>.

ومن محدثي خوارزم أيضاً، مطر الدين سديد بن محمد بن علي بن أحمد ابن عبدالله بن أبي الفضل النوزكاش، المقتول بيد المغول، وكان ممن رحلوا في طلب الحديث وكتبه وأكثر منه، وكان حافظاً لأسماء رجال الحديث عارفاً بالحديث، وأجاز لياقوت الحموي<sup>(2)</sup>.

ومن محدثي الفترة الذين رحلوا إلى خوارزم الإمام الحافظ المعيد الفقيه الشاعر أبو نصر عبدالله بن النفيس بن هبة الله الحديثي ثم البغدادي سكن إقليم خوارزم إلى أن أحرقه المغول واستشهد سنة 618هـ / 1221م<sup>(1)</sup> قال عنه ياقوت<sup>(2)</sup> (كان عارفاً بالحديث ورجاله وعلومه عارفاً بالأدب قيماً باللغة جداً وخصوصاً علم الحديث).

وهكذا فقد كان علم الحديث من أفضل العلوم بعد القرآن الكريم وتفسيره لدى علماء خوارزم خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي، فقد أثروا الحياة الفكرية بمصنفاتهم في أنواع شتى هذا العلم.

ومن أشهر محدثي إقليم الصغد الحافظ المستغفري أبو العباس جعفر بن محمد بن المقز ابن المستغفر السمرقندي (ت 432هـ / 1040م) خطيب نسف، لم يكن ببلاد ما وراء النهر في عصره مثله، كان فقيهاً محدثاً فاضلاً حافظاً صدوقاً، له مصنفات كثيرة، منها كتاب الزيادات في كتاب المؤلف والمختلف، وكتاب معرفة الصحابة<sup>(3)</sup> وأبو الحسن العربي ابن الزياد ابن إبراهيم ابن نصرويه بن سخنام ابن هرثمة بن إسحاق العربي السمرقندي (ت 439هـ / 1047م) كان من

(1) الداوودي: طبقات المفسرين، ج 1، ص 59.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 8، ص 407.

(1) الذهبي: تذهيب، ج 3، ص 184.

(2) معجم البلدان، ج 3، ص 128.

(3) ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص 278؛ جمال الدين الطاهري الحنفي: مشيخة ابن البخارى، تحقيق عوض عتقي الجازمي، السعودية، 1999م، ج 3، ص 1795.

أشهر علماء الحديث له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الإسلامي، فقدم بغداد حاجاً وحدث بها عن محمد بن أحمد الأشيخني، وإبراهيم بن محمد بن عبدالله الرازي، ولم يقض له الحج فرجع يريد خراسان، وأدركه أجله في الطريق<sup>(1)</sup>.

ويعد القاضي أبو نصر أحمد بن حميد الأشعث الكشاني (ت 443هـ / 1051م) من أبرز المحدثين، ورد سمرقند وحدث بها في الدار الجوزجانية عن أبي بكر بن محمد بن إسماعيل البخاري، روى عنه أبو محمد إسحاق بن عمر الخطيب النوخي، وكان حاد البصر يطالع الخط بالليل بنور القمر<sup>(1)</sup> كما كان أبو صالح محمد بن عدي بن الفضل السمرقندي (ت 444هـ / 1052م) من أشهر المحدثين روى عن القاضي أبي الحسن الحلبي، وأحمد بن محمد بن السمنائي روى عنه الرازي في مشيخته<sup>(2)</sup>.

ومن أئمة الحديث أبو الحسن علي بن أحمد بن الربيع السنكباتي (ت 452هـ / 1060م) نسبة إلى قرية سنكبات إحدى قرى سمرقند، حدث بها وكان أحد الأئمة والزهاد المشهورين بسمرقند<sup>(3)</sup> كما يعد الشيخ المسند الكبير أبو علي الحسين بن أبي زيد الدباغ منصور الصغدني (ت 454هـ / 1062م) من كبار علماء الحديث وكان من الثقات<sup>(4)</sup>.

ومن أشهر علماء الحديث بإقليم الصغد أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد ابن شاهين السمرقندي (ت 454هـ / 1062م) كان واسع الرحلة في طلب الحديث، سمع بسمرقند، قال السمعاني<sup>(5)</sup>: (وروى عنه أهل سمرقند وله أوقاف كثيرة) وأبو الوليد الحسن بن محمد بن الحافظ

(1) الذهبي: المشتبه في الرجال، ج1، ص242؛ البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص342.

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص87، 88؛ السمعاني: الأنساب، ج5، ص73.

(2) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص148.

(3) ابن الأثير: المصدر نفسه.

(4) ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص228.

(5) الأنساب، ج3، ص390.

البلخي الدريندي (ت 457هـ / 1064م) كان من علماء الحديث البارزين واسع الرحلة، صدوق سكن سمرقند، روى عن أبي عبدالله من شاذان وآخرين<sup>(1)</sup>.

كذلك كان الحافظ أبو الليث أحمد بن جعفر بن مدنى بن عيسى النسفي (ت 462هـ / 1069م) الملقب شعبه ختن الإمام جعفر المستغفري، وهو الذي لقبه بشعبة لما رأى من حذقة وحفظه لعلم الحديث وأعجبه، سمع وهو شاب بسمرقند وحدث بها وهو شيخ كبير<sup>(2)</sup> ومن كبار المحدثين بإقليم الصغد الخطيب أبو نصر أحمد بن أبي بكر يعرف بتبارك الخديمكي<sup>(1)</sup> الكرميني (ت 470هـ / 1077م) قال السمعاني<sup>(2)</sup>: (سمع صحيح البخاري وحدثنا عن مشايخنا)، وانتخب السمعاني شيئاً من سماعه من ابنه من كتاب (الرقاق) لمحمد بن إسماعيل، ولما دخل السمعاني مدينة كرمينية، قرأ عليه صحيح البخاري<sup>(3)</sup>.

أما أبو محمد عبدالله بن أبي بكر الغازي الكدكي (ت 471هـ / 1078م) والمولود بقرية كدك التابعة لسمرقند<sup>(4)</sup> صهر الإمام الفراء (ت 471هـ / 1078م) فكان من أشهر المحدثين بإقليم الصغد، روى عنه أبو حفص عمران بن أبي بكر الفراء<sup>(5)</sup> وأبو رجاء قتيبة بن محمد بن عثمان بن عبدالله النسفي الحافظ (ت 474هـ / 1081م) سمع الكثير بسمرقند وأملى بها روى عنه المستغفري وعمر بن محمد النسفي<sup>(6)</sup> كذلك كان الإمام أبوبكر الفسوي (ت 476هـ /

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص394، 395.

(2) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج3، ص311.

(1) خد يملك: قرية من قري كرمينية التابعة لبخارى، ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص499.

(2) الأنساب، ج2، ص332.

(3) السمعاني: نفسه.

(4) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص135.

(5) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج3، ص860.

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج32، ص126.

1083م<sup>(1)</sup> كان من كبار علماء الحديث، رحل إلى عديد من البلدان الإسلامية فدخل نيسابور،  
وقرأ الأصول على الإمام القشيري<sup>(2)</sup>، وأقام بها مدة ثم خرج إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند  
إلى أن توفي، وصار من أعيان الأئمة وذاع صيته وانتشر علمه<sup>(3)</sup>.

كما يعد القاضي الخطيب أبو الفتح ميمون بن طاهر بن عبدالله الكشاني الحاجي  
(ت 480هـ / 1087م) والمولود في مدينة كش من كبار المحدثين، حدث عن أبيه وروى عنه أبو  
القاسم عبيدالله ابن عمر الكشاني<sup>(1)</sup> ومنهم أيضاً المحدث أبو محمد إسماعيل بن محمد بن  
إبراهيم بن نوح النسفي الإمام الخطيب (ت 481هـ / 1088م) كان من أبرز علماء الحديث، من  
أهل نسف، ولد بسمرقند، سمع أبا العباس المستغفري، روى عنه الكثير من كتب الحديث<sup>(2)</sup> وكان  
أحمد بن سليمان بن نصر ابن حاتم الكاساني (ت 482هـ / 1089م)<sup>(3)</sup> قاضي القضاة زمن  
الخاقان أبي شجاع الخضر بن إبراهيم القراخاني، حدث وأملى بسمرقند، وصار وزيراً في عهد  
أحمد ابن الخضر<sup>(4)</sup> والشيخ الإمام الحافظ المصنف الثقة أبو الفتح محمد بن أحمد بن سمكويه  
الأصفهاني (ت 482هـ / 1089م) نزيل هراة، كان من فرسان الحديث والمكثيرين منه رحل في

---

(1) فسا: وتتطق نسا فهي بالفارسية أو بسا وبالعربية (فسا) بلدة بفارس والنسبة إليها فسوي وأهل فارس يقولون في النسبة إليها  
(البساسيري) ينسب إليها أبو الحارث أرسلان البساسيري الذي حوّل بغداد إلى عاصمة فاطمية شيعية سنة 450هـ / 1058م ثم قتله  
السلطان طغرلبيك، للمزيد راجع، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص192؛ محمد عبدالعظيم يوسف: طغرلبيك وتأسيس الدولة  
السلجوقية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، مصر، 1991م، ص254.

(2) الإمام القشيري: هو الإمام أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن عبدالملك بن طلحة القشيري الملقب بالأستاذ وأحد مشاهير الدنيا  
بالفضل والعلم والزهد وأولاده وأهله كلهم فضلاء مشهورون، كان أعلم أهل بغداد رحل إلى الحجاز بعد محنة الشافعية في عهد السلطان  
طغرلبيك ولعن الأشاعرة، ثم أعاده نظام الملك وكان من أشهر أساتذة النظاميات (ت 465هـ / 1072م) وصنف رسالة سماها (شكايه  
أهل السنة لما نالهم من المحنة)، ينسب إلى قبيلة بني قشر العربية، ينظر، ابن الأثير: اللباب، ج3، ص182؛ ابن الجوزي: المنتظم،  
ج8، ص159، 160.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج32، ص126.

(1) الذهبي: نفسه، ص148.

(2) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج1، ص171، 172.

(3) كاسان: إحدى مدن سمرقند بإقليم الصغد، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص168.

(4) الغزي: الطبقات السنوية في تراجم الحنفية، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، الرياض، 1983م، ج3، ص358.

طلب الحديث فسمع في بغداد وسمرقند ونسف وبنكت<sup>(1)</sup> وكان علي بن محمد بن عبدالكريم اليزدوى (ت 482هـ / 1089م) الإمام الكبير بين أشتات العلوم إمام الدنيا، نزيل سمرقند، من المحدثين الكبار له تصانيف كثيرة منها (شرح الجامع الصحيح للبخاري)<sup>(2)</sup> ومنهم أبو الحسن بن مفوز طاهر بن أحمد ابن مفوز المعافري الشاطبي (ت 484هـ / 1091م) نزيل سمرقند، سمع من أبي الفتح السنكتي السمرقندي وكان موصوفاً بالذكاء وسعة العلم، واشتهر بسعة العلم وحفظ الحديث وإتقانه، وكان كثير الضبط<sup>(3)</sup>.

ومن أشهر المحدثين أبو الليث أبو الفتح نصر بن الحسن الشاشي التتكتي (486هـ / 1093م) المقيم بسمرقند، رحل إلى عدد كبير من البلاد الإسلامية، روى صحيح مسلم، سمع بالأندلس ومصر وقال الكنية التي كناني بها أبي أبو الليث، فلما قدمت مصر كناني أهلها أبا الفتح حتى غلبت عليّ بمصر، قال: فلهذا سميت بهاتين الكنتين، وحدث وروى عنه جماعة<sup>(1)</sup> كذلك كان الإمام الحافظ المحدث أبو علي الحسن بن عبدالمك بن موسى النسفي (487هـ / 1094م) من أشهر المحدثين، سكن سمرقند، وسمع الكثير من الحافظ جعفر المستغفري ولازمه في رحلته، وروى عنه كثير ببخارى وسمرقند<sup>(2)</sup> ومن كبار علماء الحديث بإقليم الصغد أبو المعالي محمد بن محمد بن زيد العلوي الحسيني البغدادي السمرقندي (ت 492هـ / 1098م) كان من أشهر علماء الحديث، نزيل سمرقند صنف وجمع، وكان كبير القدر، كثير الأموال، يرجع إلى عقل ورأي وعلم وافر وهو أفضل علوي في عصره، وحدث وأملى بسمرقند، وكان من الأغنياء

---

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج9، ص17.

(2) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج3، ص192.

(3) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1222.

(1) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص224؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص379.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج9، ص143.

ينفذ في العام إلى جماعة عشرة آلاف دينار، ويقول هذه زكاة مالي<sup>(1)</sup> ونصر بن إبراهيم السلطان شمس الملك (ت 492هـ / 1098م) صاحب ما وراء النهر وكان من أفاضل الملوك، حدث وأملى وخطب على منابر بخارى وسمرقند ونسف والدبوسية<sup>(2)</sup> ويعد أبو نصر أحمد بن المهذب الكشاني (ت 493هـ / 1099م) من أشهر المحدثين<sup>(3)</sup> كما كان القاضي أحمد بن الحسين الخرقاني السمرقندي (ت 499هـ / 1105م) من أبرز المحدثين، كان واعظاً، ومحدثاً<sup>(4)</sup>.

ومن أئمة علماء الحديث بنسف أبوبكر محمد بن أحمد بن أبي النصر البلوي الإمام المحدث المشهور (ت 504هـ / 1110م) من أهل نسف، نزيل سمرقند ومن أئمة الحديث رحل إلى عديد من البلدان من أجله<sup>(1)</sup>. وكان أبو نصر أحمد بن أحمد المستوفي الذخكتي (ت 506هـ / 1112م) من أبرز المحدثين، سكن سمرقند، وحدث بها<sup>(2)</sup> كذلك الإمام أبوبكر بن أبي صنيعة ابن عمران الأثروسي (ت 508هـ / 1114م) من كبار المحدثين، سكن سمرقند في محلة درب غداوذ<sup>(3)</sup>. كما يعد أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن شبيب الديزكي السمرقندي (ت 511هـ / 1117م) من كبار علماء الحديث روى عنه أبو حفص عمر النسفي<sup>(4)</sup> والإمام أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحسين بن عمرو القطواني<sup>(5)</sup> السمرقندي (ت 513هـ / 1119م) من أكابر المحدثين<sup>(6)</sup>.

(1) السيوطي: طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، 1973م، ص445؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج1، ص134.

(2) السمعاني: الأنساب، ج5، ص28.

(3) النسفي: القند، ص104.

(4) السمعاني: الأنساب، ج3، ص173.

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج35، ص108.

(2) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص529.

(3) السمعاني: الأنساب، ج3، ص8.

(4) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص42.

(5) قطوان: إحدى قرى سمرقند، ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص275.

(6) السمعاني: الأنساب، ج2، ص526.



ومن محدثي إقليم الصُّغد أيضاً الإمام أبو علي الحسن بن أبي القاسم اللامشي<sup>(1)</sup>  
السمرقندي الحنفي (ت 522هـ / 1228م) قال السمعاني "إمام فاضل مناظر سمع الحديث"  
وسمع منه السمعاني<sup>(2)</sup> وكان أبوبكر عمر بن محمد بن أحمد الخباز السمرقندي (ت 523هـ /  
1228م) من المحدثين<sup>(3)</sup>.

ومن أشهر المحدثين أبو نصر أحمد بن الفرغ بن عبدالعزيز بن الهيثم الساغري<sup>(1)</sup>  
السغدي (ت 524هـ / 1229م)<sup>(2)</sup> ويعد الواعظ صابر بن أحمد ابن محمد بن أحمد الدرغمي  
اليشكديزوي السمرقندي نسبة إلى قرية يشكديزوا إحدى قري سمرقند (ت 528هـ / 1133م) من  
المحدثين البارزين، روى عنه أبو حفص عمر النسفي<sup>(3)</sup>.

وكان نجم الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن لقمان النسفي السمرقندي (ت 537هـ /  
1142م) من أشهر علماء عصره، مبرزاً متقناً لكل نوع من العلم، له نحو مائة مصنف وكان من  
أصحاب الحديث، وقام بشرح كتاب صحيح البخاري والسماع في شرح كتاب أخبار الصحاح  
وذكر أنه خرج تسعة وعشرين حديثاً عن تسعة وعشرين شيخاً كل شيخ حديث، أجاز للسمعاني  
جميع مروياته، روى عنه كثيرون<sup>(4)</sup>.

وكان أبو المحامد محمود بن أحمد بن الفرغ الساغري (ت 550هـ / 1155م) محدثاً  
وقفياً وعارفاً بالسنن، صار شيخ الإسلام بسمرقند، وكان فاضلاً حسن السيرة عارفاً بالمتفق  
والمختلف كثير العبادة تفقه على البرهان ببخارى، وسمع الحديث بسمرقند، وذكر للسمعاني قائلاً

---

(1) لامش: قرية من قرى سمرقند، ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص419.

(2) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج3، ص465.

(3) السمعاني: الأنساب، ج2، ص260.

(1) ساغري: إحدى قرى بخارى، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص332.

(2) السمعاني: الأنساب، ج2، ص348.

(3) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، ص115.

(4) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج4، ص115.

إن (أول ما كتب الحديث كان في سنة 491هـ/ 1097م)<sup>(1)</sup>. ومن كبار المحدثين أبو ثابت الحسن بن علي بن الحسين بن موسى النسفي البزوي (ت 557هـ/ 1161م) ولد بسمرقند، رحل إلى العديد من البلدان الإسلامية سمع السمعاني منه (المسند الكبير) لعلي بن عبدالعزيز في ثلاثين جزءاً<sup>(2)</sup>. وشاركت النساء الرجال في تدريس علم الحديث وكانت أم الحسن كمال بنت عبدالله ابن أحمد السمرقندي (ت 558هـ/ 1162م) من أشهر علماء الحديث، وهي زوجة المحدث عبدالخالق اليوسفي، حدث عنها كثيرون<sup>(1)</sup>. وكان أبو الفضائل محمد بن عبدالله ابن أبي يهر بن تمام النسفي السمرقندي (ت 606هـ/ 1164م) من أهل العلم وبيت الحديث ووالده كان من الحفاظ<sup>(2)</sup>. كما كان أبو سعد عبدالكريم السمعاني بن الحفاظ تاج الإسلام معين الدين أبي بكر ابن العلامة أبي المظفر منصور بن عبدالجبار المروي (ت 562هـ/ 116م) من أشهر علماء الحديث، له الرحلة الواسعة إلى الآفاق، وطاف بمختلف مدن إقليم ما وراء النهر، وسمع بجميع هذه البلاد، ودخل سمرقند مرتين، والتقى بعدد كبير من مشايخها وكذلك بالعلماء الوافدين عليها وأخذ عنهم الحديث، وكان للسمعاني مجالس إملاء في سمرقند<sup>(3)</sup>.

ومن أشهر علماء الحديث في إقليم الصغد المحدث أبو نصر شعيب ابن الحسن بن محمد بن شعيب السمرقندي الأصل الأصفهاني المولد (ت 592هـ/ 1195م)<sup>(4)</sup> والشيخ أبو محمد إسماعيل بن الحسين البغدادي الحربي المعروف بابن اللباد السمرقندي (ت 619هـ/ 1222م) كان من كبار المحدثين في إقليم الصغد<sup>(5)</sup>.

(1) السمعاني: الأنساب، ج4، ص40.

(2) السمعاني: المصدر نفسه والجزء، ص138.

(1) عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1959م، ج4، ص262.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج38، ص651.

(3) السبكي: طبقات الشافعية، ج7، ص181؛ السمعاني: الأنساب، ج1، ص10.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج42، ص91.

(5) الذهبي: المصدر نفسه، والجزء، ص394.

ومن محدثي بخارى التي لم يقتصر علماء الحديث على مدنها بل تعداها إلى القرى أبو المظفر عبدالكريم بن أبي حنيفة بن العباس الأندقي<sup>(1)</sup> المحدث، ومن الأسر التي اشتهرت كلها بالحديث في بخارى أسرة البرقي<sup>(2)</sup> وأصل الأسرة ورئيسها المحدث أبو عبدالله بن أحمد بن محمد بن شاه الخوارزمي البرقي كان إماماً في الفقه على مذهب أبي حنيفة والحديث والأدب، حدث بمساجد بخارى ونسف وخوارزم<sup>(1)</sup> ومنهم أبو علي محمد بن علي بن إسماعيل الخجادي<sup>(2)</sup> كان ثقة حافظاً راوياً ولد بقرية خجاد والتابعة لبخارى<sup>(3)</sup> ومن محدثي إقليم أشروسنه أبو سعيد بن الحكم بن خراش المعلم الباركتي وأصله من قرية باركت إحدى قرى أشروسنه ثم حولت إلى سمرقند<sup>(4)</sup>.

وأبو طلحة حكيم بن نصر الأشروسني كان من قدماء رواة الحديث النبوي في أشروسنه، وكان من الموصفين بكثرة حفظ الحديث وروايته، روى عن جماعة من المحدثين<sup>(5)</sup> وكان أبو عمر محمد بن بحير بن خازم بن راشد الخشوفعني نسبة إلى قرية خشوفع بأشروسنه من رجال الحديث المنسوبين إلى أشروسنه، سمع الحديث عن جماعة من الرواة الثقات<sup>(6)</sup> ومنهم أبو جعفر الزاميني المولود في قرية زامين بأشروسنه كان من الرحالة في طلب الحديث<sup>(7)</sup>.

- 
- (1) أندق: قرية من قرى بخارى على عشرة فراسخ منها، ابن الأثير: اللباب، ج1، ص65.
- (2) بَرَق: بفتح الباء وأراء في آخرها القاف، نسبة إلى برق وهو بيت كبير من خوارزم انتقلوا إلى بخارى وسكنوها، وهذه النسبة إلى برق وهو بالفارسية (بره) أي ولد الشاه، لأنهم كانوا يبيعون الحملان، ابن الأثير: اللباب، ج1، ص101.
- (1) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص101.
- (2) السمعاني: الأنساب، ج3، ص184.
- (3) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص531.
- (4) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص78.
- (5) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص197.
- (6) جمال الدين المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط1، تحقيق بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م، ج30، ص113-115.
- (7) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص128.

ومن محدثي إقليم الشاش أبو جعفر حم بن عمر البخاري التونكي وهي قرية من قري الشاش، روى عنه علماء الحديث<sup>(1)</sup> ومنهم أبو نصر أحمد بن أسيان بن نصر حاتم ابن الحسن الكاساني نسبة إلى مدينة كاسان بإقليم الشاش كان قاضياً زمن الخاقان أبي شجاع الخضر بن إبراهيم أخي شمس الملك، حدث بسمرقند وأملى، ولم يكن محمود السيرة في ولايته<sup>(2)</sup> ومنهم أيضاً الخطيب أبو القاسم عبدالواحد ابن عبدالرحمن بن زيد بن حميد بن حرب المعروف بالحكيم الشاوكني نسبة إلى قرية شاوكت التابعة لإقليم الشاش (ت494هـ/ 1100م) روى الحديث عنه محمد ابن عمر بن عبدالعزيز البخاري<sup>(1)</sup> وأبو علي الحسن بن حاجب بن حميد الشاشي أحد الرحالين في طلب الحديث، رحل إلى خراسان وبلاد الحجاز ومصر والشام والجزيرة مات سنة 445هـ/ 1053م<sup>(2)</sup>. كما وجدت كثيراً من المحدثين في طراز وأسفيجاب، واشتيخن، والصغايان يعجز القلم عن ذكرهم لكثرتهم<sup>(3)</sup>.

ومن محدثي إقليم فرغانة، التي لم تخل قرية أو مدينة من قراها ومدنها من محدث أو أكثر ومنهم أبو العباس حاجب بن ملك بن أركين الفرغاني الضرير التركي توفي بدمشق سنة 429هـ/ 1037م، وكانت نشأته بفرغانة، وتعلم بها وحدث، ثم رحل إلى دمشق وحدث بها<sup>(4)</sup> ومنهم أبو العباس خالد بن محمد الفرغاني حدث بسمرقند بأحاديث مسندة<sup>(5)</sup>.

(1) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص162.

(2) ابن الأثير: المصدر نفسه والجزء، ص207.

(1) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص298.

(2) السمعاني: الأنساب، ج4، ص519.

(3) عنهم ينظر، ابن الأثير: اللباب، ج1، ص459.

(4) السمعاني: الأنساب، ج4، ص368؛ عبدالله سعد: موسوعة علماء، ج4، ص443.

(5) ممن روى عنه سعيد السمرقندي الذي قال حدثني خالد بن محمد الفرغاني عن علماء عصره عن سهل بن مسعد الساعدي ؓ قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال له (يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس)، النسفي: القند، ص132.

وكان لمدينة أوش نصيب وافر في إخراج علماء الحديث أمثال سراج الدين أبو محمد الأوشي الفرغاني (ت596هـ / 1119م)<sup>(1)</sup> الذي روى حديث الثقلين<sup>(2)</sup> وهو شيخ شيعي، روى الحديث لتأييد رأي الشيعة عن أحقية علي بن أبي طالب في الإمامة والخلافة، ووجوب اتباعهم وطاعتهم بعد وفاة الرسول ﷺ ومنهم عمران ابن موسى الأوشي وعمران ومسعود أبناء منصور الأوشي (ت519هـ / 1125م) كانوا من كبار المحدثين<sup>(1)</sup>. وكان محمد بن أحمد بن علي الأوشي الذي حدث بأوش، ثم انتقل إلى بخارى وورد بغداد في رحلته في طلب الحديث، من أكابر المحدثين، روى عن القاضي عمر بن بكر الزرنجيري ببخارى، والمحدث علي بن عثمان الأوشي (ت 611هـ / 1214م)<sup>(2)</sup>.

ولم يقتصر دور علماء فرغانة ومحدثيها على فرغانة فحسب، بل امتد إلى إقليم ما وراء النهر كله فقد رحل أبو الفضل عبدالقادر بن عبدالخالق بن قاسم النقادي نسبة إلى نقاد قرية من قرى فرغانة التي ولد بها، توفي سنة 527هـ / 1132م سمع الحديث ببخارى ومكة وحدث عن شيوخهم، ثم عاد إلى نقاد، وأفاد منه الطلبة الذين سمعوا منه ما أخذه عن شيوخه<sup>(3)</sup> ومن أئمة الحديث السيد العالم عبدالله ابن قائم بن عقيل بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ ولد بأخسيكث يوم السبت العاشرة من جمادى الأولى عام 461هـ / 1068م وتوفي بسمرقند 515هـ / 1121م الملقب بالأخسيكثي الذي روى حديث عن عبدالله ابن عمرو بن

(1) علي الحسين الميلاني: حديث الثقلين، مركز الحقائق الإسلامية، قم، إيران، 1423هـ، ص47.

(2) سمي بالثقلين لوجود كلمة الثقلين في نص الحديث عن الرسول ﷺ قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم الثقلين، أو لهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، وأهل بيتي، وفي رواية أخرى وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ينظر، الترمذى: صحيح الترمذى، تحقيق كمال الحوت، دار الجليل، بيروت، د. ت، ج3، ص62؛ الشيخ محمد قوام الدين القمي الوشندي: حديث الثقلين، دار التقريب بين المذاهب، القاهرة، 2002م، ص10 وما بعدها.

(1) السمعاني: الأنساب، ج1، ص228.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص335.

(3) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص311، 312.

العاص عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الراحمون يرحمهم الرحمن، أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء<sup>(1)</sup>.

وأهم ما نلاحظه من تتبع المحدثين السابقين أن معظمهم كان يقصد سمرقند وبخارى التي كانت مقصداً رئيساً لهم، فهي قبلتهم العلمية التي يقصدونها أولاً لينهلوا منها العلوم والمعارف في مدارسها العامرة، ومساجدها المستنيرة، وعلى يد أئمتها البارزين، المؤثرين على تطور العلم في سمرقند وغيرها من أقاليم ما وراء النهر، وقد يقيمون بها، أو يعودون إلى بلادهم ثانية ومعهم حصيلتهم العلمية.

ومن محدثي فرغانة الإمام برهان الدين المرغيناني الذي لم يحل فرع من فروع العلم الأوله به نصيب وافر<sup>(1)</sup> ونوح بن أبي زينب والمسمى نصر الفرغاني الأخرسيكي ولم يُذكر تاريخ وفاته، دخل سمرقند مراراً، وذكره السمعاني<sup>(2)</sup> بقوله (أنا فرضته على طلب الحديث حتى رحل إلى أبو الفضائل السليمانى، فكتب عنه وعن شيوخ بخارى ثم ارتحل عنها ودخل العراق في طلب الحديث، ولم أقف على خبره بعد ذلك).

وأسهم علماء الحديث في إقليم ما وراء النهر في تطور العلوم النقلية ورواية الحديث في كل مدنه وقراه، وبالإقليم أعداد هائلة من المحدثين الذين كان لهم دوراً بارزاً في علم الحديث، وشكلت الرحلة من أجل التأكد من صحة الأسانيد، والرواية العامل الأساسي لمحدثي إقليم ما وراء النهر ورغم كثرة المحدثين إلا أن المجال لا يسعنا لذكرهم جميعاً<sup>(3)</sup> والذين أفنوا أعمارهم في تصنيفه وضبطه وتقيقه، وكان لهؤلاء العلماء فضل كبير في النهضة العلمية في علوم شتى

(1) النسفي: القند، ص350.

(1) السمعاني: الأنساب، ج1، ص93؛ ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص148.

(2) السمعاني: المصدر نفسه، ج1، ص95.

(3) لمزيد من التفاصيل حول محدثي إقليم ما وراء النهر، ينظر، النسفي: القند، السمعاني: الأنساب، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ابن الأثير: اللباب، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، الذهبي: تاريخ الإسلام، ميزان الاعتدال، وغيرها من كتب الطبقات والتراجم والنساب.

وعلم الحديث على الخصوص، وليس ذلك في إقليم ما وراء النهر فقط، بل في كل أرجاء العالم الإسلامي.

#### • علم الفقه وأصوله:

يطلق الفقه في اللغة على الفهم مطلقاً فهو العلم بالشيء والفهم له والفتنة<sup>(1)</sup> قال تعالى: "فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا"<sup>(2)</sup> وقال عز وجل "وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي"<sup>(1)</sup> أي يعلمون المراد منه يفهمونه، وقال ﷺ : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)<sup>(2)</sup> وفي الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفضيلية، وهو مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل<sup>(3)</sup>.

ويعد الفقه من أبرز العلوم الدينية الإسلامية التي اشتغل بها المسلمون، فقد احتيج إليه لتيسير شئون أحوالهم الشخصية ومعاملتهم المدنية، وذلك عن طريق وضع الأحكام الشرعية بين الرعايا، وكان أساسه القرآن والسنة يقول ابن خلدون<sup>(4)</sup> (الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والندب والكرهة والإباحة، وهي منتقاه من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه).

ويعدّ الفقه الإسلامي ضرباً فريداً بين التشريعات والقوانين التي عرفها العالم حتى الآن سواء من ناحية الأسس التي قام عليها أو المقاصد أو الغايات التي استهدفها، والأحكام والمميز بين الحلال والحرام، به تصح العبادات، وتتنظم أمور المعاملات<sup>(5)</sup> ويشير إلى ذلك قوله تعالى

---

(1) السيد عبدالعزيز العدوي: المرشد في الفقه الإسلامي، جزان، ط، مكتبة مرو للطباعة القاهرة، 1421هـ/ 2001م، ج1، ص12.  
(2) سورة النساء: الآية 78.  
(1) سورة طه: الآيات 27، 28.  
(2) البخاري: صبح البخاري، ج1، ص27 باب العلم.  
(3) اليوسفي: البدور اللوامع في شرح الجواهر في أصول الفقه، دار عيسى الباني الحلبي، القاهرة، 1412هـ، ط، ص168.  
(4) المقدمة، ج3، ص1.  
(5) الشاشي: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق ياسين أحمد إبراهيم دراكه، ط، عمان، 1988م، ج1، ص15.

" وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (1).

وبذلك فإن المسلمين استخرجوا أحكامهم من القرآن والحديث، وكانت السنة شارحة للقرآن الكريم تبين مجمله، فالسنة أو أحاديث الرسول ﷺ بينت كثيراً من آيات القرآن كالذي في آيات الصلاة والزكاة، فالقرآن لم يبين هيئات الصلاة ولا أوقاتها، ولم تبين المقادير الواجبة في الزكاة ولا شروطها، إنما يبين ذلك الرسول ﷺ بقوله أو فعله (1) أما علم أصول الفقه فقد عرفه حاجي خليفة (2) فقال: (هو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية الأربعة الكتاب والسنة والإجماع والقياس) (3) وأول من كتب في علم أصول الفقه الإمام الشافعي رحمه الله وأصحابه، ثم كتب فقهاء الحنفية، وكتب المتكلمون أيضاً فيه (4).

ونال علم الفقه وأصوله من المسلمين عناية بالغة، وخرج كثير من الفقهاء لدراسة هذا العلم في كافة البلاد الإسلامية، فيسروا قواعده، ووضعوا تعاليمه للمسلمين وصاحبه علم أصول الفقه (5). وبطبيعة الحال لم ينشأ الفقه الإسلامي فجأة وإنما استغرق وقتاً طويلاً، ومر بمراحل عدة حتى بلغ كما له، أما الأطوار التي مر بها الفقه فهي كالتالي:

**الطور الأول:** وهو طور النشأة، وكان في حياة رسول الله ﷺ وانتهى بوفاته عليه الصلاة والسلام، وكانت سلطة التشريع والفتوى والقضاء بيد رسول الله ﷺ وحده، ولم يترك فقهاً مدوناً، وإنما ترك جملة من الأصول والقواعد الكلية والأحكام الجزئية مثبتة في القرآن السنة (6).

(1) سورة التوبة: الآية 122.

(1) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص 233.

(2) كشف الظنون، ج1، ص 110.

(3) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1401هـ/ 1981م، ص 7.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص 21.

(5) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج3، ص 5.

(6) عبدالمجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين، مكتبة دار الزهراء، القاهرة، 1985م، ص 12.



**الطور الثاني:** وهو طور الشباب أو الاجتهاد، وبدأ هذا الطور في عهد الخلفاء الراشدين حينما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، وتفرق الصحابة في الأمصار، وكثر التحدث عن رسول الله ﷺ، والتعمق في استنباط الأحكام من القرآن واتسعت أبواب الاجتهاد، وبدأ الفقه يتميز ويتكون، وأصبح اختصاصاً يقصر العلماء جهودهم عليه<sup>(1)</sup>.

**الطور الثالث:** وهو طور النضج والكمال والتدوين، أو عصر المذاهب الفقهية، وبدأ هذا الطور من أوائل القرن الثاني إلى منتصف القرن الرابع، وبلغ الفقه فيه الأوج في الاجتهاد والتدوين والتفريع المذهبي<sup>(1)</sup>.

**الطور الرابع:** بدأ من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع الهجري وفيه نشطت حركة التحرير والتخريج والترجيح في المذاهب مع غلبة التقليد والتعصب<sup>(2)</sup>. ونال الفقهاء مكانة رفيعة ومُيزوا عن العلماء<sup>(3)</sup>، ونتيجة لتعدد المذاهب الدينية من شافعية وحنفية ومالكية وحنبلية، والفرق الدينية كالخوارج، والشيعية، والمرجئة وغيرها، كل ذلك أدى إلى تعدد الآراء الفقهية ومحاولة أصحاب كل مذهب إثبات آرائهم بتفسيراتهم الفقهية<sup>(4)</sup>.

ونظراً لمرور إقليم ما وراء النهر بتغيرات سياسية كبيرة، وارتباط رجال الدولة والحاكمين بالمذاهب الفقهية، فقد حاولت كل دولة حاكمة فرض مذهبها الفقهي، عن طريق إنشاء المدارس أو تشجيع الفقهاء على التدريس في المساجد، والربط، والزوايا للمذهب الفقهي المتبع<sup>(5)</sup> ومنح

(1) ابوزيد شلبي: الحضارة الإسلامية، ص218، 219.

(1) عبدالمجيد محمود: المدرسة الفقهية، ص12.

(2) ابوزيد شلبي: تاريخ الحضارة، ص219، 220.

(3) آدم منتر: الحضارة الإسلامية، ج1، ص302، 303.

(4) محمد إسماعيل إبراهيم: أئمة المذاهب الأربعة، دار الفكر، بيروت، 1978م، ص117.

(5) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص341؛ عبدالرحمن العدوي: الوسيط في الفقه الإسلامي، ط2، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 2000م، ج1، ص5.

الطلبة الإجازات من قبل فقهاء المذهب، ومن أكثر المذاهب الفقهية التي انتشرت في إقليم ما وراء النهر هما المذهب الحنفي والشافعي<sup>(1)</sup>.

وبعد العصر السلجوقي نقطة فاصلة في تاريخ التشريع الإسلامي حيث توقف الاجتهاد، وحصرت الفقهاء أنفسهم حول مذاهبهم واستندوا في أحكامهم على ما يجدونه في مذاهب أئمتهم، والتزم كل منهم مذهباً معيناً لا يتعداه، وضعفت عزائمهم واكتفوا بالمحاكاة والتقليد، وتعصب كل واحد لمذهبه، وأقبل العلماء على المذاهب وانصرفوا عن الاجتهاد ووقفوا عند هذا الحد لا يستظهرون غير المتون، واقتصر عملهم الفقهي على فهم كلام الأئمة أو تفرغ قواعدهم، وعمل الحواشي والتعليقات على كتبهم<sup>(1)</sup>.

وعمل الفقهاء في العصر السلجوقي على جمع الآثار، ورجحوا بين الروايات، وخرجوا على الأحكام، وبنوا فتاويهم على مختلف المسائل والفروع من أصول أئمتهم وقواعدهم وفتاويهم وتشددوا في الالتزام، وكان من نتائج ذلك ظهور التعصب المذهبي، حيث خاضوا في ميدان الجدل والمناظرة في مجالس علمية، كان يحضرها العلماء والأجلاء، ودللو فيها بالبراهين والحجج لنصرة مذهب على آخر، ولنا فيما فعله الوزيران الكندري الحنفي ونظام الملك الطوسي الأشعري الشافعي خير مثال<sup>(2)</sup>.

ظهر خلال العصرين السلجوقي والخورزمي في مدن وقرى إقليم ما وراء النهر عدد عظيم من فحول الفقهاء الذين أفنوا أعمارهم في تصنيفه وضبطه، وقدموا للثقافة الإسلامية خدمات جليلة بجدهم وصبرهم ورحلتهم لتعلمه وتعليمه ومنهم فقهاء إقليم خوارزم الذين برزوا وظهروا وتفقهوا على المذهب الحنفي وصنفوا فيه، كما كان للمذهب الشافعي نصيب أيضاً في

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص323.

(1) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص338.

(2) للمزيد ينظر، عبدالنعيم حسانين: السلاجقة، ص121، 122.

حركة التصنيف، ومن فقهاء الحنفية في إقليم خوارزم في العصر السلجوقي، الفقيه المعتزلي محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ / 1143م)، وألف في الفقه (رؤوس المسائل) والرائض في الفرائض و"المنهاج في الأصول"<sup>(1)</sup> وهذه الكتب الفقهية التي ألفها الزمخشري يغلب عليها طابع الفقه الحنفي المعتزلي، ولكنه في الوقت نفسه يمدح القضاة في خوارزم وهم شافعية<sup>(2)</sup> ومن هؤلاء القضاة الفقهاء في العصر السلجوقي أبو العلا صاعد بن منصور بن إسماعيل بن الخطيب (ت509هـ / 1112م) وكان من أعيان الفقهاء وولي القضاء في خوارزم<sup>(1)</sup>.

ومن فقهاء خوارزم أيضاً، علي بن عراق الصناري، أبو الحسن الخوارزمي (ت539هـ / 1144م) قرأ الفقه بخوارزم على الفقيه أبي عبدالله الوبري<sup>(2)</sup> ثم ارتحل في طلب الفقه إلى بخارى وتفقّه على مشايخها، ثم عاد إلى جرجانية خوارزم فتكلم في مسائل مع أئمتها، ثم عرج على قرية مزانة وتوطنها، وكان يعظ في المسجد الجامع بها غداة الجمعة<sup>(3)</sup>.

ومن فقهاء خوارزم على مذهب الإمام أبو حنيفة، عبدالغفور بن لقمان بن محمد الكردي (ت562هـ / 1166م)، وكان إماماً للحنيفة في خوارزم، له التصانيف المفيدة في الفقه وأصوله، منها شرح الجامع الصغير، يذكر فيه لكل باب أصلاً ثم يخرج عليه المسائل<sup>(4)</sup>.

ومن فقهاء المعتزلة في العصر الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد المكي خطيب خوارزم كانت له معرفة بالفقه، وتوفي سنة 568هـ / 1172م، وكان من الأفاضل الأكابر فقهاً وأدباً<sup>(5)</sup> وهو أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبدالسيد علي المطرزي الفقيه الحنفي،

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص169.

(2) مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري، ص179.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص188.

(2) السمعاني: الأنساب، ج4، ص339.

(3) ياقوت: معجم الأدباء، ج4، ص185.

(4) القرشي الحنفي: الجواهر المضيئة، ج2، ص443، 444.

(5) الأصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص173.

(ت610هـ / 1213م) وكان رأساً في الاعتزال داعياً إليه، ينتحل مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الفروع<sup>(1)</sup> وكان في الفقه فاضلاً، وله كتاب "المغرب" تكلم فيه عن الألفاظ التي يستعملها الفقهاء من القريب، وهو للحنفية، شامل جامع للمقاصد وكان يقال للمطرزي خليفة الزمخشري<sup>(2)</sup>.  
ومن المصنفات في علم الفقه وأصوله أيضاً (فتاوى التمرتاش) لأحمد ابن ثابت إسماعيل بن أيدغمش التمرتاشي الخوارزمي نزيل الجرجانية (ت 601هـ / 1204م)<sup>(1)</sup> وآخر الفقهاء الخوارزميين البارعين في مذهب الإمام أبي حنيفة خلال العصر الخوارزمي أستاذ الأئمة محمد بن عبدالستار بن العماد الكردي (ت 559-642هـ / 1163-1244م) وبرع في علم الفقه وأصوله وتفقه عليه خلق كثير، منهم ابن أخته بدر الدين محمد محمود بن عبدالكريم الكردي (ت 651هـ / 1253م)<sup>(2)</sup>.

ومن فقهاء المذهب الشافعي بخوارزم في العصر السلجوقي، محمد بن أحمد ابن سعيد الكعبي الكاشي (ت 481هـ / 1088م)، تفقه بخوارزم على أبيه، حتى صار من فقهاء خوارزم البارزين، فتولى القضاء بكاث وكان عادلاً<sup>(3)</sup>، ومنهم أيضاً القاضي الفقيه محمد بن إبراهيم بن الحسين الكاشي (ت 549هـ / 1104م)<sup>(4)</sup>. ومن فقهاء الشافعية في إقليم خوارزم خلال العصر السلجوقي، شهاب الدين الخيوق (ت 617هـ / 1120م) وكان القضاة والمدرسون والمفتون في جميع مملكة الدولة الخوارزمية، يحضرون دروسه، وكان من عادته أنه إذا دخل مدينة ذهب إليه الفقهاء وقرؤوا عليه محفوظاتهم<sup>(5)</sup>.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص370.

(2) السيوطي: بغية الوعاة، ج2، ص311.

(1) القرشي الحنفي: الجواهر المضئية، ج1، ص147.

(2) القرشي الحنفي: المصدر نفسه، ج3، ص33.

(3) السبكي: طبقات الشافعية، ج4، ص94.

(4) السبكي: المصدر نفسه، ج4، ص114.

(5) القزويني: آثار البلاد، ص529.

ومن فقهاء الشافعية أيضاً نجم الدين الكبرى الشافعي (ت 618هـ / 1121م) وكان إماماً فقيهاً، ومن تصانيفه في الفقه "الأصول العشرة"<sup>(1)</sup>.

وهكذا زخر إقليم خوارزم بالعديد من الفقهاء، وليس أدل على ذلك من قول المقدسي<sup>(1)</sup> منوهاً بالتطور العلمي فيها حيث قال في أهل خوارزم (أهل علم وفقه وأقل إمام في الفقه لقبته إلا له تلميذ خوارزمي قد تقدم وزجا).

وقول ياقوت الحموي<sup>(2)</sup> "أهله علماء فقهاء، أذكى أغنياء ملازمين أسباب الشرائع والدين".

**ومن فقهاء إقليم الصغد** الذي كان أكثر الأقاليم فيما وراء النهر تقدماً للفقهاء، ومنهم القاضي العلامة أبو زيد عبدالله بن عمر الحنفي الدبوسي (ت 430هـ / 1038م) كان شيخ الحنفية بما وراء النهر عالماً فقيهاً حسن السيرة، انتهت إليه رئاسة مذهب أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه في زمانه<sup>(3)</sup>.

وكان الحاكم أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الأسترابادي (ت 432هـ / 1040م) من كبار أئمة الفقه والحديث، يعني أئمة الشافعية، وعرف أهل تلك البلاد أنه إذا أطلق أصحاب الحديث لا يفهم منه غير الشافعية، قال النسفي<sup>(4)</sup>: "كان له الدرس والفتوى ومجلس النظر والتوسط، ومع ذلك كان يقرأ كل يوم ختمة مع الكتابة في أكثر النهار، ولا يشغله أحدهما عن الآخر، واشتهر بين الفقهاء بزهده وفضله"<sup>(5)</sup> والشيخ الإمام الخطيب الحافظ أبو العباس بن محمد بن المعز النسفي السمرقندي المستغفري خطيب نسف (ت 432هـ / 1040م) لم ير ببلاد ما

(1) السبكي: طبقات الشافعية، ج7، ص35.

(1) أحسن التقاسيم، ص227، ومعني زجا أي تقدم واستقام بعلمه.

(2) معجم البلدان، ج3، ص355.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص521.

(4) القند، ص545.

(5) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج1، ص53؛ ابن الصلاح: طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1992م، ج2، ص601.

وراء النهر في عصره مثله، رجل في طلب العلم إلى خراسان، جمع الجموع وصنف التصانيف منها، كتاب "الدعوات"، معرفة الصحابة فضائل القرآن الكريم، دلائل النبوة، الشمائل والمنامات<sup>(1)</sup>.

ويعد أبو إسحاق محمد بن منصور بن مخلص النوقدي<sup>(2)</sup> (ت434هـ/ 1042م) من أشهر الفقهاء، زميل أبي الليث السمرقندي، واشتغل بالتدريس والفتوى وصار فقيهاً بسمرقند<sup>(3)</sup> والعلامة المفتي أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نصرويه بن شحاتم السمرقندي الخطيبي (ت441هـ/ 1049م) كان من أهل العلم والتقدم في الفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان يذكر أنه من العرب، وأدركه أجله بطريق مكة قريباً من كربلاء<sup>(4)</sup> وأبو محمد بن الوليد السمرقندي الحنفي (ت450هـ/ 1058م) كان من أبرز الفقهاء ببلاذ ما وراء النهر، من مؤلفاته الجامع الأصغر في الفروع، ومجموع الفتاوى<sup>(5)</sup>.

كما يعد شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن حسين بن محمد السغدي (ت461هـ/ 1068م) من أئمة علماء الفقه، كان إماماً فاضلاً وفقهياً مناظراً سكن بخارى، وتصدر للإفتاء، وولي القضاء، وانتهت إليه رئاسة الحنفية، ورُحل إليه في النوازل والواقعات، أخذ الفقه عن شمس الأئمة السرخسي، وروى عنه شرح السير الكبير، ومن تصانيفه (التقاني في الفتاوى) (شرح الجامع الكبير) للشيباني في فروع الفقه الحنفي<sup>(6)</sup> وعبدالعزیز بن عبدالرازق بن أبي نصر ابن جعد ابن سليمان المرغيناني (ت477هـ/ 1084م) نزيل سمرقند، كان له ستة بنين كلهم يصلح

(1) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص19؛ النسفي: القند، ص17.

(2) نوخذ: إحدى قرى سمرقند، ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص413.

(3) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج3، ص266.

(4) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص534.

(5) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج3، ص269.

(6) القاري: طبقات الحنفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم (92 - 93) تاريخ، ميكروفيلم 1787، ورقة 37.

للتدريس والفتوى فإذا خرج مع أولاده قالوا سبعة من المفتين خرجوا من دار واحدة، سمع الإمام أبا الحسن نصر المرغيناني، روى عنه أولاده<sup>(1)</sup>.

ومن أئمة علماء الفقه بإقليم الصُغد أبو نصر أحمد بن نصر الأسبججاني (ت480هـ/1087م) كان من المتبحرين في الفقه، سكن سمرقند وجلس للفتوى، وصار المرجع إليه في الوقائع وانتظمت له الأمور الدينية وظهرت له الآثار الجميلة، وجد بعد وفاته صندوقاً له فيه فتاوى كثيرة كان فقهاء عصره أخطأوا فيها، فوقعت عنده فأخفاها في بيته لئلا يظهر نقصانهم، وما تركها في أيدي المستفتين لئلا يعملوا بغير الصواب، وكتب أسئلتهم ثانياً، وأجاب على الصواب، لكن الأسبججاني لم يجمع المسائل الفقهية في مؤلف، فقام الفقيه الحافظ أحمد ابن منصور الطبري المتوطن بسمرقند يجمعها على غاية من التطويل، وكل ذلك مفيد<sup>(2)</sup>.

وكان فخر الإسلام أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم البزدوي المدرس بسمرقند (ت482هـ/1089م) إمام أصحاب أبي حنيفة ببلاد ما وراء النهر يُضرب به المثل في حفظ المذهب، وطريقته مفيدة، من مؤلفاته شرح الجامع الصغير للشيباني في الفروع شرح الجامع الكبير، شرح زيادة الزيادات غناء الفقهاء في الفروع، سيرة المذهب في صفة الأدب<sup>(3)</sup>.

كما كان أبو القاسم علي بن المظفر بن زيد بن حمزة بن محمد العلوي الحسيني الدبوسي (ت482هـ/1089م) من كبار أئمة الشافعية وهو من ذرية الحسين الأصغر ابن زيد العابدين بن علي بن الحسين، كان متفرداً في الفقه، وكان حسن الخلق سمحاً جواداً كثير المحاسن فطناً في الاجتهاد، وكان موفقاً في الفتوى وغيّر مذهبه وقدم بغداد ودرس في نظاميتها، وأملى ببغداد

(1) السمعاني: الأنساب، ج5، ص260.

(2) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج1، ص335، 336.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج21، ص430؛ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1998م، ج6، ص288.

وأفتى فيها<sup>(1)</sup>. وكان شيخ الإسلام خواهر زاده ابن أخت العالم أبي محمد بن الحسن البخاري السمرقندي (ت 483هـ / 1090م) وابن أخت القاضي أبي ثابت البخاري، كان شيخ الأحناف ببلاد ما وراء النهر وطريقته أبسط طريقة للأحناف، أخذ عن خاله وروى عنه أبو عمر البيكندي ومن مؤلفاته المختصر، التجنيس، المبسوط<sup>(2)</sup>.

ويعد الإمام أبو طاهر عبدالرحمن بن أحمد بن علك الساوي<sup>(3)</sup> الشافعي (ت 484هـ / 1091م) أحد أئمة الفقه المشهورين، تفقه بسمرقند وصحب الكثيرين، ورحل في طلب العلم إلى العراق والحجاز ومات ببغداد وشيع الوزير نظام الملك الطوسي جنازته مع جمع من الأكابر، قال شيوخ عصره: لم ير فقيه في وقته أنصف منه<sup>(4)</sup>.

وكان العلامة شيخ الحنفية أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم البزدوي (ت 493هـ / 1099م) إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق، انتهت إليه رئاسة الحنفية في بلاد ما وراء النهر وولي قضاء سمرقند، وتبوء عدد من أفراد أسرته القضاء ما يدل على شهرتهم وتميزهم لاسيما أن رئاسة الحنفية كانت في أيدي هذه الأسرة، ودرس الفقه على أيدي كبار علماء عصره، وكان إمام الأئمة كثير التصانيف في الفقه الحنفي، منها المبسوط في فروع الفقه وطلبه العلم، وكتاب فيه معرفة الحجج الشرعية<sup>(5)</sup>.

ومن الفقهاء الذين رحلوا إلى إقليم ما وراء النهر وخاصة سمرقند الفقيه أبو الحسن إدريس بن حمزة بن علي الرملي الفقيه الشافعي (ت 504هـ / 1110م) كان من أهل الرملة بفلسطين، تفقه على أبي الفتح نصر المقدسي وعلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، رحل في طلب العلم إلى

(1) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص490؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص50؛ ابن الصلاح: طبقات الشافعية، ج2، ص87.

(2) النسفي: القند، ص466.

(3) ساوة: إحدى مدن بخارى، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص241.

(4) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج1، ص330، 331؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص58، 59.

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص49.



بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند، وفوض إليه التدريس بها على المذهب الشافعي، وكان علماء سمرقند يفخمون أمره ويذكرونه بالتعظيم، ويهابون الكلام معه في المسائل لفصاحته وفضله وحرمة<sup>(1)</sup> والمقدس فيه المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين، ومسرى ومعراج رسولنا الكريم ﷺ، ومحمد بن عبدالمنعم بن حسن السمرقندي الفقيه (ت 510هـ / 1116م) من كبار الفقهاء روى عنه عمر النسفي<sup>(2)</sup>. وكان الفقيه شمس الأئمة أبو الفضل بكر بن محمد الأنصاري الجابري (ت 512هـ / 1118م) شيخ الحنفية ببلاد ما وراء النهر وعالم تلك الديار، وكان يضرب به المثل في حفظ الإمام الأعظم أبي حنيفة حتى سمي أبا حنيفة الأصغر، وكان تلميذ أبي محمد عبدالعزيز الحلواني<sup>(3)</sup> وقاضي القضاة أبوبكر محمود بن مسعود بن عبدالحميد الشعبي البوزجندي نسبة إلى قرية بوزجند التابعة لسمرقند (ت 514هـ / 1120م) نزيل سمرقند، قال النسفي "كان إماماً فاضلاً مناظراً متميزاً تفقه على شمس الأئمة السرخسي<sup>(4)</sup>.

وكذلك كان الإمام أبوبكر محمد بن عبدالله بن فاعل السرخشي الفقيه الحنفي (ت 518هـ / 1124م) من الفقهاء البارزين، تفقه بسمرقند ثم بخارى، وكانت له يد قوية في النظر وباع طويل، وكان من مناظري البرهان وخصومه ببخارى، سمع أبا المعالي بن محمد بن زيد الحسيني، وروى عنه كثيرون<sup>(5)</sup>. وأبو المؤيد محمد بن عبدالخالق بن محمد القاضي بن أبي بكر السمرقندي (ت 520هـ / 1126م) كان من علماء الفقه البارزين، ولي قضاء سمرقند أكثر من ثلاثين سنة، وكان من خيار الحنفية وكان أبوه مستملي شمس الأئمة الحلواني<sup>(6)</sup>.

(1) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص142؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص167.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج35، ص255، 256.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص217، 218.

(4) ابن أبي الوفا: الجواهر المضئية، ج3، ص451؛ النسفي: القند، ص704.

(5) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص113؛ السمعاني: الأنساب، ج3، ص245.

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج35، ص415.

ويعد الفقيه الحنفي ركن الدين مسعود بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الكشاني الصغدّي السمرقندي (ت 520هـ/ 1126م) من أشهر الفقهاء، كان إماماً عالماً يرجع إليه في النوازل تفقه على شمس الأئمة السرخسي، له شرح الجامع الصغير للشيباني في الفروع، ومختصر المسعودي في الفروع<sup>(1)</sup>. والحسين بن علي بن أبي القاسم اللامشي السمرقندي الحنفي (ت 522هـ/ 1128م) كان إماماً فاضلاً متديناً يضرب بالمثل في النظر وعلم الخلاف، وكان على طريقة السلف في طرح التكلف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان يدخل على الملوك ويقول الحق في وجوههم، تفقه على السيد أبي شجاع العلوي، وسمع الحديث من الحافظ عبدالرحمن بن عبدالرحيم القصار، وأبي علي النسفي قدم رسواً من قبل ملوك خاقان سمرقند إلى دار الخلافة<sup>(2)</sup>.

وكان أبوبكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن طاهر الذي عرف بكاك (ت 525هـ/ 1130م) من أهل بخارى، من أشهر الفقهاء، كان إماماً لأصحاب أبي حنيفة، رحل في طلب العلم إلى بغداد ومكة وسمرقند والري<sup>(3)</sup> كما كان أبو الفتح ميمون بن محمد بن عبدالله بن بكر الدبوسي (ت 530هـ/ 1135م) فقيهاً مجوداً من الفقهاء الشافعية، وسمع منه أبو سعد السمعاني، وابنه أبو القاسم محمود بن ميمون الدبوسي الفقيه الشافعي (ت 530هـ/ 1135م) كان فقيهاً فاضلاً، تفقه هو وأبو سعد السمعاني مشتركين في الدرس وسمعا الحديث من المحدثين<sup>(4)</sup>.

والأمام الفقيه أبو علي الحسين بن الخليل بن أحمد بن محمد النسفي (ت 533هـ/ 1138م) نزيل سمرقند رحل في طلب العلم إلى بلدان العالم الإسلامي، فتفقه ببخارى على

(1) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص173.

(2) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج6، ص100، 101؛ السمعاني: الأنساب، ج5، ص671.

(3) ابن أبي الوفا: الجواهر المضئية، ج3، ص283.

(4) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص490.

الخطاب بن إبراهيم الكعي القاضي ودخل بغداد حاجاً، وحدث بها عن البخاري وكانت له يد باسطة في المناظرات<sup>(1)</sup>.

ومن الفقهاء المشهورين أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن علي الإمام السمرقندي المعروف بشيخ الإسلام الأسبيجاني (ت 535هـ / 1140م) كان من أئمة الفقهاء الحنفية، ولم يكن أحد يحفظ مذهب أبي حنيفة ويعرفه مثله في عصره، تفقه عليه جماعة منهم صاحب الهداية علي بن أبي بكر الفرغاني، وعمر في نشر العلم وسماع الحديث، له كتاب المبسوط كما قام بشرح مختصر الطحاوي في فروع الحنفية<sup>(2)</sup>.

وأبو إسحاق محمد بن منصور بن مخلص بن إسماعيل الحاكم النوقدي الإمام الزاهد صائم الدهر (ت 535هـ / 1140م) من كبار الفقهاء قال عنه السمعاني<sup>(3)</sup>: (المدرس الفتى بسمرقند تفقه عليه أبو يعقوب يوسف بن منصور بن إبراهيم السيارى، وروى عن القاضي أبي اليسر محمد بن الحسين البزدوي).

كما كان برهان الأئمة أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن عمر بن مازة المعروف بالصدر الشهيد (ت 536هـ / 1141م) من أكابر الحنفية ببلاد ما وراء النهر، تفقه على أبيه وبرع في المذهب واجتهد إلى أن صار أوحد عصره في علم المناظرات، وحاز قصب السبق على أقرانه وناظر الخصوم والكبار بخراسان والعراق، وارتفع أمره ببلاد ما وراء النهر إلى أن صار السلطان يصدر عن رأيه ويتلقى إشارته بالقبول، وعاش في حرمة وافرة إلى أن رزقه الله الشهادة في معركة قطوان بسمرقند<sup>(4)</sup>.

(1) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج3، ص514.

(2) القاري: طبقات الحنفية، روقة 38.

(3) الأنساب، ج5، ص538.

(4) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج1، ص208، ومعركة قطوان هي المعركة التي قادها السلطان سنجر السلجوقي ضد الغزاة الأتراك، راجع الراوندى: راحة الصدور، ص551.

ومن أهم تصانيفه الجامع الصغير، كتاب المطول، كتاب الفتاوى الصغرى، كتاب الفتاوى الكبرى الواقعات الحسابية في مذهب الحنفية، حالات وأحكام فقهية مقسمة على الأبواب المألوفة للفروع كتاب عمدة الفتاوى، كتاب الفتاوى الخاصة، خبرات الفقهاء، شرح أدب القاضي للحصاف<sup>(1)</sup>.

بدأ شأن هذه الأسرة يعلو في أواسط العصر السلجوقي بالأخص عندما قام السلطان سنجر بتزويج أخته لعبدالعزیز بن عمر، وهو والد أبي حفص عمر وعينه على رئاسة القضاء في بخارى، ومنحه لقب الصدر، وبعد وفاته انتقل مقام الصدر إلى نسله من بعده، ويبدو أن هذه الأسرة قدمت خدمات جليلة للسلاجقة الكبار في بلاد ما وراء النهر، ومن ثم نالت منهم الألقاب والوظيفة والمكانة، وارتبطت هذه الأسرة بالخانية التركية القائمة في سمرقند<sup>(2)</sup> ويعد أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد ابن لقمان النسفي السمرقندي (ت 357هـ / 1142م) من كبار الفقهاء، صنف في كل نوع من العلم، ومن أجل تصنيفاته في الفقه المنظومة وهي فتاواه التي أجاب بها عن جميع ما سئل عنه في أيامه خلاف ما جمعه لغيره، وكتاب المواقيت، وكتاب نظم الجامع الصغير في فقه الحنفية<sup>(3)</sup>.

ومن علماء الفقه البارزين القاضي ظهير الدين أبو الفتح عبدالرشيد بن أبي حنيفة الولواجي الطخارستاني (ت 540هـ / 1145م) سكن سمرقند، كان إماماً فاضلاً حسن السيرة، رحل في طلب العلم إلى كش وبخارى وتفقه على البرهان وكتب الأمالي في الفقه والفتاوى<sup>(4)</sup> وأبو القاسم ناصر الدين ابن يوسف السمرقندي الحسيني المدني، من أشهر فقهاء الحنفية، ومن

(1) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج6، ص294.

(2) الزركلي: الأعلام، ج25، ص51.

(3) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص123.

(4) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص417، 418.

تصانيفه الملتقط في الفتاوى (ت549هـ/ 1154م) والقانون المنشور وكلاهما في الفقه الحنفي<sup>(1)</sup>.  
وأبو المحامد محمود بن أحمد بن علي بن الفرج السمرقندي السغدّي (ت550هـ/ 1155م) كان  
إماماً بارعاً في الفقه والتفسير والحديث والمتنق والمختلف والوعظ، وكان حسن السيرة كثير الخير  
والعبادة، قرأ عليه السمعاني<sup>(2)</sup> وكذلك أبو نصر أحمد بن محمد بن عبدالجليل الفقيه السمرقندي  
الأبريسي (ت550هـ/ 1155م) من كبار الفقهاء، تفقه بسمرقند وسمع تنبيه الغافلين لأبي  
الليث من الإمام إسحاق بن محمد النوحى<sup>(3)</sup>.

كما كان أبوالفتح محمد بن عبدالحميد بن الحسين بن حمزة الأسمندي السمرقندي  
(ت552هـ/ 1157م) من أئمة الفقه، درس الفقه الحنفي والمناظرة، وصار من فحول الفقهاء من  
أصحاب أبي حنيفة وكان حسن العبارة، ألف مختلف الرواية في الفقه، وله الفتاوى الصغرى  
والكبرى رحل إلى بغداد وناظر علماءها، وحدث بها روى عنه السمعاني<sup>(4)</sup>.

ويعد أبو الليث أحمد بن عمر بن محمد بن إسماعيل بن لقمان بن شيخ الإسلام أبي  
حفص النسفي الذي يعرف بالمجد (ت552هـ/ 1157م) من أشهر علماء الفقه من أهل  
سمرقند، تفقه على والده وأسمعه والده من جماعة من السمرقنديين، والغرياء الواردين عليهم  
بسمرقند، وكان فقيهاً فاضلاً واعظاً قدم مرو متوجهاً إلى الحجاز، وأقام ببغداد شهرين ثم خرج  
متوجهاً إلى بلدة فلما وصل قومس<sup>(5)</sup> خرج جماعة من أهل القلاع وقطعوا الطريق على القافلة  
وقتلوا مقتلة عظيمة من العلماء والعائدين من الحجاز وكان فيها المجد النسفي<sup>(6)</sup>.

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج37، ص420؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج6، ص651.

(2) الداوودي: طبقات المفسرين، ج2، ص309.

(3) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص553.

(4) السمعاني: الأنساب، ج4، ص185؛ الداوودي: طبقات المفسرين، ج2، ص177؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج3، ص218.

(5) قومس: إحدى مدن بلاد الجبال، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص345.

(6) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج1، ص226، 227؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص236.

ويعد أبو القاسم ناصر الدين محمد بن يوسف العلوي الحسيني المدني السمرقندي المعروف بأبي القطن (ت 556هـ/ 1160م) من الفقهاء الحنفيين البارزين، كان عالماً بالتفسير والحديث والوعظ، قيل قتل صبراً، صنف جامع الفتاوى ويسمى أيضاً بالجامع الكبير، الذي نقله الشيخ مجدالدين الأثروسي سنة 605 هـ/ 1208م بأشروسنه وأملاه تماماً في سنة 616هـ/ 1219م<sup>(1)</sup>. وأبو الحسن علي بن مودود بن الحسين بن الحسن بن العباس النظري الكاشاني (ت 557هـ/ 1161م) كان إماماً فاضلاً فقيهاً مناظراً، حسن السيرة متواضعاً كثير التلاوة للقرآن الكريم، حافظاً له سكن سمرقند وولي الخطابة بها مدة غير طويلة أملى ودرس، ثم رحل إلى مرو وسكنها مدة، وولي التدريس بالمدرسة الخاقانية، وتفقه عليه جماعة كثيرة، كتب الأمالي عن مشايخ بخارى<sup>(2)</sup> ومن علماء الفقه الكبار الشيخ ركن الإسلام محمد بن أبي بكر السمرقندي (ت 573هـ/ 1177م) كان واعظاً فاضلاً، له شرعة الإسلام إلى دار السلام، في واحد وستين فصلاً، ألفه لتهديب الأطفال وقصد به نفع من جاء بعده ليتخذه دليلاً ومرشداً، لكن الكتاب أصبح مرجعاً للعامة والخواص ودليلاً موجهاً لمن أراد أن يهتدي في حياته بهدي الكتاب والسنة وهدي الرسول الكريم ﷺ في العادات والتقاليد والأحكام والمعاملات، فذكر ما ثبت بالسنة من عقائد الدين وملة الإسلام ينهج في ذلك نهج السلف، فجاء قانوناً ودستوراً للحياة في العقائد والأعمال والأخلاق، وتعرض في الكتاب فصول في بيان الأحكام العملية في حياة المسلم، وذكر فيها بعض ما لا يدخل في أبواب الفقه والحكام من الوصايا والتجارب وفصول في الفضائل والأدعية والأذكار، وفيه الكثير من الآداب العامة والعادات البشرية والأخلاق الإسلامية، والكتاب منه فضائل بعض الأطعمة والفواكه والأشربة<sup>(3)</sup>. كما شاركت النساء في إقليم الصغد مشاركة

(1) الداودي: طبقات المفسرين، ج2، ص219، 292؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص1813.

(2) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص616، 617.

(3) الزركلي: الأعلام، ج6، ص54.

فعالة في ميدان العلوم الدينية وخاصة الفقه حيث ظهر في هذا العصر عالما أسهم في تقدم الفقه، فكانت فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي مؤلفة التحفة (ت576هـ / 1180م) عالمة فاضلة فقيهة محدثة ذات خط جميل، تفقحت على أبيها وحفظت التحفة، تلقت الفقه على يد جموع من الفقهاء وجلست للتدريس وألفت مؤلفات عديدة في الفقه والحديث<sup>(1)</sup>.

وكان أبو بكر مسعود بن أحمد الكاساني علاء الدين ملك العلماء (ت587هـ / 1191م) من أئمة الحنفية، صاحب كتاب بدائع الصنائع، تفقه على علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي وتزوج ابنته فاطمة الفقيهة من أجل أنه شرح كتاب التحفة للسمرقندي، وسماه البدائع فجعله مهر ابنته، ويحكي المؤرخون أن الكاساني وزوجته ووالدها كانوا يفتون في عصره، وكان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يفتي في بيت واحد<sup>(2)</sup>. وكان افتخار الدين أبو هاشم عبدالمطلب بن الفضل القرشي الهاشمي البلخي الحنفي (ت616هـ / 1219م) من علماء الفقه الكبار، تفقه ببلاد ما وراء النهر وسمع بسمرقند وأفتى وناظر<sup>(3)</sup> وأبو الفتوح محمد بن أحمد السمرقندي الفقيه الحنفي السمرقندي الأصل البغدادي المولد والدار (ت621هـ / 1224م) كان من فقهاء أبي حنيفة، وكان فاضلاً جميل الطريقة متديناً لازماً لبيته قليل المخالطة بالناس مشتغلاً بنفسه<sup>(4)</sup>.

وكان حسام الدين محمد بن عثمان بن محمد العليابادي السمرقندي الحنفي (ت628هـ / 1230م) فقيهاً فاضلاً، له من التصانيف كتاب الفوائد، وكتاب كامل الفتاوى<sup>(5)</sup> كذلك كان أبو الفضل جمال الدين عبدالله بن إبراهيم بن أحمد بن عبدالمك ابن عمر الأنصاري العبادي السمرقندي (ت630هـ / 1232م) شيخ الحنفية ببلاد ما وراء النهر، وأحد من أنتهي إليهم رئاسة

(1) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج4، ص120-123؛ عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ج4، ص94، 95.

(2) ابن النديم: بغية الطب، ج10، ص4327-4348.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج45، ص76، 77.

(4) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج3، ص342.

(5) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج3، ص483.

المذهب عديم النظير في عهده، له تصانيف منها كتاب الفروق، وشرح الجامع الكبير، يعرف بأبي حنيفة الثاني<sup>(1)</sup> فضلاً عن العلامة فقيه المشرق شمس الأئمة أبو الوحدة محمد الكردي الحنفي (ت 642هـ/ 1244م) أستاذ الأئمة في الفقه الحنفي، رحل إلى بلاد ما وراء النهر وسمرقند وتفقّه ببخارى وبرع في معرفة المذهب<sup>(2)</sup>. ومن فقهاء إقليم فرغانة، الإمام نجم الدين أبو حفص عمر النسفي برهان الدين المرغيناني صاحب العقائد النفيسة في التوحيد الذي كان من أكابر فقهاء الحنفية، وكان (فقيهاً عالماً من المجتهدين) له مؤلفات فقهية بكثرة أهمها (بداية المبتدئ في الفقه)<sup>(3)</sup> وهو مختصر أوله (الحمد لله الذي هدانا إلى بالغ كلامه...) وذكر فيه أنه جمع بين مختصر القدوري والجامع الصغير والهداية<sup>(4)</sup> وهو من أشهر المؤلفات الفقهية الحنفية وبها اشتهر برهان تعرف بصاحب الهداية، وكتاب "مجموع النوازل" وكتاب التجنيس والمزايدي عليه<sup>(5)</sup> وكفاية المنتهي<sup>(6)</sup> ومناسك الحج<sup>(7)</sup> و"مختار الفتاوى" و"كتاب المشايخ" الذي تحدث فيه عن أكثر من أربعين شيخاً وعالماً درس عليهم وتعلم منهم العلوم الدينية، وامتد أثره إلى بخارى وسمرقند وخوارزم<sup>(8)</sup>.

ومنهم أيضاً محمد بن مسعود بن الحسين مجدالدين الكاشاني الحنفي صاحب كتاب (قنية العالم وفضلاء العالم) الذي لخص فيه الفتاوى الكبرى، ودّرس في مساجد خجندة وقبا

(1) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص343.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص112، 113؛ ابن أبي الوفا: الجواهر المضئنة، ج3، ص228، 229.

(3) برهان الدين المرغيناني: شرح بداية المبتدئ، تحقيق محمد عدنان درويش، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ص3-10.

(4) برهان الدين المرغيناني: الهداية، باعتناء الشيخ طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج1، ص5.

(5) برهان الدين المرغيناني: التجنيس والمزايدي عليه، مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة رقم 903، فقه حنفي طلعت، ميكروفيلم، 9337.

(6) برهان الدين المرغيناني: كفاية المنتهي شرح بداية المبتدئ، مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، رقم 392، فقه حنفي، ميكروفيلم رقم 28469.

(7) مصنف كبير يقع في ثمانين مجلداً يبدأ بقوله (الحمد لله الذي أعلى معالم العلم)، موجود بدار الكتب القومية، بأستابول.

(8) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج4، ص228؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج2، ص411.



وأشتيقان<sup>(1)</sup> ومنهم محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن مازة البخاري المرغيناني وهو من أكابر فقهاء الحنفية وله تصانيف منها (زخيرة الفتاوى) وهو خمسة أجزاء و"المحيط البرهاني في الفقه النعماني"، في أربع مجلدات، و"تتمة الفتاوى" و"الواقعات" و"الطريقة البرهانية" وشرح الجامع الصغير للشيباني، والتجريد<sup>(2)</sup>.

ومنهم أيضاً عبدالله بن صائب بن عبدالجليل الإمام السرخسي الحنفي، إمام الحنفية الذي أملى كتابه (المبسوط) في أوزكند - إحدى مدن فرغانة - وهو محبوب في البئر وكان تلاميذه يأتون إليه ويجلسون على حافة البئر، وهو في ظلته يملئ عليهم هذا الكتاب من ذاكرته<sup>(3)</sup> وكتاب المبسوط الذي يعدّ من أكبر كتب الفقه، وأقدمها، ويقع في ثلاثين جزءاً بالقطع الكبيرة<sup>(4)</sup>.

ومنهم جلال الدين الجنازي بن محمد بن عمر أبو محمد الخجندي الفرغاني، أحد مشايخ الكبار درس بخوارزم، عمل معيداً ببغداد، ثم رحل لدمشق فدرس بمدارسها كالمدرسة العزية والخاتونية، البرانية<sup>(5)</sup> أما الأوشي الفرغاني صاحب منظومة "بدء الأمالي" وتعرف بالقصيدة اللامية، أو قصيدة يقول في التوحيد "ومشارك الأنوار في شرح نصاب الأخبار لتذكركم الأخير"<sup>(6)</sup>.

ومن أعلام المذهب الحنفي بفرغانة محمد بن محمد بن عمر حسام الدين الأخسيكثي من مواليد أخسيكث بفرغانة توفي سنة 644هـ / 1246م، ومن تصانيفه "المنتخب في أصول

(1) الزركلي: الأعلام، ج7، ص111.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج3، ص125.

(3) انظر: السرخسي: المبسوط، تصحيح الشيخ محمد راضي الحنفي وآخرون، دار المعرفة، القاهرة، 1989م، ج1، ص3-7؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص117.

(4) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص324.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص331.

(6) قصيدة مكونة من 66 بيت فرغ من نظمها سنة 569هـ / 1173م وتشمل آراء فقهية لإنكار خلق القرآن الكريم والرد على المعتزلة، ومسألة صفات الله، ينظر، الأوشي الفرغاني: بدء الأمالي، مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، رقم 663/ توحيد / ميكروفيلم 39615؛ ابن الأثير: الكامل، ج11، ص332.

المذهب"، ويعرف هذا الكتاب "بالمختار السامي"، و"مفتاح الأصول" و"غاية التحقيق" و"دقائق الأصول والتبيين"، وشرح على المنار<sup>(1)</sup>.

ولا يفوتنا ذكر الفقيه رشيد الدين أبي حفص عمر بن محمد بن أبي نصر الحنفي الفرغاني المرغيناني ولد بفرغانة سنة 563هـ/1166م، كان إماماً في الفقه والأصول، ورحل إلى واسط بالعراق ودرس الفقه والأدب، وعمل شيخاً بالمدرسة المستنصرية، وبقي بها حتى توفي سنة 632هـ/1243م ودفن بمقبرة الخيزران<sup>(2)</sup>.

ومن فقهاء المذهب الحنفي بفرغانة أيضاً محمود بن زيد أبو الثناء اللاماشي الحنفي، ولد بقرية لامش بفرغانة، وبقي حياً حتى سنة 539هـ/1196م، ومن مؤلفاته الفقهية كتاب أصول الفقه<sup>(3)</sup> ومن أشهر فقهاء المذهب الحنفي فخرالدين قاضي خان الحسن الأركندي (ت592هـ/1195م)<sup>(4)</sup> صاحب المؤلف الفقهي الكبير (فتاوى الخانية في فقه السادة الحنفية)<sup>(5)</sup> وكتاب "شرح الجامع الصغير في الفروع للشيباني"<sup>(6)</sup> ومؤلفه "فتاوى قاضي خان"<sup>(7)</sup>.

ومن فقهاء فرغانة محمد بن أحمد بن علي بن خالد الفرغاني الحنفي، (ت513هـ/1119م) من مصنفاته الفقهية (مناسك)<sup>(8)</sup>.

- 
- (1) انظر: حسام الدين الأحمدي: شرح على المنار، مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، رقم 62 / أصول الفقه، ورقة رقم 11، حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص201.
  - (2) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج1، ص396؛ وليد الأعظمي: أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، مكتبة الرقيم، بغداد، 2001م، ص75.
  - (3) انظر اللاماشي: أصول الفقه، تحقيق عبدالمجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص3-8.
  - (4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21، ص231، 232.
  - (5) مخطوط فقهي كبير مكون من 526 ورقة تدور حول مختلف المسائل الفقهية، ويبدأ بقوله فضل في رسم المقتي وزماننا إذا استغني عن مسألة من واقعه، وخاتمته، ينظر، قاضي خان: فتاوى الخانية في فقه السادة الحنفية، مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة رقم 71 / مخطوط تركية، ورقة 1 - 3، ص524 - 526.
  - (6) انظر: قاضي خان: شرح الجامع الصغير في الفروع للشيباني (مخطوط بدار الكتب المصرية والوثائق القومية)، القاهرة، رقم 2920 / بخت الفقه الحنفي.
  - (7) انظر: قاضي خان: فتاوى قاضي خان، مخطوط بدار الكتب المصرية والوثائق القومية، القاهرة، رقم 10321 / فقه حنفي.
  - (8) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج3، ص84..

ومن فقهاء الشافعية بفرغانة الفقيه أبوبكر محمد بن ثابت بن حسن بن إبراهيم ابن عبداللطيف الخجندي توفي سنة 483هـ / 1090م الذي كان إماماً شافعيّاً فاضلاً مناظراً واعظاً، فقد أسهم بدور كبير في تفقيه الطلبة، حيث كان يعمل بالمدرسة النظامية بأصفهان، وكان يعظ بها، وبجامع القصر فيها، وسمع بأصبهان أبا علي الحداد، وغانم ابن أحمد، وغيرهم ومن تصانيفه "روضة المناظرين" و"زواهر الدرر في نقص جواهر النظم"<sup>(1)</sup>. وكذلك أحمد بن محمد بن ثابت بن الحسن بن ثابت الخجندي (ت 531هـ / 1142م) الذي تفقه على والده عبداللطيف الخجندي، ودرس بالنظامية، وعاش حتى بلغ الثمانين، وممن روى عنه السمعاني<sup>(2)</sup>.

واعتماد فقهاء الحنفية والشافعية بفرغانة عقد مجالس للمناظرة والمجادلة، ورد كل منهما على الآخر في بعض المسائل الفقهية، فقد روي أن الفقيه السرخسي الحنفي السابق ذكره، عندما خرج من سجنه في أوزكند وتوجه لفرغانة وأكرمه أميرها، قبل له "حفظ الشافعي ثلاثمائة كراس"، فقال السرخسي "حفظ زكاة ما أحفظه فحسب، فما أحفظه اثني عشر ألف كراس"<sup>(3)</sup>.

أما الفقيه أبو عبدالله محمد بن داود بن أحمد بن رضوان الايلاقي الخطيب من أهل أيلاق، إحدى مدن فرغانة، أقام بمرور الوقت مدة، وصحب السمعاني في رحلته لنيسابور عام 530هـ / 1135م، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة 539هـ / 1144م<sup>(4)</sup> والذي اتصف بالصلاح وحسن السيرة، وقام برحلات عدّة، وعمل مدرساً بالمدرسة العميدية بمرور لتدريس المذهب الشافعي<sup>(5)</sup>.

(1) السبكي: طبقات الشافعية، ج6، ص133، 134؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج3، ص188.

(2) السبكي: المصدر نفسه، والجزء، ص51.

(3) ابن أبي الوفا: الجواهر المضئية، ج2، ص324.

(4) السمعاني: التجبير في المعجم الكبير، ج2، ص125.

(5) السمعاني: نفسه.

ومن فقهاء الشافعية أيضاً أبو المظفر عبدالكريم بن العباس الأندكاني كان إماماً فاضلاً زاهداً، ورعاً، تقياً، حسن السيرة متواضعاً، توفي سنة 481هـ/ 1088م<sup>(1)</sup> وتفقّه على الإمام عبدالعزيز بن أحمد الحلواني، وبرع في الفقه، وانتشر فقهه في قرى فرغانة ومدنها، وخوارزم، والشام، وخراسان وغيرها من الأقاليم<sup>(2)</sup>. وممن رحلوا بفقههم إلى فرغانة، وأفادوا الطلبة الفرغانيين عبدالوهاب بن محمد بن موسى أبو أحمد الغندجاني، ولد عام 566هـ/ 1170م، وتوفي سنة 637هـ/ 1239م وكان فقيهاً يوثق به ويعلمه، رحل إلى أصفهان وفرغانة وعمل بمساجد أخسيكث، وخجندة وسكث<sup>(3)</sup>.

ونبع فقهاء فرغانة أحناف كانوا أو شافعية في الجدل والمناظرات، فالإمام الحنفي الكبير عبدالله أبوبكر الفرغاني المرغيناني، سكن سمرقند، رحل إلى بغداد سنة 600هـ/ 1203م الذي قال عنه ابن أبي الوفا<sup>(4)</sup>: "وكان من أفراد الدهر، ونوادير العصر، كامل الصفات، بعيد المثل، قل أن تلد النساء مثله كان قد ورد إلى العراق بصحبة الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي الشافعي، مناظراً أتمتها وجرت بينه وبينهم قصص ومناظرات وجدل في الفقه الشافعي والحنفي، وكان من فحول أهل النظر والمايسر، والمستظهرين بالخدم، والحشم والتجميل<sup>(5)</sup>.

ولم يقتصر النتاج الفكري في الفقه على أهل السنة فقط، بل أسهم أصحاب الفرق الأخرى كالشيعة، بفقهم في النتاج العلمي بإقليم ما وراء النهر وخاصة بإقليم فرغانة ومنهم أبو عبدالله الحسين بن الأورع الواعظ العلوي (ت 576هـ/ 1180م) وهو من فقهاء فرغانة، التي ولد بها، وله

(1) السمعي: الأنساب، ج1، ص224، 225.

(2) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص245.

(3) السمعي: الأنساب، ج1، ص224، 225.

(4) الجواهر المضيئة، ج1، ص383.

(5) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج1، ص383.

بها أولاد وأحفاد يسمون بالملحوس، وانتشروا في مدن فرغانه وقراها ينشرون آرائهم الفقهية<sup>(1)</sup> ومنهم أيضاً أحفاد محمد بن إسماعيل العلوي الذين انتشروا في سمرقند، وفرغانة خوفاً من العباسيين والسلاجقة السنة واستطاعوا التمويه على الخلفاء، والإفلات من قبضتهم إلى جانب نشر آرائهم<sup>(2)</sup>.

**ومن فقهاء إقليم أشروسنه أبو جعفر محمد بن عمرو بن الشعبي بن سليمان الأشروسني** كان فقيهاً مبرزاً عالماً بالقضاء والإفتاء، كما كان من علماء الحديث الذين ارتحلوا إلى بخارى، وعرف فيها الفقه حتى تولى قضاها مدة من الزمن، وكان يعرف بالإمام القاضي<sup>(3)</sup> وأبوبكر محمد بن أحمد الأشتيخني من الفقهاء المنسوبين إلى أشتخند إحدى مدن أشروسنه وكان من فقهاء المذهب الشافعي، وكان من أعلام المذهب ببلاد ما وراء النهر حيث كان من أئمة أصحاب الشافعي توفي سنة 481هـ / 1088م وكانت له مجالس علم بأشتيخن<sup>(4)</sup> وكان أبو عبدالله محمد ابن عصام بن حمدان الفقيه القطواني المنسوب إلى مدينة قطوان الأشروسنية، من أبرز الفقهاء الأحناف فيها<sup>(5)</sup>.

**ومن فقهاء إقليم الشاش أبو محمد بن أحمد بن عثمان الأشتور كشي نسبة إلى مدينة أشتوركث أو شطوركث والتي تقع على نهر ترك<sup>(6)</sup> كان فقيهاً مناظراً له مؤلفات في الفقه الشافعي توفي سنة 516هـ / 1122م<sup>(7)</sup> ومنهم أبو سعيد الخرشكتي نسبة إلى مدينة خرشكت بإقليم الشاش**

---

(1) ابن عنبه جمال الدين محمد بن علي الحسيني: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عني بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني، النجف الأشرف، 1960م، ص 189.

(2) ابن عنبه: المصدر نفسه، ص 208.

(3) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 256؛ ابن الأثير: اللباب، ج1، ص 63.

(4) السبكي: طبقات الشافعية، ج3، ص 343.

(5) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص 375.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 418.

(7) السبكي: طبقات الشافعية، ج1، ص 293.

شرقي سمرقند بما وراء النهر<sup>(1)</sup> مات سنة 480هـ / 1087م، له مصنفات في الفقه الشافعي ودرس بنظامية بلخ مدة<sup>(2)</sup> ومنهم أبو الحسن علي بن النعمان بن سهل الكمنجتي نسبة إلى قرية كمنجت التابعة لإقليم الشاش<sup>(3)</sup> كانت له تصانيف في الفقه ومجالس مناظرات وجدل<sup>(4)</sup>.

نستخلص ممن سبق أن العلماء والفقهاء على اختلاف مذاهبهم وفرقهم، حرصوا على جمع الآثار، ورجعوا إلى الروايات، وأخرجوا الأحكام وبنوا فتاويهم في المسائل والفروع المختلفة على أصول أئمتهم، وقواعدهم، وفتاويهم، وتشددوا في الالتزام، وخاضوا في ميدان الجدل والمناظرة في مجالس علمية كان يحضرها العلماء والفقهاء، وأولوا بالبراهين والحجج، وألفوا الكتب، وجمعوا منها أحكام الأئمة وأدلتهم، وكانت هذه المناظرات تدور بين أتباع المذاهب الفقهية المختلفة، وحاول أنصار كل مذهب أو فرقة إثبات صحة آرائهم على حساب الفرق أو المذاهب الأخرى، وكل ذلك ما هو إلا انعكاس للأحوال السياسية في إقليم ما وراء النهر وتأثيرها في علم الفقه، وأصوله، والحياة العلمية في الإقليم.

#### • علم التوحيد:

هو العلم الذي يبحث في ذات الله، ويؤكد وحدانيته لأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ليس له صفات أزلية مثل العلم والحياة، فالله سميع بصير، عليم قدير، عالماً بذاته، ولا يشاركه في وحدانيته أحد<sup>(5)</sup> وهو أحد الفروع المهمة من العلوم الشرعية، وبرز علماء فرغانيين عملوا جاهدين على الاجتهاد في علم التوحيد بشقيه التقريبي، والدفاعي، ومنهم أبو المعالي محمد بن محمد بن زيد الحسيني السرخسكتي ت بسمرقند مستهل ذي الحجة سنة

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص418.

(2) السمعاني: الأنساب، ج4، ص188.

(3) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص436.

(4) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص188.

(5) النجدي: كتاب جليل في علم التوحيد، مخطوط بالمكتبة الأزهرية، القاهرة، رقم 341290، ورقة 1 .

518هـ/ 1124م كان فقيهاً عالمياً بالتوحيد ومن مناظري البرهان بيخارى<sup>(1)</sup> وأبو بكر أحمد بن خلف الشوخناكي نسبة إلى قرية شوخناك وهي قرية من قرى الصغد كان أعلم أهل عصره في التوحيد مات سنة 476هـ/ 1083م ومنهم أيضاً الإمام عبدالمجيد ابن خلف الشلجيكثي نسبة إلى قرية شلجيكث من بلاد طراز والشاش مات بسمرقند سنة 430هـ/ 1038م.

ومنهم أبو علي عصمة بن عاصم السكلكندي الحافظ، رحل إلى مصر وكان من علماء الفقه والتوحيد، وينسب إلى قرية سكلند وهي من نواحي طخارستان<sup>(2)</sup> ومن أبرزهم في إقليم فرغانة الأوشي الفرغاني السابق الذكر والذي كان له دوراً كبيراً في إرساء علم التوحيد في فرغانة، بما أنتجه من مؤلفات قيمة منها قصيدة "بدء الأمالي" وهي منظومة شعرية كاملة في صفات الله، والرد على المعتزلة في مسألة خلق القرآن، كما أنه صاغ رسالة كاملة عرفت بـ(رسالة في العقائد والتوحيد)<sup>(3)</sup>، وطوع علماء التوحيد في بلاد ما وراء النهر التوحيد لخدمة آرائهم الفقهية حول بعض المسائل كصفات الله عز وجل، ومسألة خلق القرآن وتكفير بعض الفرق كالمعتزلة الذين نادوا بخلق القرآن، وغيرها من المسائل<sup>(4)</sup>.

#### • علم التصوف<sup>(5)</sup>:

نزعة من النزعات، وليست فرقة مستقلة ثابتة الآراء والأهداف وإن كان بها بعض التماثل في الأسباب، واعتماد التسلسل في الطريقة ولذلك يصح أن يكون الرجل سنياً صوفياً، أو شيعياً

(1) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص451.

(2) ابن الأثير: المصدر نفسه، والجزء، ص459.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج11، ص332.

(4) عبدالله سعد: موسوعة علماء آسيا الوسطى، ج4، ص541.

(5) اختلفوا فيه هل من لبس الصوف أو تصفية القلب إمانة الصفات البشرية، والأبتعاد عن الدواعي النفسية والنزول على الصفات الروحانية، والسمو إلى العلوم الحقيقية، ونصيحة الأمة كلها، والوفاء في العلم بالحقيقة، ومتابعة النبي في الشريعة، والتصوف اسم جامع لمعاني الفقر، والزهد، مع مزيد من الأوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل متصوفاً، وإن كان زاهداً فقيراً، ينظر، السراج الطوسي: اللمع حقه وقدم له د. عبدالحليم محمود وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، ومكتبة المثني، بغداد، 1960م، ص40.

صوفياً، أو معتزلياً صوفياً<sup>(1)</sup> ويرى ابن خلدون<sup>(2)</sup> أن الصوفية يختصون بلبس الصوف فقال: "وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف".

وقيل: إنه من الصفا ومنهم من قال: هي من بني صوفة وهم جماعة من العرب كان يزهدون ويقلون التهافت على الدنيا فنسبت هذه الطائفة إليهم<sup>(3)</sup>.

وفي إقليم ما وراء النهر نجد أن تيار الزهد، والتصوف قد وصل إلى درجة كبيرة بحكم جوارها لخراسان، وأقاليم العراق والشام التي قوي فيها تيار التصوف، ونتيجة لظهور السلاجقة في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ومن بعدهم الخوارزميين أثره في ازدياد التصوف في إيران وآسيا الوسطى<sup>(4)</sup> وخوارزم أكثر من ذي قبل، ما أدى إلى انتشار وجهة نظر الصوفية المنشائمة بالنسبة للحياة المادية والدينيوية<sup>(5)</sup> وكانت مجالس الوزير نظام الملك مأهولة بالأئمة والزهاد<sup>(6)</sup> وانتشرت في عهده الزوايا والتكايا والأربطة<sup>(7)</sup> وكان من نتيجة ذلك أن أصبح إقليم خوارزم مقراً للصوفية، وتطور علم التصوف، وانتشرت الطرق الصوفية، وكان لكل منها أولياؤها ومؤسسوها الذين تسمى الطريقة باسمهم، والذين كان لهم خلفاء وشيوخ، وانتشرت كل واحدة من هذه الطرق انتشاراً واسعاً<sup>(8)</sup> ومن هذه الطرق "الطريقة الكبرى" وقد أسسها الشيخ نجم

---

(1) السهر وردي: عوارف المعارف ط2، تحقيق عبدالعزيز الخالدي، القاهرة، 1973م، ص554؛ قاسم غنى: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة عن الفارسية د. صادق نشأت راجحة د. أحمد ناجي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص6؛ عادل محمود عبدالخالق: التصوف الإسلامي إلى الله تعالى، القاهرة، 2003م، ص12.

(2) المقدمة، ص467.

(3) الكلابادي: التعرف لمذهب أهل التصوف "لولا التعارف لما عرف التصوف" حققه محمود أمين النوري، دار الاتحاد، القاهرة، 1969م، ص6؛ عبدالحليم محمود: التصوف الإسلامي شخصيات ونصوص، دار الشرق العربي، القاهرة، د. ت، ص5-9.

(4) محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص432.

(5) بطروشوفسكي: الإسلام في إيران، ترجمة د. السباعي محمد السباعي، ط2، دار الزهراء للنشر، 1412هـ/ 1993م، ص334.

(6) نظام الملك: مقدمة سياسية تامة، ص5.

(7) عبدالهادي محبوبة: نظام الملك، ص231.

(8) بطروشوفسكي: الإسلام في إيران، ص334.



الدين الكبرى (ت 618هـ / 1221م) وكان إماماً زاهداً صوفياً، وله عدة رسائل في التصوف وكان من كبار ومشايخ التصوف<sup>(1)</sup> وصار شيخ الصوفية وملجأ للغرباء، عظيم الجاه فلا يخاف في الله لومة لائم، وكثر أتباعه ومريدوه في إقليم خوارزم وغيره، وانتفع به خلائق في سلوك طريق الله تعالى<sup>(2)</sup>. ولهذا العالم الصوفي الجليل رسائله المتعددة في التصوف منها (فواتح الجمال) وهو كتاب فارسي في التصوف ورسالة "الهائم الخائف من لومة اللائم"<sup>(3)</sup> وفيها يقول القزويني<sup>(4)</sup>: (من حقها أن تكتب بالذهب، ما صنف مثلها في الطريقة، ومن عجائبها ما ذكر أن للشيطان لطائف عجيبة في إضلال الناس، فيضل كل واحد حسبما يليق بحاله، أما الجهال فيضلهم بجهلهم، وأما العلماء فيقول اشتغل بتحصيل العلوم، أما عرفت قول النبي ﷺ: (لقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) فاصرف عمرك في تحصيل العلوم فإذا كان آخر عمرك اشتغل بالعمل، فيأتيه الموت يعبه فجأة فيكون له علم بلا عمل.

ويقول القزويني<sup>(5)</sup> فيه أيضاً "وحكى رحمه الله، أنه كان يجاهد نفسه، فجاء الشيطان يوسوس عليه الحال فيقول: إنك رجل عالم تتبع آثار النبي عليه السلام فاشتغل بسماع أحاديث النبي ﷺ، وآثار المشايخ الكبار الحفاظ"، وهكذا كان علم التصوف مزدهراً في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي والخوارزمي فهذا الزمخشري نجاه سنة 513هـ / 1119م غلب على نفسه التصوف والشك وأصبحت غايته في التأليف غاية دينية ويظهر ذلك في كتابة (المفضل في صناعة الأعراب) الذي شرع في تأليفه في نفس العام<sup>(6)</sup>.

(1) الداوودي: طبقات المفسرين، ج1، ص59.

(2) السبكي: طبقات الشافعية، ج8، ص53.

(3) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج1، ص90.

(4) آثار البلاد، ص528.

(5) المصدر نفسه، ص529.

(6) الصاوي: منهج الزمخشري، ص53.

ومن متصوفي فرغانة محمد بن أحمد الشهير بسعيد الفرغاني الصوفي، الذي أخذ الصوفية من نجيب الدين السهروردي، حيث صحبه، واستفاد من صدر الدين محمد بن إسحاق، توفي سنة 699هـ/ 1260م، وله من التصانيف "التقرير البيان وتحرير شعب الأيمان<sup>(1)</sup> ويأتي على قمة الزهاد والعباد والمتصوفة في فرغانة أبو سعد أبو المكارم رزق الله التبائي (ت 471هـ/ 1078م)، الذي سكن بخارى، وكان يُلقب بالصوفي شيخ الصوفية وبلغ من تأثيره أنه نزل مدينة صور بالشام، وأقام بها أربعين عاماً يُعلم فيها حتى قيل إنه لم يكن قد بقي بالشام شيخ لهذه الطائفة "أي الصوفية" يجرى مجراه<sup>(2)</sup>.

ومنهم أيضاً أبو علي الخجندي، الذي كان من كبار المشايخ الصوفية بفرغانة، ومن أقواله في التصوف ثلاثة أشياء من عقد التوحيد والخوف والرجاء، والصحبة، وزيادة الخوف من كثرة الذنوب لرؤية الوعيد، وزيادة الرجاء، من اكتساب الخير لرؤية الوعد، وزيادة المحبة من كثرة الذكر، لرؤية المنة، سنة 447هـ/ 1055م<sup>(3)</sup> ومن أصحاب الطرق الصوفية في فرغانة أيضاً أبو المظفر عبدالكريم الأندكاني، الذي كان إماماً فاضلاً، كما يتصف بالورع، والتواضع والزهد<sup>(4)</sup> وأبو محمد ابن الحسين الأندكاني الذي كان شيخاً للطريقة الحسنة في تربية المريدين، وكان حسن الخلق، مداوماً على العبادة عمل على خدمة الطلاب والمتصوفة في خانقاه الشيخ بمرو، وهناك لقيه السمعاني بها ثم في بخارى وكان يقول "وكان يكرمني في غاية الإكرام"<sup>(5)</sup>.

ونلاحظ أن رجال الصوفية في فرغانة وغيرهم اعتمدوا على الرحلة في تعلمهم، وبيث علمهم للآخرين، كما نلاحظ كثرة الصوفية مما يعلل كثيرة المؤلفات الصوفية، والإنتاج الفكري

(1) البغدادي: هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ص 184.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص 261-265.

(3) السلمي: طبقات الصوفية، ص 247.

(4) السمعاني: الأنساب، ج1، ص 224.

(5) السمعاني: المصدر نفسه، ج1، ص 337.

بإقليم ما وراء النهر. ولم يقتصر التصوف على الرجال فقط، بل امتد إلى النساء أمثال عمرة الفرغانية وهي امرأة على خلق، وفراسة، وعلم، وزهد، وهي من كبار المتصوفات الفرغانيات ومما روي عنها من الحكمة في الزهد والتصوف (ميراث الصمت والحكمة، والتفكير، ومن أنس بالخلوة مع العلم أورثه ذلك أنساً من غير وحشة) ومن أقوالها أيضاً "من خدم الأحرار والفتيان أورثه ذلك عزاً عند الخلق، ومهابة في أعينهم، ودله ذلك على رشده وبلغه درجات الأولياء" كما سُئلت عمرة، هل يوافق العارف الزاهد؟ فقالت: "إن وافق الحي الميت وافق العارف الزاهد"<sup>(1)</sup>.

كما ازدهر التصوف في إقليم الصغد في العصرين السلجوقي والخوارزمي وذلك لانتشار التعصب والمنازعات الدينية بين الفرق الإسلامية، واستخدمت كل فرقة من هذه الفرق العلم وسيلة للتفوق على الفرق المخالفة لها، وفي ظل هذه الظروف لم يتدخل المتصوفة في هذه المنازعات، بل التزموا الحياد مع الفرق كافة<sup>(2)</sup> ومن ضمن العوامل التي ساعدت على ازدهار التصوف في الإقليم الاضطرابات السياسية حيث أدت الفتن والثورات إلى حالة من الخوف عند السكان فأثر بعضهم العزلة وأظهروا الزهد في الدنيا وانزروا في الخانقاوات وتفرغوا فيها للعبادة<sup>(3)</sup> ومن ثم حظي شيوخ الصوفية بالإجلال والتعظيم، وارتفع شأنهم وعظم تأثيرهم في حياة الناس، وأصبح التصوف علماً مدوناً له علماء الذين ينشرون مبادئه وتعاليمه ويدعون إليه، حتى إن السلاطين السلاجقة والخوارزميين كانوا يلجؤون إلى رجال التصوف في حياتهم لأنها الفرقة الوحيدة التي بقيت بعيدة عن التعصب، ووجد الناس بما فيهم السلاطين مرفأ الأمان، فألقوا بأنفسهم في أحضانها، ما قوى نفوذهم وأصبح رجالها أكثر تسامحاً وأرجح عقلاً<sup>(4)</sup>.

(1) السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، تحقيق محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، ومكتبة الأسرة، القاهرة، 1999م، ص49.

(2) قاسم غني: تاريخ التصوف، ص666، 667.

(3) ملكة علي التركي: مدخل إلى الأدب الصوفي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997م، ص201.

(4) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج4، ص278.

ونظراً لبداءة السلاجقة فقد أعجبوا بالمظاهر البراقة، فراقهم مظهر طوائف الصوفية وأعجبوا بتصرفات شيوخها فزاد احترامهم لهم، وكان السبب في ذلك أن الصوفية يظهرون الزهد في الدنيا وحطامها الزائل، ويبتعدون عن مصاحبة الملوك والأمراء وأصحاب الجاه والسلطان، ولا يتدخلون في النزاع بين الفرق المختلفة، ويحرصون على اتباع سياسة السلام مع الجميع<sup>(1)</sup>.

وامتاز الصوفية بسلامة الفكر، والبعد عن التعصب، واتصفوا بالعفة والأخلاق المحمودة وأخذ نفوذهم يزداد ويقوى وبدأ يظهر في الأدب منذ القرن الخامس الهجري ثم ازداد حتى أصبح له نوع من الشمولية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، واستمر بعد ذلك في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، حتى كدنا لا نرى شاعراً غير معني بإصلاحات الصوفية<sup>(2)</sup>.

وقد تغلغت أفكار الصوفية في أدب الدولتين السلجوقية والخوارزمية، وأثرت فيه على نحو جعله مملوءاً بالمعاني المجازية والاستعارات، والكتابات الإشرافية الصوفية، وحاملاً بشطحات القوم، وازداد نفوذ التصوف في الشعر، حتى أصبح جزءاً كبيراً منه مستمداً من التصوف<sup>(3)</sup>.

ولم تسلم فرق الصوفية رغم احترام السلاطين والأمراء لهم، من الهجوم فقد هوجمت بعض فرقهم نظراً لاعوجاج في مسلك أفرادها وسوء معتقداتهم كفرقة الواصلية التي كان أتباعها يرون أنه بحصول المعرفة يتم الوصول إلى الحق، وأن الواصل تسقط عنه التكاليف والشرائع الدينية<sup>(4)</sup>.

(1) عبدالنعميم حسانيين: سلاجقة إيران والعراق، ص172.

(2) عبدالنعميم حسانيين: نظام الكنجوي، شاعر الفضيلة، عصره، بيئته، شعره، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، 1954م، ص65، 66.

(3) النظام العروضي السمرقندي: جهاز مقاله، ص127.

(4) أحمد حلمي: السلاجقة، ص227.

واتهمت بعض الفرق الصوفية بالكفر والزندقة، وكان هذا مسوغاً لقتلهم وإهلاكهم<sup>(1)</sup> وظل الناس يدخلون في التصوف أفواجا، ودخل المسلمون في سبات عميق ظلوا غرقى فيه إلى العصر الحديث<sup>(2)</sup>.

ومن أشهر متصوفي إقليم الصغد أبو بشر عبدالله بن محمد بن محمد بن أحمد بن هارون النيسابوري الصوفي (ت 435هـ / 1043م) نزيل سمرقند وكان له بها أمالي<sup>(3)</sup> والشيخ أبو محمد عبدالخالق بن أبي ملك البلخي الصوفي (ت 448هـ / 1056م) دخل سمرقند وحدث بها<sup>(4)</sup> ومن بينهم الشيخ أبو الوليد الحسن البلخي المحدث الصوفي (ت 450هـ / 1058م) كان أحد المشايخ المشهورين الجواليين في طلب الحديث، قدم نيسابور ودخل سمرقند وتوفي فيها<sup>(5)</sup>.

كما كان الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الخراط السمرقندي (ت 510هـ / 1116م) من كبار المتصوفين، له مجلس إملاء في رباط المربع<sup>(6)</sup> والشيخ أبو حفص عمر بن عبدالله الصوفي الصندوقي السمرقندي (ت 511هـ / 1117م) الذي أجاز للنسفي جميع مسموعاته وهي كثيرة<sup>(7)</sup>.

وكان الشيخ طاهر بن يونس بن علي الغاني (ت 519هـ / 1125م) المقيم بسمرقند في رباط بيت أبي الأشعث، من أشهر المتصوفين<sup>(8)</sup> والشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن الحسين الهمذاني الزاهد (ت 535هـ / 1140م) شيخ الصوفية بمرور وبقية مشايخ الصوفية العاملين، رحل

---

(1) أحمد حلمي: المرجع نفسه، ص 228.

(2) عبدالنعيم حسانيين: سلاجقة إيران والعراق، ص 175.

(3) النسفي: القند، ص 338.

(4) النسفي: المصدر نفسه، ص 387.

(5) ناجي معروف: مدارس ما قبل النظامية، ص 29.

(6) النسفي: القند، ص 564.

(7) النسفي: المصدر نفسه، ص 478.

(8) السمعاني: الأنساب، ج 4، ص 381.

في طلب العلم إلى بخارى وسمرقند، وله مؤلفات جلييلة منها كتاب (منازل السالكين) وكتاب (زينة الحياة)<sup>(1)</sup>.

ومن المتصوفين المشهورين الشيخ الإمام العلامة أبو حفص عمر بن محمد ابن أحمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي (ت 537هـ/ 1142م) له كتاب "فرق متصوفة" أوله بسملة هذا الكتاب ببيان مذاهب أهل التصوف يحتوي على أربعين رسالة، ثم يذكر أن أهل التصوف اثنتا عشرة، إحدى عشرة منها ضالة، وواحدة على طريق الصواب<sup>(2)</sup> والشيخ أبو محمد مظهر الدين محمود بن محمد بن العباس ابن أرسلان الخوارزمي صاحب كتاب "الكافي في الفقه" (ت 568هـ/ 1172م) كان إماماً في الفقه والتصوف، نزيل سمرقند سمع بها أحمد بن عبدالواحد الفارسي<sup>(3)</sup>. والشيخ ركن الإسلام محمد بن أبي بكر السمرقندي المعروف بإمام زاده (ت 573هـ/ 1177م) كان إماماً فاضلاً يعظ الناس ويتكلم عن علوم التصوف، أخذ التصوف من أشهر علماء<sup>(4)</sup>.

وبما أن إقليم ما وراء النهر إقليم جهاد دائم فقد كثرت فيه الأربطة والزوايا والخانقاوات التي رابط فيها وسكنها الصوفية، وكانت أقاليم أشروسنه والشاش وغيرها من أشهر الأقاليم التي بنيت فيها الأربطة والخانقاوات للصوفية والتي تعجز الصفحات عن رصد أسمائهم وأعدادهم.

خلاصة القول أدت الاضطرابات السياسية والصراعات المذهبية التي عانى منها الناس في إقليم ما وراء النهر خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي إلى ازدهار التصوف هرباً من الحياة الدنيا، وقد حظي المتصوفون باحترام وتقدير الحكام والناس، لبعدهم عن دائرة التعصب المذهبي

(1) الذهبي: العبر في خبر من غير، ج2، ص449.

(2) الزركلي: الأعلام، ج8، ص219، 220.

(3) السبكي: طبقات الشافعية، ج7، ص289.

(4) السمعي: الأنساب، ج5، ص231.

التي عانى منها المجتمع آنذاك، والتزموا الحياد مع كافة الفرق والمذاهب، ومن ثم زخر الإقليم بعدد عظيم من علماء التصوف الذين خلفوا مصنفات عظيمة أثرت المكتبة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

ثانياً / العلوم اللغوية والأدبية:

اللغة - النحو - الأدب - الشعر - النثر.

• العلوم اللغوية: اللغة:

شرف الله سبحانه وتعالى اللغة العربية، فيها نزل القرآن الكريم على قلب الحبيب المصطفى ﷺ يقول الله تعالى: "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)"<sup>(2)</sup>.

فاللغة العربية نبتت من القرآن الكريم، ومن حديث رسول الله ﷺ وهو أفصح الناس وأبلغهم وأعلمهم فهو القائل عليه السلام (أنا أعلم أهل الضاد) أي اللغة العربية، ومن هنا جاء اهتمام العلماء باللغة العربية لأنها الأساس في فهم أمور الدين، وشريعة الإسلام وعرف ابن خلدون<sup>(3)</sup> علم اللغة بقوله "بيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالأعراب، ارتبطت القوانين لحفظها، ثم استمر ذلك الفساد بلامسه العجم، ومخالطتهم، حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلاً مع هجنة المعتل في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتاجوا إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين، خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن، والحديث، فشمّر كثير من الأئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين، ومن هنا نلاحظ أن الاهتمام باللغة بدأ - أول ما بدأ - في حلقات القراء والمحدثين والفقهاء، كما أن

(1) مرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص276.

(2) سورة الشعراء: الآيات 192 - 195.

(3) المقدمة، ص548.

الاهتمام بتعليم الأطفال بعض أمور اللغة يبدأ من المراحل الأولى له<sup>(1)</sup> لأن اللغة هي القلب الذي تفرغ فيه الأمة أفكارها ومفاهيمها وثقافتها ومعتقداتها وعواطفها وأمجادها، وبعبارة أخرى اللغة هي المرآة التي تعكس في جرس ألفاظها ونغمات تعابيرها، وطريقة أدائها خصائص المتكلمين بها وصفاتهم وملامح شخصيتهم ومعالم تفكيرهم وعقليتهم وسمات طبائعهم وعاداتهم وأخلاقهم<sup>(2)</sup>.

وكان اهتمام المسلمين بتفسير القرآن الكريم دافعاً لأن يهتموا اهتماماً كبيراً بعلوم اللغة العربية ولم يزل الأئمة من الصحابة والتابعين ومن أتى بعدهم من القرون التالية على تعلم اللغة العربية وحفظها، والرعاية لمعانيها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، فيها أنزل الله القرآن الكريم المهيم على سائر كتبه، وبها بلغ رسوله ﷺ وظائف دعوته وشرائع أمره ونهيه<sup>(3)</sup>.

وأصبحت اللغة العربية في فترة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، لغة عالمية استوعبت مجالات التعبير في فروع المعرفة المختلفة، ألف بها مؤلفون من جماعات لغوية مختلفة، وكانت اللغة العربية الوسيلة المشتركة للتعبير عندهم جميعاً، والتراث العربي في الواقع ثمرة جهود مؤلفين ينتمون إلى مناطق كانت لها لغاتها المحلية ولكن هذه اللغات لم يكن استخدامها يتجاوز الحياة اليومية، فقد كانت اللغة العربية لغة العلم والثقافة بلا مناس<sup>(4)</sup> وظلت هكذا حتى أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تقريباً، حتى أخذت القومية الفارسية (الشعبوية) تنهض وتحاول

(1) الزرنوجي: آداب المتعلم، ص102.

(2) السيد صديق حسن خان القنوجي: البلغة في أصول اللغة، تحقيق نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1988م، ص5.

(3) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص12.

(4) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسى هنداوي، دار الفكر العربي، 1947م، ص14؛ محمود فهمي حجازي: اللغة العربية عبر القرون، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1978م، ص57.



أن تحيي معها اللغة الفارسية الحديثة التي اعتمدت على اللغة العربية في كثير من حروفها  
وكلماتها واصطلاحاتها<sup>(1)</sup>.

وبدأت اللغة الفارسية تنافس اللغة العربية في بلاد ما وراء النهر في منتصف القرن الرابع  
الهجري/ العاشر الميلادي، وأصبحت الفارسية هي لغة دواوين الدولة السلجوقية<sup>(2)</sup> غير أن اللغة  
العربية مع هذا لم يضعف شأنها، بل كان لها الرجحان على الفارسية لكونها لغة القرآن الكريم  
والعلوم الدينية التي انصب عليها الاهتمام خلال العصر السلجوقي في المؤلفات<sup>(3)</sup>.

والجدير بالذكر أن المؤلفات الفارسية اعتمدت اعتماداً كلياً على المصطلحات العربية  
فكانت العربية هي لغة الأساس أو اللغة المصدر التي أخذوا منها المصطلحات أو اشتقوا من  
مواردها اللغوية مصطلحات جديدة، ومن هذا المنطلق كانت العربية تقوم بدور قيادي<sup>(4)</sup>.

ولا شك أن العصر السلجوقي في مدن إقليم ما وراء النهر كان من عصور الازدهار  
العلمي والعطاء والتطور في خدمة اللغة العربية، ذلك أن العلماء انطلقوا في مرحلة التفاعل  
الحضاري والنضج إلى حيث أخرجوا الموسوعات الضخمة والمعاجم الجامعة، فحق أن يدعي  
ذلك العصر أنه عصر الموسوعات، إذ كان شعور العلماء فيه باشتداد ضعف ملكة اللسان،  
وحاجة النشئ في تنشئته على الملكة الصحيحة واستيعاب علوم العصر دافعاً للقوم أن يهتموا  
باللغة ووضع المعاجم من أجل ذلك<sup>(5)</sup>.

وظلت اللغة العربية خلال العصر السلجوقي لغة الثقافة والنتاج الفكري، أما لغة الدولة  
فكانت اللغة الفارسية وفي العصر الخوارزمي كانت اللغة العربية أيضاً هما لغة الثقافة والتأليف،

---

(1) حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك، الدار الثقافية، القاهرة، 2002م، ص85؛ محمد نورالدين عبدالمنعم:  
دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، القاهرة، 1976م، ص14.

(2) عبدالنعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص259.

(3) حسين مجيب المصري: صلات، ص115.

(4) محمود فهمي حجازي: المدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة، القاهرة، 1976م، ص1-3.

(5) إبراهيم علي أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، دار المعارف بمصر، 1979م، ص39.

واللغة الرسمية هي اللغة الفارسية والتركية، فكان يلاحظ أن مؤلفي الكتب العربية في هذا العصرين لتدنيهم الشديد قد جعلهم يذكرون أن أشرف العلوم علم الكتاب والسنة وأن اللغة العربية مفتاح الدراسات الدينية<sup>(1)</sup>. وبلغ علم اللغة في مدن وقرى إقليم ما وراء النهر خلال العصرين السلجوقي والخورزمي قمة ازدهاره، وصال في ميدانه وجال عدد من كبار علماء العصر ومنهم علماء اللغة في إقليم خوارزم، كان لعلماء خوارزم وأدبائها نتاج لغوي كبير كان له أثره في تطور اللغة في المدن الإسلامية عامة، وإقليم خوارزم خاصة حيث رحل إلى خوارزم علماء في اللغة، كان لهم أثر في التعلم باللغة، فبرز الزمخشري والبقالى والمطرزي والسكاكي وغيرهم ممن كان لهم علم باللغة والنحو معاً. وممن رحلوا إلى خوارزم في علم اللغة والنحو في العصر السلجوقي، اللغوي أبو مضر النحوي (ت 507هـ/ 1113م)، وكان يلقب وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو، وأقام في خوارزم مدة وانتفع الناس بعلمه، وأخذوا عنه علماً كثيراً وتخرج على يديه من الأكابر في اللغة والنحو الكثير<sup>(2)</sup>.

ومنهم أبو القاسم الزمخشري النحوي اللغوي (ت 538هـ/ 1143م) الذي طاف أنحاء أرض العرب وصحاريها فسار على نهج اللغويين الأوائل الذين كانوا يسمعون من العرب ومن سماعهم<sup>(3)</sup> ومن مؤلفاته في اللغة "مقدمة الأدب" في اللغة ألفها للملك أئسز بن محمد بن نوشيكين حاكم خوارزم (521-551هـ/ 1156م) وجعلها على خمسة أقسام، الأول في الأسماء والثاني في الأفعال والثالث في الحروف والرابع في تصريف الأسماء والخامس في تصريف اللغة<sup>(4)</sup> وله (صميم البلاغة) و(جواهر اللغة) وكتاب (الأسماء في اللغة)<sup>(5)</sup>.

(1) نظام الملك: سياسة نامة، ص3.

(2) ياقوت: معجم الأدياء، ج5، ص487.

(3) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج4، ص118.

(4) الصاوي: منهج الزمخشري، ص164.

(5) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص1798.

ويقول فيه ابن خلدون<sup>(1)</sup>: (هو كتاب شريف الإفادة بين فيه كل ما تجاوزت به العرب من الألفاظ فيما تجاوزت به من المدلولات).

ويقول ابن القفطي<sup>(2)</sup>: "كان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه" ومن اللغويين في خوارزم أيضاً أبو الفضل زين المشايخ، محمد بن أبي القاسم ابن سليجوك البقالي الخوارزمي (ت 562هـ / 1166م) وكان حجة في لسان العرب، أخذ العربية، عن الزمخشري، وجلس مكانه<sup>(3)</sup>.

ومن تلاميذ الزمخشري في اللغة خلال العصر الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكي (ت 568هـ / 1172م)<sup>(4)</sup>.

ومن اللغويين الكبار في خوارزم أيضاً أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم المطروزي عبد السيد بن علي (ت 610هـ / 1213م) كانت له معرفة تامة باللغة، قرأ على أبيه بخوارزم<sup>(5)</sup> ومن مصنفاته في اللغة (الإقناع في اللغة) و(المغرب في شرح المغرب)<sup>(6)</sup> ومن علماء اللغة أيضاً أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي (ت 626هـ / 1228م)<sup>(7)</sup> وهكذا أساهم علماء خوارزم في تطور علم اللغة في كل بلاد ما وراء النهر.

ومن علماء اللغة في إقليم الصغد الإمام أبو القاسم علي بن أبي يعلي بن زيد ابن حمزة الدبوسى (ت 482هـ / 1089م) كان من كبار مشايخ الشافعية إماماً في الفقه والأصول واللغة

---

(1) المقدمة، ص 287.

(2) أبناء الرواة، ج3، ص 270.

(3) السيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص 215.

(4) القرش الحنفي: الجواهر المضيئة، ج3، ص 523.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص 369.

(6) السيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص 311.

(7) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص 122.

والبلاغة، درس بنظامية بغداد، وأملى مجالس وتفقه عليه جماعة<sup>(1)</sup> والشيخ الإمام أبو حفص نجم الدين النسفي (ت 537هـ / 1142م) كان إماماً فاضلاً متقناً صنف في كل نوع من العلم، وصنف في اللغة كتاب طلبه الطلبة ذكر فيه ألفاظ الفقه في كتب الحنفية - لغة الفقهاء<sup>(2)</sup>.

ويعد أبو القاسم محمود بن علي نصر بن أبي يعلي الأديب النسفي نزيل سمرقند (ت 555هـ / 1160م) من كبار اللغويين، أديباً فاضلاً وكان خبيراً صالحاً، صدوقاً<sup>(3)</sup> وعلي بن طاهر بن علي بن تراب التميمي الكرميني (ت 556هـ / 1160م) كان أحد الأئمة الكبار، أديباً عظيماً حافظاً لأصول اللغة، عديم النظر في زمانه، كما كان ورعاً عفيفاً كثير التلاوة، متقناً لما ينقله<sup>(4)</sup> وأبوبكر بن أبي الحسين عبدالله بن علي بن عبدالجليل ابن أبي الفرغاني (ت 616هـ / 1219م) سكن سمرقند، وكان يتولى الخطابة بها، وكان إماماً كبيراً في المذهب والخلاف والحديث واللغة والنحو مع فصاحة في اللسان، وعذوبة الألفاظ، وكان حسن الصورة لطيف الأخلاق، وله النظم والنثر الجيد<sup>(5)</sup>.

ومن أئمة اللغة محمد بن سليمان بن فترمش السمرقندي (ت 620هـ / 1223م) كان أديباً فاضلاً مليح الكتابة، أخذ من كل فن من العلم بنصيب وافر، وكان من أبناء الأمراء ولي الحجابة الكبرى ببغداد<sup>(6)</sup> ومنهم أبو الوحدة محمد بن عبدالستار ابن محمد شمس الأئمة الكردي الخوارزمي (ت 642هـ / 1244م) كان أستاذاً للأئمة على الإطلاق والموفود عليه من الآفاق، نزيل سمرقند، قرأ العربية بخوارزم على الشيخ برهان الدين ناصر أبي المكارم صاحب المغرب

(1) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج1، ص255؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج5، ص296، 297.

(2) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص241.

(3) الزركلي: الأعلام، ج5، ص60.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج38، ص370؛ السمعاني: التجبير، ج2، ص286.

(5) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص314.

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص509.

والمعرب، وتفقه بسمرقند على الشيخ الإسلام برهان الدين أبي الحسن علي المرغنياني، والشيخ  
مجد الدين السمرقندي الذي عرف بإمام زاده<sup>(1)</sup>.

كما يعد العلامة رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوى  
الصاغانى أصله من بلاد الصغد، من كبار اللغويين ولد سنة 577هـ / 1181م بلاهور بالهند،  
ونشأ بغزنة ورحل إلى بغداد لطلب العلم ودخل اليمن، كان إليه المنتهى في علم اللغة ومعرفة  
اللسان العربي، وله مؤلفات كثيرة تدل على سعة الإطلاع وامتداد آفاق البحث والإحاطة بأطرافه،  
ومن مؤلفاته في اللغة كتاب "مجمع البحرين في اللغة" في اثني عشر مجلداً، وكتاب "العباب  
الزاهر واللباب الفاخر" وهو معجم كبير في عشرين جزء من أشهر معاجم اللغة، ومات قبل  
إكماله وانتهى فيه إلى فصل (ب ك م) من حرف الميم، كما ألف كتاب "التكلمة والذيل والصفحة  
في اللغة" وسار في ترتيب المواد اللغوية على حسب الحرف الأخير من الكلمة على نظام الباب  
والفصل، وتقع التكلمة في ستة أجزاء، وله كتاب "الشوارد في اللغات" وكتاب "الأضداد" وكتاب  
"أسماء الأسد" وكتاب "أسماء الذئب" وكتاب "النوادر في اللغة" وغير ذلك من المؤلفات، وكان  
شيخاً صالحاً (ت 650هـ / 1252م)<sup>(2)</sup>. ومن علماء اللغة بإقليم فرغانة ابن أبي المناقب  
الأخسيكي وله تصانيف كثيرة، وله معرفة كبيرة باللغة، وهو من الأدباء الذين أفادوا الطلاب في  
بلاد ما وراء النهر، وكان قد سمع بأخسيكث أبو القاسم محمد الصوفي ويمرو أبو المظفر  
السمعاني<sup>(3)</sup> ومن اللغويين بفرغانة أيضاً أحمد بن محمد بن القاسم بن خديو الأخسيكي أبو رشاد  
الملقب بذي الفضائل (ت 528هـ / 1134م)<sup>(4)</sup> وذكره السمعاني<sup>(5)</sup> في مشيخته فقال "كان أديباً

(1) ابن قاضي شهيه: طبقات النحاة واللغويين، دار المعارف بمصر، 1987م، ص166.

(2) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ج3، ص94.

(3) السمعاني: الأنساب، ج1، ص93؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج2، ص28.

(4) الخوانساري: روضات الجنات، ص71.

(5) الأنساب، ج1، ص90.

فاضلاً، بارعاً، له الباع الطويل في معرفة اللغة والنحو، ومنهم أيضاً محمد بن الحسين الأزدي النوقادي (ت 559هـ/ 1164م) وكان عالماً باللغة وأصولها<sup>(1)</sup> وأبو بكر الفرغاني الذي كان له معرفة كبيرة باللغة، وكان نابغة عصره، وأعلمهم مات سنة 600هـ/ 1203م<sup>(2)</sup>.

ومنهم العالم أبو حفص الفرغاني الذي كان من كبار اللغويين في بلاد ما وراء النهر، وتعلم على يد مشايخها، وكان بليغاً، حسن النقل في الألفاظ البليغة، إلا أن قدره رماه إلى مدينة سنجار - غرب الموصل - يدرس بجامعة علم النحو واللغة والفقهاء على مذهب أبو حنيفة النعمان بن ثابت<sup>(3)</sup> وعندما كبر في السن أوقع أحد مشايخ سنجار بينه وبين أميرها، فقام بإبعاده، واتهمه بالكفر والإلحاد، فرحل إلى بغداد، وتولى التدريس بالمدرسة المستنصرية الجديدة وذلك عام 632هـ/ 1135م، وتحسن حاله أكثر من ذي قبل بكثير، إلا أنه توفي في العام المذكور نفسه<sup>(4)</sup>.

وامتثلت أقاليم أشروسنه والشاش بالعديد من اللغويين ومنهم أبو القاسم عبدالواحد ابن عبدالرحمن بن زيد بن حرب المعروف بالحكم الشاوكتي نسبة إلى بلدة شاوكت من بلاد الشاش، سكن شاوكت، وكان من فحول اللغويين مات 494هـ/ 1100م<sup>(5)</sup>.

وأبو علي الحسن بن حاجب بن حميد الشاشي أحد الرحالين في طلب العلم كان متقناً للعلوم بليغاً له مؤلفات في اللغة والأدب<sup>(6)</sup> وأبو عبدالله الحسين بن علي ابن خلف بن جبريل بن الخليل ابن صالح الألمعي الكاشغري نسبة إلى مدينة كاشغر أقصى إقليم الشاش، شيخ فاضل

(1) ابن الأثير: اللباب، ج3، ص334.

(2) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج1، ص383.

(3) عماد الدين الغساني: العسجد المسبوك والجواهر المملوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق محمود عبدالمنعم، بيروت، 1975م، ص446؛ ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، مطبعة العاني، بغداد، 1965م، ج1، ص18.

(4) ناجي معروف: المرجع نفسه، ج1، ص18.

(5) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص498.

(6) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج1، ص494.

واعظ لغوي مات سنة 484هـ / 1091م<sup>(1)</sup> ومنهم حماد بن أحمد بن حماد بن أبي رجاء

الطاردي البخاري نسبة إلى قرية تخار بإقليم طخارستان، كان لغوياً مميزاً<sup>(2)</sup>.

خلاصة القول كانت اللغة العربية التي أنزل الله بها كتابه، لغة تضمنت من عناصر الخلود ومعاني البلاغة، وبراعة التصوير وقوة البيان ما يجعلها قادرة على أن تحول الشعوب إليها ومن ثم كانت هذه اللغة بمثابة التربة الخصبة للنتاج الفكري الإسلامي خلال العصرين السلجوقي والخورزمي.

#### • علم النحو:

هو معرفة التركيب فيما بين الكلام لتأدية أصل المعنى، مطلقاً بمقاييس مستتبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية<sup>(3)</sup> والنحو إذا هو قانون اللغة وميزان تقويمها<sup>(4)</sup>. فلم تزل العرب تنطق لغتها على سجيبتها في صدر الإسلام وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجاً واتسعت الفتوحات الإسلامية واختلط العجم بالعرب، واندمج بعضهم في بعض، فخشي العلماء في ملكتهم، وظهر اللحن في لغتهم، وتسربت العجمة إلى لسانهم، فخشي العلماء أن تفسد اللغة، وتدمروا مما كانوا يسمعون من اللحن وخصوصاً في قراءة القرآن، وأحسوا بالحاجة إلى من يصون لغتهم من اللكنة ولسانهم من اللحن والعجمة، فوضعوا علم النحو وتعجلوا في وضعه عناية منهم بالقرآن وحرصاً على نطقه بلسان عربي مبين<sup>(5)</sup>.

(1) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص208.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص419.

(3) السكاكي: مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص75.

(4) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص167.

(5) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1974م، ص23؛ أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص223.

هكذا نشأ علم النحو نتيجة اختلاط العرب بالأعاجم عندما دخل كثير منهم في الإسلام عندئذ ظهرت الحاجة إلى وضع قواعد تعصم اللغة العربية من الخطأ<sup>(1)</sup> واهتم علماء ما وراء النهر من علماء النحو بهذا العلم واشتهر من علماء النحو بخوارزم: قلنا أن أبا نصر النحوي (ت507هـ / 1113م) كان وحيد دهره في اللغة والنحو وأقام بخوارزم، وانتفع الناس من علمه، وتخرج عليه جماعة من الأكابر في علم النحو، منهم الزمخشري الخوارزمي النحوي<sup>(2)</sup> وغدا الإمام العالم في كثير من الفنون فشددت إليه الرحال، ومؤلفاته في عالم النحو تغنينا عن الإشارة بمعارفه<sup>(3)</sup> ومن مؤلفاته في العلم كتاب "المفصل في النحو" واختصره وسماه "الأنموذج" وهو كتاب عظيم القدر، وقد اعتنى به أئمة هذا الفن وشرحوه<sup>(4)</sup> وله في النحو أيضاً كتاب "تكت الأعراب في غريب إعراب القرآن" و"المفرد والمؤنث" وله أيضاً "الأمالي في النحو" وشرح كتاب سيويه

ومن تلاميذ الزمخشري في علم النحو أبو الفضل زين المشايخ محمد بن أبي القاسم بن بايجوك البقالي الخوارزمي الآدمي النحوي، أخذ العربية والإعراب عن الزمخشري، وله من التصانيف في علم النحو "تقويم اللسان في النحو" و"الإعجاب في الإعراب" توفي جمادى الآخر سنة 562هـ / 1166م<sup>(5)</sup> ومن العلماء البارزين في علم النحو في إقليم خوارزم أيضاً: ناصر بن عبد السيد المطرزي الخوارزمي الحنفي النحوي (ت 615هـ / 1213م) صاحب "المقدمة اللطيفة" المشهورة بالمطرزية<sup>(6)</sup>.

(1) عبدالصاحب عمران الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون، ط2، العراق، 1966م، ج2، ص72، 73.

(2) ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج5، ص487.

(3) محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط2، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص205.

(4) الأدنه وى: طبقات المفسرين، ص173.

(5) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج3، ص1073.

(6) الذهبي: تهذيب، ج1، ص173.



ومن علماء النحو في خوارزم صدر الأفاضل القاسم بن الحسين بن محمد أبو محمد الخوارزمي المولود سنة 555هـ/ 1160م، ومن مصنفاته في النحو كتاب "شرح المفرد والمؤنث" وكتاب "شرح الأحاجي لمجار الله الزمخشري" وكتاب "شرح الأنموذج" وكتاب "عجائب النحو" وكتاب "السر في الأعراب" وكتاب "الزوايا والجنايا في النحو"<sup>(1)</sup>. ولقد قام بشرح كتاب المفصل في النحو للزمخشري، شرحه شرحاً بسيطاً في ثلاث مجلدات وسماه "التجوير" وشرحه ثانية وسماه "المجمرة في شرح المفصل" وتوفي سنة 417هـ/ 1220م<sup>(2)</sup>.

ومن علماء النحو أيضاً أبو يعقوب ابن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي (ت 526هـ/ 1228م) كان إماماً كبيراً، عالماً متبحراً في النحو، وغيره من العلوم<sup>(3)</sup> وصنف مفتاح العلوم على ثلاثة أقسام يهمنها القسم الأول والثاني في علم الصرف والنحو<sup>(4)</sup>.

ولقد عرف السكاكي علم النحو بقوله: (اعلم أن علم النحو هو أن تتحو معرفة كيفية التركيب فيما بين العلامة لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستتبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلام على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك، وما هي في حكمها<sup>(5)</sup>).

وحفل إقليم الصغد بظهور عدد كبير من علماء النحو وكان ذلك طبيعياً لتسلط الأعاجم وشيوع لغتهم الفارسية ومزاحمتها اللغة العربية<sup>(6)</sup> ومنهم الإمام علي ابن أبي يعلى بن زيد حمزة الدبوسي (ت 482هـ/ 1089م) كان من أكابر أئمة الشافعية متفرداً في النحو واللغة والأصول

(1) ياقوت: معجم الأدياء، ج4، ص591، 592.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج8، ص1774.

(3) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص291.

(4) القرشي الحنفي: كشف الظنون، ج2، ص623.

(5) أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ط، البايي الحلبي، القاهرة، 1990م، ص44.

(6) ميرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص286.

والبلاغة مع التفنن في أصناف العلوم وحسن المعتقد، وكان حسن الخلق سمي جواداً كثير المحاسن قدم بغداد وتولى تدريس النظامية تفقه عليه جماعة من البغداديين والغرياء<sup>(1)</sup>.

كما كان من أشهر النحويين الشيخ الإمام أبو محمد عطاء ملك بن عبد الجبار ابن أبي طاهر بن المفتي أبي الأشعث بن موسى النحوي (ت 512هـ / 1118م) نزيل سمرقند ذكره النسفي<sup>(2)</sup> وقال: قرأ السمعاني بخط الإمام أبي محمد عطاء ابن عبد الجبار، بسمرقند فهرست مصنفات أبي عبدالله أبي الحسين الكاشغري المعروف بالفضل فسردها وهي في التفسير والفقهاء والرقائق والنحو وغيرها يزيد على مائة وعشرين صنفاً<sup>(3)</sup>. كذلك يعد أبو الفضل محمد بن عمر بن العباس بن علي الأشتيخي السمرقندي الأديب (560هـ / 1164م) أديباً نحويّاً بارعاً صالحاً، كتب بنفسه الأمالي بسمرقند<sup>(4)</sup> وأبو المعالي بن عطاء الملك بن عبد الجبار بن أبي طاهر السمرقندي الخطيب النحوي (ت 560هـ / 1164م) كان من كبار النحويين، سمع أبا القاسم الكاشاني<sup>(5)</sup> وأبويكر محمد بن أحمد بن صائن ابن عبد الجليل ابن الفرغاني (ت 616هـ / 1219م) سكن سمرقند وكان من أشهر النحويين<sup>(6)</sup> ومن بينهم محمد ابن سليمان ابن متمش السمرقندي (ت 620هـ / 1223م) كان نحويّاً وأديباً فاضلاً مليح الكتابة، وأخذ من كل فن من العلم بنصيب وافر، إلا أنه كان قليل الدين<sup>(7)</sup>. ومن أئمة علماء النحو العلامة رضي الدين أبو الفضائل السمرقندي الصاغاني (ت 650هـ / 1252م) كان من كبار النحويين، رحل في طلب

(1) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج5، ص296، 397.

(2) القند، ص584.

(3) السبكي: طبقات، ج5، ص397.

(4) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج4، ص246.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج38، ص354.

(6) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص314.

(7) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج4، ص509.

العلم وصنف التصانيف الكثيرة، ومنها كتاب "في التصريف" وله كتاب "فعال على وزن خدام" وكتاب "فعلان على وزن شنان" وكتاب الانفعال" وكتاب يفعل" وكتاب التراكيب"<sup>(1)</sup>.

كما امتلأت أقاليم أشروسنة والشاش بالكثير من النحويين ومنهم أبو الفتح نصر بن الحسين التركي الشاشي التتكتي، كان ثقة في الحديث والنحو، ورحل في طلب العلم وكان ديناً ورعاً وقوراً رئيساً متصديقاً (ت 486هـ / 1093م)<sup>(2)</sup>.

ومحمد بن أحمد بن الحسين بن عمر أبوبكر الشاشي الشافعي، من فقهاء الشافعية اشتغل بالتدريس في علوم الفقه والنحو ودرس بنظامية بغداد (ت 504هـ / 1110م)، أنشده أبو سعد السمعاني:

إني وإن بعدت داري لمغتربي \* منكم بمحض موالاه وإخلاصي.

ورب دان وإن مت مودته \* أدنى إلى القلب منه النازح القاصي<sup>(3)</sup>.

وعبدالله بن محمد بن أحمد بن الحسين أبو محمد ابن أبي بكر الشاشي اشتهر بالفقه والشعر والنحو والأدب (ت 481هـ / 1088م)<sup>(4)</sup> وأحمد بن محمد بن أحمد الحسين بن عمر الشاشي أبو المظفر ابن أبي بكر الشافعي (ت 529هـ / 1134م)، كان من علماء الشاش في الفقه والنحو والإفتاء<sup>(5)</sup>. وأبو علي الحسين بن الخضر بن محمد بن دنيف الأثروسي، كان إمام عصره بلا مدافعة في النحو والفقه رحل في طلب العلم إلى بخارى وسمرقند والعراق مات سنة 434هـ / 1042م<sup>(6)</sup>.

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج3، ص94.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج19، ص90.

(3) السبكي: طبقات الشافعية، ج2، ص530.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص221.

(5) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7، ص211.

(6) السمعاني: الأنساب، ج4، ص365.

والخلاصة كان لعلم النحو فوائد جمة لمعرفة اللسان العربي الذي نزل به القرآن وبينه رسول الله الأمين ﷺ للأمة، فبمعرفة اللسان العربي تعرف شريعة الله التي وجب معرفتها والعمل بها امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (1) وقوله عز وجل: "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" (2) كما روى عن عمر بن الخطاب ؓ: (رحم الله امرأً أصلح من لسانه وقال أيضاً تعلموا العربية فإنها تثبت العقل) (3) ومن هذا المنطلق اهتم العلماء في إقليم ما وراء النهر بدراسة اللغة والنحو للتعرف على الشريعة الإسلامية، ولما كان البحث في مجال العلوم الدينية يتطلب سعة اطلاع في حقل اللغة العربية فقد اكتسبت هذه اللغة قوة نظراً للارتباط الوثيق بين علم اللغة والنحو من ناحية والعلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير من جهة أخرى.

#### • العلوم الأدبية:

**الأدب:** هو الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومفاهيمهم، ويستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية (4) وارتقى الأدب العربي والفارسي في مدن أقاليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي، وزاد عدد الشعراء والأدباء والكتاب نتيجة تشجيع الحكام والوزراء وكبار رجال الدولة (5) الذين رأوا أن وجودهم في البلاطات من جملة لوازم الرياسة، وأن فضل البلاط على غيره يقاس بعدد من فيه من أدباء (6).

جدير بالذكر أن كثيراً من السلاجقة والخورزميين كانوا لا يعرفون الفارسية لأنها ليست لغتهم الأصلية، وكانوا لا يستطيعون فهم الأدب وتدوقه، غير أنهم كانوا يشجعون الأدباء من

(1) سورة يوسف: الآية 2.

(2) سورة الشعراء: الآيات 193-195.

(3) القرطبي: بهجة المجالس، ج1، ص64.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ص612.

(5) رضا زادة شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص118.

(6) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص54.

كتاب وشعراء ويجزلون لهم العطاء ليكثرُوا من مدحهم والثناء عليهم، فيبقى ذكرهم على مر السنين<sup>(1)</sup> وكان كل سلاطين السلاجقة والخوارزميين كثيروي العطاء للشعراء الفضلاء، والأدباء النجباء، وأن المدائح التي دارت حولهم لم يحظ بها أي من الملوك الآخرين<sup>(2)</sup>.

حذا حكام الأقاليم في بلاد ما وراء النهر، وكبار رجال الدولة في العصرين السلجوقي والخوارزمي حذو السلاطين في تشجيع الأدباء، فكانوا يعطونهم بسخاء، فراجت سوق الأدب رواجاً كبيراً في مدن إقليم ما وراء النهر، في هذا العصر، وتفنن الشعراء والكتاب في صناعة الأدب فوصل فن الأدب الفارسي إلى درجة رفيعة من الرقي والتقدم وكثر عدد الشعراء والكتاب النابهين الذين ذاعت شهرتهم في أرجاء العالم الإسلامي كله في ذلك الوقت<sup>(3)</sup>.

ومما ساعد على توسعة دائرة الأدب وأسهم في رواجه في إقليم ما وراء النهر خلال العصرين أن النثر والشعر كانا متداولين في الخانقوات والزوايا ويستخدمهما الصوفية في مؤلفاتهم لإرشاد الناس وهدايتهم<sup>(4)</sup> ومن ثم كان للأدب شعره ونثره دور مهم في التعبير عن الحياة الدينية الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في مدن إقليم ما وراء النهر، إذا إنه المرأة التي تنعكس عليها أحداث كل عصر، ونظراً للصراع المذهبي الذي نشب بين المذاهب الإسلامية الفرق والملل والنحل التي انتشرت في العالم الإسلامي، فوجد الأدب مجالاً خصباً لتسجيل الأصول والمبادئ والأفكار التي كانت تدعو إليها كل فرقة من ناحية وتصويرها المذهبي بين هذه الفرق من ناحية أخرى وتعددت اتجاهات المؤلفين في الكتابة وتنوعت مذاهبهم فيها

(1) عبدالنعيم حسانين: إيران والعراق في العصر السلجوقي ، ص189.

(2) بروكلمان: تاريخ الأدب، ج5، ص419.

(3) عبدالنعيم حسانين: إيران والعراق، ص189.

(4) قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ص663؛ ذبيح الله صفا: خلاصة تاريخ سياسي واجتماعي، تهران، 2536، ص360.

وأصبح كثير من مؤلفاتهم من أقوم ما كتب في الأدب التي استوفت حظها من الجمع والاستيعاب والشمول<sup>(1)</sup>.

وتعد فترة حكم السلاجقة من أكثر الفترات التي ظهرت فيها مؤلفات الشعراء والكتاب، ويلاحظ على أدب هذه التأثير الواسع للثقافة العربية والأدب العربي على الأدب الفارسي<sup>(2)</sup> وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن السلاجقة لم يكونوا فرساً متعصبين للقومية الفارسية التي كانت منتشرة في العصر الساماني، كما كان لاهتمام السلاجقة بالمظاهر الدينية وإنعامهم على الأدياء والعلماء من أصحاب اللسان العربي أثره الواضح في ظهور عدد كبير من الأدياء الذين نظموا ونثروا بالعربية أكثر من غيرها<sup>(3)</sup>.

كان لنشوء الأدب الفارسي وازدهاره في حضارة الأدب العربي وسيطرته، أن تبع ذلك الأدب الناشئ القديم في الصياغة الفنية، التي أولع بها بعض شعراء العرب منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ثم زادت صنوفها وشاعت وعمت حتى صيرت الشعر صناعة لفظية فصيغت المجازات والاستعارات الفارسية على غرار ما ألف في الأدب العربي<sup>(4)</sup>.

ويعدّ عصر السلطان ملكشاه وعصر السلطان سنجر من العصور الذهبية للأدب الفارسي عامة والشعر الفارسي خاصة، وإذا كان التأليف بالفارسية قد راج في هذا العصر فقد حدث الشيء نفسه بالنسبة إلى التأليف بالعربية، فكثرت عدد المؤلفين بالعربية ممن هم من أصل فارسي، ودخلت مؤلفاتهم في عداد آثار الأدب العربي القيمة<sup>(5)</sup>. ومن أشهر أدياء إقليم خوارزم: الحسن بن المظفر النيسابوري، وهو مؤدب أهل خوارزم في عصره، وهو شيخ الزمخشري، وكان له أديب

(1) مزين عسيري: الحياة العلمية، ص376.

(2) حسين مجيب المصري: صلات، ص219.

(3) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص377.

(4) أحمد أمين وزكي نجيب محمود: قصة الأدب في العالم في الأدب القديم وأدب العصور الوسطى، ط2، القاهرة، 2002م، ج2، ص441.

(5) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص256.

اسمه عمر وكنيته أبو حفص وكان أديباً فاضلاً وتوفي سنة 532هـ/ 1137م، ومن مصنفاته الأدبية كتاب (تهذيب ديوان الأدب)<sup>(1)</sup>.

ومن أساتذة خوارزم في علم الأدب أبو نصر الضبي (ت 507هـ/ 1137م) وله كتاب (زاد الراكب) وهي مجموعة فيها أشعار وأخبار<sup>(2)</sup>. ولقد تتلمذ الزمخشري في علم الأدب على أبو الحسن النيسابوري، وأبي مضر الضبي، ومن مؤلفاته في علم الأدب شقائق النعمان في حقائق النعمان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان وهو كتاب في أدب الترجمة<sup>(3)</sup> وفي أدب المواعظ أنتج كتاب (نصائح الكبار) وكتاب (نصائح الصغار) والرسالة الناصحة<sup>(4)</sup> وله في أدب المواعظ أيضاً كتاب (الكلم النوابغ في المواعظ) و(أطواق الذهب في المواعظ)<sup>(5)</sup> ويقول في خطبته أي مقدمته: (اللهم إني أحمدك على ما أزلت إلي من نعمتك، وعلى ما أزلت عني نعمتك)<sup>(6)</sup>.

وبمؤلفاته هذه صار كما قال ابن الفقي<sup>(7)</sup>: (علامة الأدب، ونسابة العرب، أقام بخوارزم تضرب إليه أكباد الأبل، وتحط بعنائه رجال الرجال، وتحدى باسمه مطايا الآمال). هذه المؤلفات الأدبية جعلت من خوارزم مكاناً خصباً مليئاً بالحياة الأدبية والأدباء حيث صار تلاميذ أدباء لهذا العالم الأديب، أثروا في الحياة الفكرية والأدبية في هذا العصر، ومنهم البقالي (ت 562هـ/ 1166م) الذي كان إماماً وحجة لسان العرب ومن مؤلفاته كتاب (منازل العرب ومياهاها)<sup>(1)</sup>.

(1) ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ج3، ص95.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص945.

(3) ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ج3، ص95.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص168، 169.

(5) ياقوت: معجم الأديباء، ج5، ص494.

(6) الزمخشري: أطواق الذهب في المواعظ والخطب، تحقيق وشرح وتعليق أسماء أبوبكر محمد، ط6، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص29.

(7) ابن الفقي، جمال الدين علي ابن أبي الحسن علي بن يوسف: أنباء الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1952م، ج3، ص266.

(1) السيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص215.

ومنهم الأديب الموفق بن أحمد بن محمد الملكي أبو المؤيد (ت 568هـ / 1172م) وهو أديب فاضل له معرفة بالفقه والأدب، وهو أستاذ ناصر بن عبد السيد (ت 610هـ / 1213م) صاحب (المغرب) حتى صار ناصر بن عبد السيد من أدباء عصره، كما كان له معرفة تامة بأنواع الأدب، وكان من رؤوس المعتزلة، وله معرفة تامة بالعربية واللغة والشعر، له تصانيف في الأدب<sup>(1)</sup>.

ومن الأدباء البارزين في إقليم الصغد أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد ابن الحسن الكاشاني الأديب (ت 456هـ / 1063م) مشهور بالتأديب<sup>(2)</sup> وأبو سعد بن أبي اليمن السمرقندي (ت 473هـ / 1080م) كانت له نوادر في الأدب<sup>(3)</sup> وأبو محمد عبد الجليل بن محمد بن عبدالموجود بن نصر الضحاك (ت 498هـ / 1104م) كان من خلفاء الدار الجوزجانية بسمرقند، روى عن أبي حفص عمر بن منصور ابن خن ب البزار الحافظ، روى عنه أبو حفص عمر النسفي<sup>(4)</sup> وأبو محمد عبدالله بن أحمد ابن عمر الأشعث السمرقندي (ت 516هـ / 1122م) كان من كبار حفاظ الحديث ورزق حظاً من الأدب إذا قرأ أعرب وأغرب<sup>(5)</sup>.

كما كان أبو الفضل محمد بن عمر بن محمد الأشتيخي السغدي (ت 550هـ / 1155م) من أشهر أدباء العصر أديباً فقيهاً بارعاً صالحاً، كتب بنفسه أمالي أئمة سمرقند، تفقه على الإمام مسعود بن الحسين الكشاني، سمع منه أبو المظفر السمعاني<sup>(1)</sup> والشيخ الأديب أبو محمد عبدالرحيم بن علي بن نيازي ابن علي بن علي ابن النعمان النسفي (ت 555هـ / 1160م) سكن

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج18، ص414.

(2) كراتشكو فسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط2، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1987م، ص354، 355.

(3) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص417.

(4) السمعاني: الأنساب، ج5، ص685.

(5) ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص238.

(1) السمعاني: الأنساب، ج2، ص91.



سمرقند، وكان أديباً سديداً روى عنه الإمام أبو شجاع بن محمد بن عبدالله البسطامي<sup>(1)</sup>. ومن أدباء إقليم الشاش وأشروسنة محمد بن علي بن حامد الإمام أبوبكر الشاشي كان من الفقهاء والمدرسين بالنظامية، كان أديباً بارعاً توفي سنة 485هـ/ 1092م<sup>(2)</sup>، وأبو الحسن الشاش الرملي العثماني من فقهاء الشافعية الذين اشتغلوا بالتدريس، كان أديباً، شاعراً دخل خراسان ثم أقام بسمرقند ودرس بمدارسها، (ت 504هـ/ 1110م) ويعدّ من علماء الشاش الذين درسوا وأقاموا خارج الشاش<sup>(3)</sup>.

#### • الشعر:

هو الكلام الموزون<sup>(4)</sup> ويعرفه نظام عروضي السمرقندي<sup>(5)</sup> فيقول "الشعر صناعة، بها الشاعر يؤلف المقدمات الموهمة، والقياسات المنتجة على وجه يجعل المعنى الصغير كبيراً والكبير صغيراً، ويرد الحسن في زي القبيح، ويجلو القبيح في صورة الحسن، فالشعر هو لسان الأمة المعبر عن آمالها وآلامها، فهو كالكائن الحي ينمو في وجدان الشعب، ومع نمو فكر الأمة فلا يمكن فصله عن روح الشعب وطبيعته<sup>(6)</sup> فكان الشعر انعكاساً للأحوال والأوضاع السياسية والاجتماعية في إقليم ما وراء النهر وذلك لمعرفة الشاعر بما يحيط به وتأثره بما حوله واهتمامه بالمحيط المادي إلى جانب اهتمامه بالخيال<sup>(1)</sup>.

ازدهر الشعر في مدن وإقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي، ووصل إلى قمة تطوره، وحظي الشعراء باهتمام كبير من قبل سلاطين السلاجقة والحكام القراخانيين

(1) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج3، ص291.

(2) السبكي: طبقات الشافعية، ج4، ص195.

(3) محمود عبدالله جمعة مراد: إقليم الشاش من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث الإسلامية، الزقازيق، مصر، 2006م، ص296.

(4) خانلري: أوزان الشعر الفارسي، ترجمة محمد نور الدين عبدالمنعم، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1978م، ص11.

(5) جهاز مقالة، ص34.

(6) محمد السعيد عبدالؤمن: الرؤية والنسيج في الشعر الإيراني المعاصر، القاهرة، 1983م، ص89.

(1) محمد نور الدين عبدالمنعم: دراسات في الشعر الفارسي، ص36.

والخوارزميين، حتى أصبحت مدن الإقليم مراكز أدبية عظيمة الشأن آنذاك، وكان الشعر في بداية العصر السلجوقي يتميز بمحاكاته للشعر الغزنوي، ثم نجح شعراء إقليم ما وراء النهر في ابتكار أساليب شعرية جديدة تعد سمة بارزة لهؤلاء الشعراء<sup>(1)</sup> وكانت هذه الأساليب انعكاس مضامين الشعر العربي وأفكاره وأسلوبه، كذلك اتسعت موضوعات الشعر الفارسي، واتجهت إلى أبسط الأساليب وأقر بها إلى الطبيعة، وأبدع الشعراء في وصف المناظر الطبيعية وتحركت بعض أشعارهم فيها إلى لوحات فنية بارعة<sup>(2)</sup> فمثلاً كان اتجاه السوزي السمرقندي الشاعر صوب الغزل والمدح والوصف، وكان للبيئة الجغرافية تأثير كبير على صورته الشعرية التي يغلب عليها الوصف الخارجي والتلون بجمال البيئة، والتأثير بمفاتيح الطبيعة، فكثيراً ما يبدأ مقدمات قصائده المدحية بوصف الطبيعة الخلابة، وكثيراً ما يذكر أسماء الطيور والحيوانات ويمزج بينها فيقول:

من خوفه يأخذ من التذر وحقه من الصقر

والشاة من الذئب والحمار الوحشي من سطوة الأسد<sup>(3)</sup>

وتعددت موضوعات الشعر في مدن وقرى إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي فطرق الشعراء أبواب المدح والهجاء والوعظ والحكمة والمسائل العرفانية والغزل<sup>(1)</sup> وكان المديح أهم هذه الموضوعات الشعرية التي راجت في الإقليم، حيث أقبل الشعراء عليه لينالوا العطاء من قبل الحكام وكان المدح يخرج دون عاطفة صادقة معتمداً على الأسلوب والمبالغة<sup>(2)</sup>.

(1) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، ج2، ص290، 291.

(2) ميرفت رضا: الحياة الثقافية، ص309.

(3) محمد محمد يونس: السوزي السمرقندي، ص84، 85.

(1) أحمد كمال الدين حلمي: عمر الخيام، عصرًا وبيئةً ونتاجًا، دار السلاسل، الكويت، 1984م، ص97-99.

(2) ميرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص309.

أما الهجاء فكان يعبر عنه بصدق عن نفسية ناظمه مع ميل إلى المبالغة والسخرية أو التجريح والفحش<sup>(1)</sup> وحظيت بلاد ما وراء النهر بعدد وافر من الشعراء والمادحين وكان جزء كبير من قصائدهم مرتبطاً بخاقانات بلاد ما وراء النهر وخصوصاً الخاقان العظيم خضر بن إبراهيم، ويعد الشاعر شهاب الدين عمق النجار، ملك شعراء هذا الأمير<sup>(2)</sup>.

الهجاء والهزل يعد من الأغراض الشعرية التي ارتفع شأنها في العصرين حتى بلغ أقصى درجاته بحيث لم يكن له مثل سابق عليها أو لاحق لها<sup>(3)</sup> وتعددت الآراء في أسباب رواج هذا الفن الذي ارتبط بهذين العصرين ومنها:

• تشجيع السلاطين والأمراء للشعراء على تبادل الهجاء من أجل الترويج عن أنفسهم وخواطرهم<sup>(4)</sup>.

• الأوضاع الاجتماعية لهذا العصر كان لها تأثيرها على رواج الشعر.

• ويرجع بعضهم بسبب التعصيب الديني، وشيوع الفساد الأخلاقي<sup>(5)</sup>.

على كل حال وصل الهجاء في العصرين السلجوقي والخورزمي إلى الحد الذي كان التلاميذ فيه والأساتذة يتبادلون الهجاء، وكانت بلاد ما وراء النهر أكثر المناطق التي انتشر فيها غرض الهجاء والهزل، ويعد السوزي السمرقندي في الواقع زعيم هؤلاء الشعراء في هذا العصر وكان شعراء عصره الجادون يتعرضون لسخرياته وكان يرميهم بسهام أشعاره<sup>(1)</sup>.

---

(1) أحمد كمال الدين حلمي: عمر الخيام، ص 99.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج 11، ص 391.

(3) ذبيح الله صفا: تاريخ سياسي واجتماعي، ص 159.

(4) ميرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص 310.

(5) محمد محمد يونس: السوزي السمرقندي، ص 68، 69.

(1) محمد يونس: السوزي السمرقندي، ص 68، 69.

## الشعر في خوارزم:

وقد ازدهر الشعر العربي إلى جانب الشعر الفارسي، منذ بداية انتشار اللغة العربية، يقول النظام العروض السمرقندي<sup>(1)</sup> "الشعر صناعة بها الشاعر يؤلف المقدمات الموهمة، والقياسات المنتجة على وجه يجعل المعنى الصغير كبيراً والكبير صغيراً، ويرد الحسن في زي القبيح، ويجلو القبيح من صورة الحسن" ويضيف أنه لا غنى للملك عن الشاعر المجيد يخلد اسمه، ويبقى ذكره في الدواوين والكتب لأن الملك - السلطان - إذا نزل به القضاء لم يبق من جيشه وماله وخزائنه شيء، ولكن يبقى اسمه خالداً لشعر الشعراء.

ولذلك نجد أن السلاطين السلاجقة والخوارزميين كانوا يشجعون الشعراء ويقربونهم وكان آل سلجوق جميعاً يحبون الشعراء<sup>(2)</sup> ولقد أفرد الباخري باباً بعنوان (شعراء خوارزم) نذكر منهم الشاعر علي بن أحمد البخاري، ويقول الباخري: رأيت له في صاحب الوزير السلجوقي نظام الملك قصيدة مطلعها:

زاد الآله نظام الملك مولانا \* في العز عزا وفي التمكين إمكاناً  
وحاطه وتدلاه برحمته \* وزاده أعداؤه، حزناً وخذلاناً  
لئن طغى الماء في أوطاننا وغدت \* جدرانها بقضاء الله غدراناً  
فالله عوضنا من رأفته \* أبا على نظام الملك مولانا<sup>(1)</sup>

ومن شعراء خوارزم علي بن محمد بن أحمد بن مروان العمراني الخوارزمي،

(ت 506هـ/ 1164م) وله شعر حسن، عن قوله في مدح رسول الله ﷺ:

هدى إلى وين إبراهيم أمته \* وكلهم بعقال الشعر معقول

(1) جهار مقالة، المقالة الأولى، ص 235.

(2) النظام العروض: جهار مقالة، ص 51.

(1) الباخري: دمية القصر، ج 2، ص 71.

وكل أصحابه به أهوى وأمنحهم \* ودى، ومبغضهم في الدين مدخول

وصاحب المصطفى في الغار يتبعه \* وهو الذي ماله في الله مبدول<sup>(1)</sup>

ومن شعراء العصر الخوارزمي أيضاً ناصر بن عبدالسيد أبو الفتوح الخوارزمي الحنفي المطرزي، (ت 610هـ / 1213م)، وكان له معرفة تامة بالشعر، وله شعر كثير<sup>(2)</sup> ومن الشعراء المتأخرين القاسم بن الحسين بن محمد أبو محمد الخوارزمي، (ت 617هـ / 1220م) وقد فاق نظم الشعر ومن شعره:

يا زمرة الشعراء دعوة ناصح \* لا تأملوا عند الكرام بسماحاً

إن الكرام بأسرهم قد أغلقوا \* باب السماح وضيقوا المفتاحاً<sup>(3)</sup>

ومن مؤلفاته الشعرية شرح ديوان شعر تزييد أبياته على ثلاثة آلاف بيت لأبي العلاء أحمد المعري، (ت 449هـ / 1075م) المسمى (سقط الزندا)<sup>(4)</sup>.

ومن شعراء خوارزم السكاكي الخوارزمي المتوفي سنة 626هـ / 1228م كان عالماً شاعراً متقناً في علوم شتى، وأحد أفاضل الشعراء في عصره الذين سارت بذكرهم الركبان، صنف مفتاح العلوم في اثني عشر مجلداً أحسن فيه كل الإحسان وله غير ذلك<sup>(1)</sup>.

ومن شعراء خوارزم في العصر الخوارزمي أيضاً، الموفق بن محمد بن الحسين ابن أبي سعيد ابن محمد بن علي المؤيد (ت 625هـ / 1227م)، وكان شاعراً حسن الشعر والإنشاء عالماً بالأدب<sup>(2)</sup>.

(1) ياقوت: معجم الأدياء، ج3، ص95.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج18، ص61، 62.

(3) ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج4، ص582.

(4) ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج1، ص297.

(1) ياقوت الحموي: نفسه، ج5، ص648.

(2) القرشي الحنفي: الجواهر المضيئة، ج3، ص524.

ومن كبار الشعراء بإقليم الصغد الشاعر الكبير عمق وهو أبو لنجيب شهاب الدين عمق البخاري (ت 543هـ / 1129م) أحد أساتذة بلاد ما وراء النهر الذين ذاعت شهرتهم، مدح السلطان سنجر ونال عطاؤه، وارتبط بالسلطان خضرخان - من حكام آل أفراسياب في بلاد ما وراء النهر، وأصبح أبرز شعراء الدولة وامتلك الغلمان والجواري والجياد والأموال<sup>(1)</sup>.

وكان عمق يمدح الشاعر رشيدي ويقر بفضلته حتاترتفع شأن رشيدي لدى السلطان خضر فدبت بينه وبين عمق الوحشة<sup>(2)</sup> لدرجة أن عمق وصف أشعاره في السلطان خضر بعدم الملاحة فرد عليه رشيدي:

لقد ذممت أشعاري ووصفتها بعدم الملاحة وهذا جائز

ولكن شعري مثل الشهد والسكر ولا يكون الملح له موضع بين هذين

أما أشعارك فهي لفت وباتلاء والملح لازم لك فيهما<sup>(3)</sup>

هذا ولعمق دور لا ينكر على المرثية وطريقة نظمها، وهو الذي رثى أخت السلطان سنجر عندما استدعاه لذلك، غير أنه اعتذر عن عدم حضوره لأنه بلغ الضعف مبلغاً لن تمكنه من تلبية هذه الدعوة، وأرسل المرثية منها:

في حين ينبت الورد في أرض البستان

ذهبت تلك الوردة المتفتحة، واختفت في التراب

وفي حين يأخذ البعض الغصن من السحاب قطر الماء.

أصبح نرجس هذا البستان الجميل بلا ماء<sup>(1)</sup>

(1) دولتشاه: تذكرة الشعراء، تصحيح محمد إقبال، طهران، 1939م، ص37؛ ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، ص537.

(2) عبدالحسين زرین كوب: سيرني در شعر فارسي، جاب سوم، طهران، 1362هـ، ص46.

(3) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، ص547.

(1) دولتشاه: تذكرة الشعراء، ص37.

نال عمق لقب أمير الشعراء كما لقب بسلطان العلماء، وأقر له العلماء بالأستاذية وسمي بأستاذ الكلام، وكان شعره غاية في العذوبة والسلاسة، رقيقاً في ألفاظه حيث كان يختار أخف الأوزان<sup>(1)</sup>. كما كان خصب الخيال على نحو يجعل شعره ينبض بالحركة والحياة وتشهد قصائده المشحونة بألوان الصناعات والنظرات الفلسفية العلمية بأن كان خبيراً بالعلوم المتداولة في عصره، وكان دقيقاً في تشبيهاته، سليم الذوق جزل اللفظ واضح الفكرة يخلو كلامه من الإبهام ويغيض رقة وإحساساً<sup>(2)</sup>. وخلف من بعده ديواناً زاخراً بالقصائد والرباعيات والقطع، كان يحتوي على سبعة آلاف بيت لم يبق منها سوى 614 بيتاً، ويقال إنه انزوى في أواخر أيامه وكان يرسل ابنه حميدي إلى مجالس السلاجقة بدلاً منه<sup>(3)</sup>.

ويعد السوزي السمرقندي من أشهر الشعراء وهو شمس الدين محمد بن علي السوزي الملقب بتاج الشعراء (ت 569هـ / 1173م) نشأ السوزي في بيئة انتشر فيها الهجاء بصورة منظرية بحيث يعد من خصائص هذا القرن<sup>(4)</sup> واشتهرت هجائيات السوزي قدوة للجميع الذي ليس له نظيره وانتشر الهجاء بين الشعراء إلى الحد الذي كان التلميذ لا يتورع عن هجاء أستاذه وعرف هذا العصر بعصر الهجاء، وبرز فيه شعراء كبار، وفاقت شهرة السوزي أقرانه حتى قيل بأنه لم يسلم شاعر معاصر له من سيف هجائه، وبرع السوزي فيه إلى الحد الذي نفر منه الجميع<sup>(1)</sup>. ومن الشعراء الذين عاصروه وتبادل معهم الهجاء عمق البخاري، والأنوري 580هـ / 1184م ورشيد الدين الوطواط (ت 556هـ / 1160م) والشاعر معزى (ت 542هـ / 1147م) وأديب صابر

(1) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص 537.

(2) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص 325.

(3) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص 539، 540.

(4) ذبيح صفا: تاريخ سياسي، ص 159.

(1) عبدالحسين رمزين ركوب: سيري در شعر فارس، ص 47.

ت 538هـ / 1143م) وعلى شطرنجي، ونظام العروض السمرقندي، وقد سبب الأذى لهم جميعاً بلسانه الحاد<sup>(1)</sup>.

وكان من أهم الظواهر الاجتماعية التي سادت عصر هذا الشاعر ظاهرة الاهتمام بالغلما ن وخاصة الغلمان الأتراك، وكان هؤلاء الغلمان على درجة كبيرة من الحسن والجمال، فانتشر بين الحكام حبهم لهؤلاء الغلمان، وشاع بين الشعراء في شعرهم ظاهرة الغزل بالذكر ويقال إن السوزي السمرقندي سمي بذلك لعشقه غلاماً تركياً كان يعمل بمهنة الخياطة يدعى كلاهدرو، ويقول له السوزي متغزلاً:

الاسم نجم والعرض قمر والشعر طيب الرائحة

واكتسب القمر والنجم منك النور وطيب الرائحة<sup>(2)</sup>

ظل السوزي طول حياته وحتى مشارف شيخوخته منخرطاً في غيه وفساده، منطلقاً في هزلياته وهجائياته، وإن حافظ في الوقت نفسه على ما ينشده من أشعار جادة لا تخرج في موضوعها عن المدح والغزل، ثم حج وتاب<sup>(3)</sup>.

ومن كبار الشعراء في إقليم الصغد في العصر السلجوقي سيد الشعراء الأستاذ أبو محمد بن محمد الرشيدي كان من أشهر شعراء القرن السادس الهجري، لم يسبقه أحد في صناعة الشعر وهو من أهل سمرقند، وكانت له صلات بينه وبين الأمير عمق البخاري في عهد السلطان خضر ابن إبراهيم، وكان مادحاً له ولزوجته<sup>(1)</sup> وكان عمق يمدحه وبقر بفضلته حتى ارتفع أمره وأصبح سيداً للشعراء، وأصبح مقرباً للسلطان وحصل منه على صلات كثيرة وعطايا

(1) عنهم أنظر: ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، محمد محمد يونس: السوزي السمرقندي، ص51.

(2) محمد يونس: السوزي السمرقندي، ص55.

(3) محمد يونس: السوزي السمرقندي، ص86، 87.

(1) محمد عوني: ليا ب الألباب، ص375.



وهبات فدبت بينه وبين عمق صفوة لدرجة أن كلاهما هجا الآخر<sup>(1)</sup> وتميزت قصائده بالسلاسة وعذوبة الألفاظ والبعد عن التعقيد رغم استخدامه كثيراً من التكلف والصنعة الشعرية<sup>(2)</sup>.

كما يعد أبوبكر محمد بن علي روحاني السمرقندي من أشهر شعراء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، كان من تلاميذ رشيد السمرقندي، وممن سار على طريقته، وقيل عنه: (إن روح كلامه روح للحس) واشتهر بمدح الملوك وأهمهم بهراه شاه ومحمد خوارزم شاه، ويذكر ذبيح الله صفا<sup>(3)</sup> أنه مدح غيره من ملوك الخوارزمية وبقي شعر روحاني دليلاً قاطعاً على مهارته في الشعر وعذوبة ألفاظه في الغزل والوصف فكانت أشعاره بلا ريب لغزاً حير الأقلام في الوصف والتشبيه<sup>(4)</sup>.

ويعد شهاب الدين أحمد بن مؤيد النسفي السمرقندي من كبار الشعراء في أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وكان من أمجد حكماء وأعظم فضلاء زمانه<sup>(5)</sup> وكان مادحاً للأمير أبو المظفر ركن الدين طمغاخ خان حاكم سمرقند، ويتميز شعره بحسن الصنعة ولطف العذوبة وحسن البيان، وله ديوان شعر وقصائد جميلة، وكان من معاصري السوزي وهجاه<sup>(6)</sup>. والشاعر كريمي السمرقندي وهو شمس الدين عبدالكريم كان من شعراء أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بسمرقند وخراسان، وكان ذا فضل وكمال، وله أشعار قيمة وحصل على ثروة ضخمة من قوله الشعر، وكانت له رحلة واسعة، وطاف البلاد وذهب إلى سجستان<sup>(1)</sup>. وكان دهقان علي شطرنجي من الشعراء العظام بسمرقند في القرن السادس الهجري /

(1) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص 547.

(2) سعيد نفيسي: تاريخ نظم ونثر در إيران، جلد أول، ص 98.

(3) تاريخ أدبيات، جلد دوم، ص 610، 611.

(4) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، ص 611.

(5) العروضي السمرقندي: جهاز مقاله، ص 127.

(6) سعيد نفيسي: تاريخ نظم، جلد أول، ص 99.

(1) محمد عوفي: لياح الألباب، ص 505.

الثاني عشر الميلادي، وكان من أكثر تلاميذ السوزي تقليداً، والسير على أسلوبه، وكان أيضاً من كبار شعراء الخانية بسمرقند، ومن أهم أعماله قصيدة اللالك وهي قصيدة في غاية اللطف والسلاسة فقال فيها:

في بلاد ما وراء النهر والشمس ساطعة

وطائر اللالك سعيد وقت قدوم فصل الربيع<sup>(1)</sup>

ومن أشهر شعراء وكتاب سمرقند نظامي العروزي السمرقندي (ت560هـ/ 1164م)

ويعده محمد عوفي<sup>(2)</sup> من كبار الشعراء، وأن أكثر شعره المنثور، وعاش نظام العروزي في بلاط الدولة الغورية<sup>(3)</sup> مدة خمسة وأربعين سنة وقام بمدحهم ولاسيما أبو الحسن حسام الدين بن فخر الدين مسعود ابن أخت الملك شمس الدين محمد الغوري، وألفه كتابه جهار مقاله أي المقالات الأربع بالفارسية، أو كما سماه مجمع النوادر، باسم أبي الحسن حسام الدين، وكان العروزي متأثراً بمن عاصره، ولكن لم يصلنا من أشعاره إلا القليل<sup>(4)</sup>.

كما كان الأنوري أوجد الدين محمد بن عبد الملك (ت583هـ/ 1187م) من أعظم شعراء

الفرس بل هو أحد ثلاث أطلق عليهم في الأدب الفارسي أنبياء الشعر، عاش في عصر السلطان سنجر، وبلغ بقصيدة المدح الفارسي أقصى درجاته<sup>(1)</sup>.

ونظم الأنوري قصيدة بناءً على طلب أهالي خراسان، ووجهها إلى أمير سمرقند محمود بن

أرسلان خان الذي كان يتولى حكم سمرقند وقت معركة الغز مع السلطان سنجر سنة

---

(1) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص637؛ براون: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة وتعليق أحمد كمال الدين حلمي، ط1، الكويت، 1996م، ص425.

(2) لباب الألباب، ص395.

(3) الدولة الغورية: نشأت في جبال الغور (غوستان) وسط أفغانستان الحالية، وحكمت من 543 - 602هـ/ 1206 - 1148م، وكانت لهم جهود كبيرة في نشر الإسلام في الهند، عصام الدين عبدالرؤف: بلاد الهند في العصر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990م، ص104.

(4) العروزي السمرقندي: جهار مقاله، ص60، 61.

(1) محمد غنيمي هلال: مختارات من الشعر الفارسي، القاهرة، 1960م، ص159.

584هـ / 1153م<sup>(1)</sup> وكان حميد الدين محمود الجوهري السمرقندي، من أفاضل الشعراء في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، كان معاصراً للسوزي، ملماً بفنون عصره، له باع طويل في الشعر وفنونه<sup>(2)</sup>. وكان حميد الدين محمود الجوهري السمرقندي، من أفاضل الشعراء في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر، معاصراً للسوزي، ملماً بفنون عصره، له باع طويل في الشعر وفنونه<sup>(3)</sup> وأبو سعيد أحمد بن محمد المنثوري السمرقندي كان من الشعراء المشهورين يقول عنه العروضي السمرقندي<sup>(4)</sup> أنه كان بارعاً في نظم الشعراء كما يعد رضي الدين النيسابوري من كبار الشعراء في أواخر القرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وهو من المعاصرين للسوزي، تميز بفصاحة اللسان وعذوبة الألفاظ، غلب على أشعاره المدح، وكان يحظى باحترام الجميع من الحكام وعلماء الدين والعامّة، سكن سمرقند، ومدح الملوك الخانين وبالأخص السلطان قلج طمغاخ خان إبراهيم وأبنيه أرسلان خان<sup>(5)</sup>. وكان سيد معين الدين أشرف السمرقندي (ت 595هـ / 1198م) من أشهر الشعراء في سمرقند، ماهراً في فنون الشعر المختلفة، قام بمدح الملك بيغو السلجوقي، وصحبه إلى العراق، ثم رحل إلى أصفهان، وكان مرتبطاً بالشعراء المعاصرين له، ثم سلك طريقة إلى السلطان طغرل السلجوقي آخر سلاطين السلاجقة في العراق، وما لبث أن عاد إلى سمرقند ومات بها<sup>(1)</sup>.

كما آمدنا العصر السلجوقي والخوارزمي بعدد كبير من الشعراء الرسميين والشعبيين وطالعنا هذا العصر أيضاً على شعراء علماء وفقهاء قدموا لنا نماذج من أشعارهم في غاية من الرقة والسلاسة ما يؤكد إجادتهم له، وكان هؤلاء يمثلون الطبقة المتقفة، ومن أشهرهم القاضي

(1) محمد محمود إدريس: السلطان السلجوقي سنجر وعصره، مكتبة الثقافة، القاهرة، 1982م، ص90.

(2) سعيد نفيسي: تاريخ نظم ونثر در إيران، جلد أول، ص99.

(3) محمود عوفي: لباة الأبواب، ص397.

(4) جهار مقاله، ص121.

(5) سعيد نفيسي: تاريخ نظم، جلد أول، ص99.

(1) بروان: تاريخ الأدب في إيران، ص593.

الإمام أبو زيد بن عبدالله بن عمر الدبوسي (ت430هـ / 1038م) صاحب الأسرار والتقديم ومن أشعاره:

جهدت لتأصيل الدلائل للورى \* فوقفني ربي وما طاش من سهم

وأحييت ما قد مات من سنن الهدى \* لمستبطني الأحكام بالرأي والفهم<sup>(1)</sup>

كذلك كان أبو القاسم أسعد بن علي بن أحمد البارع الزوزني (ت492هـ / 1098م) فريد عصره وأوحد دهره له القصائد الحسنة والمعاني الدقيقة وقد شاع ذكره، ولما فتح السلطان ملكشاه قلعة سمرقند، وأمر بنقضها أنشد:

على المعاول والحيطان راقصة \* وللنجوم استماع، والقنائل<sup>(2)</sup>

وكان أبو المعالي قيس بن إسحاق بن محمد بن أميرك المرغيناني (ت527هـ / 1132م) مقيماً بسمرقند وله شعر رقيق<sup>(3)</sup> كما كان أبو هارون موسى بن إبراهيم ابن عبدالله القحطاني المغربي الأغماتي (ت529هـ / 1135م) إماماً فاضلاً مناظراً، رحل إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند، وكان شاعراً مجيداً<sup>(4)</sup>. كما كان أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي (ت537هـ / 1142م) من كبار علماء سمرقند عارفاً بالمذهب والأدب، له شعر حسن مطبوع على طريقة الفقهاء والحكماء ومن شعره:

الله بالوالدين وصانا \* وعن أذى الوالدين نهانا

من بعد إلزامنا عبادته \* قال وبالوالدين إحساناً<sup>(1)</sup>

(1) النسفي: القند، ص467.

(2) الأصفهاني: خريدة العصر، ج2، ص87، 88.

(3) النسفي: القند، ص488؛ ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص712.

(4) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج1، ص59.

(1) السمعاني: التجيير، ج1، ص527-529.

ومنهم أبو زيد محمد بن محمد بن إسماعيل الأسفرنجي (ت550هـ/ 1155م) كان فقيهاً من بيت العلم، ورد سمرقند ورأه السمعاني وكان فاضلاً حسن المحاوره مليح الشعر<sup>(1)</sup>.

وأبو الليث أحمد ابن شيخ الإسلام أبي حفص عمر النسفي السمرقندي (ت552هـ/1157م) فقيهاً حسن الهيئة غزير العلم واسع الحفظ، صنف أشعار منها:

يا عالم الغيب والشهادة \* إن بتوحيدك الشهادة  
أسأل في غريتي وكربي \* منك وفاة على الشهادة.

ورزقه الله عز وجل الشهادة وهو في الطريق إلى سمرقند، وذلك عندما وصل إلى قومس فخرج جماعة من أهل القلاع وقطعوا الطريق على القافلة وقتلوا من العلماء مقتلة عظيمة<sup>(2)</sup> ومن شعراء إقليم فرغانة أبو الرشاد محمد أحمد بن القاسم الأخسيكي السابق ذكره الذي كان أديباً شاعراً<sup>(3)</sup> أتصف ببلاغة شعره وألفاظه البديعة، ومن شعره:

من سوى تربة أرضي \* خلق الله اللثاما  
إن أخسيكت أم لم \* تلد إلا الكراما<sup>(4)</sup>.

وكذلك محمد بن محمد القاسم خديو الأخسيكي المعروف بأبو المناقب (ت522هـ/ 1128م) الذي كان هو الآخر شاعراً، أديباً، واتصف بحسن الخلق، والصلاح، وله أشعار بديعة ومنها:

ارحم أخي عباد الله كلهم \* وانظر إليهم بعين اللطف، والشفقة  
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم \* وراع في كل خلق وجه من خلقه<sup>(1)</sup>.

(1) الأصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص121.

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج1، ص177.

(3) الخوانساري: روضات الجنات، ص71؛ الزركلي: الإعلام، ج3، ص215.

(4) السمعاني: الأنساب، ج1، ص93؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص28، 29.

(1) ياقوت: معجم الأديباء، ج5، ص439.

ومنهم عمران بن موسى الأديب الخجندي كان أديباً فاضلاً، له مقطوعات شعرية<sup>(1)</sup> ولم يقتصر دور علماء فرغانة على الشعر فقط، بل امتد إلى النقد الأدبي<sup>(2)</sup> أيضاً ومن أمثلتهم ذى الفضائل الذي امتد دوره إلى تصنيف مصنفات أدبية نقدية أهمها "ضوء القند في شرح سقط الزند للمعري"<sup>(3)</sup> ومن أشهر أدباء وشعراء فرغانة والذين كان لهم نتاج كبير في المنظومات الأدبية الشعرية الأوشي الفرغاني، صاحب القصيدة اللامية أو قصيدة يقول العبد في التوحيد والتي تبدأ بقوله:

يقول العمد في بدئ الأمالى \* لتوحيد ينظم كالآلي.

وهذه القصيدة مثلاً حياً يؤكد على أن الخلافات في الآراء الفقهية أنتجت إرهابات في علم الكلام تدور حول الرد على المعتزلة في مسألة خلق القرآن الكريم وصفات الله عز وجل، وغيرها من المسائل الكلامية التي دار حولها الخلاف، وتم صياغتها بطريقة أدبية وفقاً لوجهة نظر الكاتب، فاستخدم الأسلوب الأدبي والألفاظ البديعة، لقوة التأثير وتوصيل آرائه إلى المستمع بشكل بلاغي جميل<sup>(1)</sup>.

ومن شعراء إقليم الشاش في العصرين السلجوقي والخوارزمي والذي أسهم بدور في تزويدنا بعدد من الشعراء البارزين ومنهم عبدالله بن محمد بن أحمد بن الحسين أبو محمد بن أبي بكر

---

(1) إحدى صيغ الشعر، وتسمى قطعة أو مقطوعة شعرية، وهي عبارة عن أبيات قليلة مستقلة بمعناها تؤلف من أربعة أبيات أو خمسة، أو ستة دون السبعة، فما زاد عن الستة تسمى قصيدة، انظر: ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق وتقديم حنفي محمد، مكتبة الشباب، القاهرة، 1969م، ص350.

(2) منهج فلسفي يتضمن نقد الكلام في اللغة بمعرفة جيدة من رديئة، وذكر محاسنه أو عيوبه سواء كان شعراً أو نثراً وله أصول معتبرة، فهو عملية وصفية تهدف إلى قراءة الأثر الأدبي ومقارنته بقصد تبيان مواطن الجودة، والرداءة، انظر: الشحات الغمري: النقد الأدبي القديم، الراعي للطباعة، الزقازيق، مصر، 2003م، ص6، 7.

(3) ديوان شعري لأبي العلاء المعري (ت 449هـ/1057م) ويتأليف من ثلاث آلاف بيت شعر موضوعة في 113 قصيدة، انظر: أبي العلاء المعري: سقط الزند، تحقيق مصطفى لسقا وآخرين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986م، الزركلي: الأعلام، ج7، ص251.

(1) عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر، بيروت، 1980م، ص81.

الشاشي (ت 528هـ / 1133م) كان من علماء الشاش الذين اشتغلوا بالإفتاء وتأليف الشعر<sup>(1)</sup> وأبو محمد المطراني الحسن بن علي ابن مطران شاعر الشاش وواحدًا وسائر بلاد ما وراء النهر، أغلب شعره شعر المدح والذي كان لا يشق غباره في فنون الشعر (ت 542هـ / 1147م)<sup>(2)</sup> ومنهم الشاعر أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي العامرة، أوجد زمانه في الشعر (ت 613هـ / 1216م)<sup>(3)</sup>.

#### • النشر<sup>(4)</sup>:

للنثر أشكال شتى منها الخطابة، والوصية، والرسالة، والمقال، والحكاية، والمقامة، والأقصوصة، والمسرحية، وازدهر النثر في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي، نتيجة لدخول أهله في الإسلام وتعلمهم العربية وإتقانهم لها، وقيام حركة الترجمة التي ظهرت آثارها في ترجمة الآثار الأدبية الهامة<sup>(5)</sup> وأهمها إتقان الأدباء لأساليب النثر المتبعة في التعبير بكل أشكاله، ومن أهمها النثر الفني<sup>(1)</sup> والنثر الأدبي التألّفي<sup>(2)</sup> ومن أشهر أدباء إقليم ما وراء النهر بين نظامي عروضي السمرقندي وهو نجم الدين بن علي (ت 560هـ / 1164م) من كبار كتاب وشعراء القرن السادس الهجري بكتابه "جهار مقاله" الذي ألفه سنة

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص207.

(2) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7، ص211.

(3) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج3، ص350.

(4) هو التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات بكلام جميل لا يتقيد بالوزن ولا القافية، مستخدماً لغة أدبية والخيال الذي يولد الصورة الرائعة، والنثر نوعان علمي وهو الذي يرمي لتقديم الحقائق الطبيعية، والوقائع التاريخية بلغة مباشرة بعيدة عن التألق، ومنه العلمي البحت والعلمي المتأدب، أما النوع الثاني فهو النثر الفني، وهو الذي يترجم فيه الكاتب عواطفه وأحاسيسه وآراءه مختاراً لها أرق الألفاظ وأحلى العبارات، لمزيد من التفاصيل راجع: الجاحظ: الحيوان، ط2، تحقيق عبدالسلام هارون، ط مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1950م، ج1، ص75؛ ابن خلدون: المقدمة، ص557.

(5) عبدالمنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1981م، ص201.

(1) الرواندي: راحة الصدور، ص267.

(2) النثر الأدبي التألّفي: يشمل المكاتبات والرسائل فهو فن من فنون الكلام المكتوب عند العرب، وغيرهم، وهو يماثل النثر في أن كلامه غير موزون كالشعر، ويمائل النثر في الجنس المشترك بينهما، انظر: ابن مسكويه: الهوامل والشوامل، نشر أحمد أمين وآخر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م، ص275.

550هـ/ 1155م<sup>(1)</sup>. وهذا الكتاب مشتمل على أربع مقالات، الأولى في ماهية الكتابة وضعه الكاتب البليغ الكامل والثانية في ماهية الشعر وصلاحية الشاعر، والثالثة في ماهية علم النجوم، وتمكن المنجم في هذا العلم، والرابعة في ماهية علم الطب وهدى الطبيب وصفته<sup>(2)</sup>. وهو من كتب النثر الفارسي ويعتبر لسلاسته وجمال عباراته نموذجاً يقتدى به الكتاب والأدباء من حيث إنشاؤه وأسلوبه<sup>(3)</sup>.

كما شاع الوعظ والخطابة كلون من ألوان النثر ومن أشهر الوعاظ القاضي أحمد بن الحسين بن يوسف الخاقاني السمرقندي يعرف بماء أندرجيه يعني القمر في الجب (ت499هـ/ 1105م) كان من كبار الوعاظ بسمرقند، روى عنه عمر ابن محمد النسفي<sup>(4)</sup> وأبو الليث أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد ابن إسماعيل النسفي السمرقندي (ت 522هـ/ 1158م) كان من الوعاظ البارزين في سمرقند سمع الحديث وتفقه ووعظ، وكان حسن السميت قدم بغداد فوعظ للناس، ثم عاد إلى سمرقند فقتله قطاع الطرق<sup>(5)</sup>.

ويعد شمس الملك نصر بن إبراهيم بن نصر سلطان بلاد ما وراء النهر (ت492هـ/ 1098م) من أفاضل الملوك علماً ورأياً وحزماً وسياسة، كان مدرساً وخطيباً فصيحاً خطب على منابر سمرقند<sup>(1)</sup> وأبو القاسم عبيدالله بن عمر الكشاني (ت 502هـ/ 1108م) كان خطيباً مناضلاً مشهوراً<sup>(2)</sup>.

---

(1) النثر الفني: هو ما يرتفع به أصحابه من لغة الحديث العادية، ولغة العلم الجافة إلى لغة فيها فن ومهارة وروية، ويوفرون له دوراً من التنسيق والزخرفة فيختارون ألفاظه وينسقون جملة، انظر: عبدالحكيم بليغ: النثر الفني، القاهرة، 1981م، ص11.

(2) العروضي السمرقندي: جهاز مقاله، ص21.

(3) العروضي السمرقندي: المصدر نفسه، ص1.

(4) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص434.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص236.

(1) السبكي: طبقات الشافعية، ج2، ص893.

(2) السمعاني: الأنساب، ج5، ص74.



كما اشتهر عدد كبير من علماء إقليم ما وراء النهر في القصص والحكايات المشتملة على المواعظ والحكم والمصالح في سيرة الملوك مع الرعية وحسن رعايتهم للرعية ومنهم بهاء الدين محمد بن علي بن محمد بن الحسن الظهيري الكاتب السمرقندي (ت 556هـ / 1160م)<sup>(1)</sup>. ومنهم الديب أب ومحمد عبدالرحمن بن أحمد الأوزكندي الذي أقام ببلخ مدة ثم انتقل إلى سمرقند، ثم إلى كش يعلم في مساجدها، ويلقي خطبه ببلغ عباراته، وأدبه، وفصاحته<sup>(2)</sup>. ومن الأدباء النثرين بفرغانة الإيلاقي الخطيب الذي اشتهر بخطبة المؤثرة التي تخدم آراءه الفقهية في المذهب الحنفي<sup>(3)</sup>.

أما النظم، فلم يخل الأدب في إقليم ما وراء النهر من منظومات<sup>(4)</sup> نثرية لخدمة آراء معينة كآراء الصوفيين في الزهد، والحكمة، فصاغوا آراءهم الفقهية بشكل نثري مليء بالسجع، والجناس، والطباق بغرض قوة التأثير وأثر القلوب مما كان له أثر كبير في جذب الناس، ولذا كان أكثرهم يجهش بالبكاء وترتفع أصواتهم من شدة التأثر بما تم نظمهم، ونثره<sup>(1)</sup>.

ولم تخل مدينة أو قرية من مدن وقرى إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي منهم وعلى سبيل المثال منهم أبو سعيد أبو المكارم القباوي والإمام أبو الحسن نصر المرغنياني له شعر في الزهد والحكمة وذاعت شهرته في بلاد كثيرة، ورد شعره أهل تلك

---

(1) الرواندي: راحة الصدور، ص294.

(2) النسفي: القند، ص372.

(3) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص291.

(4) هو التأليف الشعري عامة الذي يلزم قواعد موضوعاً عليها من حيث الوزن خاصة والعروض عامة دون أن يكون فيه روح أو حياة، انظر: ابن مسكوية: الهوامل والشوامل، ص275.

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص566، 567؛ عبدالحكيم بليغ: المسجد والقصص والمذكرون، مجلة عالم الفكر، الكويت، 1994م، عدد 12، 1987م، ص133.

البلاد<sup>(1)</sup> وكذلك محمد بن أبي بكر بن يوسف الإمام ركن الدين الفرغاني توفي في مرغنيان سنة 594هـ/ 1197م الذي عرف بالأديب المختار، له النظم والنثر<sup>(2)</sup>.

وخلاصة القول: إن الأدب ارتقى في إقليم ما وراء النهر خلال العصرين السلجوقي والخورزمي وبلغ أوج رقيه، وتبارى الحكام في جمع الشعراء والكتاب حتى يظفروا بمدحهم والإشادة بفضائلهم ومن ثم كثر عدد الشعراء والكتاب المجيدين الذين ازدانت بهم مدن وقرى الإقليم فأضاعوا بمؤلفاتهم الحياة العلمية فيه. وإلى جانب هذه النهضة الفكرية في العلوم النقلية في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخورزمي، كان للإقليم أيضاً إسهاماته في العلوم العقلية وهذا موضوع الفصل القادم.

---

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص302، 303.

(2) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج2، ص314.

## الفصل الخامس

العلوم العقلية في إقليم ما وراء النهر في

العصرين السلجوقي والخوارزمي

- علم الطب.
- علم الصيدلة.
- علم النبات.
- علم الكيمياء.
- علوم الرياضيات.
- علم الفلك.
- علم التاريخ.
- علم الجغرافيا.
- علم الفلسفة والمنطق وعلم الكلام.
- الغزو المغولي لبلاد ما وراء النهر وأثره على الحياة الفكرية.

بدأت النهضة الفكرية في المجتمع الإسلامي مبكرة في صدر الإسلام، وتطورت تطوراً كبيراً خلال العصور الإسلامية المختلفة، ثم بدأ العلماء في الظهور وتتنوع إنتاجهم، ونتيجة للتطور العلمي وتبادل المعلومات في مختلف المعارف العلمية<sup>(1)</sup> ومنها العلوم العقلية (البحثة) التي تضافرت عدة عوامل عدة في العصرين السلجوقي والخوارزمي لتأخذ بيد العلوم العقلية إلى طريق الضعف، ومن هذه العوامل، الاهتمام بالوضع السياسي والاجتماعي، وما كان يلقاه علماء الدين من تأييد، وما كانوا عليه من نفوذ، وتعصب الفقهاء والعلماء والسلطين والوزراء بل والخلفاء، وذوي الجاه بشدة لعقائدهم المذهبية<sup>(2)</sup>.

ومن المعروف أن العلوم العقلية وعلى رأسها الفلسفة، قد قوبلت بتعصب ومقاومة شديدين وكان علماء السنة والحديث والمعتقدين بظواهر الأحكام والآيات يرون في كل ألوان البحث والاستدلال واللجوء إلى العقل وما يلحق بالمعضلات الدينية خسارة كبيرة تزيد عن الحد المألوف، ومن جملة العلوم التي حوربت، العلوم الفلسفية<sup>(3)</sup> وقد بدأ ذلك منذ عهد الخليفة العباسي المتوكل (232-247هـ / 846-861م) الذي أصدر أوامره القاسية باضطهادهم<sup>(1)</sup> وتسبب ذلك في إصاق تهمة الكفر والزندقة بالرياضيين، والفلاسفة، والمتكلمين، والمعتزلة، ونظائرهم، وكان فرصة لظهور مذهب أبو الحسن الأشعري والأشاعرة<sup>(2)</sup>.

وحل المفسرون والمحدثون والفقهاء والمتكلمون من الأشعرية خاصة في العصر السلجوقي مكان الشخصيات البارزة في الفلسفة والكيمياء، والطب، وغيرها، وكان علم العلوم العقلية ممنوعاً

---

(1) مريزي عسيري: الحياة العلمية، ص 487.

(2) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص 389.

(3) أحمد كمال الدين: المرجع نفسه، والصفحة.

(1) أحمد أمين: السلاجقة، ص 389.

(2) أحمد حلمي: السلاجقة، ص 389.

في المدارس النظامية، ولم يكن يدرس بها سوى العلوم الدينية والأدبية<sup>(1)</sup> إلى جانب ازدياد الصوفية والتصوف، التي خالفت كل العلوم وعدتها حجاباً للحقيقة<sup>(2)</sup> كل ذلك أدى إلى أن قلة رونق العلوم العقلية من طب وصيدلة ورياضيات وفلك وغيرها وقل رواجها والاهتمام بها من طلاب العلم<sup>(3)</sup>. وعلى الرغم من ذلك وجدت الكثير من العلوم العقلية، وبرع فيها علماء إلا أنهم لم يكونوا بعدد وكثرة علماء العلوم النقلية، ومن أهم هذه العلوم.

### • علم الطب:

عرف ابن أبي أصيبعة<sup>(4)</sup> صناعة الطب بقوله (إن صناعة الطب من أشرف الصنائع وأرح البضائع، وقد ورد تفصيلها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية حيث جعل علم الأبدان قريناً بعلم الأديان، قال الرسول ﷺ: "كل داء دواء" وهذا حديث جامع للطب).

ويعرفه ابن منظور وابن خلدون<sup>(5)</sup> بأنه (علاج الجسم والنفس) وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن تبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستلدين على ذلك بأمزجة الأدوية وقوامها.

وارتبط الطب بإنشاء البيمارستانات في الكثير من المدن والقرى، والأمصار، في المشرق والمغرب، والمسلمون من أول الشعوب التي اهتمت بالدراسات الطبية، والتداوي اقتداء بقول الرسول ﷺ: (ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء)<sup>(1)</sup>.

(1) حسين أمين: المدرسة النظامية، ص 231.

(2) أحمد حلمي: السلاجقة، ص 390.

(3) محمد سعد: الحياة الفكرية في خراسان، ص 271.

(4) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ج 1، ص 7.

(5) لسان العرب، ج 1، ص 553؛ المقدمة، ص 493.

(1) صحيح البخاري: ج 7، ص 148.

وكان اليونانيون القدامى من أكثر الشعوب تقدماً في صناعة الطب، وكانوا المرجع الأساسي الذي نهل منه المسلمون خاصة بعد حركة الترجمة الواسعة لأمّهات الكتب اليونانية، في مختلف العلوم العقلية في عهد الخليفة المأمون 198-218هـ/ 813-833م، ولم يقف المسلمون عند حد الترجمة، بل أضافوا إلى النظريات، والتجارب الطبية، وأبدعوا في تطوير التعليم بالتشخيص، وصنع الدواء بأنفسهم<sup>(1)</sup>.

كما أنشأوا أماكن للتداوي ثابتة ومتنقلة، القصد منها الوصول بالخدمات الطبية إلى الجهات البعيدة كالقرى والسجون حسب ظروف انتشار المرض والأوبئة أو حركة الجيوش يذكر ابن القفطى<sup>(2)</sup> أن أبا المرخم كان طبيباً في مارستان السلطان السلجوقي وهو مارستان سياروكان يُحمل على أربعين جملاً في معسكر السلطان" كما أوقف الخلفاء والسلاطين والوزراء والأثرياء والأعيان كثيراً من الأموال على البيمارستانات لعلاج الناس حسبة الله عز وجل وتقرباً له وصدقة جارية<sup>(3)</sup>.

وكانت البيمارستانات التي بناها المسلمون بمثابة مدارس عالية للطب، فقد كان الطلاب يتلقون فيها علومهم نظرياً وعلمياً<sup>(1)</sup> وعلى الجملة فإن السمعة الطبية التي تمتع بها الأطباء المسلمون كانت تعتمد على خبرة كبيرة، وباع طويل وتجارب مستمرة، وامتحان شديد في الدراسات الطبية<sup>(2)</sup>.

---

(1) قاسم غني: من تاريخ الطب الإسلامي، حرره وقدم له، د. أحمد الهوارى، القاهرة، 2005م، ص 65-69.

(2) ابن القفطى: أخبار العلماء، ص 264؛ علي الرفاعي: أعلام العرب والمسلمين في الطب، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ص 31.

(3) محمد عبدالعظيم: الأوقاف، ص 81.

(1) قاسم غني: من تاريخ، ص 39.

(2) مريزي عسيري: الحياة العلمية، ص 488.

فعلى سبيل المثال عندما تسلم ابن التلميذ (ت 560هـ/ 1164م)<sup>(1)</sup> منصب الرئاسة في نقابة أطباء بغداد، وكان يقوم بامتحان الأطباء من وقت لآخر، كما يشرف على امتحان دقيق وشامل يؤديه من يريد ممارسة المهنة<sup>(2)</sup> حيث يسأل الممتحن عن شيوخه، والكتب التي قرأها، وأنواع الأمراض وكيفية مداواتها وغير ذلك، كما كان الجراح يُمتحن في مادة التشريح نظرياً وعملياً<sup>(3)</sup>.

ولقد كثر بناء البيمارستانات في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي، وتولى الإشراف عليها عدد من مشاهير أطباء العصر، التي نالت اهتمام السلاطين والأمراء فأوقفوا عليها الأوقاف، التي دلت بوضوح على رقي الوعي الصحي، وعلى نشاط واسع في الثقافة والدراسات الطبية، التي كان من نتائجها بروز عدد عظيم من الأطباء المشهورين، خلفوا تراثاً طبياً رائعاً، ودراسات جادة، وكان لها أثرها الكبير في إثراء الدراسات الطبية في العصور التالية بل أن قيمة بعضها قد استمرت حتى العصور الحديثة<sup>(1)</sup>.

وبحكم أن السلاجقة كانوا يحكمون العراق، وخراسان وبلاد ما وراء النهر، فقد تأثر أطباؤهم بأطباء العراق وخراسان وقصدوهم، وتعلموا منهم، ومنهم على سبيل المثال علي بن عيسى الكحال أشهر كحالي العرب صاحب كتاب (تذكرة الكحالين) والتي تتلمذ عليها أطباء المشرق والمغرب، والمتوفي في أوائل العصر السلجوقي بالعراق والذي وصفه ابن أبي أصيبعة<sup>(2)</sup>

---

(1) هبة الله بن صاعد بن التلميذ: طبيب وقته، وفاضل زمانه، وعالم أوانه، خدم خلفاء بني العباس وارتقت مكانته لديهم، وكان موقفاً في المعالجة، وكان ساعور أي رئيس البيمارستان العضدي ببغداد إلى حين وفاته، وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي، متجراً في اللغة العربية، له أشعار كثيرة في الحكمة والزهد، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص69؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج19، ص276؛ القفطي: أخبار العلماء، ص222؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنبياء، ص349.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنبياء، ص351.

(3) زبيري هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال الدسوقي، ط3، نشر المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت، 1399هـ/ 1982م، ص237.

(1) مريزي عسيري: الحياة العلمية، ص491.

(2) عيون الأنبياء، ص333.

(كان مشهوراً بالخدمة في صناعة الكحل متميزاً فيها، ويُقْتدى بكلامه في أمراض العين ومداواتها) وقد صنف اثنين وثلاثين كتاباً في الرمد أشهرها تذكرة الكحالين<sup>(1)</sup> وقد اعتمد عليه الكحالون في إقليم ما وراء النهر دون غيره من الكتب المتخصصة في فنه<sup>(2)</sup>.

فمن الأطباء الذين تتلمذ على أيديهم أطباء إقليم ما وراء النهر يحيى بن عيسى ابن جزلة أبو علي الطبيب البغدادي (ت 492هـ / 1098م)<sup>(3)</sup> إمام الطب في عصره، كان نصرانياً ثم أسلم كان يطيّب أهل محلته مجاناً، كما كان يحمل إليهم الأشرية والأدوية<sup>(4)</sup> ومن أهم كتبه الذي تتلمذ عليه تلاميذه كتاب (تقويم الأبدان في تدبير الإنسان)<sup>(5)</sup> استعرض فيه أنواع الأوبئة والأمراض وأوقات ظهورها، ثم البلدان التي ينتشر فيها المرض، وطرق تشجيعها، ثم كيفية علاجها، ويعد الكتاب بمثابة تعليمات في الإسعافات الأولية الضرورية لمواجهة الحوادث الطارئة التي تحصل في المنزل في عصره، وكان من الممكن استخدامه والاستفادة منه ببسيرة وسهولة<sup>(1)</sup>.

ومن أشهر أطباء إقليم خوارزم في العصر السلجوقي والذين جاؤوا إلى إقليم خوارزم وأقاموا بها أبو مضر الأصفهاني (ت 507هـ / 1113م) كان يُلقب بفرید عصره، ووحيد قرنه وأوانه، وكان إلى جانب علم النحو واللغة، عالماً في الطب يضرب به المثل<sup>(2)</sup>.

يقول النظام العروضي السمرقندي<sup>(3)</sup>: وعلى الطبيب أن يطلع في علم الطب على عدد من المؤلفات الطبية، مثل الذخيرة الخوارزمية في الطب، وهي بالفارسية، في اثني عشر مجلداً ألفه

---

(1) مطبوع، حيد آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1383هـ / 1964م.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص333؛ على محمد سعد: تاريخ طب العيون في الحضارة العربية الإسلامية،

(3-9/14م) منشورات جامعة قاريونس، 2008م، ص207.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص267.

(4) ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص119؛ بن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص267.

(5) طبع الكتاب بمطبعة روضة الشام، دمشق، 1333هـ / 1914م.

(1) مريزي عسيري: الحياة العلمية، ص494.

(2) ياقوت الحموي: معجم الدباء، ج5، ص487.

(3) جهار مقالة، المقالة الرابعة، ص76.



زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن حسن الجرجاني (ت بمرور سنة 531هـ/ 1136م) ويقول في مقدمة كتابه: إنه وضعه باسم السلطان قطب الدين محمد بن خوارزمشاه 490-521هـ/ 1096-1127م مؤسس الأسرة الخوارزمية (ت 504هـ/ 1110م)، وله كتاب الأغراض في الطب فارسي مجلدان<sup>(1)</sup> وهو كتاب في علم الطب باللغة الفارسية ولخصه من كتابه (ذخيرة خوارزمشاه) حسب أمر أحمد مجد الدين أبي محمد صاحب محمد البخاري وزير السلطان أئسز خوارزمشاه 521-551هـ/ 1127-1156م<sup>(2)</sup> مرتب على ست وعشرين مقاله في كل منها أبواب كثيرة، أوله أما بعد حمد لله سبحانه وتعالى- إلخ، ذكر فيه أنه ألفه مختصراً باسم الأغراض الطبية والمباحث العلانية هذه إلى نصر الدين أئسز بن خوارزمشاه<sup>(3)</sup> وله كتاب (خفي علاني) كتاب مختصر في الطب باللغة الفارسية، ويقول في مقدمته: إنه وضعه مختصراً لكتابه (ذخيرة خوارزمشاهي) بأمر من أئسز<sup>(1)</sup> وله كتاب (يادكار في الطب) فارسي ألفه لخوارزمشاه أيضاً<sup>(2)</sup> وله كتاب مختصر في علم الطب وله (زبدة الطب) وهو مجلد يشتمل على حقائق الأبدان الظاهرة ودقائقها الباطنة<sup>(3)</sup>.

ويقول ياقوت الحموي<sup>(4)</sup>: "إنه كان عارفاً بالطب جداً ألف فيه تصانيف حسنة مرغوب فيها بالعربية والفارسية، انتقل إلى إقليم خوارزم، وأقام بها مدة ثم انتقل إلى مدينة مرو فأقام بها مدة وكان من أفراد زمانه وتوفي بمرور 531هـ/ 1136م<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر نفسه.

(2) النظام العروضي: جهاز مقاله، المقالة الرابعة، ص 76.

(3) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص 130.

(1) النظام العروضي: جهاز مقاله، ص 167.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج3، ص 48.

(3) النظام العروضي: جهاز مقاله، ص 167.

(4) معجم البلدان، ج2، ص 45.

(5) الذهبي: تاريخ، ج18، ص 233.

ولقد حرص أصحاب النفوذ والسلطان في خوارزم على ارتباط الحكماء والأطباء بقصورهم والدليل على ذلك ما قاله ابن أبي أصيبعة<sup>(1)</sup>: "كان شرف الدين إسماعيل الطبيب في خدمة السلطان قطب الدين محمد خوارزمشاه 490-521هـ/ 1096-1127م وله من الأنعام الوافرة والمرتبة الرفيعة وكان له مقرر على السلطان في كل شهر ألف دينار، وكانت له معالجات بديعة وآثار حسنة في صناعة الطب". وكانت نظرة سكان خوارزم إلى الأطباء ملؤها الإجلال والإكبار إذ الطبيب حينذاك ينبغي أن يكون عالماً بأصناف العلوم<sup>(2)</sup> مثل فخر الدين الرازي الذي زار خوارزم، حيث يقول الذهبي<sup>(3)</sup> "كان فخر الدين الرازي شديد الحرص جداً في العلوم الشرعية والحكمة، حاد الذهن، كثير البراعة، قوي النظر في صناعة الطب" وكان السلطان خوارزمشاه علاء الدين محمد 562-617هـ/ 1199-1220م يأتي إليه.

ومن علماء خوارزم الذين جمعوا أصناف العلوم من اللغة والفقه والآداب والطب شهاب الدين الخيوقى (ت 618هـ/ 1221م)<sup>(1)</sup>.

ونستنتج مما سبق أن أكثر علماء العصرين لم يكتفوا بترجمة الكتب السابقة، بل تخطوا ذلك إلى التأليف حيث عكف العلماء والأطباء على التأليف أكثر من الترجمة.

ومن أشهر أطباء إقليم الصغد أبو عبدالله شرف الزمان محمد بن يوسف الأيلاقي (ت 536هـ/ 1141م) كان من تلاميذ ابن سينا وعمر الخيام، نزيل سمرقند قتل بمعركة قطوان بسمرقند، من مؤلفاته كتاب الفصول الأيلاقية في الطب، وهو كتاب قيم مليء بالشروح العديدة لكتاب القانون لابن سينا<sup>(2)</sup> وبدر الدين محمد ابن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي

(1) عيون الأنباء، ج3، ص48.

(2) محبوبة: نظام الملك، ص168.

(3) تاريخ الإسلام، ج18، ص233، 234.

(1) النسوي: سيرة جلاء الدين منكبرتي، ص109.

(2) الزركلي: الأعلام، ج1، ص363؛ محمد محمود إدريس: السلطان سنجر، ص138.

(ت590هـ/ 1194م) كان مجيداً في صناعة الطب، وله عناية بالنظر في معالجة الأمراض ومداواتها<sup>(1)</sup>.

كما كان أبو المحامد نجيب الدين محمد بن عمر السمرقندي (ت 619هـ/ 1222م) من كبار علماء الطب البارعين في عصره، لكن مما يؤسف له أنه قتل في جملة من العلماء قتلوا بمدينة هراة لما دخلها التتار<sup>(2)</sup>، وله تصانيف وكتب مشهورة منها كتاب (أغذية المرضى) قسمه على حسب ما يحتاج إليه من التغذية لكل واحد من الأمراض المختلفة، وكتاب (الأسباب والعلامات) في الأمراض الجزئية وأسبابها وعلاجها وعلاماتها، جمع فيه جميع العلل والأمراض الجزئية على سبيل الاستقصاء حتى لا يشد منها علة مع أسبابها وعلاماتها، وأردف كل نوع بعلاج مجمل نفاً عن كتاب، القانون لابن سينا ومن المعالجات البقرائية<sup>(1)</sup> وذكر فيه أن شفاء مرض البهاق شبه مستحيل، واهتم السمرقندي بعلاج الورم الناتج عن إصابات الجمجمة وأوضح من كتابه أسس العلاج<sup>(2)</sup>. ويعرف هذا الكتاب بالنجيبات في الطب وهو في عدة أجزاء، أما عن سبب شهرة هذا الكتاب فترجع إلى الفصل الذي نقله عن نفيس بن عوض الكرمانى (ت 827هـ/ 1423م) عن المالىخوليا<sup>(3)</sup>، وله أيضاً رسالة في مداواة وجع المفاصل، ومقالة في كيفية تركيب طبقات العين، وكتاب (الإرشاد في الطب النافع لجميع الأمراض وكتاب (الأغذية والأشربة للأصحاء) وكتاب (الأغذية والأشربة للمرضى) وكتاب (كامل الصناعة)<sup>(4)</sup>.

---

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأبناء، ج3، ص47؛ العطار الهاروني: منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان، تحقيق حسن عاصي، دار المناهل، بيروت، 1992م، ص111.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص425، 426.

(1) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ج3، ص47؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص77.

(2) محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004م، ص317.

(3) الزركلي: الأعلام، ج6، ص280.

(4) عمر رضا كحالة: المستدرك على معجم المؤلفين، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م، ص708، 709.

كما كان زين الكحال السمرقندي ت بعد 620هـ / 1223م من كبار أطباء العيون، قام بمداواة عين جنكيزخان من الرمد، وكان الكحال هذا مفرداً في قبح الصورة وسوء العشرة<sup>(1)</sup>.  
ومن أشهر أطباء فرغانة السيد أبو عبدالله محمد بن يوسف شرف الدين الأيلاقي (ت485هـ / 1092م) وينسب إلى مدينة أيلاق بفرغانة وهو طبيب فرغاني بارع تتلمذ على يد الرئيس ابن سينا، وقام باختصار كتاب "القانون" لابن سينا وسماه "شرح كليات القانون" وله أيضاً كتاب (الأسباب والعلامات في الطب)<sup>(2)</sup>.

ومنهم كذلك أبو الحسن علي الخجندي، الذي كان عالماً في مختلف نواحي العلوم النقلية، والعقلية وله من المصنفات الطبية كتاب (العلل)<sup>(3)</sup> ومن أشهر أطباء فرغانة محمد بن محمد بن نصر فخر الدين الخجندي (ت 550هـ / 1155م) ولد بخجندة بفرغانة، ورحل في طلب العلم وعرف بأستاذ الطب، وله مصنفات شهيرة في الطب منها (التلويح إلى أسرار التنقيح) الذي اختصر فيه تنقيح القانون لابن سينا وكتاب (ترويح الأرواح من علل الأشباح) وكتاب (روضة الملوك) فهو الطبيب بفرغانة ولم يكن طبيباً للعلل البدنية فقط بل والنفسية أيضاً<sup>(4)</sup>.

ولم يقتصر اهتمام أطباء فرغانة على الإنسان فقط بل امتد إلى الحيوان، حيث اهتم الفرغانيون بالحيوان فيما يعرف بالبيطرة<sup>(2)</sup> بطريقة غير مباشرة فلم يعرفوا هذا العلم كعلم قائم بذاته إلا أنهم اتبعوا أصوله لغرض تنمية ثروتهم الحيوانية التي كانت تشغل حيزاً كبيراً من

---

(1) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص98.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأبناء، ص421؛ الزركلي: الأعلام، ج7، ص148.

(3) السلمي: طبقات الصوفية، ص246، 247.

(1) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص500.

(2) هو العلم الذي يبحث عن خواص أنواع الحيوانات وعجائبها، ومنافعها، ومضارها، وموضوعه جنس الحيوان البحري والبري، والماشى والزاحف، والطائر، وغير ذلك والغرض منه التداوي والانتفاع بالحيوانات والاحتماء من مضارها، والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها، حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص695؛ أحمد عبدالرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991م، ص252.

حياتهم فقد اشتهروا بخيولهم الفرغانية التي اتصفت بأنها لا يوجد مثلها في الأقطار الأخرى<sup>(1)</sup> والتي عرفت لدى الصينيين بالخيول السماوية<sup>(2)</sup> التي مثلت تجارتها دخل قومي أساسي لهم، كما اشتهروا بوجود أنواع عديدة من البغال والحمير، والإبل، والأغنام، والماشية، التي اهتموا بها وتتميتها وتربيتها، واستفادوا منها في حركة تنقلاتهم ومن لحومها، وأصوافها وأوبارها حتى أن الرجل الواحد من الرعية كان يملك ما بين مائة دابة إلى خمسمائة<sup>(3)</sup>. كما كان أبو نصر أحمد بن زهر بن حاتم بن رستم الأسبانيكي نسبة إلى قرية أسبانيكث من قرى أسبيجاب طبيياً فاضلاً له مصنفات عديدة خاصة في تطبيب الحيوان<sup>(4)</sup> ومن أشهرهم أبو نصر أحمد بن عثمان بن أحمد الذخكتي نسبة إلى قرية ذخكت وهي قرية بالروذبار وراء نهر سيحون من وراء بلاد الشاش، كان مشهوراً في علم الطب<sup>(1)</sup> ومنهم أبو القاسم بن أحمد بن إسماعيل الخاوسي، نسبة إلى خاوس وهي من أعمال أشروسنه بما وراء النهر بين جيحون وسيحون كان من أشهر الأطباء وفيها مات سنة 502هـ/ 1108م<sup>(2)</sup>. ومما سبق يتضح لنا أن دور أطباء إقليم ما وراء النهر كان كغيرهم من أطباء العالم الإسلامي والذي لم يقتصر على علاج المرضى فقط، بل كان يمتد إلى التأليف والتصنيف للكتب الطبية، لتكون مادة علمية مفيدة ليس لمن قصد مهنة الطب للناس عامة، كما نلاحظ تأثرهم بآبى سينا، ولا غرابة في ذلك فهو أستاذهم الأعلى في ذلك الوقت، مما حدا بهم إلى أن يكونوا على علم بمؤلفاته الطبية، وقاموا باختصارات لكتبه، وهم بذلك يثبتون حقيقة المقولة أن الطبيب لكي يمنح شهادة أو إجازة رسمية لمزاولة الطب، فعليه أولاً

(1) الاضطخري: مسالك الممالك، ص286.

(2) إيرين فرانك: طريق الحري، ص5، 6.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص392.

(4) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص37.

(1) ابن الأثير: المصدر نفسه، ص370.

(2) السمعي: الأنساب، ج2، ص133.

أن يكون ملماً بعدد من المؤلفات الطبية المترجمة وغير المترجمة لمن سبقوه ولمن عاصروه وهذا ما يتضح من أسماء مؤلفاتهم.

## • علم الصيدلة:

الصيدلة أشرف الصنائع بعد الطب، وهي تابعة له عرفت بصناعة العطر والشراب<sup>(1)</sup> وهي فن يبحث في أصول الأدوية<sup>(2)</sup> سواء أكانت نباتية أو حيوانية أو معدنية، من حيث تركيبها وتحضيرها ومعرفة خواصها الكيميائية والطبيعية وتأثيرها الطبي وكيفية استحضار الأدوية المركبة منها، فتاريخ الصيدلة هو أذن نفس تاريخ الأدوية وطريقة استعمالها وحفظها<sup>(3)</sup>. وارتبطت الصيدلة بالطب وكانت إحدى فروعها لسنوات طويلة فالطبيب هو نفسه الصيدلي، الذي يشخص المرض، ويعد له الدواء من النباتات والأعشاب<sup>(1)</sup> ونظراً لاهتمام الخلفاء العباسيين بالعلوم العقلية، تقدمت الصيدلة، وأصبحت علماً قائماً بذاته<sup>(2)</sup> وأطلق على تقيب الصيدلة رئيس العشابين، كما خضعت المهنة لرقابة المحتسب حتى يحول دون الغش في الأدوية<sup>(3)</sup>.

وميز علماء الصيدلة في مدن إقليم ما وراء النهر كغيرهم من بلدان العالم الإسلامي بين

نوعين من الأدوية:

---

(1) العطار الهاروني: منهاج الدكان، ص5، والصيدلة لفظ معرب، أصله هندي جاء للعرب من الفرس، وذلك من "جندل أو جندن" حيث قلبت الجيم صاداً فأصبحت "صندل أو صندن" وهو خشب العطر المعروف الذي يجلب من الهند، إذ لم تكن العرب تفرد له أسماء أو تسمية فنقلوا هذا الاسم المعرب من مزاولي العطر إلى مزاولي الأدوية، انظر: البيروني: كتاب الصيدنة، تحقيق الحكيم محمد سعيد ورانا إحسان ألهي، باكستان، 1979م، ص6؛ عبدالحليم منتصر: موجز تاريخ الصيدلة، دار المعارف، القاهرة، 1977م، ج2، ص271.

(2) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ص389.

(3) شحاتة فنوناتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، 1951م، ج11، ص29.

(1) قاسم غني: من تاريخ الطب، ص39.

(2) محمد سعد: الحياة الفكرية، ص240.

(3) ابن بسام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق، حسام الدين السامرائي، دار المعرفة، بغداد، 1968م، ص138.

1. الأدوية المفردة وتعرف باسم العقاقير، وهي التي تتكون من صنف واحد سواء كان هذا الصنف مصدره نباتاً أو حيواناً أو معدناً<sup>(1)</sup>.

2. الأدوية المركبة وتعرف باسم الأقربازين<sup>(2)</sup> وهي الأدوية التي تتركب من أكثر من نوع واحد من العقاقير<sup>(3)</sup> أما الاصطلاح العربي صيدلي أو صيدلاني – الذي يبيع العقاقير الطبية ويركب الأدوية<sup>(4)</sup> فهو على ما ذهب إليه البيروني<sup>(5)</sup> "المحترف لجمع الأدوية على أحد صورها واختيار الجيد من أنواعها، مفردة أو مركبة على أفضل التراكيب التي خلدها مبرزو أهل الطب".

كما يرى البيروني أن كلمة صيدلاني تعريب لكلمة جندلاني بقلب الجيم صاداً، وكلمة جندن وصندن تدل على أنواع الطب، أو ينسبون الكلمة إلى الصندن كما ذكرنا، وفي كلتا الحالتين يظهر جلياً أنها كانت تدل أصلاً على أن الصيدلي هو الشخص الذي يجمع الأعشاب النافعة للتطبيب<sup>(1)</sup> وبلغت عناية العرب والمسلمين بالدواء وكيفية استنباطه، واستخراجه، واستعماله عناية بالغة لذلك رأيناهم يهتمون بإدخاله في الإطار التطبيقي لنظام الحسبة الذي يُعنى بمراقبة نشاط الصيدلة في إنتاج الدواء<sup>(2)</sup> والتي سوف نتحدث عنها بالتفصيل.

أما عن أبرز الإسهامات في مجال الصيدلة فكان من أبرز صيادلة إقليم خوارزم. أن الحديث عن علماء خوارزم في مجال الصيدلة يكاد يكون معدوماً، وذلك لأن المصادر لم

(1) ميرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص385.

(2) أقربازين: كلمة يونانية الأصل، معناها تركيب الأدوية، وطرق تحضيرها وفحصها وحفظها أي ما نطلق عليه في الوقت الحاضر اسم دستور الأدوية، وانتقلت إلى اللغة العربية عن طريق اللغة السريانية في صدر الدولة العباسية، وتطور مفهوم الكلمة في العصر الحديث فأصبح يطلق على العلم الذي يبحث في تأثير الأدوية في أجسام الكائنات الحية، شحاته قنواتي: تاريخ الصيدلة، ص15.

(3) عبدالحليم منتصر: موجز تاريخ الصيدلة، ج2، ص273، مفردها عقار، ومعناها أصول النبات وأجزائه أو الأعشاب المستعملة للعلاج ثم ضمت الأدوية الحيوانية والمعدنية، شحاته قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير، ص12.

(4) أحمد عبدالرازق: الحضارة، ص255.

(5) كتاب الصيدنة، ص1.

(1) البيروني: نفس المصدر، ص3.

(2) ابن الأخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة، مكتبة المتنبني، القاهرة، بدون، ص167.

تمدنا بمعلومات عن علماء خوارزم في هذا المجال، وأشارت المصادر إلى أبي الريحان البيروني محمد بن أحمد (ت 440هـ/ 1048م) وله كتاب "الصيدلة في الطب" استقصى فيه معرفة الأدوية ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدمين، وما تعلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه، وقد رتبته على حروف المعجم<sup>(1)</sup>، وقد ألفه في أواخر حياته ويعدّ هذا الكتاب ذخيرة علمية ومرجعاً مهماً في مجال الصيدلة<sup>(2)</sup>.

وكان أسلوب البيروني الذي اتبعه في تأليف كتابه بالنسبة لوصف عقار في أن يقوم بدراسته تحت اسمه العربي، ثم يبحث مرادفاته في اللغات الأخرى، ثم يقوم أخيراً بتحديد<sup>(3)</sup>. ومن ساهم في علم الصيدلة من إقليم الصغد، بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي (ت 590هـ/ 1194م) الذي يعد من كبار الصيادلة في عصره، كانت له عناية بالنظر في معالجة الأمور ومداواتها، وله كتاب الأقبازين<sup>(1)</sup> وهو تسعة وتسعون باباً، استوعب فيه ذكر ما يحتاج إليه من الأدوية المركبة، وجمع أكثر ذلك من الكتب المعتمد عليها كثيراً، مثل الطب في القانون لابن سينا، والحاوي والمنصوري للرازي، والكامل لعلي بن العباس المجوسي، والذخيرة لثابت بن قرة، والكفاية<sup>(2)</sup>.

ويعدّ أقبازين القلانسي من الناحية الصيدلانية من أكمل ما كتب في موضوعه بجميع اللغات حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ولم يتقيد القلانسي السمرقندي بضم الأدوية المركبة فقط في كتابه، بل خصص عدداً من الأبواب (1- 14) في مقدمة كتابة للكلام عن تهيئة وفحص وحفظ المواد الأولية المستعملة في تحضير الأدوية المركبة وذلك اعتقاداً منه

(1) عيون الأنباء، ص30.

(2) عبدالعظيم حنفي صابر وعبدالحليم منتصر: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، موجز تاريخ الصيدلة، ص314.

(3) عبدالعظيم حنفي: الموجز، ص402.

(1) العطار الهاروني: منهاج الدكان، ص111.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج3، ص47، وثابت بن قرة الحراني (221- 288هـ/ 835- 900م) هو أبو الحسن بن قرة ابن مروان بن ثابت الحراني الصابئ، أشهر أطباء العصر العباسي، القفطي: أخبار العلماء، ص80.



أن ذلك يعدّ من الأعمال الأساسية التي يجب أن يقوم بها الصيدلي قبل البدء بتحضير الدواء المركب<sup>(1)</sup> أما بقية الأبواب فقد خصص منها عشرين باباً للكلام عن الأشكال الصيدلانية المعروفة، بالإضافة إلى أربعة أبواب تكلم فيها عن أدوية - الرعاف - أدوية القيء - أدوية الزينة - علاج من شرب السموم، وجملة هذه الأبواب تشابه ما ورد في أقرباذين كل من سابورو ابن التلميذ<sup>(2)</sup>.

وهناك بعض الإنجازات الصيدلانية التي ورد ذكرها في أقرباذين القلانسي منها:

1. استعمل في تحضير الأقراص الدوائية بعض اللعابات المصنوعة من حب السفرجل، وبزر الكتان بزر والقطوناء<sup>(3)</sup>.

2. أعطى للأقراص الدوائية التي توضع تحت اللسان شكلاً مفرطاً تمييزاً لها عن بقية الأقراص.

3. ذكر أقراصاً تنفع في الصداع والسهر تُجعل على شكل مثلث تذاب عند الحاجة بماء ورق الخس أو الكزبرة الرطبة، وتطلى على الصدغ<sup>(1)</sup>.

كما يعد أبو المحامد نجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي (ت619هـ/1222م) من كبار علماء الطب والصيدلة، له مؤلفات كثيرة واهتم بالأدوية، ووضع فيها كتابه (أصول تركيب الأدوية)، وفيه بين أسباب وضرورات تركيب الأدوية وعدم تقديمها مفردة، ويستعرض مع الشرح صنوف الأدوية من أشربة ومعجونات وحبوب ومطبوحات وحقن وأضمدة وأطلية وغراغر ومربيات وأدوية للشعر، وهو يسوق لنا في كتابة طرق التحضير وأوزان ونسب

(1) القلانسي السمرقندي: أقرباذين السمرقندي، تحقيق محمد زهير البابا، حلب، 1983م، ص9.

(2) القلانسي السمرقندي: المصدر نفسه، ص15.

(3) السفرجل: شجر مثمر من الفصيلة الوردية التي تشمل معظم أشجار الفواكه كالتفاح، واللوز والتمر والكروم وتوجد في مواطنها الأصلية إيران، وباكستان وبلاد التركستان، انظر: العطار الهاروني: منهاج الدكان، ص274؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص373.

(1) القلانسي السمرقندي: أقرباذين السمرقندي، ص15.

العقاقير والمواد المستخدمة في التركيب، وأهم ما يلفت النظر في هذا الكتاب هو عناية السمرقندي فيه بالتجربة والقياس على التجارب السابقة للوصول إلى الاستعمالات المأمونة<sup>(1)</sup>. ومن مؤلفاته أيضاً كتاب أبدال الأدوية، وكتاب الأبدال في المعاجين والأقراص، والأدوية المفردة، وكتاب أدوية القلب، وما يتعلق به، وكتاب الأدوية المفردة المستعملة وخواصها وأفعالها<sup>(2)</sup>، وتعدّ كتبه نموذجاً لكتب الوصفات الطبية المعروفة في الوقت الحاضر.

وتجدر الإشارة إلى أن الصيدلة والطب كانتا متلازمين كما سبق القول في جميع العصور الإسلامية وكان الشخص الواحد يفحص المرضى ويشخص أمراضهم ثم يقوم بنفسه بتحضير الأدوية الخاصة لعلاجهم، وكانت علوم الطب والصيدلة تدرس مترافقة في المدارس الطبية دون تحديد لأيهما<sup>(1)</sup>.

فالطب والصيدلة إذن صناعتان مختلفتان، إلا أنهما متكاملتان والطبيب الجيد الماهر هو الذي يكون في نفس الوقت صيدلانياً ماهراً، يجيد معرفة قوى الأدوية وخصائصها المخصصة بها وأفعالها ومنافعها، ومضارها ومناسبتها، والمختار منها وأبدالها، ويجيد فن تركيبها، ولقد كان التأليف فيها في الغالب جزءاً من التأليف في الطب العام<sup>(2)</sup>.

وغلبت هذه النزعة إلى المزج بين صناعتي الطب والصيدلة في مدن إقليم ما وراء النهر خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي، فمعظم الأطباء كانوا صيادلة كما أسلفنا، إلا أن الجانب الطبي التطبيقي كان أغلب، فغلبت شهرة أهل هذه الصناعة في هذه الفترة على أنهم أطباء لا صيادلة والفصل بين (بيت الوصف - العيادة - وبيت الصرف - الصيدلية - كان أبرز وخاصة

---

(1) صلاح الدين المنجد: مصادر جديدة عن تاريخ الطب عند العرب، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 5، ج1، 1959م، ص304-306.

(2) عمر رضا كحالة: المستدرك، ص708.

(1) عبدالحليم منتصر: موجز تاريخ الصيدلة، ج2، ص314.

(2) إبراهيم مراد: بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، مكتبة المثني، بغداد، 2007م، ص248.

في البيمارستانات التي كانت الصيدليات فيها قائمة مستقلة عن قاعات المرضى أي قاعات العلاج، وكانت تحت إشراف صيادلة متخصصين، والدليل الذي عندنا على كون أطباء ذلك العصر صيادلة أيضاً هو التأليف التي وضعها عدد منهم في الصيدلية، أي في الأدوية المفردة والمركبة<sup>(1)</sup>.

ومن هذا المنطلق كان صيادلة إقليم فرغانة والشاش وأشروسنه وغيرهم من أقاليم ودول العالم الإسلامي فالأطباء كانوا صيادلة أيضاً، ولهم مؤلفات عن الأمراض وعلاجها لمصنف محمد بن علي بن محمد المعروف بتاج الدين الخجندي<sup>(2)</sup> المعروف بـ(بستان العطارين) وهو كتاب مفيد جمعه من نحو عشرة كتب<sup>(1)</sup> ومحمد بن الخجندي صاحب كتاب (أصول التركيب في الطب) وهو مختصر أوله (الحمد لله على ما هدانا سبيل الرشاد... الخ) ورتبه على قسمين<sup>(2)</sup>.

كما اهتم الأطباء والصيادلة بعلم النبات وإن لم يعرف بهذا الاسم في حينه، إلا أنهم ساروا على المنهج العلمي لقواعده دون مسمى خاص به، فقد اهتموا بالزراعات التي اشتهر بها إقليم ما وراء النهر وبكثرتها، فكان الإقليم من أخصب أقاليم الأرض يحتوي على زراعات عديدة من نباتات وأعشاب تستخدم في العلاج، فمن المعروف أن أشجار الطرخون<sup>(3)</sup> التي اشتهرت بلاد ما وراء النهر بزراعتها، وصدرت منه إلى بلدان عديدة، كان يستخدم كدواء لتطيب رائحة الفم، وعلاج قرحة الفم عن طريق مضغه، ويستخدم مخدراً للأسنان، وكان يحد من نزيف الدم، ويعالج اضطرابات المعدة<sup>(4)</sup> كما أن الورود المتنوعة التي اشتهر بها الإقليم بزراعتها استخدمت دواء،

---

(1) إبراهيم مراد: بحوث في تاريخ الطب والصيدلة، ص 248.

(2) لم يذكر تاريخ وفاته.

(1) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج4، ص 224.

(2) عبدالله سعد: موسوعة علماء آسيا الوسطى، ج4، ص 189.

(3) ذكرها ابن حوقل طبرخون، إلا أنها هي نفسها الطرخون وهي أشجار خضرة، ويقلة توجد بجبال اليتم الشاهقة المنيعة وتستخدم دواء أمراض كثيرة كاضطرابات المعدة، ومخدراً لأمراض الأسنان وغيرها، انظر: صورة الأرض، ص 415.

(4) العطار الهاروني الإسرائيلي: منهاج الدكان، ص 38.

فالورد نافع في علاج الحمي والعتس، وحرقان المعدة، والبنفسج يصنع منه دواء لعلاج السعال، ونزلات البرد<sup>(1)</sup>.

والسفرجل<sup>(2)</sup> الذي يوجد منه بفرغانة الحلو والحامض فالحو يستخدم كملين ويحبس العرق، ويلين قسبة الرئة كما أنه يمكن استخدامه كدهان يمنع تشقق الأيدي ويمنع الأورام والقروح الجلدية وشرابه مقوى كما أنه نافع للكلي والمثانة، أما الحامض يستخدم لمنع سيلان الفضلات من المعدة، وكان بفرغانة والشاش وأشروسنه وسائر بلاد ما وراء النهر الأشجار الملتفة والثمار الكثيرة والرياض المتصلة<sup>(1)</sup> وكان الورد يزرع في أشروسنه<sup>(2)</sup> والبنفسج والياسمين في بساتين سمرقند وفرغانة<sup>(3)</sup> وكان الصندل<sup>(4)</sup> الذي تعطر به الأجسام والمسك والعنبر<sup>(5)</sup> والعود، والعاج سائر الأدوية المستخرجة منها تستخرج بكثرة من أشروسنه وفرغانة وبخارى<sup>(6)</sup> وكانت فرغانة أشهر مناطق إنتاج المسك والقرنفل والكافور<sup>(7)</sup> وكانت هذه الأعشاب والعطور تستخدم في صناعة الأدوية.

ونلاحظ مما سبق أنه بالرغم من ندرة المصادر المتاحة لدينا عن ذكر صيادلة إقليم ما وراء النهر إلا أنه بالرغم من هذا إلا أن هذا الإقليم بثرواته النباتية والعشبية وبرجاله الراغبين في العلم لا يمكن أن يخلو من علماء في مختلف العلوم إلا أن الدمار الذي أحل بالإقليم من قبل

---

(1) العطار الهاروني: المصدر نفسه، ص105.

(2) السفرجل: نبات ينمو طبيعياً.

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص391.

(2) الاضطخري: مسالك الممالك، ص165.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص391.

(4) خشب الصندل: يحصل على الصندل بأن تقطع الشجيرة ويجفف في الظل، وتكون للخشب رائحة زكية قابلة للتصاعد البخاري عن إحراقها، شوقي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1990م، ص219.

(5) العنبر: عطر بحري شهير يستخرج من المياه، وقيل إنه شيء من شحوم الحوت أو الدلفين، القزويني: عجائب المخلوقات وخرائب الموجودات، تحقيق فاروق سعد، بيروت، 1973م، ص281.

(6) لسترنج: بلدان الخلافة، ص230.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، ص261.

المغول 616هـ/ 1216م ربما كان السبب في ندرة المصادر التي تشير إلى تفاصيل عن الإقليم وأحواله. زاد اهتمام سلاطين السلاجقة والخوارزميين بعلوم الطب والبيمارستانات والصيدلة فوضعوا عليها المحتسبين، والذين شددوا في رقابتهم على أعمال الأطباء والصيدالة والعطارين والكحالين وممن له علاقة بمهنة الطب وعلاج الناس لأن الطبيب هو العارف بتركيب البدن ومزاج الأعضاء، والأمراض الحادثة فيها، وأسبابها وأعراضها وعلاماتها، والأدوية النافعة والاعتياض عما لم يوجد منها، والوجه في استخراجها وطريق مداوتها وتبين كفياتها فمن لم يكن كذلك فلا يجعل له مداوة المرضى ولا يجوز له الإقدام على علاج يُخاطر فيه ولا يتعرض لما لا علم له فيه<sup>(1)</sup>.

بل أن ما يعرف بـقسم الأطباء والذي يؤدونه قبل ممارسة المهنة حالياً كان لزوم من يمتحن مهنة الطب في العصور الإسلامية يقول ابن الأخوة<sup>(2)</sup> (وينبغي للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقرط الذي أخذه على سائر الأطباء ويحلفهم أن لا يعطوا أحداً دواءً مضراً ولا يركبوا له سماً ولا يصنعوا سموماً عند أحد من العامة، ولا يذكرن للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ولا للرجال الذي يقطع النسل وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى، ولا يفشوا الأسرار ولا يهتكوا الأستار ولا يتعرضوا لما ينكر عليهم فيه).

واشترط فقهاء الحسبة شروطاً على الطبيب إذا دخل على المريض فلا بد أن يسأله عن سبب مرضه وعن مرضه، ثم يرتب له الأدوية والأشربة وغيرها من العقاقير، ثم شرط أهم وهو أن يكتب لأهل وأولياء المريض شهادة يشهد عليها من حضر معه عند المريض، ثم يدخل عليه في أيام ثلاث متتالية لمعاينته، ويكتب له نسخة يسلمها لأهله كل يوم وهو ما يسمى اليوم

(1) ابن الأخوة: معالم القرية، ص166.

(2) المصدر نفسه، ص167، وأبقرط طبيب يوناني وتعني الكلمة (الفارس النبيل) وهو أول من فصل الطب عن الدين معتمداً على القياس والتجربة، أحمد الشطي: تاريخ الطب، وآدابه وأعلامه، دمشق، 1970م، ص65.

-بالتقرير الطبي- فإذا برأ المريض أعطي الطبيب أجره، وإذا مات يذهب أهله بالتقرير إلى المحتسب وإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب قال المحتسب (هذا قضى) بأمر الله، وفروغ أجله أي انتهاؤه، وأن رأي تفريط عوقب الطبيب<sup>(1)</sup>. واشتروا في الكحالين أيضاً شروطاً منها أن يمتحنهم المحتسب بكتاب حنين ابن إسحاق<sup>(1)</sup> وهو العشر مقالات في العين فمن وجده عالماً عارفاً بتشريح طبقات العين وأمراضها وكيفية علاجها سمح له بممارسة مهنة الكحالة<sup>(2)</sup> وكثيراً ما منع كحالوا الطرقات من ممارسة أعمالهم والذين كانوا ينتشرون في طرقات القرى والمدن في كل أقاليم بلاد ما وراء النهر، وكان المحتسب يحلفهم ألا يصبغوا ألواناً مختلفة ببعضها حتى لا يؤذوا الناس إذ لا يمكنه منعهم من الجلوس لمعالجة أعين الناس<sup>(3)</sup>.

كما اشترط المحتسب على الجراحين معرفة كتاب جالنيوس<sup>(4)</sup> المعروف بقاطا جانس في الجراحات والمراهم وأن يعرفوا التشريح وأعضاء الإنسان، ومعه أدواته<sup>(5)</sup>.

أما المجبرون وهي مهنة مازالت موجودة لأن فاشترط عليهم المحتسب أن لا يتصدى للجبر منهم إلا بعد أن يعرف المقالة السادسة من كُنَاش<sup>(6)</sup> فوليس<sup>(7)</sup> في الجبر، وأن يعلم عدد عظام الأدمي وهي مائتا عظمة وثمانية وأربعون، وصدرة كل عظم منها وشكله وقدره حتى إذا

(1) ابن بسام: الرتبة في طلب الحسبة، ص151.

(1) حنين بن إسحاق: يكنى أبا زيد كان فاضلاً في صناعة الطب فصيحاً باللغة العربية والسريانية واليونانية طاف البلاد لجمع الكتب القديمة توفي سنة 200هـ/815م؛ ابن النديم: الفهرست، ص409.

(2) ابن الأخوة: معالم القرية، ص168.

(3) ابن بسام: الرتبة، ص152.

(4) جالنيوس: طبيب يوناني مشهور درس المنطق والفلسفة والطب وسافر إلى عدة بلدان طلباً للعلم ومات في صقلية سنة 218هـ/833م، أبو الفتوح التوانسي: من أعلام الطب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966م، ص26.

(5) ابن الأخوة: معالم القرية، ص169.

(6) الكُنَاش أو الكناشة: مذكرة يسجل فيها الشخص ما وقع له من الأحداث أو كان شاهد عيان على وقوعها كما يدون فيها ما نظمه من الأشعار أو ما راج بينه وبين أقرانه من مساجلات أدبيه أو مناظرات علمية إلى غير ذلك، محمد رزون: دور الكناشات في الكتابة التاريخية المغربية، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد الرابع سنة 1990م، ص489.

(7) فوليس: طبيب يوناني معروف، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج2، ص19.

انكسر منها شيء أو انخلع رده إلى موضعه على هيئته التي كان عليها، وكان يمتحنهم على ذلك<sup>(1)</sup>.

## • علم النبات:

هو علم يبحث في خواص النباتات وعجائبها وأشكالها ومنافعها، ومضارها، وموضوعه معرفة نوع النبات وفائدته ومنفعته للتداوي به<sup>(1)</sup> فالنبات كان ومازال قوام الغذاء والدواء، ولذلك أبدعه الخالق سبحانه وتعالى وجعله بحكمته أجناساً وأصنافاً وألواناً وأنواعاً، يختلف بعضها عن بعض، وتتغاير فيما شبه الله فيها من قوى، وأودعه في كيانها من خواص بحسب تركيبها الفسيولوجي والكيميائي والبيولوجي لتتقيد الأهوية وتغذية الأبدان ومداواة أسقامها وهي مع ذلك تبهج العين وتطيب النفس، وتزين المحيط الطبيعي وتملأه حياة وجمال<sup>(2)</sup>.

واعتنى الإنسان منذ القدم بمعرفة النبات واستقصاء أحواله واستكشاف أسرارها واستنباط خواصه ومنافعه لحفظ حياته ومداواة أسقامه، وتناولت القرون السابقة ذلك فتراكمت المعارف حتى صار علم النبات قائماً بذاته، وأسهم علماء المسلمين في تطور هذا العلم<sup>(3)</sup>.

واشتغل علماء إقليم ما وراء النهر بعلم النبات -رغم أنه لم يكن معروفاً لديهم بهذا الاسم- واستخرجوا منه مواد كثيرة للطب والصيدلة، وعبور كثيرة كالزعفران والكافور، كما أدخلوا جملة من المواد الطبية في العقاقير والمفردات الطبية<sup>(4)</sup>.

(1) ابن الأخوة: معالم القرية، ص169.

(1) عمر رضا كحالة: العلوم البحتة في العصور الوسطى، دار الفكر، بيروت، 1977م، ص282.

(2) مؤلف مجهول: عمدة الطبيب في معرفة النبات، والأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص39.

(3) عمر رضا كحالة: العلوم البحتة، ص282.

(4) ميرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص390.

وحبا الله تعالى إقليم ما وراء النهر بموقع جغرافي ممتاز فجعلها مركزاً أساسياً للتجارة العالمية، فهي ملتقى للطرق التجارية الكبرى، لذلك فإن أعشاباً ونباتات طبية وعقاقير من أصل حيواني لم يعرفها طبيب من القدماء قد أتت من الصين والهند وإفريقيا، وكان من الطبيعي أن يعرف أصحاب الاختصاص ما لهذه الأعشاب الشرقية من قوة شفائية ساحرة، فاستعملوها عقاقير طبية وجربوها ووضعوا تجاربهم ونتائجها في كتب خاصة بعلم الأقرباذين، كأقرباذين القلانسي وأقرباذين السمرقندي، ومن هذه النباتات القرفة التي كانت تزرع في سمرقند ولعبت دوراً مهماً في الأقرباذين، حيث كانت أوراقها عنصراً من العناصر التي تدخل في تركيب الترياق، كما كانت أزهارها وأوراقها تحتوي على زيت أثيري<sup>(1)</sup>.

كما أدخلت إلى العقاقير العربية القديمة مواد طبية مجهولة كالكافور والعنبر، والرواند - جذر النبات - وكان أطباء وصيادلة إقليم ما وراء النهر يعرفونه تمام المعرفة وكان يأتي من الصين، وكانت القوافل تحمله وتتوقف في الإقليم، لتترك جزءاً من حمولتها في أسواقها<sup>(2)</sup> والزنجبيل الذي كان يباع في أسواق الإقليم وكان وارداً من الصين والهند، وكان على شكلين إما أخضر وإما محفوفاً بمعالجته بالسكر، وكان الهنود يعدون منه مستحضرات محفوظة عرفها العرب باسم زنجبيل، وكان العطارون يصنعون منه معجوناً معظمه من الزنجبيل، كما كان يستعمل في الطهي ويدخل في تحضير الأنبذة المقبلة<sup>(3)</sup> وكان الزنجين - زهرة جوز الهند، يباع في أسواق بلاد ما وراء النهر<sup>(4)</sup> والقنب الذي تشتهر به أشروسنه وكش ونسف وخوارزم وسمرقند وهو مخدر ويسكن الأوجاع، ودهنه دواء لوجع الآذن من البرودة<sup>(5)</sup>.

(1) هايد: تاريخ التجارة، ج4، ص100، 101.

(2) عبدالحليم منتصر: تاريخ العلوم، ص68، 69.

(3) هايد: تاريخ التجارة، ج4، ص122 - 125.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص379.

(5) القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص215.



ومما لا شك فيه أن المسلمين في إقليم ما وراء النهر كشفوا بالبحث والتجربة عن مزايا صالحة من تلك النباتات، وعرفوا ما لها من أثر في اكتساب الصحة ودفع المرض، وأبانوا عن وجوه استعمالها فيما ينتاب جسم الإنسان من أمراض فتوصلوا إلى حقائق جديدة بالعناية والتدبر<sup>(1)</sup>.

## • علم الكيمياء:

بالإضافة إلى ما قدمه علماء العصرين السلجوقي والخورزمي في إقليم ما وراء النهر كانت لهم دراسات في الكيمياء، التي انتهجوا فيها وغيرها من العلوم الطبيعية منهج التجربة العلمية<sup>(1)</sup>. والكيمياء هو علم يراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها، وإفادتها خواصاً لم تكن لها<sup>(2)</sup> الاعتماد فيه على الملذات كلها مشتركة في التوعية والاختلاف الظاهر بينهما إنما هو عدة أمور عرضية يجوز انتقالها<sup>(3)</sup> ولفظ الكيمياء عبراني معرب، أصله (كيم يه) ومعنى ذلك أنه من الله، وقيل وهو الصحيح أن أصله عربي واشتقاقه من كمي يكمي إذا ستر وأخفى، ويقال كمي الشهادة أي يكميها إذا كتمها، وكان منتلو هذه الصناعة يراعون فيها قاعدة الستر والإخفاء<sup>(4)</sup> وأطلق العرب على الكيمياء أسماء عديدة بعضها راجع في أغلب الأمر إلى طبيعة الموضوع، وبعضها راجع إلى منهجهم في البحث أو أغراضهم التي استهدفوها منه فمن هذه الأسماء: علم الصنعة، صنعة الكيمياء، صنعة الإكسير، علم الحجر، علم التدبير، علم الميزان<sup>(5)</sup>. وكان لعلماء مدن إقليم ما وراء النهر الفضل في تطور علم الكيمياء من الأبحاث النظرية إلى

(1) كوركيس عواد: مصادر النباتات الطبية عند العرب، بيروت، 1977م، ص3، 4.

(1) يقول فيليب حتى "وهي خطوة إلى الأمام رائعة، إذا قورنت بنظريات الإغريق الغامضة، فالعرب والمسلمون هم رواد علم الكيمياء، تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر، بيروت، 1949م، ج2، ص465.

(2) عمر رضا كحاله: العلوم البحتة، ص246.

(3) عمر رضا كحاله: المرجع نفسه.

(4) حكمت نجيب عبدالرحمن: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، القاهرة، 1991م، ص246.

(5) مصطفى لبيب عبدالغني: الكيمياء عند العرب، دار الكتاب، القاهرة، 1967م، ص28.

التطبيقات العملية حيث كان تطبيق علم الكيمياء في الصيدلة من أهم الفوائد التي حققها هؤلاء العلماء<sup>(1)</sup> فقد عرفوا أسرار المداوة بالعقاقير الطبية من نباتية وحيوانية ومعنوية، واكتشفوا عدداً كبيراً من النباتات الطبية والعطرية، واستخدموها كأدوية مفردة أو في تركيب الأدوية المركبة، وظلت العقاقير الطبية هي أساس العلاج<sup>(2)</sup> وأدخلوا في الطب استعمال الكافور والمسك وجوز الطيب والقرفة وغيرها وهم الذين اخترعوا الأشرية والكحول والخلاصات العطرية<sup>(1)</sup>. جمع القلانسي السمرقندي في الأبواب الأربعة عشر الأولى من كتابه أقر بأذين القلانسي كل ما قيل عن التقاط وإدخال العقاقير النباتية وتحضير الأدوية المفردة المعدنية عن غسل وإحراق وقلي وتكليس ثم اتباعها بالكلام عن تحضير بعض الأدوية المهيأة كعمل الأدهان الطبية واستخراج الأدهان النباتية وغسلها، وطبخ السرطانات، واستخراج عسل البلاذر ولبن الشبرم، ودخان الكندر، وتحضير ماء الجبن، وتطريد العدد، وإصلاح الدبق، ويعدّ مجموع هذه الأبحاث النواة الرئيسية لعلم حديث ظهر في أوربا في نهاية عصر النهضة، وهو علم الكيمياء الصيدلانية وذلك بفضل العرب والمسلمين<sup>(2)</sup>.

كما توصلت الدراسات الكيميائية إلى صناعة المستحضرات الكمالية مثل زيت الورد والبنفسج والدهون والمراهم ومستحضرات الزينة والعمور<sup>(3)</sup> واستخراج الروائح من الأزهار، التي هي محاليل لمواد عطرية من أصول نباتية كالأزهار والثمار والأوراق والبذور، ولكن أغلبها من الزهور، ويقوموا باستخراج العمور، وكان ذلك يستلزم معرفة طرق التقطير، وهي تستعمل حتى اليوم، فإما توضع أوراق الزهور طبقات فوق بعضها البعض تتخلل طبقات من الدهن، وإما أن

(1) عبدالعزيز عبدالرحمن: تاريخ الطب والصيدلة والكيمياء، دار الثقافة، بيروت، 1987م، ص268.

(2) محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية، ص32..

(1) حكمت نجيب: دراسات، ص240.

(2) القلانسي السمرقندي: أقرباذين السمرقندي، ص10.

(3) وليم الخازن: الحضارة العباسية، ط2، دار المشرق، بيروت، 1988م، ص121.

تتقع الزهور في الزيت ثم يستخرج العطر بعد ذلك، وكانت بلاد ما وراء النهر مشهورة بعطرها من الحبق الريحاني والشاهسغرم - ملك الرياحين<sup>(1)</sup>.

واتخذت مستحضرات الزينة للنساء أهمية عظيمة، كما كثر استعمال القنب والأفيون حرقاً وتدخيناً، وهما من النباتات المنومة المستعملة في ضروب السحر<sup>(1)</sup> وعرفوا حامض الكبريتيك، وحامض النتريك والكحول، وسار علماء ما وراء النهر في علم الكيمياء على أساس التجربة، فكشفوا القلويات والنوشادر، والزئبق، ونواتر الفضة<sup>(2)</sup>.

كما عرفوا عمليات التصعيد والترشيح والتذويب والتكيس والتقطير، وعرفوا أيضاً الصودا الكاوية و كربونات الصوديوم و كربونات البوتاسيوم وغيرها مما تقوم عليه الصناعات الحديثة<sup>(3)</sup>. ومن ثم استفاد علماء ما وراء النهر من مباحثهم الكيميائية في الصناعة واستعانوا بها على تحضير كثير من الأملاح والمركبات والأحماض التي عرفوها لأول مرة في تاريخ البحث الكيميائي وكان لها أكبر أثر وأنفعة<sup>(4)</sup>.

كما يظهر مدى التقدم الذي أحدثه علماء ما وراء النهر في الكيمياء الصناعية في المهارة العظيمة التي أبداهها صناعتهم الفنيون في الصباغة التي أوجدوها لتلوين الأنسجة والفسيفساء وصناعة الأواني الفخارية، وكانت هذه الأصباغ ثابتة حافظت على رونقها<sup>(5)</sup> وبلغت صباغة الأقمشة درجة كبيرة، وكانت مواد الصباغة تعتمد قديماً على المواد النباتية كالنبيلة الزرقاء<sup>(6)</sup>

---

(1) الشاهس غرم: تسمية العرب الضميران والضموران، وهي نوع من الحبق دقيق الورق جداً يكاد يكون الذاب عطر الرائحة، ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، القاهرة، 1391هـ، ج3، ص50؛ رمزي مفتاح: إحياء التذكرة في النباتات الطبية المفردة والمفردات العطرية، القاهرة، 1953م، ص386.

(1) وليم الخازن: الحضارة العباسية، ص121.

(2) الثعالبي: لطائف المعارف، ص219.

(3) عمر رضا كحاله: العلوم البحتة، ص274، 275.

(4) مصطفى لبيب: الكيمياء عند العرب، ص48.

(5) عمر رضا كحاله: العلوم البحتة، ص275.

(6) صالح أحمد العلي: ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية، مجلة الجمع العلمي العراقي، مج37، 1976م، ص48.

والحيوانية كدودة القز ودودة القرمز<sup>(1)</sup>. إلا أن رخص أثمان الأصباغ الكيميائية من قطران الفحم الحجري، وسهولة استعمالها أدى إلى انتشار الأصباغ الكيميائية<sup>(2)</sup>.

واشتهر أحمد بن عبدالله بن يوسف بن الفضل السمرقندي الصبغى (ت 526هـ / 1131م) بأنه كان من الصباغين الماهرين، وكان من كبار الفقهاء يعمل في الدار الجوزجانية<sup>(1)</sup>.

كما اشتهر علماء ما وراء النهر بصناعة الخزف والأحبار والدهانات، وصناعة الزجاج حيث جلب هؤلاء العلماء الأدوات الزجاجية المختلفة إلى مختبراتهم واستعمل الكاشي في عملية التقطير فرناً خاصاً تتجدد فيه مواد الاحتراق تلقائياً وثبت الأنابيب الداخلة بعضها ببعض بواسطة قطع القماش<sup>(2)</sup> واستخدموا الطريقة نفسها بنسب معينة من الحجر الجيري - كربونات الكالسيوم - أكسيد السيلكون - بعد خلطه بنسب معينة من الحجر الجيري، وكربونات الكالسيوم بالإضافة إلى نسب من كربونات الصوديوم وأكاسيد أخرى ثم تشكيله بواسطة النفخ<sup>(3)</sup>.

ويبدو لنا مقدار معارفهم في الكيمياء الصناعية من حدّتهم في استخراج المعادن وصناعة الفولاذ، وكان لصناعاتهم تفوق عظيم بفضل معارفهم العلمية الكيميائية، فكانوا يعملون على استغلال مناجم الكبريت والنحاس والحديد والذهب ودباغة الجلود<sup>(4)</sup> واشتهر الشيخ أبو علي الحسين بن أبي زيد منصور الصغدّي الدباغ (ت 454هـ / 1062م) بأنه كان من أمهر الدباغين في عصره<sup>(5)</sup>. فضلاً عن ذلك كانت طرق الصناعة مختلفة ومعقدة مما يدل على أن أدواتهم

(1) سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م، ص176.

(2) زيد الخويسكي: معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، بيروت، 1992م، المقدمة.

(1) ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة، ج1، ص185.

(2) عبدالحليم منتصر: قراءات، ص74، 75.

(3) مصطفى لبيب: الكيمياء وعند العرب، ص50.

(4) مصطفى لبيب: المرجع نفسه.

(5) ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص228.

كانت كثيرة ومتنوعة كما يثبت ترمسهم في علم الكيمياء وفهمهم التام لخواص المعادن والفلزات وأكاسيدها وتفاعلها مع الحرارة<sup>(1)</sup>.

وعرف علماء إقليم ما وراء النهر الكيمياء بمعناها الحقيقي، الخيمياء وفكر بعضهم باكتساب الحجر الفسفوري الذي يحول المعادن إلى ذهب<sup>(1)</sup>.

ومن بين الصناعات التي أفادت الصناعة فائدة كبرى صناعة الورق من القطن أو الكتان فقد فتح عصرًا جديدًا للحضارة، فإن نشر الكتاب بأسعار رخيصة، وانتشار التعليم بين عامة الناس لم يصبحا أمرين ميسورين إلا بعد أن استبدل أهل سمرقند الورق العادي بدلاً من الرقاق التي كان يستخدمها العالم القديم، والأوراق الحريرية<sup>(2)</sup>.

وتعتمد طريقة تصنيع الكاغد على أخذ القنب الأبيض - نوع من الألياف - ويقال إن الأصل النباتي لهذه الألياف هو ما يعرف بالتيل - ثم يبيل ويسرح بالمشط حتى يلين، ثم يؤخذ ماء الجير فينقع فيها ليالي ثم يفرك باليد، ويبسط في الشمس حتى يجف ثم يعاد في الليل ويوضع في ماء جير جديد، ويترك للصباح، ثم يفرك ويبسط في الشمس حتى يجف، وتتم هذه العملية لمدة ثلاثة أيام أو أكثر، ويفضل أن يدلك بماء الجير مرتين يومياً، حتى يبيض لون القنب ثم يقرض بالمقراض، وينقع في بماء عذب لمدة سبعة أيام، مع مراعاة تبديل الماء يومياً، فإذا ذهب منه الجير، يدق في الهاون دقاً ناعماً، وهو ندى، حتى يلين ولا يبقى به شيء من العقد، ثم يوضع في ماء جديد في إناء نظيف ويحلل به، حتى يصير كالحرير، ثم يعمد إلى

(1) سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، ص123.

(1) حسن محمد الشرقاوي: المسلمون علماء وحكماء، دار المعرفة الإسكندرية، 1986م، ص187؛ فهمي فتحي إسحاق: الكيمياء والكيميائيون، الإسكندرية، 1947م، ج1، ص79.

(2) هالة شاكر: الورق والوراقون، ص239، والرق: بفتح الراء نوع خاص من مواد الكتابة مادته الجلد، يستدل من لفظها أنها كانت جلوداً رقائقاً، وكان يصنع من جلود صغار العجول والحملان والغزلان والجداء، حتى يتحول إلى مادة صالحة للكتابة عليه، وهو كما يذكر ابن منظور (الصحيفة البيضاء مما يكتب فيه وهو جلد رقيق)، أنظر: ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص1707؛ حبيب الزيات: الجلود والرقوق والطرؤس، بغداد، 1986م، ص1362.

قوالب تشكيل الورق، التي تكون ذات عرض وطول يرتضيه الصانع، ويكون بها فتحات ويوضع بها ذلك القنب بعد أن يتم ضربه في إناء، ويغط القالب في الماء ويحرك باليد يرفق على وجه القالب، حتى لا يكون به موضع سميك وآخر رقيق، ثم يقلب ما على القالب على لوح ويلصق على حائط نظيف أملس، ويترك حتى يجف ويسقط ثم يؤخذ هذا الخليط ويطلّى به الورق من الوجه الأول ثم يؤتى بلوح ويرش بالماء ويجفف قليلاً ويضع عليه، ليطلّى به الوجه الآخر، ولسقي الكاغد وتنشيته يغلى أرز ويطبخ في طنجير نظيف ثم يصفى ماء عذب ويحمل على النار ويطرح فيه نشا جيد ويغلى حتى ينقص من الماء مقدار أصبعين ويوضع فيه بعض الزعفران بقدر ما يحتاج إليه من تكوينه، ثم يصب في طشت واسع ويغمس فيه الورق غمساً رقيقاً لكي لا يتقطع، وينشر على خيط رقيق في الظل، ثم يقلب كل ساعة لكي لا يلتصق، فإذا جف يصفل بمصاقل الزجاج، هكذا لم يهمل علماء إقليم ما وراء النهر أمر التطبيقات الصناعية مع قيامهم بمباحثهم النظرية<sup>(1)</sup>.

ويعد التغيير الكبير الذي نال الورق في سمرقند على أيدي المسلمين حادثاً مهماً في تاريخ العالم<sup>(2)</sup> وظلت سمرقند وقتاً طويلاً المدينة الأهم في إنتاج الورق الجيد، وأصبحت منذ تركزت فيها صناعة الكاغد من المدن الكبيرة المنزلة في بلاد ما وراء النهر، وفي أنحاء البلاد الإسلامية<sup>(3)</sup> ولم تلبث أن اتسعت دائرة إنتاج الكاغد وتصنيعه فلم يعد قاصراً فقط على سمرقند، بل تعددت مراكز تصنيعه وانتشرت في أنحاء شتى<sup>(4)</sup>.

---

(1) هالة شاعر: الورق والوراقون، ص119، 120.

(2) آدم منتر: الحضارة الإسلامية، ج2، ص366.

(3) هالة شاعر: الورق والوراقون، ص261.

(4) حسن حسني عبدالوهاب: البردي والرق والكاغد في إفريقيا التونسية، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج3، القاهرة، 1956م، ج1، ص45.

وكان لظهور الورق كما هو معلوم أثره في اتساع دائرة التأليف والتصنيف، ومع إنتاج الورق بدأت المرحلة الذهبية للكتاب الإسلامي، فقد ازداد عدد المخطوطات كثيراً وأخذ التنافس بين الخلفاء والوزراء والأمراء على اقتناء الكتب الغالية، والنادرة وأصبح الخطاطون موضع البحث والتقدير<sup>(1)</sup>.

## • علوم الرياضيات:

ارتبطت العلوم الرياضية - منذ القدم - بالعلوم العقلية الأخرى كالفلك والكيمياء، والطب والصيدلة، فهذه العلوم لا تتوصل إلى نتائج دون استخدام العمليات الحسابية ولا تعرف إلا بها، ولما كانت العلوم الرياضية جزءاً لا يتجزأ من ميراث العلوم اليونانية - والهندية القديمة، فقد اهتم العلماء المسلمون بترجمتها، والاستفادة منها، ولم يقفوا عند هذا الحد بل أضافوا إليها وخرجوا بنظريات جديدة أسهمت في تطور العلوم الرياضية، وأصبح أثرهم واضحاً ما أفاد المشرق والمغرب الإسلامي بل والأوروبي على حد سواء، وتتنقسم العلوم الرياضية إلى أقسام عدة منها:

### - الحساب:

هو علم القوانين لاستخراج مجهولات عددية من معلومات مخصوصة، فموضوعه الأعداد واشتقوا اسمه من كلمة الحساب، ومعناها العدد، وقسم العرب العدد إلى مفرد ومركب، وكان علم الحساب من مستلزمات علم الفرائض (المواريث) فالشريعة إذا تقضي بتعلمه والحسابات التي يفترضها ممارسة هذا الفرع من فروع التشريع، تجعل الحساب علماً مساعداً للخبراء في التوريث، وفي استخراج نصيب الخراج<sup>(2)</sup>.

(1) هالة شاکر: الورق والوراقون، ص224.

(2) الكرخي: الكافي في الحساب، تحقيق سامي شلتوت، حلب، 1986م، ص38.

ويعرفه ابن خلدون<sup>(1)</sup> بقوله هو: (صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق، فالضم يكون في الأعداد بالأفراد، وهو الجمع والتصنيف تضاعف عدداً بإيجاد عدداً وهذا هو الضرب، والتفريق أيضاً يكون في الأعداد أما الأفراد مثل إزالة عدد من عدد، ومعرفة الباقي وهو الطرح، أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهي القسمة).

وللحساب أهمية بالغة لدى الشعوب الإسلامية منذ صدر الإسلام، وكان جزء من عمل القائمين على تقدير الخراج على الأراضي الزراعية بحساب ما على أصحاب الأراضي طبقاً لكمية المحصول، ومنه اشتقت الحسبة لأنهم يراقبون الأسواق من حيث الموازين والمكاييل<sup>(1)</sup> وقد ورد عن الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أنه أوصى ساكني الأمصار بقوله "علم ابنك الحساب قبل الكتاب"<sup>(2)</sup>.

وطبق المسلمون علم الحساب في تجارتهم اليومية، والحساب كما استخدموه في البحث عن معرفة أوقات الصلاة التي تختلف حسب المواقع، ومن المعروف أن حسابها يحتاج إلى معرفة الموقع الجغرافي، وحركة الشمس في البروج وأحوال الشفق الأساسية ودفعتهم إلى رغبتهم في معرفة سمت القبلة وهلال شهر رمضان، إلى اختراع حسابات وطرق متناهية الدقة<sup>(3)</sup> ويعدّ شرف الدين حسين بن حسن السمرقندي (ت 632هـ / 1234م) من كبار رواد هذا العلم، فكان من أشهر الرياضيين في عصره له مصنفات مهمة منها رسالة في طريق المسائل العددية<sup>(4)</sup>.

ومن العلماء من تلقب بالحاسب أو الحسّاب نظراً لما كان يقوم به فكان أبو علي الحسن ابن محمد الحاسب من أهل سمرقند، كان من حُساب السلطان جلال الدين منكبرتي

(1) المقدمة، ص483.

(1) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص178، 179.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلى، بيروت، 2003م، ج1، ص313.

(3) علي عبدالله الدفاع: نوابغ علماء المسلمين في الرياضيات، دار الراشد العربي، القاهرة، 1985م، ص435.

(4) زهير حميدان: أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، الرياض، 1413هـ، ج3، ص213.



(ت612هـ / 1215م)<sup>(1)</sup> وكان منهم أيضاً أبو القاسم هبة الله بن الحسين ابن علي الحاسبي شيخ أهل أشروسنه على التركات وأخذ الجبايات مات سنة 547هـ / 1152م<sup>(2)</sup>.

#### - الجبر والمقابلة:

هو العلم الخاص باستخراج المقادير المجهولة من خواص الأعداد المتناسبة المتوالية من الواحد بالتركيب دون التحليل<sup>(3)</sup> ويعرفه الخوارزمي<sup>(4)</sup> بقوله: (صناعة من صناعات الحساب، وتدبير حسن لاستخراج المسائل العويصة في الوصايا والمواريث والمعاملات والمطارحات، وسميت هكذا لما يقع فيها من جبر في نقصان، والاستثناء، ومن المقابلة بالتشبيهات، وإلقائها، وإلى الخوارزمي تعود التسمية نسبة لكتاب الجبر والمقابلة<sup>(5)</sup>).

ويعدّ الجبر فرع من فروع الرياضيات المهمّة، ويعد محمد بن موسى الخوارزمي (ت226هـ / 840م) أول من ألف فيه، واستطاع بفضل معرفته أن يضيف علماً متكاملًا متمثلاً في كتابه (الجبر والمقابلة) الذي ألفه بتشجيع من الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/ 813-833م) من أجل تنظيم المواريث<sup>(6)</sup> وأعقبه بكتاب آخر أكثر تسهيلاً للإيضاح وأسماه (المختصر في حساب الجبر والمقابلة)<sup>(7)</sup>.

ومن علماء الحساب والجبر في إقليم ما وراء النهر أبو الحسين بن علي الخجندي الفرغاني الذي كان ملماً بمختلف نواحي العلوم، كما أتقن الرياضيات وعلوم المواريث وصنف

(1) السمعاني: الأنساب، ج2، ص187.

(2) السمعاني: نفس المصدر، ج2، ص187، 188.

(3) أحمد فهمي أبو الخير: علوم العرب الرياضية وانتقالها إلى أوروبا، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1930م، ص37.

(4) مفاتيح العلوم، ص116.

(5) الخوارزمي: الجبر والمقابلة، تحقيق ونشر د. مصطفى مشرفة وآخرون، القاهرة، 1937م، ص1-10؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص1244.

(6) عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، ج4، ص244.

(7) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج4، ص163.

فيها، مات سنة 447هـ/ 1055م<sup>(1)</sup> ومنهم كذلك حامد ابن الخضر أبو محمود الخجندي الفرغاني، ولد بمدينة الري (طهران الحالية) وتلقى معارفه الأولى بها، وتلمذ على كبار أساتذة عصره، وكان عالماً رياضياً، لمع اسمه منذ سن مبكر، وكان له السبق في اكتشاف حالة خاصة للنظرية القائلة (إن مجموع عددين مكعبين يكون عدداً غير مكعب) مات سنة 490هـ/ 1096م<sup>(2)</sup> وكانت له كتب في الفرائض وقسمة التركات وصنف فيها كتباً كثيرة<sup>(3)</sup> كما كان بارعاً في علم المتلثات<sup>(4)</sup>.

ونستخلص مما سبق أن طلاب العلم في إقليم ما وراء النهر قد اهتموا بالعلوم جميعاً ولم يتركوا فرعاً إلا وكان لهم باع فيه، وإن كان دورهم محدوداً نظراً للظروف السياسية التي مروا بها إلا أن رغبتهم في العلم كانت أكبر دليل على براعتهم وثقافتهم.

#### - الهندسة:

أطلق عليها باليونانية (جو مطريا) أي صناعة المسافة، وبالفارسية (أنذاره) أي المقادير، وهو العلم الذي يعرف به أصول أوضاع الخطوط وأشكال السطوح، والمجسمات، والنسبة الكلية بين المعايير، وما يقدر بها ونسبة هذه الأوضاع، والأشكال أي أنه ينظر في المقادير المتصلة كالخط، والسطح أو المفضلة كالأعداد، وفيما يعرض لها كل مثلث زواياه قائمتين، أو خطين متوازيين لا يلتقيان في جهة ولو خرجا إلى غير نهاية وما إلى ذلك<sup>(5)</sup>.

(1) السلمي: طبقات الصوفية، ص246، 247.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص256.

(3) ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص232.

(4) هو فرع من فروع الرياضيات الذي له صلة وثيقة بعلم الجبر، وهو علم الزوايا وعلاقتها في الأبعاد، والفكرة الأساسية في علم حساب المتلثات هي قياس المساحات الكبيرة والمسافات الطويلة بطريقة غير مباشرة، علي عبدالله الدفاع: نوابغ علماء المسلمين، ص46.

(5) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص117؛ النظام العروض: جهاز مقاله، ص62؛ ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص151.

والهندسة فرع من فروع الرياضيات التي تتعامل مع النقطة والخط والسطح والفضاء، وباختصار هو العلم الذي يؤدي إلى دراسة الأشكال من حيث الحجم والمساحة، وقسم علماء المسلمين الهندسة إلى قسمين: هندسة عقلية وهي التي تعرف وتفهم أو التي تسمى الهندسة النظرية، والهندسة الحسية وهي التي ترى بالعين وتدرک باللمس، أي الهندسة التطبيقية<sup>(1)</sup>. واهتم علماء المسلمين بالهندسة اهتماماً كبيراً، والخطوة الأولى التي اتخذها علماء المسلمين هي ترجمة كتاب إقليدس<sup>(2)</sup> في علم الهندسة الذي يسمى بالعربية كتاب (الأصول الهندسية) أو الأركان الهندسية، ويحتوي كتاب إقليدس على خمس عشرة مقالة منها أربع مقالات في السطوح الهندسية، ومقالة في المقادير المتناسبة، وأخرى في نسب السطوح بعضها إلى بعض، وثلاث مقالات في العدد والتمثل الهندسي، ومقالة في المنطق، وخمس مقالات في المجسمات<sup>(3)</sup>.

ولم يقف المسلمون عند حد ترجمة الكتاب وغيره، بل شرحوا الأعمال المترجمة وناقشوها وصوبوها وأضافوا إليها، فعلى الرغم من أن أساتذة مثل إقليدس نالوا احتراماً يبلغ حد التوقير والتبجيل، فإن العلماء المسلمين في بلاد المشرق الإسلامي لم يتهيبوا أن يفندوا نتائجهم، بل ويصوبوها في بعض الحالات، كذلك قدم هؤلاء العلماء إسهامات فذة في مجال الهندسة النظرية<sup>(4)</sup>. وساهم علماء ما وراء النهر في هذه الإسهامات ومنهم شمس الدين أشرف الحسيني السمرقندي (ت 600هـ / 1203م) من كبار رياضي ومهندس بلاد ما وراء النهر وهو صاحب

---

(1) علي عبدالله الدفاع: نوابع المسلمين، ص51.

(2) إقليدس: صوري الأصل إسكنداري المقر، كان أشهر رياضي العالم، وأعمقهم أثراً وقد استدعاه أول بطليموس الأول حاكم مصر (323-285 ق.م) لتأسيس مدرسة الرياضيات في الإسكندرية، وشهرة إقليدس تقوم على كتاب واحد هو الأسطفسات الذي سماه العرب (كتاب الأصول)، علي بن أحمد النسوي: هندسة إقليدس في أيد عربية (كتاب الأصول لإقليدس)، دار النشر، عمان، 1991م، ص14، 15؛ زيغريد هونكر: شمس العرب تسطع على الغرب، ص108.

(3) علي عبدالله الدفاع: نوابع، ص53.

(4) الدفاع: المرجع نفسه، ص54، 55.

كتاب (أشكال التأسيس في الهندسة)<sup>(1)</sup> وهي خمسة وثلاثون شكلاً من كتاب إقليدس أوله (الحمد لله رب العالمين وبعد فإن جماعة من الفضلاء وطائفة من الأصدقاء التمسوا مني رسالة تكون مقدمة وآلة في اقتناء براهين العلوم الحسابية، كالأعمال الجبرية، والأعمال الحسابية، وذلك مؤسس على أشكال التأسيس من كتاب إقليدس)، تناولته كتب كثيرة بالشرح منها "تحفة الرئيسي في شرح أشكال التأسيس"، ويقول السمرقندي عن كتاب إقليدس "أشكال شريفة ينبني عليها براهين الهندسيات، ويعبر إليها مسائل الرياضيات، على أنها رائضة لقوى العقل، وقد بينها إقليدس بمقدمات بعضها غير محتاج إليها، وبعضها أخفى من الدعوة<sup>(2)</sup>.

ويتناول السمرقندي في كتابه أشكال التأسيس، الخمسة الأخيرة من كتاب الأصول لإقليدس<sup>(3)</sup> خاصة بسطوح الأعداد، والأولى من أول الكتاب، ويمهد لكل ذلك بمقدمة مطولة يبرر فيها إقدامه على التحرير في هذا الموضوع، ويقترح في مقدمات إقليدس ومن قلده فيها، كما يطعن "فمن سماهم السادة من مخالفه" وهذه المسائل الرياضية قد بينها إقليدس بمقدمات بعضها غير محتاج إليه وبعضها أخفى الدعوة واستعمل بعض من تبعه طرفاً من الحركات التي هي الطبيعيات، فطعن المتأخرون في هذا البيان ورغب عنه المحققون لأن بيان مسائل علم بطريقة علم آخر غير مستحسن عند المحققين<sup>(4)</sup>.

ولم يكتف السمرقندي بأنه نقل في كتابه خمسة وثلاثين شكلاً من كتاب الأصول لإقليدس بل تصرف في المادة المنقولة بترتيبها مختلفاً عن ترتيب إقليدس، وإبرازه لقضايا مهمة في الهندسة، وبالبراهين التي قدمها عنها فشرح أشكال التأسيس ويبدو كتاباً تضافرت في إكمال مادته وإحكام صورته جهود علماء اختلفت عصورهم وبلدانهم واتفقوا في تقديرهم للهندسة وفي نظرهم

(1) عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، ج3، ص136.

(2) شمس الدين السمرقندي: أشكال التأسيس في الهندسة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م، ص17، 18.

(3) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص105.

(4) السمرقندي: أشكال التأسيس، ص23-25.

منزلتها بين العلوم، فإن كان لإقليدس فضل سبق إلى الأصول، فالسمرقندي مزية الأحياء  
والتهذيب في الأطوار المختلفة التي مرت بها الحضارة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

وقام بشرح كتاب أشكال التأسيس موسى محمد بن محمود الرومي المعروف باسم قاضي  
زاده عالم بالرياضيات، والفلك والحكمة (ت 931هـ / 1524م)<sup>(2)</sup> وهو شرح ممزوج لطيف وعليه  
تعليقات، منه حاشية تلميذه أبي الفتح محمد بن سعد الحسيني المدعو بتاج الدين السعدي،  
وحاشية أخرى لفصيح الدين محمد، وعلى أوائله تعليق القاضي زاده أيضاً<sup>(3)</sup>.

كما كان أبو منصور بن سليمان بن قنلمش بن تركانشاه السمرقندي الأصل البغدادي  
(ت 620هـ / 1223م) من كبار العلماء، تجمعت فيه أشتات الفضائل، أخذ من كل فن من العلم  
بنصيب وافر، وكان له اليد الباسطة في علم إقليدس وعلم الهندسة<sup>(4)</sup>.

وبني علماء فرغانة علومهم في الهندسة، على العالم المهندس أحمد بن كثير الفرغاني  
الذي تولى رئاسة بيت الحكمة ببغداد، وأتيحت له الفرصة للاطلاع ودراسة الكتب اليونانية،  
والسريانية، والهندية، والفارسية المترجمة، وذاع صيت الفرغاني في العالم الإسلامي<sup>(5)</sup> مما دعا  
ال خليفة المتوكل على الله (232-247هـ / 846-861م) بإرساله إلى مصر، لتصميم وتشيد  
مقياس لمنسوب نهر النيل بجزيرة الروضة بالفسطاط<sup>(6)</sup> فبدأ في بناء المقياس عام 247هـ  
861م<sup>(7)</sup>. وهكذا أدى علم الرياضيات دوراً كبيراً في خدمة العلوم لذا يطلق عليه علم العلوم، ولم  
يستغن الإنسان منذ القدم على العلوم والمعارف الرياضية لصلتها بحياته الدينية والاقتصادية.

(1) السمرقندي: المصدر نفسه، ص5، 6.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص105.

(3) حكمت نجيب: دراسات، ص163.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص102.

(5) ابن النديم: الفهرست، ص444.

(6) المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج4، ص234-238.

(7) كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية في مصر، القاهرة، 1991م، ص56.

## • علم الفلك:

الفلك في اللغة مدار النجوم واستدارة السماء، فدل ذلك على أنه علم يبحث عن النجوم ومدارها في السماء، وقد عرفوه بأنه علم يبحث حالة الكواكب وحركاتها ومواقعها ونواميسها، وأسباب تغيير مظاهرها وأمكنتها<sup>(1)</sup>.

وأطلق عليه اسم علم الهيئة وهو معرفة تراكيب الأفلاك، وهيئتها، وهيئة الأرض<sup>(2)</sup> كما عرف باسم علم النجوم، وصناعة النجوم، وعلم التنجيم، وصناعة التنجيم<sup>(3)</sup>.

واهتم المسلمون بالكواكب والنجوم، واستمدوا ذلك من القرآن الكريم الذي كان له أثر كبير في تطور علم الفلك، حيث حث الله تعالى على التفكير في خلق السموات والأرض، ووردت آيات قرآنية كثيرة تدل على قدرة الله عز وجل وإبداعه في خلق السموات والأرض منها "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ"<sup>(4)</sup> وقوله عز وجل "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"<sup>(5)</sup> كما وردت آيات عديدة حول الظواهر الفلكية منها "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)"<sup>(6)</sup> "وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"<sup>(7)</sup> وحقاً كانت الأجرام السماوية آيات مبصرة تشير إلى عظمة خالقها سبحانه وتعالى وقدرته.

(1) عمر رضا كحالة: العلوم البحتة، ص161.

(2) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص152.

(3) أمين فهد المعلوف: المعجم الفلكي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1935م، ص37.

(4) سورة آل عمران: آية 190.

(5) سورة الأنبياء: الآية 30.

(6) سورة يس: الآيات 38 - 40.

(7) سورة النحل: الآية 12.

ولهذا كان اهتمام المسلمين بالكواكب والنجوم، لتعيين جهة القبلة، ووقت الزوال (الغروب) وأوائل الشهور القمرية وأواخرها، لأن أوقات الصلاة الخمس تختلف من بلد لآخر، كما كان لشغف المسلمين بعلم النجوم وأسراره أثر كبير في الاهتمام بالمنجمين، واستشارتهم في كل شيء مما أدى إلى الاهتمام بعلم الفلك<sup>(1)</sup> وارتباطه بالتنجيم، وطور المسلمون الفلك وجعلوه علماً رياضياً مبنياً على الرصد، والحساب، والهندسة، لتعليل ما يرى من الحركات والظواهر الفلكية والكونية، ولم يقفوا عند حد النظريات، بل ابتكروا الآلات التي يتم بها رصد النجوم، والكواكب<sup>(2)</sup> وكالأسطرلاب<sup>(3)</sup>. كما كان لابد من معرفة حركة سير الشمس في دائرة البروج، وكذلك صلات الكسوف والخسوف اللتين تتطلب معرفتها استعمال الجداول الفلكية الأزياج، وكذلك معرفة أحوال الشفق وهلال رمضان شهر الصوم، وإثبات العيدين الفطر والأضحى، لذلك كله كان لعلم النجوم لدى المسلم معنى ديني عميق<sup>(4)</sup> وقد صار جارياً على ألسنة الناس القول بأن العلوم ثلاثة، الفقه للأديان والطب للأبدان، والفلك للأزمان<sup>(5)</sup>. ويذل علماء الفلك المسلمون في إقليم ما وراء النهر جهوداً كثيرة، واستخدموا المراصد<sup>(6)</sup> والأدوات الفلكية، كالأزياج<sup>(7)</sup>، والاسطرلاب، وغيرها، وجهزت

(1) ناجي معروف: المراصد الفلكية في بغداد في العصر العباسي، دار الجمهورية، بغداد، 1967م، ص5.

(2) النظام العروض السمرقندي: جهاز مقالة (المقالة الثالثة)، ص62، 63.

(3) الاسطرلاب: بالسبين أو الصاد بضم الهمزة والطاء، وسكون السين، والصاد، والراء آله يقيس بها الفلكيين القدامى ارتفاع الكواكب، ومعرفة الكواكب، ومعرفة الوقت والجهات الأصلية، وهي كالمرآة العاكسة يعكس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب، ويتألف من قرص معدني مقسم إلى درجات، ويدور على هذا القرص، مؤشر ذو ثقبين في طرفيه ويعلق الاسطرلاب من حلقتة رأسياً مع توجيه المؤشر نحو الشمس، وعندما تمر أشعة الشمس من هذين الثقبين يقرأ ارتفاع الكواكب من الحد الثاني يقف عليه المؤشر، انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مطابع دار التحرير، 1980م؛ السيد يونس، علم الفلك عند المسلمين وأثره في النهضة الأوروبية، الزقازيق، 1999م، ص16، 17.

(4) عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلامية والعربية في العهود التالية لأيام العباسيين، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1958م، ص17.

(5) علي إبراهيم عبده: الفلك والأنواء في التراث، مكتبة الوفاء، المنصورة، 1991م، ص181.

(6) هي مواضع المراقبة مركز على الحدود لمراقبة المرور، واستيفاء الرسوم واصطلاحاً بناء علمي تطبيقي مجهز بأدوات خاصة لدراسة مسار النجوم والشمس والقمر ومراقبة الخسوف والكسوف وحساب عدد أيام السنة، وتنظيم الجداول الفلكية، علي عبدالله الدفاع: نوابغ، ص44.

(7) هي جداول فلكية مبنية على قوانين رياضية تبين حركة كل كوكب، ويعرف منها مواقع الكواكب في أفلاكها، ومنها أيضاً تعرف تواريخ الشهور والأيام، والتقويم المختلفة، انظر: علي عبدالله الدفاع: نوابغ، ص44.

تلك المراد بأدوات عديدة منها: مقياس الارتفاع والاسطرلاب والمزولة، ومن أشهر علماء الفلك في إقليم ما وراء النهر أبو حامد أحمد الصاغاني (ت 380هـ / 990م) كان يتقن عمل الاسطرلاب والآلات الرصدية الأخرى، وصنف رسالة في عمل الاسطرلاب وقوانين الهيئة<sup>(1)</sup>.

ولم يخل قصر من قصور الملوك والسلاطين والأمراء في بلاد ما وراء النهر من وجود فلكيون عديدون لا يقومون في أغلب الأحيان إلا بالقليل من الرصد الفلكي أما عملهم الحقيقي فيختصر في التنجيم<sup>(2)</sup> فكان في عسكر السلطان محمد خوارزمشاه رجل تركي يعمل بالحجارة فينزل المطر في أي وقت شاء السلطان، وسأله التركي أهذه الأحجار معدنية؟ قال كلها حيواني تخرج من كروش بعض الخيول والبقر والديوك<sup>(3)</sup>.

أما كتاب جهاز مقاله أي المقالات الأربع لنظامي عروض السمرقندي فيشمل على أربع مقالات في بيان الشروط الواجب توافرها في أربع طبقات لا يستغنى الملوك عن خدماتهم وهم: الكتاب، والشعراء، والمنجمون، والأطباء، ويقول لا يمكن أن تصح أعمال الملك إلا إذا درست، وحسبت فصول السنة من قبل المنجمين، وخص كل فئة بمقالة من المقالات المشار إليها، وتحدث في بداية كل منها عن ماهية الفن، والشروط الواجب توافرها فيمن يمارس هذا الفن<sup>(4)</sup>.

وبعد نظامي عروض السمرقندي من كبار علماء الفلك ويحكي في المقالة العاشرة من مقالته الخاصة بالتنجيم فيقول إنه في 547هـ / 1152م وقعت الحرب بين السلطان السلجوقي سنجر ومولاي السلطان علاء الدنيا والدين، وهزم جيش الغور وأسر مولاي "سلطان المشرق"، كما وقع ابن مولاي شمس الدولة والدين "محمد بن مسعود" أسيراً في يد أمير السلطان سنجر، فأتفق على دفع خمسين ألف دينار فدية، وعلى أن يذهب رسوله إلى القصر يستعجل هذا المال، فإذا

(1) مريزن عسيري: الحياة العلمية، ص75.

(2) علي الدفاع: نوايغ، ص48..

(3) البيهقي: معدن النوادر في معرفة الجواهر، تحقيق محمد عيسى صالحية، دار العروبة الكويت، 1985م، ص117، 118.

(4) براون: الطب العربي، ترجمة داود سليمان، مطبعة العاني، بغداد، 1964م، ص79.



بلغ هرة أفرج عن الأمير، لأنه كان مطلق السراح من قبل السلطان سنجر، وأمر بخلعه عند مغادرته هرة<sup>(1)</sup>. يقول النظام العروضي قدمت في هذه الحال لأكون في خدمته، وقد بلغ منه الحزن يوماً فسألني متى الخلاص ومتى تصل هذه الرسالة، فأخذت الارتفاع بهذا الاختيار وأصعدت الطالع في ذلك اليوم، باذلاً كل جهد وقد بدأ مفتاح الفرج لهذه الشدة في اليوم الثالث فجئت إليه في اليوم التالي وقلت: غدا عند صلاة الظهر يأتي الرسول، وبالفعل في آذان الظهر أحضر الغداء، وفي التالي لبس الأمير شمس الدين شمس الدولة والدين خلعة السلطان سنجر وأصبح طليقاً فحث السير إلى بلاده، وعطف على النظام العروض وأعطاه الذهب والدنانير<sup>(2)</sup> وينسب إلى العروض السمرقندي رسالة في الإسطرلاب<sup>(3)</sup>.

ومما يجدر الإشارة إليه أن نظامي عروض السمرقندي كان من تلاميذ عمر الخيام، وكان يكثر من ذكره في المقالة الخاصة بعلم النجوم والمنجمين، مما يؤكد الصلة الوثيقة بينهما وتأثره به في هذا الفن، وكان الخاقان شمس الملك يعظم عمر الخيام ويجلسه معه على سريره<sup>(4)</sup>.

كما يعد الحكيم الحسين السمرقندي من كبار علماء الفلك في القرن (6هـ/ 12م) وهو أحد تلاميذ الحكيم أبي الفتح عبدالرحمن الخازن الذي صنف زيجاً فلكياً سماه (المقبر السنجري) نسبة إلى السلطان سنجر السلجوقي<sup>(5)</sup> وله مؤلفات في قواعد النور وآلات الرصد، وأوضح مقدار انكسار النور بمروره في الكرة الهوائية، وألف كتاباً في الفجر والشفق، وكتاب ميزان الحكمة من أهم كتب العلوم الطبيعية في البحث في كثافة الهواء<sup>(1)</sup>.

---

(1) النظام العروض: جهاز مقاله، ص72، 73.

(2) النظام العروض: المصدر نفسه، ص151.

(3) برلون: تاريخ الأدب، ج4، ص49.

(4) زهير حميدان: أعلام الحضارة، ص157؛ أحمد حامد الصراف: عمر الخيام، مطبعة دار السلام، بغداد، 1931م، ص89.

(5) البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي، مطبعة الترقى، دمشق، 1946م، ص162، 163.

(1) حكمت نجيب: دراسات، ص225.

وكان شمس الدين محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي (ت 600هـ / 1203م) من كبار علماء الفلك والرياضيات والمنطق، ومن تصانيفه كتاب الصحائف الإلهية، وكتاب الفسطاط، وكتاب في آداب البحث<sup>(1)</sup> ويعد هذا الكتاب من أشهر كتب المؤلف، ويشتمل على ثلاث فصول: الأول في التعريفات، والثاني في ترتيب البحث، والثالث في المسائل التي اخترعها<sup>(2)</sup> فضلاً عن أبي حامد ركن الدين العميدي السمرقندي (ت 615هـ / 1218م) كان من كبار المهتمين بعلم الفلك، له مصنفات قيمة منها (رسالة في الأعمال السحرية)<sup>(3)</sup>.

### • علم التاريخ<sup>(4)</sup>:

شعر المسلمون منذ الأيام الأولى لظهور الإسلام وإقامة دولتهم وفتوحاتهم وسيطرتهم السياسية على بلاد جديدة واسعة، بالحاجة إلى تدوين التاريخ<sup>(5)</sup>. الذي حظي بمكانة بارزة في الحضارة الإسلامية لكونه جزءاً من ثقافتهم، وليس أولى على ذلك من ظهور المصنفات، والموسوعات التاريخية، في بلاد ما وراء النهر بعد أن أصبحت جزءاً من العالم الإسلامي، واختلطت شعوبها وأجناسها من فرس وأتراك وعرب وغيرهم، ظهرت النزعة الشعبية المحلية في محاولة لإبراز كل عنصر محاسنه وتدوين تاريخ دولة<sup>(6)</sup> وإن كان قد اعترها بعضاً من المبالغة في بعض الأحيان إلا أننا لا يمكن أن نغفل أنها كانت مصدراً هاماً لمعرفة تاريخ نشأتهم وأحوالهم في مختلف جوانب الحياة<sup>(1)</sup>.

(1) محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة، ص202.

(2) قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ط3، دار القلم، القاهرة، 1963م، ص428.

(3) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج3، ص136.

(4) التاريخ في اللغة الإعلام بالوقت، وهو تعريف كلمة (ماه روز) الفارسية ومعناها حساب الأيام والشهور، وهو فن يفيد الوقوف على أحوال الماضين، من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياساتهم، السخاوي: الإعلان بالتواريخ لمن ذم التاريخ، دار الجبل، بيروت، 1992م، ص6.

(5) البيروني: الآثار الباقية، تحقيق د. خليل عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص29.

(6) بارتولد: تاريخ الترك، ص46، 47؛ حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص111.

(1) زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص29.

وظهرت طائفة من المؤرخين الذين كتبوا في موضوعات شتى وألفوا كتباً كثيرة شملت الحياة السياسية والعقلية والعقائد والأخلاق والأدب وسائر العلوم، ويتضح ذلك من خلال تنوع الدراسات التاريخية في هذه المرحلة، عني بها المؤرخون في إقليم ما وراء النهر خلال العصرين السلجوقي والخورزمي عناية فائقة، فما أن يظهر أحد من المتخصصين في أي فرع من فروع العلم والمعرفة إلا وتناولته كتب التراجم بالكتابة عن تفاصيل حياته ودراسته، وتخصه وإسهاماته العلمية وشيوخه وتلامذته وتميزت هذه المعاجم التاريخية بجمع التفاصيل المنشورة في تضاعيف الكتب، وتنسيقها وترتيبها<sup>(1)</sup>.

ومن مؤرخي خوارزم يأتي على رأسهم العالم الجليل والفلكي والمؤرخ الشهير أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت 440هـ / 1048م) الذي ولد في ذي الحجة سنة 362هـ / 973م في مدينة كاث، إحدى ضواحي الدولة الخوارزمية<sup>(2)</sup> وقد أشار ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء<sup>(3)</sup> أن لقب البيروني يرجع إلى بيرون في بلاد السند، بينما يذكر السمعاني<sup>(4)</sup> أن التجار كانوا يقطنون خارج أسوار العاصمة تخلصاً من دفع المكوس على البضائع الداخلة إليها، وكان يطلق على من يعيش خارج البلدة يسمى (بيروني) بالفارسية، وقد أجاد البيروني اللغة العربية والفارسية والخورزمية والسنكرتية والسريانية إلى جانب اليونانية والفارسية القديمة، وكان ذلك خير عون له في دراسته العلمية، إذ أتاح له ذلك الاطلاع على مراجع تلك الثقافات المختلفة وقد نبغ في الرياضيات والفلك ويعد جغرافياً ومؤرخاً ولغوياً وفيلسوفاً وفلكياً حتى أطلق عليه لقب الأستاذ<sup>(1)</sup>.

(1) مريزين عسيري: الحياة العلمية، ص 430، 431.

(2) السمعاني: الأنساب، ج1، ص117؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص213.

(3) السمعاني: المصدر نفسه، ص213.

(4) الأنساب، ج1، ص118.

(1) أحمد سعيد الدمرداش: البيروني، دار المعارف بمصر، بدون - ت، ص29؛ قحطان الحديثي: التواريخ المحلية لخراسان، البصرة، 1990م، ص91.

ولن أذكر كثيراً عن هذا العالم الجليل فهو معروف للجميع وهو من كبار علماء الإسلام قاطبة ولكن الذي يهمننا هو كتبه التي ألفها في التاريخ وخاصة في التواريخ المحلية مثل كتاب (المسامرة في أخبار خوارزم)<sup>(1)</sup> أو تاريخ خوارزم الذي لم يصل إلينا، ولكن المؤرخ البيهقي نقل عنه قصة فتح السلطان محمود الغزنوي لخوارزم، وكتابه (ما للهند من مقولة مقبولة أو مردولة) وهو كتاب يشرح فيه كل شيء عن الهند جغرافياً وتاريخياً وسياسياً واجتماعياً ودينياً، وكتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية، والذي يقول فيه (ولكل واحدة من الأمم المتفرقة في الأقاليم تاريخ على حدة، تعدها في أزمنة ملوكهم أو دولهم أو سبباً من الأسباب التي تقدم ذكرها، وتستخرج ما يحتاج إليه في المعاملات ومعرفة الأوقات)<sup>(2)</sup>.

وهذه دعوى لدراسة التاريخ المحلي أو الإقليمي، والكتاب يحتوي على مادة تاريخية عن خوارزم وغيرها، وهو الكتاب الذي قام بنشره وترجمته إلى الإنجليزية العلامة زخاو، الذي صاغ منه صفحات تحت اسم (من تاريخ خوارزم وسني أحداثها)<sup>(3)</sup>. ومن مؤرخي إقليم خوارزم أبو العباس بن محمد بن المعتز بن محمد المستغفري السمرقندي (ت 432هـ / 1040م) من أبرز العلماء إذ كان اهتمامه منصباً على علم الحديث، رحل في طلب العلم إلى خراسان وأقام بسرخس ومرو مدة، سمع الحديث الذي ارتبط به علم التاريخ من جماعة كثيرة، صنف التصانيف العديدة منها: معرفة الصحابة، وكتاب الخطب النبوية، وكتاب دلائل النبوة<sup>(1)</sup> وكتاب تاريخ سمرقند، وكتاب نسف الذي يقع في مجلدين كبيرين<sup>(2)</sup>.

(1) الكتاب مفقود، أنظر السمعاني: الأنساب، ج1، ص117.

(2) انظر كتاب: الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت، ص4-6.

(3) محمد عبدالعظيم: دراسة نقدية، ص23.

(1) السمعاني: التحيير، ج2، ص147.

(2) النسفي: القند، ص17.

والحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد بن محمد الأصفهاني المعروف بالدقاق (ت 516هـ / 1122م) نزيل سمرقند، رحل في طلب العلم، سمع من كثير من الشيوخ في طوس وهرات وبخارى وسمرقند وله رحلة ذكر فيها ألف شيخ أخذ عنهم في معجم مشايخه<sup>(1)</sup>.

وكان أبو محمد عبدالله بن أحمد بن عمر بن الأشعث السمرقندي (ت 516هـ / 1122م) من كبار الحفاظ كان يقرأ للوزير نظام الملك الطوسي، وعمل لنفسه المعجم في ثمانية أجزاء<sup>(2)</sup> كذلك كان أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر الأشعث السمرقندي (ت 536هـ / 1142م) من أبرز المؤرخين، عارفاً بالرجال، من آثاره كتاب في فضائل العباس بن عبدالمطلب، وكتاب معجم الشيوخ<sup>(3)</sup>. كما كان أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن لقمان النسفي السمرقندي (ت 537هـ / 1143م) من كبار المؤرخين، من أهل نسف، سكن سمرقند، وهو إمام فقيه عارف بالمذهب والأدب صنف التصانيف في الفقه والحديث، وكان مرزوقاً في الجمع والتصنيف، وكان شيوخه كثيرين جمعهم في كتاب سماه تعداد الشيوخ لعمر مستطرف على الحروف، جمع فيه شيوخه وهم خمسمائة وخمسون شيخاً<sup>(4)</sup> وكتاب الإجازات المترجمة وقد وردت فيه أسماء بعض شيوخه وأهمهم ممن كانوا حلقة وصل بينه وبين أصحاب المؤلفات التي ربما أفاد منها في تأليفه كتاب "القند في ذكر علماء سمرقند"، وأهمهم الحسن بن عبدالملك ابن علي بن موسى ابن إسرافيل النسفي (ت 487هـ / 1094م) الذي كان يلازم المستغفرى وسمع منه، ويرد في القند بهذا الشكل، والمستغفرى (ت 432هـ / 1040م) مؤلف تاريخ نسف<sup>(1)</sup>.

(1) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص54، ص125؛ عمر رضا كحاله: معجم مصنفى الكتب العربية في التاريخ والجغرافية والرحلات، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص527.

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص238.

(3) ابن الصلاح: طبقات فقهاء الشافعية، ج1، ص426.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج36، ص447، 448.

(1) النسفي: القند، ص15-17.

وأبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن شبيب الديركي السمرقندي (ت511هـ/1117م) الذي روى عن كثير من الشيوخ فأفاد من كتاب تاريخ أستراباد، والكمال في معرفة الرجال بسمرقند، وورد في القند أن اسمه الكمال في معرفة الرجال، وكان حافظاً جليلاً وكتب الحديث على إتقان ومعرفة تامة<sup>(1)</sup>.

اختصر كتاب القند تلميذ أبو حفص عمر النسفي، أبو الفضل محمد بن عبدالجليل ابن عبدالملك ابن علي بن حيدر السمرقندي المؤرخ، وسماه (منتخب القند في تاريخ سمرقند)، وكان معظم الكتاب تشغله الأحاديث النبوية وسير الأولياء والكلام عن أضرحتهم، مع إشارات وافية عن أوقات زيارتها وما يرتبط بها من شعائر<sup>(2)</sup>.

ويعد بهاء الدين محمد بن علي بن محمد بن الحسن الظهيري الكاتب السمرقندي (ت556هـ/1160م) أحمد مشاهير الكتاب في عصر السلاجقة، كان يتولى رئاسة ديوان الرسائل للملك طمغاج وتستند شهرته أساساً إلى مصنفه الأدبي وهو (سندباد نامه) وله أيضاً مصنف تاريخي وهو كتاب (أغراض السياسة في أعراض الرئاسة) ويشتمل الكتاب على لطائف كلام الملوك وتراجم لسيرهم من عهد جشميد إلى عهد طمغاج خان إبراهيم الذي أهدى إليه الكتاب، ويغلب على روايات الطابع القصصي<sup>(3)</sup>.

والإمام الحافظ تاج الإسلام أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني التميمي المروزي (ت562هـ/1116م) كان من أشهر أئمة المسلمين في علوم كثيرة، وكان أقرب هذه العلوم إليه علم الحديث لذلك احتل الحديث مكانة كبيرة عنده، حيث كان واسطة عقد بيت السمعاني وعينهم الباصرة ويدهم الناصرة، إليه انتهت رئاستهم وبه كملت سيادتهم، نشأ في بيت

(1) السمعاني: الأنساب، ج1، ص53.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص1356.

(3) بارتولد: تركستان، ص82؛ أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة، ص282.

كل أفراد علماء وحفاظ وفضلاء أتاح للسمعاني أن يسلك طريقتهم ويتلقى عنهم ويستفيد منهم، وهذا الذي شجعه وكان عالماً متبحراً<sup>(1)</sup> قطع المسافات والآفاق والتقى بالعلماء، وكان وافر الهمة في طلب العلم شديد الحرص على لقاء المشايخ<sup>(2)</sup> واتسعت رحلته فعمت خراسان والعراق والحجاز وطبرستان، وبلاد ما وراء النهر ودخل سمرقند والتقى المحدثون والحفاظ، والفقهاء والمناظرون، وقيل كان عدد شيوخه أربعة آلاف شيخ روى عن كل منهم إما قليلاً أو كثيراً وكانت كثرة مشايخه تدل على ما بذله من مشاق وجهد وصبر على المصاعب والسعي الطويل الشاق<sup>(3)</sup>.

فسر أبو سعد السمعاني حبه للحديث وكثرة مسموعاته في كلامه على معاجم شيوخه بقوله (لأن الله تعالى جده، وتوالى جوده قد كان حفيماً بي وولياً لي، حيث حبب إلي الحديث، وزينة في قلبي، ورزقني سماع كل سنة حسنة ووقفني لشدة الرحال إلى جمال الترحال، حتى رأيت الأفاضل والمقانع قبل أن تصير الديار منهم)<sup>(4)</sup> ملأ أبو سعد صفحات كثيرة من مؤلفاته بتراجم شيوخه منها كتاب العوالي، في اثنين وثلاثين جزءاً خرج لولده أبي المظفر عبدالرحيم<sup>(5)</sup> وكتاب بالمعجم، في ثمانية عشر جزءاً خرج لولده أيضاً<sup>(6)</sup> كما جمع لنفسه معجماً آخر لشيوخه، يضاف إلى ذلك أنه ذكر عدداً كبيراً من مشايخه الآخرين في مؤلفاته غيرها مثل الذيل على تاريخ بغداد، وتاريخ مرو، وكتاب الهداية، وكتاب التحبير في المعجم الكبير، وكتاب مقام العلماء بين يدي الأمراء، كما اختصر السيوطي بعنوان لب الألباب في تحرير الأنساب<sup>(1)</sup>.

(1) السمعاني: الأنساب، ج1، ص10.

(2) السبكي: طبقات الشافعية، ج7، ص180، 181.

(3) أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الكتاب، القاهرة، 1994م، ص265.

(4) السمعاني: التحبير، ج1، ص21، 22.

(5) السمعاني: نفسه.

(6) السمعاني: التحبير، ج1، ص21، 22.

(1) سراج الدين أبو حفص المصري: طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبه، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1986م، ص40.

شرح السمعاني بجمع كتاب الأنساب في سمرقند (550هـ / 1155م) بناء على رغبة عمر بن علي البسطامي الذي قابله فيها، وجمع فيه بضعة آلاف من التراجم مرتبة على حروف المعجم، ونسب كل واحد منها إلى بلد أو قبيلة أو صناعة أو تجارة أو غير ذلك، فكان يضبط حروف النسبة ويشرحها، ولامراء أن أبا سعد السمعاني بذل قصارى جهده في معجمه لاستقصاء الأنساب التي اشتهرت بها جماعة العلماء والشيوخ وغيرهم من الشخصيات التي خلفت أثرها في الإسلام<sup>(1)</sup> أما عن الأسلوب الذي اتبعه في كتابه الأنساب فإنه يثبت تطور الفكر التاريخي عند مؤرخي المسلمين في العصور الوسطى، وذلك بإعطائه فكرة واضحة عن الأشخاص ويشرح معاني الأنساب ويشتمل كلامه على الأسماء في مدن إقليم ما وراء النهر خاصة على مادة مهمة<sup>(2)</sup>.

كذلك كان أبو أحمد معمر بن عبدالواحد بن رجاء بن عبدالواحد بن محمد بن الفاخر القرشي السمرقندي الأصفهاني (ت 564هـ / 1169م) من كبار الحفاظ سمع من ابن الجوزي، وصنف كثيراً في الحديث والتواريخ والمعاجم<sup>(3)</sup>.

ومن مؤرخي بخارى أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن إبراهيم بن محمد البديخوني البخاري نسبة إلى قرية بديخون التابعة لبخارى، مات سنة 453هـ / 1061م وله مصنفات في التاريخ والأدب وكان يعمل مؤدياً في كتاب القرية<sup>(4)</sup> ومنهم الحاكم أبو طاهر محمد بن يعقوب الديمسي البخاري، نسبة إلى قرية ديمس ببخارى، روى عنه كثيرون (ت 430هـ / 1038م)، وكان أبو القاسم واصل ابن حمزة بن علي بن أحمد أبي نصر الصوفي الخنبوني المولود في

(1) الزركلي: الأعلام، ج7، ص272.

(2) أحمد رمضان أحمد: الرحالة، ص68.

(3) الزركلي: الأعلام، ج7، ص413.

(4) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص93.



قرية خنبون التابعة لبخارى<sup>(1)</sup> أحد الرحالين في طلب الحديث، وكان ثقة صالحاً له كتب مصنفة في تاريخ بخارى مات سنة 467هـ / 1074م<sup>(2)</sup>.

واشتهر من مؤرخي إقليم فرغانة أحمد بن محمد بن القاسم الملقب بذي الفضائل (ت528هـ / 1134م)<sup>(3)</sup> وكان قد قدم مرو وسكن بها إلى أن مات، وكان كاتباً في ديوان السلطان، مما أتاح له الاطلاع على الأحداث الجارية باستمرار، فكتب كتباً في التاريخ منها "تاريخ فرغانة"<sup>(4)</sup> كما كان أخوه ابن أبي المناقب الأخسيكي مؤرخاً أيضاً وكان على معرفة تامة بتواريخ زمانه، روى عن أخيه أبي الفضائل عن أبي بكر الكرواني<sup>(5)</sup> واستفاد منه، ثم روى عن أبي المناقب أبو المظفر السمعاني جد أبو سعد السمعاني - كتاب الآداب للخليل بن أحمد الفراهيدي، والكثير من الأحداث التاريخية وله مصنفات تاريخية كثيرة<sup>(6)</sup> ومنهم سليمان ابن الأشعث بن إسحاق بن بشر بن شداد ابن عمرو بن عمران الأزدي أبو داود السجستاني الفرغاني، رحل إلى بلاد مختلفة، وجمع وصنف وكتب عن العراقيين والخراسانيين، والشاميين والبصرين، والمصريين، وغيرهم<sup>(7)</sup>.

ومن أشهر مؤرخي فرغانة - أيضاً - أبو نصر أحمد بن نصر القباوي الذي ترجم كتاب النرشخي تاريخ بخارى<sup>(1)</sup> من اللغة العربية إلى الفارسية نزولاً على رغبة أصدقائه الذين كانوا لا يرغبون في قراءة الكتب العربية، فقام القباوي باختصار هذا الكتاب، بعد أن حذف منه ما رآه

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص419.

(2) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص325.

(3) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص28-30.

(4) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص34.

(5) ولد أبو عمر بن سليمان بن بكر الكرواني، ولد بكروان إحدى قرى فرغانة، ثم انتقل إلى أخسيكث وهناك أفاد الكثير، وروى عنه كثيرون، السمعاني: الأنساب، ج4، ص615.

(6) ابن الأثير: اللباب، ج1، ص93.

(7) ابن أبي يعلي: طبقات الحنابلة، ج1، ص159.

(1) صاغ النرشخي هذا الكتاب، ولكن نسخته الأصلية فقدت، وثم ترجمته إلى الفارسية ثم ترجم إلى اللغة العربية وتميزت بالفصاحة والجودة، أهدها النرشخي إلى الأمير الحمير أبي محمد نوح بن نصر، 322هـ / 943م، أنظر، النرشخي: تاريخ بخارى، ص2-15.

فضولاً حملاً، وزاد عليه ما ارتآه نافعاً مفيداً من كتب أخرى مثل (خزائن العلوم) لأبي الحسن محمد النيسابوري، وتاريخ بخارى لأبي عبدالله أحمد البخاري الفخاري، واخرج كتاباً فيما صاغ بلغة فارسية صحيحة<sup>(1)</sup>.

وهناك مؤرخون كثيرون دخلوا فرغانة، وأقاموا بها، وأسهموا بمؤلفاتهم التاريخية في نهضة الحياة الثقافية في فرغانة أمثال الأمير المؤرخ سعد علي ابن هبة الله بن علي بن جعفر أبو نصر، سعد الملك من ولد أبي بكر دلف العجلي، ولد في عكبرة قرب بغداد، وسافر إلى الشام ومصر، والجزيرة، وفرغانة وخراسان، وقتله غلمان له من الترك بخوزستان وهو خارج من بغداد طمعاً بماله سنة 475هـ/ 1082م<sup>(2)</sup> وكان ثقة ومن كتبه (الإكمال) في أربعة مجلدات، وفي المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب<sup>(3)</sup>.

وأبرز من دخل فرغانة وكتب عنها وعن أترك المشرق الإسلامي، محمود ابن الحسين بن محمد الكاشغري، ولد بكاشغر، وهو الحد الفاصل بين إقليم ما وراء النهر والصين، وتوفي سنة 466هـ/ 1073م، ومن كتبه (ديوان لغات الترك) الذي يعد من أهم مصادر تاريخ الترك، والمشرق الإسلامي كله<sup>(4)</sup>.

مما سبق يتضح لنا أن إقليم ما وراء النهر كان إقليم خصب بعلمائه في مختلف ميادين العلوم ومنها علم التاريخ، واتضح اقتران التأليف بالترجمة في بعض الأحيان، وتعد هذه الظاهرة من أهم سمات العصرين السلجوقي والخورزمي، ونلاحظ أيضاً عدم اختصار ظاهرة التأريخ على المؤرخين حفظ، بل شارك الأمراء في عملية التأريخ، وكذلك المحدثون والعلماء والفقهاء، ما لعلم

---

(1) لم تصلنا ترجمة القباوي، والذي وصلنا هو ملخص قام به محمد بن زمر بن عمر سنة 574هـ/ 1178م وهو الملخص الذي قدم لحاكم بخارى آنذاك (برهان الدين عبدالعزيز بن مازه)، انظر، محمد عبدالعظيم: دراسة، ص24، 25.

(2) الزركلي: الأعلام، ج5، ص30.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص333.

(4) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص367.

ليس له اختصاص معين فقد رأينا بعض المؤرخين الأمراء، كما نلاحظ أيضاً ظاهرة التأريخ المحلي أو الإقليمي على كل مؤرخي إقليم ما وراء النهر الذين ركزوا على أقاليمهم وأقوامهم بالإضافة إلى الأقاليم المجاورة لهم، ولذلك ظهر لفظ الإقليم في معظم مؤلفات مؤرخي هذه الفترة<sup>(1)</sup> كما نلاحظ ارتباط كتابه التاريخ بالجغرافية، ولعل السبب الرئيسي في ذلك هو كثرة الفتوحات الإسلامية التي جعلت العرب دائماً في حاجة ماسة لمعرفة البلاد المفتوحة، بالإضافة إلى التجارة وتوسعها، والذي أدى إلى اهتمام الجغرافيين بمعرفة الطرق فاقترن التاريخ بجغرافية الإقليم<sup>(2)</sup>.

### • علم الجغرافية<sup>(3)</sup>:

شهدت الدراسات الجغرافية تطوراً كبيراً في العالم الإسلامي نظراً لاتساع الدولة الإسلامية التي شملت أقطاراً واسعة وشاسعة وكان لابد من وضع المعلومات عن الأقطار الجديدة لتسيير إدارتها وحكمها ومعرفة خراجها<sup>(4)</sup> وكذلك نظراً لازدهار النشاط التجاري الذي لعب دوراً أساسياً ومزدوجاً في إثراء المعرفة الجغرافية، وكانت الأسواق الإسلامية في مشارق الأرض ومغربها مرتبطة بعضها ببعض وكان التجار يحملون متاجرهم وسلعهم إلى حيث الربح الوفير<sup>(1)</sup>.

---

(1) محمد عبدالعظيم: دراسة، ص 8-11.

(2) كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ج1، ص 201.

(3) كلمة يونانية تعني وصف الأرض بما فيها من تضاريس، وأحوال، وهو العلم المختص بدراسة سطح الأرض، وما عليه من ظواهر طبيعية وبشرية وتفاعلها مع بعضها البعض وعلاقتها بالكائنات الحية الموجودة عليها، انظر: صلاح الدين الشامي: الفكر الجغرافي، مكتبة المعارف الإسكندرية، 1980م، ص 17-19؛ محمد محمود محمدين: الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخريجي، الرياض، 1996م، ص 67، وعريها المسلمون بمعنى تقويم البلدان، لأنها تبحث في أحوال الأرض من حيث تقسيمها الجبال والأنهار والمعتدل من الأقاليم والمنحرف، واختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك في أبدان البشر وأخلاقهم، نفيس أحمد: جهود المسلمين في الجغرافية، ترجمة، د. فتحي عثمان، وراجعته د. علي أدهم، دار القلم، د. ت، ص 25.

(4) نقولا زيادة: الجغرافيا والرحلات عند العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت، ص 11.

(1) أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 366، 367.

وكان إقليم ما وراء النهر مجمع التجارات بلا منافس<sup>(1)</sup> ولا شك أن هذا الإقليم الغني بثرواته وطبيعته الجغرافية، وطرقه التجارية الهامة وأنهاره، وأصبح بعد الفتح الإسلامي من أهم المراكز التجارية في بلدان المشرق الإسلامي، وثغراً استراتيجياً مهماً من ثغور المسلمين، فمن الطبيعي أن يتم الاهتمام به وبجغرافيته وبطرقه ومسالكه المؤدية لطرق التجارة، والحج، وطلب العلم<sup>(2)</sup>. والنشاط التجاري يتطلب دائماً اكتساب المعلومات عن الطرق التجارية والمسالك المؤدية إلى الدول المختلفة، وهو أمر لا غنى له للتجار، فضلاً عن معرفة المدن التجارية الرئيسية وما تشتهر به كل منها من سلع، ومن جهة أخرى تولى التجار ومستخدموهم مهمة جمع المعلومات البشرية والاقتصادية عن البلدان<sup>(3)</sup>.

وارتبطت الجغرافية بالفلك والرياضيات ارتباطاً وثيقاً، وظهر ما يعرف بالجغرافية الفلكية فالفلك يهتم بحركة الكواكب الثابتة والمتحركة والتميزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك بطرق هندسية<sup>(4)</sup> ولكون الأرض كوكب يتأثر بما حوله من كواكب ونجوم فكان اهتمام الجغرافيين به وارتباطه بالفلك والهندسة، وليس أدل على ذلك من أن بن كثير الفرغاني السابق ذكره، والذي حدد نصف قطر الأرض بدراسة الفلك والكواكب، وحدد أحجام الكواكب، والنجوم الأخرى بالنسبة لحجم الأرض، وحدد طول السنة تحديداً مضبوطاً وأطوال الليل والنهار، وسمات الفصول المناخية في كل فصل<sup>(1)</sup> وتوسع علماء الجغرافية في فروع كثيرة كالجغرافية الإقليمية وجغرافية البلدان ومسالكها، والجغرافية الفلكية، والخرائط، والنماذج، والرحلات<sup>(2)</sup>.

---

(1) الاصطخري: مسالك الممالك، ص 178.

(2) نفيس أحمد: جهود المسلمين، ص 67، 68.

(3) نقولا زيادة: الجغرافية، ص 203.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص 487.

(1) عبدالرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ط 2، دار الفكر، دمشق، 1980م، ص 66.

(2) محمد عبدالعظيم: دراسة، ص 56، 57.

واتسمت بلاد ما وراء النهر بظاهرة ارتباط الجغرافية بالتاريخ، فمعظم المؤلفات التاريخية تحتوي على وصف جغرافي للإقليم المؤرخ له، وعرف ما يسمى بالجغرافية الإقليمية التي كانت كتبها إحدى منابع تواريخ الأقاليم والمدن المشرقية والتي اهتمت بدراسة المصطلحات التاريخية والجغرافية لهذه النواحي، وتعيين حدودها، كما اهتمت بشكل خاص بدراسة الظواهر الاقتصادية والاجتماعية التي تعتمد عليها أساساً كتب الأقاليم والمدن<sup>(1)</sup>. ويرتبط بالعصر السلجوقي كتاب باللغة العربية ذو أهمية بالغة بالنسبة للجغرافية ذلك هو كتاب (لغات الترك) لمؤلفه محمود الكاشغري الذي يعدّه بارتولد<sup>(2)</sup> "الوحيد الذي كتب بالعربية عن آسيا الوسطى معتمداً في ذلك على معرفته الشخصية وبتلك البلاد فهو منها، ولم ينقل عن مراجع معينة". وأفاض الكاشغري في ذكر وكتابة تاريخ القبائل التركية ومواطنها وعاداتها ولهجاتها وألف ديواناً عنهم ذكر فيه أنه كان هناك عشرون شعباً تركياً انقسموا إلى فريقين شماليين وجنوبيين، ولقد أنهى الكاشغري ديوانه 466هـ/1073م وهذا يعني أنه أتم كتابته إلى عهد السلطان ألب أرسلان 455-466هـ/1063-1072م وبداية عهد ابنه السلطان ملكشاه، وكان أول معجم تركي عربي يتحدث عن الترك باستفاضة تجول الكاشغري في كل الأقاليم والمقاطعات التركية وجمع في كتابة لغات الأقوام وتواريخها ويرجع أصله إلى الأتراك القراخانية، وكانت الغاية من هذا الكتاب هو تعليم اللغة التركية لأبناء العربية، ولقد أعلى فيه من شأن الترك، وقدمه إلى الخليفة العباسي المقتدي بالله (467-487هـ/1075-1094م) في بغداد، وجمع فيه سبعة آلاف وخمسمائة كلمة تركية وهو أول كتاب تركي بخط عربي حيث طوعها له<sup>(1)</sup>.

(1) كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ج1، ص155.

(2) تركستان، ص84.

(1) انظر: سنية مصطفى حسن: محمود الكاشغري وكتابه ديوان الترك مقال بمجلة أبحاث المؤتمر الاقتصادي، المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، 1993م، ج6، ص99-133.

وكان الكشغري يجيد العربية إجابة تامة رغم كونه تركياً ينتمي إلى الأسرة القراخانية التي حكمت التركستان وكان لأبيه صلة ما بمدينة برسخان<sup>(1)</sup> القريبة من بحيرة أيسين كول، وقد سافر كثيراً في سهول آسيا الوسطى وجمال في بلدان الترك وأجاد تقريباً جميع اللهجات التركية بآسيا الوسطى<sup>(2)</sup> فهو يقدم مادة وفيرة عن الشعب التركي ومواطن سكن القبائل التركية يقيهما تفاصيل عديدة عن الجغرافية التاريخية للبلدان التي يقيمون بها، فهو يعتبر المصدر الجغرافي والتاريخي المهم لجوف آسيا الوسطى، والمناطق المتاخمة لها ولا يعتبر ديوان الترك ديواناً لغوياً فقط، بل يحمل صفة الموسوعة التي تلقي الضوء على الأدب التركي، والتاريخ والجغرافيا والأدب الشعبي والأساطير قبل الإسلام، خاصة وأن الأتراك في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كانت لهم السيطرة على أغلب بلاد المشرق، وكانت الدولة القراخانية ودولة الأتراك السلاجقة خير دليل على ذلك<sup>(3)</sup> وكان داود بن أحمد بن سعيد بن خلف بن داود عثمان بن عزيزي الطبي الواسطي التاجر (ت 617هـ/1220م) من أعيان التجار والنبلاء الكبار الجوالين في الآفاق وكان شيخاً حسن المحاضرة دخل سمرقند وبخارى وجمال في البلدان الإسلامية طلباً للعلم والتجارة<sup>(4)</sup>.

وساهم الحج إلى بيت الله الحرام بنصيب كبير في تشجيع المعرفة الجغرافية حيث كان من أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق وعلى كل ضامر إلى الرحلة والانتقال، فكان الحج ولازال يستثير المسلمين من مختلف أقطار الدولة الإسلامية لشد الرحلة إلى مكة المكرمة ولا شك أن حركة التنقل هذه حفزت كثيرين من أهل العلم إلى تدوين مشاهداتهم<sup>(1)</sup>.

---

(1) برسخان: بالفتح، وضم السين المهملة وحاء معجمة والنسبة إليها برخسي قرية قرب بخارى، ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص383، 384.

(2) بارتولد: التركستان، ص85.

(3) كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ج1، ص262.

(4) ابن العديم: بغية الطلب، ج7، ص3431.

(1) محمد الخضر حسين: أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية، محاضرات المجمع العربي، دمشق، 1954م، ص318.

وكانت الرحلة في طلب العلم من أهم مميزات الحركة العلمية في مدن إقليم ما وراء النهر فكان العلماء يتخذون الرحلة وسيلتهم لاستتمام العلم، وإكمال المعرفة، وتبادل الخبرات والمعلومات، واختيار الأفكار والنظريات<sup>(1)</sup> وكان طلاب الحديث أنشط الناس للرحيل وأصبرهم على العناء<sup>(2)</sup> ومن كبار الرحالة الحافظ بن علي ابن حمدان 441هـ/ 1049م رحل في طلب الحديث إلى سمرقند وبخارى ونيسابور<sup>(3)</sup> والحافظ الجوال أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي البلخي (ت 456هـ/ 1063م) طوف البلاد وحصل الأسانيد والغرائب وتوفي بسمرقند<sup>(4)</sup> وأبو محمد بن محمد ابن أيوب أبو محمد القطواني السمرقندي (ت 506هـ/ 1112م) سافر البلاد ولقي الشيوخ<sup>(5)</sup> وأبو سعيد هلال بن عبدالرحمن بن شريح بن عمر أحمد ابن محمد ابن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ (ت 519هـ/ 1125م) له رحلة واسعة شملت معظم البلاد الإسلامية، وتوفي بسمرقند<sup>(6)</sup>.

وكان بعض الحكام المسلمين يوفدون الرسل والسفراء إلى غيرهم من الحكام والأمراء فدعا ذلك أحياناً إلى القيام برحلات إلى أصقاع لا يألفها المسلمون<sup>(7)</sup> من ذلك رحلة الأمير الحافظ أبي نصر علي بن الوزير أبي القاسم عبدالله بن علي ابن جعفر البغدادي الحافظ المعروف بابن ماکولا (ت نيف و 480هـ/ 1087م) كان عالماً حافظاً ترشح للحفظ حتى يقال له الخطيب الثاني طاف البلاد وأقام ببغداد، وله كتاب (الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف في

---

(1) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، ص 63.

(2) محمد الخضر حسين: أثر الرحلة، ص 319.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 17، ص 663.

(4) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص 437.

(5) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 3، ص 911.

(6) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص 358.

(7) أحمد رمضان: الرحالة، ص 135.

الأسماء والأنساب)، وضع الأمير كتابه هذا وفق منهج علمي مفيد واتجه في تصنيفه نحو عمل موسوعي، أرسله الخليفة المقتدي بالله رسولاً إلى سمرقند لأخذ البيعة له<sup>(1)</sup>.

وأبو سعيد يحيى بن علي بن الحسين الزار، المعروف بابن الحلواني (ت520هـ/1126م) قرأ المذهب على الشيخ أبي إسحاق، وبرع حتى التحق بالأئمة المناظرين، وصنف كتاباً سماه التلويح، ودرس بالنظامية وولى حسبة بغداد ثم تركها، ودخل سمرقند رسولاً من الخليفة ومات بها<sup>(2)</sup> وكذلك الحسين ابن علي بن أبي القاسم اللامشي السمرقندي الحنفي (ت522هـ/1128م) كان إماماً فاضلاً متديناً يضرب به المثل في المناظرات، وعلم الخلاف، وكان على طريقة السلف من طرح التكليف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان يدخل على الملوك ويقول الحق في وجوههم، قدم رسولاً من خاقان سمرقند إلى دار الخلافة ف قيل له إلا تحج عامك هذا؟ فقال لا أجعل الحج تبعاً لرسالتهم، وعاد إلى بلده<sup>(3)</sup>.

واستفاد المؤلفون من إمكانات السفر التي سادت رقعة واسعة من العالم الإسلامي وهي اتساع شبكة الطرق وإقامة المنائر ليهتدي بها المسافرون وتوفير الأمن، فأخذ الرحالة يشدون الرحال ويطوفون في البلدان شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وكانوا يشعرون في أي بلد يحلون فيه كأنه بلدهم فأمكن لهؤلاء الجغرافيين أن يجمعوا معلومات جديدة عن ممالك الإسلام، عن طريق المشاهدة الشخصية والسؤال والاستفسار، ولم يعتمد هؤلاء الكتاب على أنفسهم فحسب في جمع المعلومات، بل ساهم التجار في إغناء معلوماتهم إسهاماً عظيماً، ولعبت التجارة دوراً مهماً في تطور المعرفة الجغرافية لرواد هذه المدرسة<sup>(1)</sup>.

(1) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1201 - 1203.

(2) ابن الأثير: اللباب، ج2، ص402.

(3) السمعاني: الأنساب، ج5، ص671.

(1) كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ص351.



ويمكن القول إن تاج الإسلام أبا سعد عبدالكريم السمعاني (ت562هـ/1166م) كان على رأس هذا النمط من الكتابة، حيث اتسعت رحلته فعمت بلاد خراسان وأصبهان وبلاد ما وراء النهر والعراق والحجاز وحج مرتين وعاد إلى وطنه<sup>(1)</sup> في رحلته إلى بلاد ما وراء النهر صحب معه ولده أبا المظفر عبدالرحيم واستغرقت رحلته ثلاث سنوات طاف بمختلف مدن ما وراء النهر فزار بخارى وسمرقند وكرمينية، وسمع بهذه المواضع وأسمع ولده<sup>(2)</sup> ولما كانت رحلاته تلك من أجل العلم، فقد التقى بعدد من المشايخ والعلماء الذين تكبد مشقة الرحلة وصعابها من أجل الالتقاء بهم والتعرف عليهم حتى ينهل من مناهلهم ويرتوي بمعارفهم<sup>(3)</sup>.

وجمع السمعاني حصيلة رحلاته المتعددة في كثير من المصنفات ومنها كتاب (الأسفار عن حكم الأسفار) ويقع في خمس وعشرين مجلداً، وكتاب معجم البلدان في خمسين مجلداً<sup>(4)</sup> وكتاب (تاريخ مرو) مسقط رأسه وموطن أهله وعشيرته ويقع في عشرين مجلداً<sup>(5)</sup> ولعل أشهر كتب السمعاني ومصنفاته على الإطلاق كتاب "الأنساب"، وأبرز ما تميز به هذا الكتاب، تلك التراجم التي جمعها على حروف المعجم والتي عني بنسبة كل واحد منهم إلى بلد أو قبيلة أو صناعة أو تجارة أو غير ذلك<sup>(6)</sup> وبالتالي مثل كتاب الأنساب أهمية كبرى بالنسبة لجغرافية العالم الإسلامي في العصور الوسطى، وله أيضاً (فضائل الشام) وكتاب (نزوع إلى الأوطان) يتناول فيه الحديث عن تأسيس مدينة سرخس<sup>(1)</sup>.

---

(1) السبكي: طبقات الشافعية، ج7، ص180.

(2) ناجي معروف: عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في خراسان، بغداد، 1969م، ج1، ص646.

(3) ميرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص344.

(4) منيرة ناجي سالم: تاج الإسلام أبو سعد السمعاني، ص213.

(5) أحمد رمضان: الرحلة والرحالة، ص266.

(6) زكي محمد حسن الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، 1955م، ص68، 69.

(1) أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة، ص268، 269.

ويتفكك الدولة الإسلامية وانحلالها سياسياً فقدت المعرفة الجغرافيا الصرفة أصالتها منذ أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وتقلصت رقة الدولة الإسلامية، وانقسمت إلى إمارات شبه مستقلة، ولم يعد هناك من حاجة إلى الكتب الجغرافية بالنسبة للحكام، ولم يستطع الكتاب اللاحقون أن يضيفوا أي جديد إلى علم الجغرافيا، واقتصروا على مهمة الاقتباس من مؤلفات السابقين، وتنوعت الأنماط الجغرافية لهذه المرحلة إلا أن التركيز كان على المعاجم الجغرافية والموسوعات والرحلات<sup>(1)</sup>.

ويعتبر نور الدين محمد بن محمد بن يحيى طاهر بن عثمان العوفي البخاري أحد روادها، وهو من فضلاء أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ومنتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، رحل في طلب العلم ولقاء الشيوخ فطاف بأكثر بلاد ما وراء النهر وخراسان واتصل بعلماء تلك البلاد وعاش في خراسان وبلاد ما وراء النهر وقضى أيام صباه في سمرقند، إلى أواخر أيام السلطان محمد خوارزمشاه ونظراً للاضطرابات السياسية وتواتر أخبار الغزو المغولي هاجر إلى بلاط سلطان البنجاب (بنجلاديش الحالية) ناصر الدولة قباجة<sup>(2)</sup>. ويعتبر محمد عوفي من أشهر المؤلفين له كتاب جوامع الحكايات ولوائح الروايات قبل 625هـ/ 1228م وأتمه 633هـ/ 1236م وكمية المعلومات الجغرافية فيه كبيرة، وفازت بمعناها الواسع بالبايين السادس عشر والسابع عشر القسم الرابع، وتبدو خلال ذلك محاول ملحوظة لعرض المادة في صورة منظمة للعالم كما يراه الجغرافيين مزودة بمعلومات عن بعض الشعوب التي تقطن الأقاليم المختلفة، فيتحدث عن الجغرافية الطبيعية ثم يلي ذلك تقسيم العالم إلى سبعة أقاليم<sup>(1)</sup>.

(1) نقولازيات: الجغرافية والرحلات عند العرف، ص58.

(2) كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ص354,355.

(1) كراتشكوفسكي: المرجع نفسه، ص355.

يجدر بنا أن نتحدث عن أهم الرحالة والجغرافيين الصينيين الذين صحبوا جيش جنكيزخان أثناء غزوه لبلاد السلطان خوارمشاه، ويعدّ ليورجيبورشاوي (ت 641هـ/1243م) من كبار الجغرافيين والفلكيين والحكماء، وكان قد وقع في أسر جنكيزخان عندما غزا بكين (612هـ/1219م) وخلف لنا هذا الرحالة كتاباً به وصف للبلاد والمواضيع التي مر بها، ولكن لسوء الحظ فقد أصل الكتاب ووجد ملخص له ليصف لنا جغرافية آسيا الوسطى مع رسم صورة مشوقة لعبور جيوش المغول من منغوليا إلى بلاد ما وراء النهر<sup>(1)</sup>.

كما تعد رحلة الناسك كيوشانج شون من بكين إلى بلاد ما وراء النهر من أهم الكتب التي وصفت البلاد والمواضع وأهم العادات والعجائب والغرائب الموجودة في تلك البلاد، وكان هذا الراهب ذا هيبة ومكانة عظيمة في بكين، فأرسل إليه جنكيز خان يدعوه ليحضر إلى بلاطه بعد أن سمع برجاحة عقله، واضطر الراهب رغم أنه إلى الاستجابة لدعوة جنكيزخان وترك حياة التنسك، وعرض نفسه لمخاطر الرحلة الطويلة إلى آسيا الوسطى ووصل إلى سمرقند وقضى بها فصل الشتاء، وكان ذلك بعد تحطيم جنكيزخان لها<sup>(2)</sup> ثم رحل إلى معسكر جنكيزخان لمقابلته، واستغرقت هذه الرحلة ثلاث سنوات، وكتبت تفاصيل هذه الرحلة بواسطة أحد تلاميذه<sup>(3)</sup>.

وأهم ما نستخلصه مما سبق أن تلك المؤلفات الجغرافية كانت تنم بالطابع الإقليمي كما يتضح أيضاً ارتباط الجغرافية بالتاريخ والفلك، وأيضاً دور الرحالة في تدوين ووصف جغرافية الأقاليم طبقاً لما رأوه بأنفسهم أو سمعوه من التجار، والحجاج لذا كان لوصف الجغرافي لإقليم ما وراء النهر وصفاً دقيقاً مفصلاً قائماً على المشاهدة والوصف.

---

(1) كراتشكوفسكي: نفسه، ص 356.

(2) السيد الباز العرني، المغول، ص 243.

(3) كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ص 359.

## • علم الفلسفة والمنطق وعلم الكلام:

أولاً: علم الفلسفة:

الفلسفة كلمة يونانية الأصل بمعنى إثارة الحكمة أو محبة الحكمة<sup>(1)</sup> من فيلو بمعنى محب أو صديق (صوفيا) بمعنى الحكمة<sup>(2)</sup> كما عرفها كبار الفلاسفة هو البحث عن الوجود من حيث هو موجود بقدر الطاقة البشرية، وبإطلاق موضوعها تدخل فيها جميع العلوم من إلهية وطبيعة ورياضة وغيرها<sup>(3)</sup> والغاية من الفلسفة النظرية هي معرفة الحق من رأي أو معتقد فقط، أما الفلسفة العملية فهي ما لا يكون حصول رأي الاعتقاد بالموجودات غاية وغرضاً فقط بل هو حجة رأي وصواب فكرة، ليطبق الإنسان فكره على تلك الفكرة وليكتسب ما هو الخير فيه، إذاً الغاية من الفلسفة هو الخير الذي يرمي إليه فعل الإنسان<sup>(4)</sup>.

وازدهرت العلوم الفلسفية في بداية العصر العباسي، نتيجة تشجيع الخلفاء العباسيين لحركة الترجمة الواسعة للفلسفة اليونانية كفلسفة أرسطو جالينوس<sup>(5)</sup> إلا أنه بمرور الوقت ومع تعاقب الدويلات المستقلة ضعفت هذه الدراسات نتيجة عدم تشجيع الحكام وأهل السنة لها، فلم تكن هذه العلوم مرغوبة في إقليم ما وراء النهر كغيرها من مدن العالم الإسلامي، ذلك لان آراء فقهاء

---

(1) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج1، ص2.

(2) كان المستعمل في أول الأمر كلمة صوفيا وحدها وكان صوفوس -الحكيم- قد أطلقها هوميروس في الإلياذة على الانجاز البارح، ثم استعظمه العلماء أن يسمو احدهم (صوفز) "حكيماً فكانوا يسمونه صديق الحكمة" فيلسوف إلا أن هذا الاسم كان يدل أولاً على تهذيب النفس حتى جاء فيثاغورث ت 503م فيقال انه أول من سمي الفلسفة بهذا الاسم، عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي، بيروت، 1962م، ص16.

(3) عبدالله نعمة: فلاسفة الشيعة، بيروت، 1930م، ص17.

(4) عبدالله نعمة: فلاسفة الشيعة، بيروت، 1930م، ص17.

(5) ابن أبي أصيبعة: عيون الأبناء، ص70-94.

الدين ترى أن المشتغلين بهذه العلوم إنما هم أهل بدع وأهواء، واتهموهم بالزندقة والخروج عن تعاليم الإسلام، وأوقعوا عليهم عقوبات كعدم قبول شهادتهم، وتأديبهم على بدعهم<sup>(1)</sup>.

وكان لمرور إقليم ما وراء النهر بفترات مختلفة من السيطرة السياسية من عباسية، وطاهرية، وسامانية، وغزنوية، وسلاجقة، وخوارزمية، أكبر أثر في انتشار كافة العلوم بها، وكانت العلوم الفلسفية وعلمائها موضع اضطهاد لميلهم إلى الجدل والكلام ومع ذلك برز أسماء الفلاسفة في الإقليم في الجدل والمناظرة ومن فلاسفة خوارزم: يعتبر ابن سينا الرئيس أبو الحسين عبدالله الحكيم (ت428هـ / 1036م) من أكبر فلاسفة المسلمين وأشهرهم قبل قيام الدولة السلجوقية وقد قرأ الفلسفة على أبو عبدالله النائي، المتفلسف ثم توجه ابن سينا إلى خوارزم في عصر خوارزمشاه مأمون بن محمد (380-387هـ / 990-997م)<sup>(2)</sup> ثم توجه ابن سينا إلى الجرجانية عاصمة إقليم خوارزم، وكان أبو الحسن السهلي وزير على بن مأمون خوارزمشاه (387 - 399هـ / 997 - 1009م) محباً للعلوم مقرباً للعلماء، ولقد صنف ابن سينا وهو بخوارزم (العقيدة المزدوجة) في المنطق، صنفها للرئيس ابن الحسن سهل بن محمد السهلي<sup>(3)</sup>.

ومن فلاسفة خوارزم في أوائل العصر السلجوقي محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني فقد عد الفلسفة من أهم ظواهر المدنية كما أولاهما حظاً من عنايته وله فيها إسهام إلا أن إسهاماته الفلسفية مفقودة تماماً<sup>(4)</sup> وأهمها "كتاب في التوسط بين أرسطو طاليس، وجالنيوس" في المحرك الأول، وعثر على عمل مهم له في الفلسفة بعنوان "الشامل في الموجودات المحسوسة والمعقولة"

---

(1) لمزيد من التفاصيل راجع ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، دار الفكر، بيروت، 1980م، ج2، ص111.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأبناء، ج3، ص6.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص175.

(4) يمني طريف الخولي: بحوث في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة، القاهرة، بدون - ت، ص140.

ولكن لم تثبت بعد نسبته إلى البيروني بصورة قاطعة<sup>(1)</sup>. ومن الأدباء الذين تأثروا بعلم الفلسفة الأديب محمود بن عزيز العارضي الخوارزمي (ت521هـ/ 1127م) وكان مقرباً من محمد بن نوشتكين خوارزمشاه (490-521هـ/ 1096-1227م) وكان العارضي هذا أديباً لغوياً لكنه تخطا إلى علم الفلسفة فصار مفتوناً بها، مناظراً فقيهاً على مذهب الفلاسفة<sup>(2)</sup>. وارتبط علم الفلسفة بمذهب المعتزلة في إقليم خوارزم خاصة في العصرين السلجوقي والخورزمي فقد دخل مذهب الاعتزال خوارزم في وقت انحسر فيه الاعتزال في معظم الأقطار الإسلامية بل إن آخر ما نسمعه عن الاعتزال نسمعه في خوارزم<sup>(3)</sup>.

ومن الفلاسفة الذين دخلوا إقليم خوارزم وأقاموا في العصر السلجوقي محمد ابن عبدالكريم ابن أحمد أبو الفتح بن أبي القاسم بن أبي بكر الشهرستاني المتكلم الفيلسوف (ت548هـ/ 1153م) صاحب التصانيف يقول ياقوت الحموي<sup>(4)</sup> (دخل خوارزم واخذ بها دار وسكنها، وكان بيننا محاورات ومفاوضات فكان يبالغ في نصر مذاهب الفلسفة والدفاع عنهم وخرج من خوارزم سنة 510هـ/ 1116م. ومن مصنفاته كتاب (الملل والنحل) في علم الكلام<sup>(5)</sup> وله من علم الكلام أيضاً (نهاية الأقدام في علم الكلام)، وكتابه (غاية المرام في علم الكلام) وكتاب (المبدأ والميعاد) وكتاب شرح سورة يوسف بعبارة فلسفية لطيفة<sup>(6)</sup>. ومن أساتذة الفلسفة في إقليم خوارزم خلال العصر الخوارزمي، يوسف بن أبي بكر بن محمد ابن علي السكاكي الخوارزمي 626هـ/

---

(1) يميني الخولي: بحوث، ص140.

(2) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج5، ص489.

(3) الصاوي: منهج الزمخشري، ص28.

(4) معجم البلدان، ج3، ص5.

(5) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص149.

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص167.

1221م<sup>(1)</sup> ومن تلاميذه في علم الفلسفة الإمام مختار بن محمود الزاهدي (ت 658هـ/ 1259م)<sup>(2)</sup>.

ومن فلاسفة إقليم الصغد أبو اليسر محمد البزدوي قاضي سمرقند (ت 493هـ/ 1099م) درس على كبار علماء الحنفية ودرس بجانب دراساته الشفوية ما كتبه علماء الفقه السابقون، وتعمق في دراسة آراء الأشعري والماتريدي وحصل من العلم ما يحتاج إليه المشرعون والفقهاء، واستندا البزدوي إلى آيات كثيرة مما يدل على أنه كان يجيد القرآن الكريم، ومما تجدر ملاحظته على البزدوي أنه كان كثيراً ما يترك في كتابه (أصول الدين) المناقشات الفقهية ليتعمق في شرح التفصيلات الفلسفية لبعض الآيات القرآنية المختلف على تفسيرها<sup>(3)</sup> ويمكن تقسم الكتاب في مجموعته إلى أسس فلسفية وتعاليم أصول عقيدية ومباحث في علم السياسية، هذا إلى جانب موضوعات فلسفية أخرى وتتخلل هذه الأقسام مشكلات فقهية، ويتعرض التقسيم إلى المسائل من 1- 10 عن الكلام وأسبابه الفلسفية<sup>(4)</sup>.

والسيد الإمام أبو عبدالله شرف الزمان محمد بن يوسف الأيلاقي نزيل سمرقند (ت 536هـ/ 1141م) كان من أشهر الفلاسفة من تلامذة ابن سينا، اجتمعت فيه الفضلاء العلمية والعملية واستوعب بشكل جيد الآراء الفلسفية المنقولة عن ابن سينا وطلابه، وتبنى أفكار ابن سينا وكان له دوراً كبيراً في شرحها ونشرها، واشتهر بمختصره على كتاب ابن سينا (القانون) وله تصانيف كثيرة مثل كتاب اللواحق وكتاب دوست ناما، وكتاب سلطان ناما وكتاب الحيوان، وله رتبة عالية في الإفادة والإنصاف والتمييز، ومن كلماته (إن الفلسفة علماً بالكل، وصناعة الصناعات كم قال

(1) القرشي الحنفي، الجواهر المضيئة، ج3، ص623.

(2) القرشي الحنفي، نفسه، ج3، ص641.

(3) البزدوي: كتاب أصول الدين، نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1946م، ص 11-12.

(4) البزدوي: المصدر نفسه، ص6.

أمير الأمراء والمتفلسف المتشيث بالمبادئ على حسب الطاعة<sup>(1)</sup> وجرت مناظرات الأيلاقي والقاضي الفيلسوف محمد الأفضل عبدالرازق التركي، الذي كان حافظاً لأكثر مؤلفات ابن سينا فلم يتعرض القاضي التركي إلا لظواهر كتب بن سينا، وقتل الأيلاقي في موقعة قطوان بسمرقند على يد الخطأ الكفار سنة 536هـ/1141م<sup>(2)</sup>.

ما كان شمس الدين بن شرف الحسيني السمرقندي (ت 600هـ/ 1203م) من كبار الفلاسفة، وله كتاب (قسطاس الميزان) وهو على مقدمة ومقالتين: الأولى في التصورات والثانية في التصديقات وهو صاحب الصحائف في الكلام وشرحه أيضاً، وهو شرح مبسوط<sup>(3)</sup> والإمام فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن احسين الرازي (ت 606هـ/ 1209م) كان من كبار علماء عصره في العلوم الشرعية والعقلية من أهل الاستدلال العقلي بارعاً في الفلسفة، رحل في طلب العلم إلى بلاد ما وراء النهر، ودخل بخارى و سمرقند وقامت بينه وبين علمائها الماتريديين مناظرات قوية، وله مصنفات كثيرة أهمها موسوعته جامع العلوم والحكم، ويتضمن السياسة وآداب الملوك كما عرض مشاكل الإمامة وحلول لها، وكان يحاول إثبات آراء أرسطو والفارابي وابن سينا في كتاباته<sup>(4)</sup>.

ومن فلاسفة إقليم فرغانة محمد بن اسعد الصديقي الاسبري جلال الدين، ولد بفرغانة، وتوفى سنة 518هـ/ 1154م<sup>(5)</sup> والذي كان من أشهر فلاسفة فرغانة، وله مؤلفات كثيرة منها (تعريف العلم) و(إثبات الواجب) و(شرح تهذيب المنطق)<sup>(6)</sup>، وأبو حفص الفرغاني السابق ذكره،

---

(1) البيهقي، تنمة صوان الحكمة، لاهور، 1932م، 125-126؛ بول غلبوني وآخرون: موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين، مؤسسة المعارف، بيروت، ج، ص 51.

(2) بول غلبوني: المرجع نفسه، ج2، ص 76.

(3) عمر فروخ: تاريخ الفكر الإسلامي، ص 184.

(4) مرتضى راوندي: تاريخ اجتماعي إيران، بخش دوم، جلد هشتم، جانجانه نوبهار، 1374هـ، ص 231-232.

(5) الزركلي: الإعلام، ج6، ص 32.

(6) ابن الففطي: أبناء الرواة، ص 331.



وكان قد قرأ المنطق اليوناني على الفخر الرازي (ت60هـ/1209م) وطبقته، وأجاد الفلسفة والمنطق، ودرس بالمدرسة المستنصرية، وأخذ عنه كثير من طلاب العلم في بغداد<sup>(1)</sup> ومن علماء الجدل في فرغانة أبو علي الحسين بن أبي القاسم اللامشي الفرغاني، ولد سنة 441هـ/1049م، وتوفي (522هـ/1128م) وكان من أكثر المناظرين بفرغانة، وله في الجدل باع طول، واتصف بالجرأة الشديدة حتى إنه كان يجادل الملوك، ولا يخشى بطشهم، ولجدله وجرأته اتخذه ملك فرغانة رسولاً لدى حكام البلاد المجاورة<sup>(2)</sup> وكذلك أبو المظفر المشطب بن محمد بن أسامة بن زيد بن النعمان بن سفيان الفرغاني ولد بفرغانة سنة 414هـ/1023م، وتوفي ببغداد سنة 486هـ/1093م، كان من فحول المناظرين وله مجالس في النظر والجدل، وكان مختلطاً بالعسكر لا يفارقهم، وناظر أهل السنة وجادلهم وخالفهم، وانتقل إلى أصفهان، وبخارى، والرّي، وبغداد، ثم قدم بصحبة الوزير نظام الملك إلى نظامية بغداد، وناظر أئمتها وجرت بينه وبينهم قصص، فكان من أشهر الفلاسفة بفرغانة<sup>(3)</sup> أما علي بن عثمان الاوشى الفرغاني، فكان مشهوراً في الجدل والمناظرة له مصنف في علم الكلام ورسالة في العقيدة والتوحيد<sup>(4)</sup> ولا يفوتنا العلامة الكبير برهان الدين المرغنياني، فقد كان من كبار المناظرين بفرغانة، عالماً جامعاً بكل العلوم، وله مجالس جدل وخلاف عديدة، مؤكداً قول الكوثري "مما يزيد العالم الديني قوة في الحجج، وتوقداً في القريحة، واستقامة في النظر، ووضوحاً في البيان، وغوصاً في المعاني، الاستزادة من العلوم الكونية إلى جنب ما احتواه من العلوم الشرعية، فالعالم الذي يجمع بين المعقول، والمنقول تكون له المنزلة العليا بين العلماء في جميع الأدوار بشرط أن يحافظ على التوازن في معارفه في

(1) ابن الفظطي: المصدر نفسه، ص332.

(2) السمعاني: الأنساب، ج4، ص343.

(3) السمعاني: المصدر نفسه، والصفحة.

(4) الزركلي: الأعلام، ج7، ص161.

المعقول والمنقول بدون أن يسمح لطغيان احد العالمين على الآخر<sup>(1)</sup> وهذا ما توفر في برهان الدين المرغيناني.

صفوة القول أن تقلصت الفلسفة وكسدت سوقها في مدن إقليم ما وراء النهر خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي، وذلك لأسباب متعددة منها موقف الفقهاء من دراسة العلوم الفلسفية بالإضافة إلى موقف الحكام، ومن ثم قوبلت دراستها بتعصب، ومقاومة شديدين فكل ألوان البحث والاستدلال واللجوء للعقل لحل المعضلات الدينية، كان يعد في نظر الفقهاء آنذاك جسارة كبيرة خارجة عن حد المألوف بل أكثر من ذلك إصاق تهمة الكفر والزندقة بالفلاسفة، لهذا ضاع رونق الفلاسفة وقل رواجهم، ويمكن القول بصورة عامة انه تنوسيت الفلسفة وتجمد كل ما كان يعد مخالفاً للمذهب والسياسة، حيث كان الدين والمذهب هما الغرض الأصلي والهدف الأساسي الوحيد في هذه الفترة<sup>(2)</sup>.

أما علم المنطق الذي هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد من الحدود المعرفة للماهيات، والحجج المغيرة للتصديقات، وذلك أن الأصل في الإدراك هو المحسوسات بالحواس الخمس<sup>(3)</sup> ومن ناحية اشتقاقها اللغوي تدل على الكلام، فيقال: فلان نطق أي تكلم، كما يقال: فلان منطيق أي يجيد صناعة الكلام<sup>(4)</sup> والمنطق قسمان: تصور أي إدراك ساذج لا يصحبه حكم معين ثم تصديق أي اقتناع بأمر بعد ثبوته بالبرهان<sup>(5)</sup> فقد ناله - أي المنطق - ما نال الفلسفة في هذه الفترة من جمود واتهام وكان كل الفلاسفة السابق ذكرهم يعملون بعلم المنطق.

(1) انظر: مقالات الكوثري، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص423.

(2) ميرفت رضا أحمد: الحياة الثقافية، ص365.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص489-490.

(4) ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص4131.

(5) محمد عبدالستار نصار: السلم في علم المنطق، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1974م، ص7.

**علم الكلام:** كثرت تعريفات المتكلمين والباحثين لهذا العلم ومنها أنه ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها صاحب الملة، وتزيف كل ما خالفها بالأقويل، فهو علم يتضمن الحجج من العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المخرفين من الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد هو التوحيد<sup>(1)</sup>، ومنها أنه علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها<sup>(2)</sup> ويتضمن هذا التعريف أن المتكلم يتخذ العقائد الدينية قضايا مسلماً بها ثم يستدل عليها بأدلة العقل حتى وإن أمكن الاهتداء إلى هذه العقائد بالعقل مستقلاً عنها، أما العقائد الدينية أو أصول الدين فأهمها التوحيد والنبوة، بالأحرى الإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، وتدور هذه المسائل جميعاً حول الله ذاتاً وصفات وأفعالاً<sup>(3)</sup> وهو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسب من أدلتها اليقينية<sup>(4)</sup>. ويسمى علم الكلام بعلم التوحيد أو علم التوحيد والصفات، وسمي أيضاً علم أصول الدين لأنه يتعلق بالأحكام الأصلية أو الاعتقادية في مقابل علم الفقه الذي يتعلق بالأحكام الفرعية أو العملية، حيث كان النظر في الدين بأحكامه وعقائده يسمى فقهاً، ثم خصت الاعتقادات باسم الفقه الأكبر، وخصت العمليات باسم الفقه، وسميت مباحث الاعتقادات كما أسلفنا بعلم التوحيد والصفات، أو علم الكلام لأنهم أهم مسألة احتد فيها الجدل بين العلماء هي مسألة كلام الله وهل هو قديم أي القرآن أم مخلوق<sup>(5)</sup>. إذا تأملنا التعريفات السابقة فإنه يمكننا القول بأن علم الكلام هو العلم الذي يقوم على إثبات العقائد الدينية عن طريق الأدلة العقلية<sup>(6)</sup> ولا شك أن تعريف ابن خلدون قاصر على أداء المراد فإن هذا العلم يدخل فيه كل حجاج بالأدلة

(1) الفارابي: إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمية الانجلو المصرية، القاهرة 1986م، ص2107؛ ابنخلدون المقدمة، ص458.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص1503.

(3) أحمد محمود صبحي: في علم الكلام دراسة فلسفية لأداء الفرق الإسلامية في أصول الدين، الإسكندرية، 1978م، ص9، 10.

(4) عبد المنعم الحفني موسوعة الفرق، مطبعة الإرشاد، القاهرة، 993م، ص85.

(5) أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ص10.

(6) علي عبدالفتاح المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، 1986م، ص11.

العقلية على إثبات العقائد الدينية سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة<sup>(1)</sup> وعرفه الغزالي<sup>(2)</sup> بأنه أدراك الحقيقة الدينية إدراكاً يؤيده العقل، حتى تكون في درجة العلم الرياضي، دقة ووضوحاً". وهذا العلم يبحث في مسائل عقيدية دقيقة مثل حقائق الصفات الإلهية والقدر، والشر وأعمال العباد والحياة الآخرة وحقيقة النبوة<sup>(3)</sup> وكادت نواة علم الكلام تنشأ في حياة الرسول ﷺ ولكنه قضى عليها، ونهى أتباعه عن الخوض في مسائل الغيب، ووجههم الوجهة السليمة ومن ثم كان الصحابة والتابعون راسخي الإيمان بكتاب الله ورسوله، يتخرجون من الخوض في مثابه العقائد والسنة تحاشياً للزلل والخطأ<sup>(4)</sup>.

لكن بابتعاد عصر النبوة وموت كثير من الصحابة "رضي الله عنهم" وكثرة الفتوحات الإسلامية، واختلاط المسلمين بغيرهم من أهل العقائد الأخرى، وما ترتب عليه من إثارة هؤلاء بعض الشبهة حول العقيدة الإسلامية، اضطر علماء المسلمين إلى الرد عليهم بمثل منطقهم للدفاع عن العقيدة<sup>(5)</sup>.

وكان ذلك بدوره دوراً حتمياً في تطور العقيدة، وهو أن يستدل على الإيمان بالعقل وتحمل المعتزلة وزر الخوض عما نهى الرسول ﷺ عنه وكان طبيعياً أنهم لقوا إعراضاً من التابعين ومن الفقهاء وأهل الحديث، هكذا نشأ علم الكلام غير معترف به كعلم من علوم الدين لدى علماء المسلمين طوال عصر المعتزلة أي القرنين الثاني والثالث الهجريين، الثامن والتاسع الميلاديين، ولكن لم يحل عدم الاعتراف دون نشأة هذا العلم<sup>(6)</sup>.

(1) سليمان بن علي الغصن: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، الرياض 1413هـ، ص21.

(2) تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1978م، ص55.

(3) سليمان الغصن: المرجع السابق، ص23.

(4) سليمان الغصن، نفس، ص188.

(5) أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ص407.

(6) أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ج1، ص407.

على أنه أصبح واضحاً كل الوضوح إبان القرن الرابع للهجرة ألا مفر من بعض التسليم بما ذهب إليه المعتزلة إذ تبلبلت أفكار الناس، وأصبحت الحاجة ماسة إلى تعزيز قواعد الدين من جديد على ضوء الفلسفة الشائعة وأضلعه بهذا الأمر رجلان عالمان كان لهما الفضل في تأسيس علم الكلام، وهما أبو الحسن الأشعري<sup>(1)</sup> الشافعي من بغداد (ت 324هـ/ 935م)<sup>(2)</sup> وأبو منصور الماتريدي الحنفي من سمرقند (ت 333هـ/ 944م)<sup>(3)</sup> وقد ظهرا على أنهما مؤسسا مذهب جديد في علم الكلام، ولا على أنهما رأيي، وإنما حرصا تمام الحرص كما حرص أتباع كل منهما على أن يظهره أنه للصحابة والتابعين أو بالأحرى لأهل السنة فاستطاعوا بذلك أن يمهّدوا للاعتراف بعلم الكلام وان يجعلوا منه أحد علوم الدين، بل يحسن للعلماء الخوض فيه فأزالا بذلك الحرج عن التعرض لجليل الكلام<sup>(4)</sup>.

جدير بالذكر أنه ليس بين الأشاعرة والماتريدية خلاف إلا في بعض المسائل اليسيرة، كمفهوم الإيمان، ومعنى القضاء والقدر، وصفة السمع والبصر والكلام النفسي<sup>(5)</sup> وهي مسائل -الخلاف - لفظية ومعنوية لا توجب تبديعاً فالإمامان الأشعري والماتريدي متفقان في أصل

(1) أبو الحسن الأشعري: هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن بردة ابن موسى الأشعري، وقيل سمي الأشعري لأن والدته ولدته وهو أشعر، الأشعر من أولاد سبأ الذين كانوا باليمن ثم بعث النبي ﷺ رهطاً منهم وعلى رأسهم أبو موسى الأشعري إلى الحبشة، ونشأ الأشعري في الاعتزال ثم هداه الله إلى الحق، فقام بالدفاع عن معتقد أهل السنة فيعهد استعمال المعتزلة، مستخدماً أدلة خصومة المعتزلة لينتقص بها آراءهم وحججهم وجاء مذهب الأشعري الشافعي بمنهج وسط فلا هو أهمل العقل، ولا هو عطل النص، وإنما للنص منزلته اللاتقة به، وجعل للعقل وظيفته في إدراك النص وفهمه، انظر أبو الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود، دار المنصور، القاهرة 1977م، ص 9-11.

(2) السبكي: طبقات الشافعية، ج3، ص153.

(3) أبو منصور الماتريدي هو محمد بن محمد بن محمود السمرقندي كان من كبار العلماء، كان يقال لها لمهدي له مصنفات كثيرة منها كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب أوائل الأدلة الكعبي، وهو إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين تفقه على يد أبي بكر الجوزجاني وتفقه عليه الحكيم السمرقندي وعن مذهبه فإنه انطلق من المأثور عن أبي حنيفة في العقائد ووقف موقفاً عقلياً مبسطاً، فقام بإثبات قضايا الشرع بالأدلة العقلية وبالبراهين الدافعة، ولكنه لم يبالغ في قيمة العقل كما فعل المعتزلة، وإنما اتخذ لنفسه سبيلاً وسطاً ذلك انه يأخذ بحكم العقل فيما لا يخالف الشرع، فإذا خالف الشرع وجب الخضوع لحكم الشرع وحده، الماتريدي: شرح الفقه الأكبر، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد 1321هـ، ص5.

(4) أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ط1، ص407-408.

(5) أحمد محمود صبحي: نفسه، ص411.

عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن الخلاف بينهما في بعض المسائل لا يطعن في عقيدتها، فهي أمور فرعية تمت إلى الفروع دون الأصول، ومما لا شك فيه أن الخلاف بينهما لا يوجب الفساد، وأن الاتفاق بينهما يسود أكثر المسائل، وربما ترجع الخلافات القليلة بين الأشعري الماتريدي إلى الخلافات اللفظية بين الشافعي وأبي حنيفة في أصولها<sup>(1)</sup>.

وبعد أبو منصور الماتريدي المؤسس للاتجاه الكلامي في المذهب في بلاد ما وراء النهر وتلقى على يده الكثير من التلاميذ والأتباع، وامتدت آثاره في أنحاء عديدة من البلاد الإسلامية وانتشر مذهب الماتريدي مواكباً انتشار المذهب الحنفي، وكان على هذا المذهب جميع سكان ما وراء النهر إلى أقصى ثغور الترك ومرو وبلخ<sup>(2)</sup>.

وبما أن لكل مذهب قوة تحميه وتجعله يسود ويزدهر فقد حمى السلاجقة المذهبيين ولأنهم بدو اعتنقوا الإسلام على المذهب الحنفي، فإنهم تركوا مسائل النظر والفكر للوزراء، لذلك كان من الطبيعي أن يختلف السلاجقة من مخالفيهم في داخل الدائرة السنية باختلاف اتجاهات وزرائهم ومن ثم نستطيع أن نميز في الموقف السلجوقي من هذه الناحية بين عهدين لوزيرين مختلفين أولهما عميد الملك الكندري (الحنفي) الذي وزر لطغرل بك وكان أشهر وزراءه وكان حنفياً متعصباً<sup>(3)</sup> شديد التعصب على الشافعية وخاصة الأشاعرة، حتى أنه أمر بلعنهم على المنابر مع الراوفاض الشيعة، بعد ما سمع سيدة طغرل بك يذمهم<sup>(4)</sup> وثانيهما الوزير الشافعي نظام الملك الطوسي الذي كان شافعيّاً متعصباً أيضاً لهم ووزر لألب أرسلان وملكشاه وظلت الفتنة قائمة وعلماء الأشعرية الشافعية مشردين عن أوطانهم<sup>(5)</sup> حتى توفي طغرل بك سنة 455هـ/ 1063م

(1) جلال محمد عبدالحميد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، نشر للكتاب الأزهرية، سنة 1991م، ص 280.

(2) جلال عبدالحميد موسى: المرجع نفسه، ص 289.

(3) البنداري: آل سلجوق، ص 12؛ محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص 109.

(4) نظام الملك: سياسة نامه، ص 156؛ بروان: تاريخ الأدب، ص 218.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص 235.

وتولى ابن أخيه ألب أرسلان واتخذ نظام الملك وزيراً، فأكرم الأشاعرة وأحسن إليهم وأمر بإسقاط ذكرهم من السب وقتل الكندري وبنى المساجد والمدارس النظامية لهم<sup>(1)</sup>.

فقد دعمت الأشعرية بقوة سياسية مكنتها من إحراز الفوز النهائي على خصومها، فأخذت تزداد خطوة بالنجاح، ولا شك أن للمذاهب الفقهية دوراً رئيسياً في نشر الآراء الاعتقادية فالمذهب الأشعري قد نصره مذهبان فقيهان هما المالكية والشافعية، بينما شاعت آراء الماتريديّة على يد علماء المذهب الحنفي فحسب، ومن ثم لم ينل الماتريدي شهرة الأشعري<sup>(2)</sup> هكذا كون فكر الأشاعرة والماتريديّة مذهب أهل السنة والجماعة في أصول العقائد وعرف أتباع المذهبين بأهل السنة، وكما قدر للأشعري أن يكون له تلاميذ ومريدون ينصرون مذهبه، كذلك كان للماتريدي تلاميذه وأتباعه الذين عملوا على نصرته<sup>(3)</sup>.

ومن أعلام المدرسة الماتريديّة صدر الإسلام أبو اليسر محمد بن الحسين بن عبدالكريم البزدوي (ت493هـ/ 1100م) قاضي سمرقند، وقضى بها معظم سنين حياته، وفيها قام بنشاطه الأكبر كأستاذ ومؤلف، وفيها ألقى معظم مؤلفاته، وقام بتدريس الفقه، وعرف بأنه أقدر المساجلين، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في بلاد ما وراء النهر، وكان قد تلقى تعليمه الأولى على يد أبيه الذي لقنه تعاليم جده عبدالكريم الذي تلقاها بدوره عن أبي منصور الماتريدي ثم درس أبو اليسر على كبار علماء الحنفية وبعدها انتقل إلى أئمة آخرين<sup>(4)</sup>.

فاقت شهرة البزدوي عن طريق تلاميذه شهرته بمؤلفاته، وأشار بعلمه كل من كتبوا عنه أو عاصره وقال عمر النسفي في كتابه القند<sup>(5)</sup> "وكان شيخ أصحابنا بما وراء النهر، وكان إمام

(1) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 478؛ بروان: المرجع السابق، ص218.

(2) بلقاس الغالي: أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العلمية، تونس، 1989م، ص43.

(3) عبدالمجيد بدوي: تاريخ المذهب السني، ص111.

(4) الذهبي سير إعلام النبلاء، ج19، ص49.

(5) نفسه، ص706.

الأئمة على الإطلاق، والموفود إليه من الآفاق، ملأ المشرق والمغرب بتصانيفه في الأصول الفروع". كما كان أبو المعين ميمون بن محمد بن محمد بن مكحول النسفي (ت508هـ/1114م) من أئمة الكلام، نزيل سمرقند كان من أكبر شخصيات المدرسة الماتريديّة ممن ناصروا المذهب الماتريدي بقوة، وهو إمام فاضل جامع الأصول وعالم بارع، له مصنّفات جليّة في علم الكلام منها كتاب التمهيد لقواعد التوحيد، وكتاب تبصرة الأدلة، وكتاب العمدة في أصول الدين وكتاب بحر الكلام، قال النسفي<sup>(1)</sup> "هو أستاذي كان بسمرقند وسكن بخارى يغترف علماء الشرق والغرب من بحاره ويستضيئون بأنواره".

كذلك يعد الشيخ القاضي الإمام أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن خالد ابن زيد بن كليب الماتريدي (ت511هـ/1117م) من أئمة علماء الكلام، وهو سبط شيخ الإسلام أبي منصور الماتريدي تفقه على جده لأمه، وكان بارعاً في علم الكلام<sup>(2)</sup>.

والعلامة الإمام أبو جعفر عمر النسفي السمرقندي (ت537هـ/1142م) كان من كبار المتكلمين إماماً فاضلاً أصولياً متكلماً صاحب فنون، ألف في الحديث والفقه والتفسير والكلام، وكان متبحراً في كل علوم عصره<sup>(3)</sup> له كتاب العقائد النسفية في علم التوحيد وهو بمثابة ملخص للعقيدة الماتريديّة به ثماني وخمسون مسألة عقيدية وهو من أشهر ما وضع عن الفقه لمذهب الماتريدي<sup>(4)</sup> وأبو أحمد محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي (ت539هـ/1144م) نزيل بخارى كان إماماً فاضلاً في الفتوى والمناظرة، والأصول والأحكام<sup>(5)</sup> وأبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسن ابن الحسين بن حمزة الأسمندي السمرقندي (ت552هـ/1157م) كان من

(1) القند، ص 709.

(2) ابن أبي الوفا: الجواهر المضية، ج2، ص553.

(3) الذهبي: العير في خبر من غير، ج2، ص452؛ ابن عماد والحنبلي: شذرات الذهب، ج4، ص115.

(4) بلقاس الغالي: أبو منصور الماتريدي، ص20.

(5) السمعي: التحبير، ج2، ص84.



فحول الفقهاء وأشهر علماء الكلام البارزين ممن قاموا بنصرة الماتريدي ووضح آراءه، تتلمذ على أبي المعين النسفي وقرأ عليهم كتاب تبصرة الأدلة، وتناول في كتابه البداية في أصول الدين، أصول العقيدة الماتريدية ودافع عن مذهبه بإخلاص حينما عظم الخلاف بينه وبين الأشاعرة خاصة عندما دخل الرازي بلاد ما وراء النهر زائراً وانعقدت مناظرات بين الأشاعرة والماتريدية، ودارت المناظرات حول التكوين والبقاء والتكليف بما لا يطاق والكلام، وهي تجسيم نقاط الاختلاف بين فرعي أهل السنة<sup>(1)</sup>.

ومما سبق يتضح لنا أن الاحتكاك الفكري بين أهل السنة وبين الأشاعرة والماتريدية في مدن إقليم ما وراء النهر، كان له أثره الجلي في ازدياد الحركة العلمية نشاطاً وازدهاراً فكثرت المصنفات والمؤلفات التي وضعت في هذا العلم، مما كان له أثره الإيجابي في ازدهار الثقافة والحياة العلمية في الإقليم.

### • الغزو المغولي لإقليم ما وراء النهر:

لسنا بصدد التعريف بأصل المغول وقبائلهم، وموطنهم الأصلي فقد تكرر ذلك في عديد من المصادر والمراجع والدراسات العلمية<sup>(2)</sup> وما يعيننا هو الغزو المغولي لإقليم ما وراء النهر، وما خلفه هذا الغزو من آثار سياسية واقتصادية وانعكست بدورها على الحياة الفكرية، فالأثر السياسي تمثل في انتقال السيادة والحكم في الإقليم من الدولة الخوارزمية إلى الدولة المغولية تمثل الأثر الاقتصادي في تدمير وتخريب إقليم ما وراء النهر، وتحويله من مركز اقتصادي

(1) بلقاس الغالي: أبو منصور الماتريدي، ص21.

(2) انظر على سبيل المثال: مجهول، تاريخ عالم كبير (مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة رقم 34، تاريخ طلعت فارسي، ورقة 1-30، الجويني، جهان كشاي (تحقيق وتصحيح محمد عبدالوهاب القزويني)، ترجمة د. السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، الاوبرا، القاهرة، سنة 2007م، ص74-106، البنالي، روضة أولي الأبواب في معرفة التواريخ والأنساب، ترجمة وتعليق د. محمود عبدالكريم نشأت وآخرون، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2000م، ص371-379؛ فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، عباس إقبال: تاريخ المغول، ترجمة د. عبدالوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبوظبي، سنة 2000م، ص3-31.

مزهري إلى موضع كساد وركود، ودمار، وعلى الرغم من أهمية الجانب السياسي، والاقتصادي، وتأثير كلاً منهما على مناحي الحياة المختلفة في الإقليم، إلا أننا سنكتفي بعرض الأثر العلمي والفكري الذي خلفه الغزو على الإقليم وهذا ما سوف نوضحه بالتفصيل.

كانت مذبحه التجار المغول عام 614هـ/1217م على يد حاكم مدينة أترار (فارب أو طراز) هي السبب المباشر الذي اتخذته المغول ذريعة للغزو على إقليم ما وراء النهر الذي كان يحكمه الخوارزميين<sup>(1)</sup>.

وبدأ احتكاك المغول ببلاد ما وراء النهر بعدما استولى جنكيزخان على الصين فجاور بذلك الدولة الخوارزمية ببلاد ما وراء النهر، فعقد الطرفان فيما بينهم اتفاقاً تجارياً وعمل جنكيزخان على تأمين القوافل التجارية بإخضاع القبائل التي كانت تهاجم هذه القوافل، وتسلبهم ما معهم<sup>(2)</sup>. وفي ظل هذه الحالة من الهدوء والأمن، قام ثلاثة من التجار الخوارزميين، من سكان بخارى برحلة تجارية إلى ممالك المغول، وحملوا معهم البضائع الثمينة من الثياب الحريرية المطرزة بقطع الذهب، والملابس القطنية<sup>(3)</sup> ووصلوا إلى بلاط جنكيز خان، وعرض التاجر الأول بضاعته عليه وعندما سأله عنها طلب التاجر ثمناً مرتفعاً عن القيمة الأصلية للثياب مما أغضب الخان، فأمر حراسه بالقبض على التاجر الجشع، وسلب ما معه من بضائع<sup>(4)</sup> وعندما جاء دور التاجرين الآخرين وعرضوا ما معهما على الخان الأعظم للمغول سألهما عن الثمن فامتنعا عن تقدير ثمن لها، وقالوا: لقد أحضرنا هذه الثياب هدية باسم الخان<sup>(5)</sup> فوقع كلامهما من

(1) فؤاد الصياد: المغول، ص 49-59.

(2) الرشيد الطيب، تاريخ جنكيز خان، "تاريخ الغازاني" (مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، رقم 22880 - عربي - ورقة 14-10.

(3) الجويني: جهان كشاي، ج1، ص107؛ فؤاد الصياد: تاريخ المغول، ص102، 103.

(4) الجويني: جهان كشاي، ج1، ص107.

(5) ابن العبري: مختصر تاريخ الدول، صححه وفهرسه الأب أنطون صالحى اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1983م، ص339.

جنكيز خان موضع القبول، وأعطاهما ذهباً كثيراً مقابل كل ثوب ذهبي، وفضة مقابل كل ثوبين من القطن، ولم يقف عند هذا الحد بل استدعى زميلهما التجارين الثالث من السجن، وعفا عنه، وأعطاه ثمناً مجزياً لما كان يحمله من بضائع، وأكرم التجار الثلاثة ومنحهم هدايا قيمة<sup>(1)</sup> ولما عزم هؤلاء التجار على الرحيل، رأى جنكيز خان إرسال وفد تجاري معهم فاختر كل أمير مغولي وكل قائد واحداً أو أكثر من أتباعهم، وتكونت قافلة تجارية حملت معها البضائع المتنوعة، والأموال، ليبيعوا ويشترؤا من ممالك الخوارزميين، وصحبت هذه القافلة التجار الثلاثة إلى ممالك السلطان الخوارزمي لتتشتت حركة التبادل التجاري المتفق عليها بين الجانبين<sup>(2)</sup> وتكون الوفد المغولي من أربعمائة وخمسين رجلاً، وحملوا معهم الذهب والفضة والحريز، والأقمشة، والمسك والأحجار الكريمة<sup>(3)</sup>.

وكلف الخان أحد هؤلاء التجار بحمل رسالة خاصة إلى السلطان الخوارزمي قال فيها: "إن التجار وصلوا إلينا وقد أعدناهم إلى مأمهم سالمين غانمين، وقد سيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من طرائف تلك الأطراف، فينبغي أن يعودوا إلينا آمنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين وتتحسم مواد النفاق في ذات البين"<sup>(4)</sup> فلما وصلت القافلة إلى مدينة أترار وكان حاكمها هو إينال خان<sup>(5)</sup> وكان متعجباً مغروراً عندما وقع بصره على ما كان يحمله تجار المغول من نفائس وأموال، وطمع في أموالهم، فما كان منه إلا أن كاتب السلطان علاء الدين خوارزمشاه (596-617هـ/1199-1220م) وأدخل في روعه أن هؤلاء التجار ما هم إلا جواسيس في زي تجار،

(1) فؤاد الصياد: المغول، ص102.

(2) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص61.

(3) ابن بطوطة: الرحلة، تحقيق محمد عبدالمنعم العريان، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1996م، ص367.

(4) ابن العبري: مختصر تاريخ الدول، ص342.

(5) يدعى إينال جوق وهو ابن شقيق ترکان خاتون والدة السلطان علاء خوارزمشاه ولقب إينال دغاير خان وقيل إن رجلاً من الوفد المغولي كان يعرفه من قبل فناده باسمه الذي عرفه به "إينال جوق" وتجاهل لقب (غاير خان) ولهذا اشتد غيظه وكان ذلك من أسباب قتل التجار وسلب ما معهم بالإضافة إلى طمعه وجشعه، انظر الجوني، جهان كشان، ج1، ص108-109.

فصدقه السلطان، وطلب إليه أن يراقبهم ويأخذ منهم حذره حتى يرى فيهم رأيه<sup>(1)</sup> ولكن إينال خان قتل هؤلاء التجار واستولى على أمتعتهم وأموالهم، إلا أن شخصاً واحداً استطاع أن يفر من هذه المذبحة، ويحمل نبأ تلك الحادثة المشؤومة إلى جنكيز خان الذي اشتد غضبه<sup>(2)</sup>. وحاول جنكيز خان حسم الأمر مع الخوارزميين بطريقة سلمية، حيث أرسل إلى السلطان علاء الدين خوارزشاه سفارة مؤلفة من ثلاثة رجال من المسلمين يحملون رسالة يعترض فيها الخان بشدة على تصرف السلطان إزاء تجار المغول، ويطلب تسليم حاكم أترار ليلقى جزاءه<sup>(3)</sup> إلا أن السلطان الخوارزمي رفض هذا الاحتجاج، ورفض تسليم إينال خان بل وأمر بقتل رسول الخان أو على الأقل قتل أحدهم، فقطع ذلك كل أمل ممكن في التفاهم مع المغول، وأصبحت الحرب بين الطرفين أمراً لا مفر منه<sup>(4)</sup> وبذلك جر السلطان على نفسه وعلى العالم الإسلامي الخراب، والدمار كما قال الجويني<sup>(5)</sup>: "إن غاير خان شئت شمل العالم وشرد الخلق، فأضحوا بلا مأوى أو طعام وقطعت أوصالهم وجرت بحار كثيرة من دمائهم عوضاً عن كل قطرة دم أريققت منهم، وصار قصاص كل شعرة واحدة من رؤوسهم مئات الألوف من الرؤوس صرعى مبعثرة على مفارق الطرق، ودفع مقابل كل دينار قنطار".

ومما سبق يتضح أن التاريخ يحمل إينال والسلطان علاء الدين مسئولية دمار العالم الإسلامي على يد المغول بما أبدوه من سوء تصرف مع المغول بسبب تعجرهم وطمعهم، إلا أنه من الإنصاف ألا نحملهم المسئولية كاملة، فالغزو المغولي لأمصار العالم الإسلامي كان أمراً لا

---

(1) اختلف المؤرخون من موقف السلطان علاء الدين من هؤلاء التجار فابن الأثير يذكر أن إينال كذب على السلطان، وأن علاء الدين لم يأمر بقتل التجار، بل أمر بالحذر منهم حتى يتدبر في أمرهم وأن إينال تصرف من تلقاء نفسه وقتلهم، وقطع أعضاءهم أي أن إينال تصرف من تلقاء نفسه، انظر الكامل، ج9، ص331، إلا أن ابن بطوطة والجويني قد ذكر أن حادثة قتل التجار كانت بأمر السلطان الخوارزمي، انظر الرحلة، ص367؛ جهان كشاي، ج1، ص109.

(2) بارتولد: تركستان، ص578.

(3) فؤاد الصياد: المغول، ص82.

(4) الجويني: جهان كشاي، ج1، ص109.

(5) نفسه.

مفر منه عاجلاً أو أجلاً فأطماع جنكيز خان لم تكن لتقف عند حد، وكان الغزو المغولي سيتم في أي لحظة ولو لم تقع هذه الحادثة، فالمغول لم يكن لهم أن يكتفوا بمركزهم في آسيا الوسطى فقط، والقرائن تؤيد ذلك فكان غزوه لإقليم ما وراء النهر لا بد أن يحدث لكي يغزو الهضبة الإيرانية، ومركز الخلافة العباسية (بغداد).

وكانت مذبحه التجار في أترار ما هي إلا مبرراً وسبباً ظاهرياً مباشراً، عجل بالغزو المغولي لأقاليم ما وراء النهر، وستار لإخفاء أطماعهم ومخططهم الذي يرمون إليه، وما يؤكد ذلك هو أنه لو كانت مذبحه التجار هي السبب الوحيد للغزو لاكتفى المغول بغزو أترار وحدها وتأديب أميرها، ولكن عمل على ضم كل بلدان المشرق الإسلامي حتى بغداد والشام ومصر التي فشل في غزوها، فلا يعقل أن يكون ثمن حياة مجموعة تجار هو غزو وخراب بلدان المشرق كلها، ولكن الأغراض الكامنة داخل جنكيز خان بتكوين إمبراطورية مغولية مترامية الأطراف هو السبب الحقيقي. وضع جنكيز خان خطة محكمة لغزو الممالك الخوارزمية تتلخص في تقسيم قواته إلى أربع فرق عسكرية يرأس كلاً منها قائد<sup>(1)</sup> وحدد الخان لكل منهم وجهته التي كلف بغزوها على النحو الآتي: الفرقة الأولى بقيادة ابنه جغتاي وأوكتاي، ومهمتها فتح أترار، والفرقة الثانية بقيادة ابنه الأكبر (جوجي) ومهمته فتح البلاد الواقعة على نهر سيحون (أشروسنه - فرغانة الشاش)، أما الفرقة الثالثة فكانت بقيادة (أولاغ نويان، وسكتوم تقاي) ومهمته فتح مدينتي بناكت وخجنده ومرغيان، حيث تعدّ هذه المدن الفرغانية من أهم المنافذ على نهر سيحون<sup>(2)</sup> أما الفرقة الرابعة فتتكون من أغلب قوات المغول، وكان على رأسها جنكيز خان نفسه، كما سار معه ابنه تولوي قاصداً وسط إقليم ما وراء النهر، وخاصة بخارى<sup>(3)</sup>.

(1) عباس إقتال: تاريخ المغول، ص 64-65.

(2) فؤاد الصياد: المغول، ص 113.

(3) ابن بطوطة: الرحلة، ص 368.

وفي شهر رجب عام (616هـ/1219م) وصلت جيوش جنكيز خان، على أبواب قلعة أترار، وحاصرت المدينة خمسة شهور متواصلة<sup>(1)</sup> وأرسل السلطان الخوارزمي إمدادات إلى إينال خان، إلا أن المعركة انتهت بانتصار المغول، والقبض على إينال خان، وقام جنكيز خان بتعذيبه حيث أمر أن تصهر الفضة وسكبها في عينيه، وأذنيه حتى مات<sup>(2)</sup> وعلى أثر دخول المغول أترار (طراز) لم يبقوا على شخص واحد، وهم مدفوعون بالحقد الدفين الذي أورثته في نفوسهم حادثة مقتل التجار المغول، فكان كل من وجدوه في طريقهم جعله طعاماً لسيوفهم، كما نهبوا ممتلكات هؤلاء الضحايا، وأسروا عدداً كبيراً منهم، وضموهم إلى الجيش ثم أسرعوا للحاق بجيش جنكيز خان الذي كان مشغولاً بفتح المناطق الوسطى من إقليم ما وراء النهر<sup>(3)</sup> واستطاعت المجموعة الثانية الاستيلاء على مدينة خجندة<sup>(4)</sup> التي تركها جنود السلطان علاء الدين خوارزمشاه وهربوا، وتركوا أمر الدفاع عنها لسكانها الذين لم يستطيعوا الصمود في وجه المغول، وسقطت المدينة في أيديهم<sup>(5)</sup>. ورغم ما بذله السلطان ومن جاء بعده من سلاطين الخوارزميين في مواجهة المغول إلا أنهم استولوا على كاشغر ومقاطعة قولجة<sup>(6)</sup> وسقط إقليم فرغانة بكامله على يد المجموعة الثالثة وهي اتجهت لغزو إقليم فرغانة الذي بدأ عام (616هـ/1219م) بفتح بناكت<sup>(7)</sup> حيث توجه "اولاغ نويان، وسكنوا تقاي مع خمسة آلاف رجل إلى بناكت، وكان أميرها إيتلكو ملك) ومعه جيش كبير واشتبك الطرفان ثلاثة أيام متواصلة لم يحرز المغول فيها أي تقدم، حتى حسم القتال في اليوم الرابع بانتصار المغول، وطلب أهل بناكت الأمان، وخرجوا مستسلمين، إلا أن المغول

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص1990.

(2) فؤاد الصياد: المغول، ص114.

(3) فؤاد الصياد: المغول، ص114.

(4) جند: بالفتح ثم السكون، ودال مهمة، اسم مدينة عظيمة في بلاد التركستان، بينها وبين خوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك مما وراء النهر قريب من نهر سيحون، ياقوت معجم البلدان، ج2، ص168.

(5) فؤاد الصياد: المغول، ص115.

(6) بارتولد: تركستان، ص573.

(7) القرمانى: أخبار الدول وآثار الدول، دار السداد بغداد، د.ت، ص284-285.

غدروا بهم، وقتلوا جميع الجنود، وقسموا أرياب الحرف إلى عشرات، ومئات وعينوهم لخدمتهم، ثم أخذوا الشباب وضموهم إلى الجيش الأمامي<sup>(1)</sup> وتوجهوا بعدها إلى خجندة، وكان ملكها هو (تيمور ملك) الذي كان يتصف بالجرأة والشجاعة فترك المدينة لسهولة غزوها، وتحصن مع فرقته التي كان يحارب بها في القلعة الموجودة خارج المدينة في منطقة نائية وهي عبارة مجموعة من الجزر المحاطة بالماء من كل جانب، واستمر الدفاع عن المدينة من قلعته التي كانت بعيدة عن سهام المغول ورماحهم، بالقرب من خجندة، وظل يحارب المغول بفرقته الصغيرة البالغ عددها ألفاً جندي وقد وصل عدد قوات المغول إلى خمسين ألفاً من الأسرى من البلاد المفتوحة كخجندة وأترار وعشرين ألفاً من المغول، وظل تيمور صامداً أمام المغول الذين حاولوا الوصول بطرق شتى، فأحضروا الأحجار من الجبال المجاورة، وألقوها في النهر لينشئوا طريقاً يوصلهم إلى القلعة، إلا أن تيمور ملك كان يفسد خططهم، إذ كان يرسل سفنه كل يوم للإغارة على المغول الذين يعملون في هذا الطريق، واستطاع بتلك الحيلة صد أعداءه، فضلاً عن الضربات الشديدة التي كان ينزلها بالمغول<sup>(2)</sup> إلا أن الأسلحة، والجنود بدؤوا في النفاذ، وفي المقابل كانت الإمدادات العسكرية تتواصل للمغول، مما أدى إلى قتل كثير من الناس، ولم يبق مع تيمور الملك إلا ثلاثة رماح كان أحدها بلا أسنان ففقاً عين مغولي كان قريباً منه ثم أمر مرافقيه بالمغادرة لينجوا بنفسهما، واستقل زورقاً صغيراً، واتجه إلى بناكت، ومنها إلى جند<sup>(3)</sup> فحشد له المغول قوات كبيرة، وسدوا عليه نهر سيحون بقنطرة من السفن فترك النهر، وتوجه للساحل، وامتنى جواده وأخذ يقاتل حتى وصل إلى خوارزم، ومن هناك التحق بالسلطان الخوارزمي في

---

(1) عبدالسلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة 1981م، ص 66-67.

(2) الجويني: جهان كشاي، ج1، ص 118-121.

(3) ابن بطوطة: الرحلة، ص 368، عبدالسلام فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص 115.

خوارزم<sup>(1)</sup> وهكذا سقطت خجندة في أيدي المغول وتبعها مرغنيان، وما إن جاء عام 618هـ/1221م إلا وكان إقليم فرغانة بكل مدنه وقراه تحت السيطرة المغولية<sup>(2)</sup>.

ثم قامت المجموعة الربعة بغزو إقليم الصغد بكل مدنه بخارى وسمرقند ونسف وبيكند وغيرها<sup>(3)</sup> ثم تم غزو إقليم خوارزم سنة 617هـ/1220م بعد أن ثقت المغول السود للاستيلاء على أركنج بعد أن حاصرتها خمسة أشهر فغمرت مياه جيحون وفروعه هذه المدينة ومنذ ذلك الحين أخذت مياهها تجري من شرق هذه المدينة في غير مجاريها الأولى<sup>(4)</sup> ولقد عمت المياه سطح البلاد كلها<sup>(5)</sup>.

وهكذا سقطت كل أقاليم ما وراء النهر تحت جحافل المغول، ولم تكن مذبحه التجار في أترار إلا شماعة علق عليها جنكيز خان كل غزواته للإقليم، فهذه الحادثة ما هي إلا الشرارة التي عجلت باشتعال الأغراض الكامنة بقلب جنكيز خان وهي تكوين إمبراطوريته المترامية الأطراف.

### أثر الغزو المغولي على الحياة الفكرية لإقليم ما وراء النهر:

لم يكن الغزو لإقليم ما وراء النهر مجرد غزواً عسكرياً فحسب، بل كان غزواً فكرياً، قضى على معالم الفكر، والعلم في الإقليم الذي كان من الحواضر الإسلامية خرج منه علماء في كافة العلوم العقلية والنقلية وقد أصبح خراب، ودمار فخرت كل مدن الإقليم وأصبحت خاوية على

---

(1) رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ، ترجمة فؤاد الصياد، وآخرون الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2000م، ج2، ص256-358، ومكث تيمور ملك الشام فترة طويلة إلى أن انتهت العمليات العسكرية وحن للعودة لفرغانة، فعاد إليها ومكث بها بضع سنوات، ثم اتجه بعدها إلى بلده خجندة ليرى ابنه الذي تركه رضيعاً، قد كبر فأعطاه المغول أقطاعات، كما سلموا إليه أملاك أبيه ومقتنياته، وتعرف إليه ابنه بصعوبة بعد أن قدم من العلامات والشواهد ما يدل على ذلك، واضحه، واتجه إلى بلاط الحاكم المغولي لكي يطلب منه السماح بالإقامة مع ابنه، وفي طريقه تعرف عليه الأمير المغولي الذي كان قد فقاً تيمور عينه من قبل، فلما رأى المغولي قام بقتله على الفور وهكذا انتهت حياة هذا الملك الشجاع، الهمداني: جامع التواريخ، ج1، ص358.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج1، ص339-346؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج2، ص192-195.

(3) عبدالسلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية، ص70-71.

(4) لي لسترنج: بلدان الخلافة، ص499.

(5) ياقوت: معجم البلدان، ص462.



عروشها، وقد عبر عن ذلك ابن الأثير<sup>(1)</sup> الذي شاهد هذه الحوادث، ووصف ما تعرض له المسلمون في الأقاليم الإسلامية من أثر الغزو المغولي بقوله (لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم رجلاً وأواخر أخرى فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك يا ليت أُمي لم تلدني قبل هذا، وكنت نسياً منسياً، إلى أن حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً فنقول هذا العمل، يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى من آدم إلى الآن لم يصب بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقربها ولا ما يذانيها).

كما لخص ابن كثير<sup>(2)</sup> ما فعله المغول بقوله (وبالجملة فلم يدخلوا بلداً إلا وقتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال، وكثيراً من النساء والأطفال، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه، وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه حتى أنهم كانوا يجمعون الحرير الكثير الذي يعجزون عن حمله، فيطلقون فيه النار فيحترق وهم ينظرون إليه، ويخربون المنازل، وما عجزوا عن تخريبه أحرقوه، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع وكانوا يأخذون الأسرى من المسلمين فيقاتلون بهم، ويحاصرون بهم، وإن لم ينفعوا في القتال قتلوهم".

وشهدت مدن إقليم ما وراء النهر وقراه آثاراً كبيرة من الغزو المغولي ومن هذه الآثار تدمير المراكز، والمؤسسات العلمية كالكتاتيب، والمساجد، والمدارس والبيمارستانات والأربطة والزوايا وغيرها، وقتلوا وأسروا العلماء، ودمروا النتاج العلمي الذي كان نتاج قرون طويلة كما مر بنا.

(1) الكامل، ج10، ص332-339.

(2) البداية والنهاية، ج12، ص1992.

كما شهد الإقليم آثاراً مدوية من أثر الغزو المغولي لم يسبق له مثيل من قبل، فأول ما فعلوه بعد دخولهم الإقليم - بمدنه وقراه - دخلوا المساجد بخيولهم<sup>(1)</sup> تلك المساجد التي كانت من أهم المؤسسات العلمية آنذاك، وجلسوا على منابر الصلاة وأماكن العبادة والدروس يشربون الخمر، ويستمعون للغناء والرقص، وألقوا بالكتب والمصاحف الموجودة بالمساجد في الفناء وتداننت حوافر خيولهم، وجعلوا من صناديق، وخزائن الكتب والمصاحف موضعاً لعلف خيولهم<sup>(2)</sup>.

كما هدموا كثيراً من المساجد الأخرى وأشعلوا النيران في المدارس، والربط والزوايا ومنازل العلماء، وضربوا الأراضي الزراعية التي كانت أكثرها توقف للإنفاق على مراكز العلم ومؤسساته، فخجندة التي كانت يوماً ما من أزهى الحواضر الإسلامية بمؤسساتها العلمية وعلمائها، كما ازدهرت بها مساجد للتعليم، ومدارس، وكتاتيب، وربط وزوايا وبیمارستانات وغيرها من المؤسسات<sup>(3)</sup> وخربت أخسيكث التي اتخذها حفيد حنكيز خان أنمتاي (أقطاي) قصبه فرغانة<sup>(4)</sup> وخربت سمرقند بمساجدها ومدارسها وملاحها العلمية: وكذلك بخارى التي سقطت سنة 1220م<sup>(5)</sup> وفي طريقهم من بخارى إلى سمرقند ساق المغول معهم أعداداً كبيرة من الأسرى المسلمين والذين كانت نهايتهم مأساوية من العلماء والزهاد وكان القتل نصيب كل من أعياه السير معهم<sup>(6)</sup> ولم يقف هذا الجمع الغفير من الأدميين عند حد الأسر من أهل المدن وحدهم بل تجاوزهم بلا ريب إلى بلاد الريف كذلك<sup>(7)</sup> وعلى مدى المدن التي مر بها المغول فإنهم كانوا

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص1992.

(2) القرطبي: آثار الدول، ص284-285.

(3) عباس إقبال: المغول، ص116.

(4) لسترنج: بلدان الخلافة، ص911.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج12، ص239.

(6) ابن الأثير نفسه.

(7) بارتولد: تركستان، ص585.

يسوقون الفلاحين قسراً من القرى المجاورة للعمل في الحصاد<sup>(1)</sup> مما أدى إلى تخریب الأراضي الزراعية وبوارها.

وبسمرقند قام المغول المحاصرون بمذبحة شنيعة بلغت خسائر سكانها منها سبعين ألف قتيل<sup>(2)</sup> وكالعادة فقد تم إجلاء الأهالي عن مدينتهم في بخارى وسمرقند التي استسلمت للنهب، وقتل الآلاف من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء رغم لجوئهم إلى الجامع ولكنهم قتلوا جميعاً ومعهم جميع قوادهم ومن بينهم طغاي خان حاكم بخارى<sup>(3)</sup> وجمع المغول ثلاثين ألفاً يمثلون أرباب الصناعات والحرف ضموا إلى بناء جنكيز خان وأهل بيته كما أن عدداً يقرب من ذلك سيق إلى العمل في الحصار<sup>(4)</sup> وأصبحت سمرقند تضم ربع سكانها الذين كانوا بها في الماضي<sup>(5)</sup> يقول ابن الأثير<sup>(6)</sup>: "لم يتعرضوا في سيرهم لشيء لا بنهب وقتل بل يجدون السير في طلبه ولا يمهلونهم". ودمر المغول كل معلم علمي في الإقليم إما بالهدم أو الحرق، أو السلب أو النهب، أو الإغراق بفتح قنوات المياه من فروع الأنهار الكبيرة التي تتخلل المدن والقرى داخل الإقليم<sup>(7)</sup> تلك الأنهار التي كانت من قبل أحد أسباب نهضة الحياة الفكرية بها حيث إنها ربطت المدن بعضها ببعض وسهلت حركة انتقال طلاب العلم، وعلمائهم من مدينة إلى أخرى، وأصبحت بعد ذلك من وسائل الدمار التي استخدمها المغول في إغراق المراكز العلمية بما فيها من نتاج علمي تزكم بجهود علماء الإقليم<sup>(8)</sup> والحرير الذي كان من أسباب الازدهار الاقتصادي

(1) ابن الأثير: الكامل، ج12، ص239-240.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج12، ص341.

(3) القلقشندی: صبح الأعشى، ج4، ص311.

(4) بارتولد: تركستان، ص588.

(5) الجويني: جهان كشاي، ك2، ص66-70.

(6) الكامل، ج12، ص241.

(7) لسترنج: بلدان الخلافة، ص522.

(8) حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر، بيروت، د ت، ص144.

بالإقليم أصبح شعلة نار تستخدم لإحراق الكتب، والمؤسسات العلمية بأكملها<sup>(1)</sup> ومرغينان التي اشتهرت بكثرة علمائها الذين أسهموا في البناء الفكري والحضاري لذلك الإقليم وغيرها من المدن التي كثر بها المؤسسات العلمية أصبحت خاوية على عروشها، وامتلأت الأنهار بالدماء، وأحرقت الكثير من مساجد الإقليم، وضاعت كثير من كنوز التراث الإسلامي لاسيما وأن المغول عبثوا عمداً بالمؤلفات العلمية لافتقارهم إلى الحضارة والثقافة وعدم معرفتهم قيمة هذه المؤلفات، وقيمة ما فيها من علم، أو أدب، أو شعر<sup>(2)</sup> وقيل إنهم بنوا بها جسراً من الطين والماء بدلاً من الآجر<sup>(3)</sup> وحلت المجاعة بأهل إقليم ما وراء النهر من أثر الغزو المغولي، مما دفع كثير من العلماء - ممن نجوا من بطش المغول ونالوا العفو - إلى بيع ما سلم من كتبهم لإطعام أولادهم، ونتج عن ذلك أن انتشرت كتب مكاتب الإقليم التي بقيت مع غيرها من المدن التي لم تسلم هي الأخرى من غدر المغول<sup>(4)</sup>.

ومن أمثلة الدمار التي ألحقها المغول أيضاً، أنهم حولوا معظم الأريطة التي كانت مؤسسات علمية زاهرة، إلى إسطبلات لخيولهم، ودمروا آلاف المجلدات، والمخطوطات والكتب النفيسة التي انكب علماء الإقليم على تأليفها، وترجمتها، وتجليدها، وتهذيبها لسنوات طوال<sup>(5)</sup>.

ومما زاد الأمر سوء أنهم قاموا بتدمير حوانيت الوراقين ونهبها بما أثر بشكل مباشر على صناعة الورق، وضربوا القصور التي كانت تعقد بها المجالس العلمية والمناظرات<sup>(6)</sup> كما احتلوا القلاع ونهبوها، تلك القلاع التي احتوت على عديد من المكتبات العلمية والتي انكب فيها طلبة العلم على الكتب والتأليف والمراجعة والدرس يقرؤون فيها، ويستفيدون منها، ويضيفون إليها، بل

(1) الجويني، جهان كشاي، ج1، ص 122-123.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج12، ص231؛ عبدالسلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية، ص135.

(3) الهماني: جامع التواريخ، ج1، ص 260.

(4) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص116.

(5) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص116.

(6) البناتكي: روضة أولي الأكباب، ص412-413.

إنهم قاموا بتخريب القرى العامرة<sup>(1)</sup> ولم يكن الغزو المغولي لإقليم ما وراء النهر مجرد غزو دولة لدولة، بل غزو حضارة لحضارة حضارة بربرية متخلفة وحشية، لا تعرف إلا الدمار والخراب، تحول الأخضر إلى اليبس في لحظات، وتعكر صفو مياه الأنهار بالدماء دون حساب لا تعرف معنى حضارة أو علم أو ثقافة، غزت حضارة وصلت إلى درجات متقدمة للغاية في كافة المجالات العلمية والفكرية، وأثرت في بلدان المشرق الإسلامي كله، وأصبحت مقصداً للطلاب والعلماء والتجارة، كل ذلك ذهب وأصبح أطلالاً، ونال الإقليم كله كما نالت خوارزم وخراسان والعراق والشام المصير نفسه لو لا أن الله قيض للمسلمين أبطالاً عظماء في مصر المملوكية وهم المماليك بقيادة السلطان قطز والذي هزمهم وأوقف زحفهم في معركة عين جالوت الشهيرة<sup>(2)</sup>.

ولم يكن لوحشية المغول من حد، فقد قاموا بقتل العلماء، والزهاد، والعباد<sup>(3)</sup> كما قاموا بأفعال شنيعة<sup>(4)</sup>، وما يهمننا هو موقفهم من العلماء والمشايخ والفقهاء فقد تعمدوا أهانتهم، وتعذيبهم مختلف أنواع العذاب والذل<sup>(5)</sup> حتى إنهم كانوا يربطون هؤلاء العلماء والكبراء بحبال ويعلقونها بأرجل الخيل التي تجرهم دفعاً على الأرض فأصبح أعزة القوم أذلة على يد هؤلاء المغول<sup>(6)</sup> وممن قتل على أيدي هؤلاء الكفرة المغول من علماء المسلمين الفقيه الكبير عبدالله بن أبي بكر الفرغاني المرغيناني<sup>(7)</sup> وهو من أكابر فقهاء الحنفية، وله تصانيف كثيرة منها

---

(1) لسترنج: بلدان الخلافة، ص 521.

(2) عنها انظر: سعيد عاشور: العصر المماليكي، دار النهضة المصرية، 1981، ص 151-165.

(3) أبو الفداء: المختصر، ج 2، ص 127، 128.

(4) رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ، ج 1، ص 256.

(5) القرمانى: أخبار الدول، ص 285-286.

(6) البناكتي: روضة أولي الألباب، ص 405؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص 116-117.

(7) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج 2، ص 543.

(زخيرة الفتاوى"، وهو خمسة أجزاء والمحيط البرهاني في الفقه) أربع مجلدات، و(تنمة الفتاوى) و(الواقعات) والطريقة البرهانية" (وشرح الجامع الصغير للشيباني) و"التجريد"<sup>(1)</sup>.

ومنهم الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الفقيه الحنفي ولد بكاسان إحدى مدن فرغانة ثم انتقل إلى بخارى وكانت زوجته فاطمة فقيهة<sup>(2)</sup>.

والإمام الحنفي الكبير أبو بكر عبدالله بن علي صاحب الفرغاني المرغيناني توفي بعد 1203م/600هـ على يد المغول قال عنه أبو الوفا<sup>(3)</sup> وكان من أفراد الدهر، ونوادير العصر كامل الصفات بعيد المثل قل أن تلد النساء مثله.

وهناك الآلاف من علماء ما وراء النهر الذين قتلوا على أيدي المغول إلا أن المصادر المتاحة لدينا اكتفت بذكر مقتلهم جملة دون تفصيل لأسمائهم إلا بالنذر اليسير.

مما سبق يتضح لنا أن عنف المغول كان شديداً مع البلاد التي كانوا يغزونها، ولقي علماء الإقليم نوعاً آخر من العذاب، إذا نجوا من القتل، وهو إجبارهم على مغادرة البلد متجردين من مالهم، وكتبهم، وأحياناً أولادهم وزوجاتهم أو هروبهم سراً إذا غفلت عنهم أعين المغول<sup>(4)</sup> ولكن لحظهم العاسر كانوا يهربون من الموت إلى الموت فنظراً لحملات المغول المتلاحقة والتي كانت في وقت واحد على أقاليم عدة فإن هربوا من المغول في فرغانة وذهبوا إلى بخارى يجدونهم هناك فيحل بهم العذاب الذي هربوا منه في فرغانة<sup>(5)</sup> كما أسر المغول بعض العلماء، فاختاروا منهم أصحاب الحرف فوجهوهم إلى ما يتقنوه ليستفيدوا منهم في الأعمال الحرفية لخدمتهم ومن

(1) ابن أبي الوفا: الجواهر المضية، ج4، ص411؛ عمر رضي كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص796.

(2) النقي الغزي: الطبقات السنوية في تراجم الحنفية، تحقيق عبدالفتاح الحلو، دار الراجعي، الرياض، 1983م، ج3، ص243.

(3) الجواهر المعنية، ج2، ص324.

(4) بارتولد: تركستان، ص278، 279؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص124، 125.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج12، ص531، 532.

وجدوه صاحب مال وأملاك جردوه من كل ما يملك<sup>(1)</sup> ومن لديه الصحة والقدرة وجهوه إلى الجيش المغولي لمشاركة في فتح الأقاليم الأخرى رغماً عنهم، والشباب من طلبة العلم ذهب أكثرهم بين قتيل وجريح، وأسير، وجندي في الجيش المغولي، بعض علماء الإقليم نالوا العفو من المغول والسماح لهم بالإقامة في بلدانهم أو الانتقال إلى البلد الذي يريدون الانتقال إليه<sup>(2)</sup>، ومن أمثلة هؤلاء شيخ الإسلام زكريا بن محمد الملتاني القرشي الأسد الذي ولد بالملتان بالهند، وسافر إلى بخارى وسمرقند وكان ينفق على أهل العلم من ماله الخاص (ت617هـ/1220م)<sup>(3)</sup>، وانتهى الغزو المغولي لبلاد ما وراء النهر بسقوط الدولة الخوارزمية وقتل السلطان جلال الدين منكبرني (617-628هـ/1220-1230)<sup>(4)</sup>.

**خلاصة القول** فإن الغزو المغولي لإقليم ما وراء النهر كان من أكبر العوامل التي قضت على تراث حضاري تكون على مدار قرون طويلة فحول المراكز العلمية، والنتاج العلمي إلى بقايا مدمرة يبحث عن أخبارهم بين ثنايا (المؤلفات) الأخرى، التي اعتمدت على النتاج العلمي للإقليم، وانعكست آثار هذا الغزو على جميع مجالات الحياة في إقليم ما وراء النهر، ولكن سبحانه الله لقد أسلم المغول بعد هزيمتهم في عين جالوت، ودافعوا عن الإسلام بشدة وكونوا ممالك لهم في فارس وإيران والهند.

(1) القرطبي: أخبار الدول، ص286.

(2) الجويني: جهان كشاي، ج1، ص123.

(3) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص381، 386.

(4) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص386.

## الخاتمة



وبعد فقد توصلت إلى نتائج عدّة وتوصيات كان من أهمها:

- أوضحت الدراسة أهمية موقع بلا ما وراء النهر والإطار الجغرافي للإقليم والتي تنقسم إلى ستة إقليم هي إقليم خوارزم، وإقليم الصغد، وإقليم الختل والصغانيان، ثم إقليم أشروسنه وإقليم فرغانة ثم إقليم الشاش.
- أشارت الدراسة أن هذه البلاد سميت ببلاد ما وراء النهر، أو بلاد التركستان (موطن الأتراك) أو آسيا الوسطى وهي المنطقة الخصبة المحصورة بين نهري جيحون (أموداريا) وسيحون (سيرديا).
- أبرزت الدراسة أهم المدن والقرى التي كان تتكون منها أقاليم ما وراء النهر وحددت موقع كل إقليم وغناه وثرواته وحواضره، وأحواله السياسية والدينية قبل الإسلام وبعده.
- أشارت الدراسة إلى أحوال إقليم بلاد ما وراء النهر التاريخية قبيل الإسلام والذي قامت فيه عدة ممالك تركية مثل مملكة طخارستان، وصغانيان، ومملكة الصغد، ومملكة خوارزم ثم مملكة أشروسنه التي لم تكن لها حدود ثابتة وكانت الحروب دائمة بين هذه الممالك.
- أوضحت الدراسة أن بلاد ما وراء النهر تسمى تركستان الغربية وهي تمثل الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى وهي أوزبكستان، وطاجكستان، تركمنستان، وجمهورية قيرغيزيا وأفغانستان وهي التي تجاور سيبيريا وإيران والهند وأفغانستان.
- أشارت الدراسة إلى الصراع القبلي الذي زاد قبيل الفتح العربي الإسلامي لهذه البلاد بين العامة وطبقة الدهاقين، كما وجدت بهذه البلاد دولتان قويتان للأتراك انفصل أتراكه الشرقيون عن الغربيين.
- أبرزت الدراسة الأحوال الدينية لإقليم ما وراء النهر حيث عبد الأتراك الطبيعة بما فيها ودخلوا في العقائد التي جلبوها من جيرانهم كالزرداشية والبوذية، والمانوية ثم اليهودية

والمسيحية كما عبدوا السماء والأرض مما دفع العرب المسلمين لفتحها وعبادة الله الواحد الأحد.

- أكدت الدراسة على أن فتح خراسان كان البوابة الثغرية التي انطلقت فيها الفتوحات الإسلامية إلى بلاد ما وراء النهر.
- أوضحت الدراسة جهود بني أمية في فتح إقليم ما وراء النهر ومن قبلهم الخلفاء الراشدون وهو ما يسمى بالفتح غير المستقر للإقليم فقد كان العرب يدخلونه ثم يعودون مرة أخرى بسبب البرد القارص وهجمات الأتراك.
- أشارت الدراسة إلى أن الفتح المنظم لإقليم ما وراء النهر بدأ على يد القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي سنة 86هـ/ 705م واستمر لعشر سنوات استطاع فيها قتيبة فتح الإقليم كله حتى وصل إلى حدود الصين.
- أوضحت الدراسة مجهودات قتيبة بن مسلم في نشر الإسلام واللغة العربية بين الأتراك والتي كانت سبباً في ازدهار الحياة العلمية في الإقليم.
- خلصت الدراسة إلى جهود بني أمية في تثبيت الإسلام واستكمال الفتوحات في الإقليم فحاضوا معركة السيادة العربية والدفاع عن المكاسب التي أحرزها قتيبة ابن مسلم في بلاد ما وراء النهر كلها والتمكين للنفوذ الإسلامي في هذه البلاد.
- أشارت الدراسة إلى جهود العباسيين في الإقليم حيث كان الإقليم مركزاً من مراكز الدعوة العباسية حيث اهتم بها كل خلفاء العصر العباسي الأول.
- أثبتت الدراسة أن الضعف، والانقسام السياسي من الضروري أن يصحبه انحطاط فكري بدليل أن ضعف الخلافة العباسية، وانقسام الدولة إلى دويلات مستقلة كان من أكبر

العوامل في النهضة الفكرية للإقليم وذلك لقيام كل دولة مستقلة باجتذاب العلماء، وتشجيعهم للمفاخرة على الدويلات الأخرى.

• أوضحت الدراسة أن كور ومدن وقرى إقليم ما وراء النهر كانت مراكز علمية كإقليم خوارزم ومدنه الجرجانية وكاث، وإقليم الصغد ومدنه بخارى وسمرقند وكش ونسف وبيكند وغيرها وإقليم أشروسنه ومدنه مثل بنجكث، وبيجكث، وزامين، وساباط، وإقليم فرغانة ومدنه كأخسيكث وخجندة، واوش، وقيا، وإقليم الشاش ومدنه مثل بنجكث وبخاكث، وخرشكث وغيرها ثم إقليم الختل والصغانيان، حيث اهتم سلاطين السلاجقة والخوارزميين ببناء المساجد والمدارس، والزوايا، والربط، ونظموا الأسواق التي كثيراً ما عقدت فيها حلقات العلم.

• أشار البحث إلى ثراء إقليم بلاد ما وراء النهر اقتصادياً فهو من أنزه أقاليم الأرض وأخصبها وأوسعها خيراً، مما ساعد على غناه وثرأه الأمر الذي أدى إلى نهضة فكرية كبيرة في الإقليم.

• أوضح البحث دور سلاطين ووزراء كل من سلاطين السلاجقة والخوارزميين في تشجيع العلم والعلماء، وحرصهم على استقطاب هؤلاء العلماء، ووقف الأوقاف على مؤسساتهم العلمية مما أدى إلى ازدهار الحياة العلمية في الإقليم.

• أثار البحث مجموعة من المشكلات المتضاربة خاصة فيما يتعلق بأهمهم كان أكثر دوراً في التأثير في الحياة الفكرية، اللغة العربية - كلغة جديدة فرضتها الظروف السياسية، أم الشعوبية التي تمثلت في اعتزاز القوميات التركية والفارسية بلغاتهم الأصلية ومحاولة النهوض بها وإحيائها في مواجهة التعريب.

- أثبتت الدراسة أن اللغة العربية قد تغلغت في المجتمع التركي على الرغم من أن تعريب الإقليم لم يكن تعريباً تاماً، وعلى الرغم من أن بقاء الترك في الحكم الداخلي للإقليم كالسلاجقة والخوارزميين، إلا أن اللغة العربية أثبتت وجودها، ويتضح ذلك من الكم الهائل من المؤلفات العلمية لعلماء الإقليم التي صبغته بلغة عربية صحيحة، وصبغته بالصبغة الإسلامية أيضاً، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تحقيق نوع من التعايش، وتوحيد الثقافة كرد فعل للظروف السياسية للإقليم.
- كما أوضحت الدراسة أن الصراع المذهبي السني - السني، والسني الشيعي كان من أكبر عوامل ازدهار الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر، فقد أدى إلى نشاط علمي كبير تمثل في أن فقهاء كل مذهب، وفرقه صنفوا الكتب، وعملوا جاهدين على نشر مذهبهم وآرائهم عن طريق التأليف والمناظرة، بل إنهم أنشأوا مدارس لخدمة مذاهبهم الفقهية كما فعل نظام الملك الطوسي عندما بنى المدارس النظامية من أجل خدمة المذهب الشافعي وخاصة الأشعري.
- أشارت الدراسة إلى أن الرحلات العلمية كان لها أثر كبير في ازدهار الحياة العلمية إلى جانب الأوقاف التي أوقفها سلاطين السلاجقة والخوارزميين على طلاب العلم ومؤسساته إلى جانب الأوقاف الأهلية.
- خلصت الدراسة إلى أن كل كور ومدن إقليم ما وراء النهر لم تخل من مؤسسة علمية كالكتاتيب، والمساجد، ولم تخل واحدة منها من علماء في الحديث، أو الفقه، أو التفسير أو النحو، أو اللغة....، وغيرها من المدن.

- أشارت الدراسة إلى أن المدارس النظامية التي بناها نظام الملك كان لها تأثير كبير في الحياة العلمية في الإقليم فقد قصدها طلاب العلم وتعلموا بها ونال علماء ما وراء النهر مكانة كبيرة بالتدريس فيها خاصة الشافعية.
- أثبتت الدراسة أن علماء إقليم ما وراء النهر لم يبخلوا بعلمهم على غيرهم فقد ارتحلوا يعلمون غيرهم في البلدان الإسلامية الأخرى، ويتعلمون منهم فيفيدونهم ويستفيدون فكانوا رحالة في طلب العلم لم تعوقهم حدود أو رسوم.
- أثبتت الدراسة إن إقليم ما وراء النهر كانت به الكثير من المؤسسات التعليمية وخاصة المساجد التي كثر بناؤها في مدنه وقراه، والتي أسهمت بدور كبير في النهضة العلمية بالتدريس فيها كما كان للربط والزوايا والخوانق، والبيمارستانات، والمكتبات الأثر الأهم في نهضة الإقليم التعليمية.
- أثبتت الدراسة أن النتاج العلمي لعلماء إقليم ما وراء النهر كان عظيماً في مجال العلوم النقلية عنه في العلوم التطبيقية، فمن الطبيعي في بلد إسلامي جديد أن يكون كل الاهتمام منصباً على علوم هذا الدين الحنيف، للتعرف عليه، وفهمه فهماً صحيحاً، حتى يتقنوها ثم يتوجهوا إلى العلوم العقلية التي تحتاج إلى الإبداع والإتقان.
- أفادت الدراسة إلى أن أكثر علماء ما وراء النهر قد اتجهوا في رحلاتهم العلمية إلى الحواضر الإسلامية في ذلك الوقت كمرو ونيسابور وبغداد، وبلاد العراق والشام ومصر، حيث إن هذه الحواضر قد مثلت مراكز علمية كبيرة، وسابقة على إقليم ما وراء النهر في التقدم الفكري لقربها من حواضر حكم السلاطين، وكثرة المدارس بها، وخاصة النظامية.

- خلصت الدراسة إلى أن إقليم ما وراء النهر قد تميز بشخصية مستقلة في مجال الدراسات الشرعية والدراسات اللغوية والنحوية، ولذلك انكب عليه علماء البلاد الأخرى، ليأخذوا من علومه التي يبرع فيها علماءه.
- كما أوضحت الدراسة إلى أن علماء إقليم ما وراء النهر قد تميّزوا بكثرة الرحلة في طلب العلم فلا تكاد تجد عالماً من علمائها إلا وخرج لطلب العلم، وما ذلك إلا سمة علماء ذلك العصر في المشرق والمغرب الإسلامي.
- كما أكدت الدراسة على اهتمام علماء إقليم ما وراء النهر بالرواية المسندة في الدراسات الشرعية، وتحروا في رواية الحديث خوفاً من الكذب على رسول الله ﷺ كما اهتموا بالفتوى فنجد أن أغلب فقهاءها جلسوا للفتوى والمناظرة، وكانت مساجد الإقليم مليئة بتلك المجالس.
- كما أثبتت الدراسة أن علماء إقليم ما وراء النهر برعوا في علوم عديدة دون تخصص في علم معين فنجد أحدهم عالماً بالقراءات، والنحو، واللغة، والأدب في آن، وآخر فقيهاً، ومحدثاً، وطبيباً، وشاعراً، وفيلسوفاً، وهذا يدل على ثراء العقل في هذا الإقليم، وحبه للعلم، والصبر، والمثابرة على طلبه وتحصيله، وبذل كل غال وقيم في مقابل الاستزادة من العلم والإنتاج الفكري، وما ذلك إلا سمة علماء هذا العصر بوجه عام.
- وخلصت الدراسة إلى أن المراسلات بين علماء إقليم ما وراء النهر وعلماء البلدان الأخرى خاصة خراسان، والعراق، والأندلس، ومصر، كانت تمثل جانباً من جوانب الحركة الفكرية في الإقليم.
- أكد البحث بزوغ نجم العلوم النقلية في إقليم ما وراء النهر، وتخصص علماءه في فروعها كافة وشهدت نهضة فكرية كبيرة إلا أن اجتهاداتهم لم تخرج عن المؤلف في المجال المتاح لديهم فقد حرصوا على الإمام بقراءات القرآن الكريم المعروفة آنذاك وتدرسيها،

والتأويل في التفسير كلاً وفق مذهبه وأرائه الفقهية، والإسناد في الحديث، وإن اختلفت أسانيدهم باختلاف مذاهبهم، ودارت المؤلفات الفقهية حول رد كل فريق على الفريق الآخر إيراد الحجج والأسانيد التي تدعم أفكارهم.

• أوضحت الدراسة براعة علماء إقليم ما وراء النهر في العلوم اللغوية كاللغة والنحو وكذلك الأدبية كالنثر والشعر والعروض وغيرها من هذه العلوم وكثرة مؤلفاتهم في هذه العلوم.

• أشار البحث إلى آلاف المؤلفات في أنواع العلوم النقلية المختلفة والتي خلفها لنا علماء وإقليم ما وراء النهر التي كانت هي الرصيد الذي تركه علماء الإقليم كذخيرة لمن جاء بعدهم.

• استخلصت الدراسة أن السمة العامة التي غلبت على العلوم العقلية هي السمة التجريبية العلمية، التي تستند على التجريب العلمي للنظريات المترجمة عن اليونانيين والسريانيين، وغيرهم، وتجلى ذلك في نتاج علماء إقليم ما وراء النهر في الفلك والطب والرياضيات وغيرها، فكلها قامت على التجربة العلمية، فلم يقبلوا هذه النظريات المترجمة كما هي دون التأكد من صحتها، وهنا تجلت براعة الفكر في هذا الإقليم وأعماله للوصول إلى حقائق الأشياء.

• أكد البحث على أهمية العالم في إقليم ما وراء النهر، فقد انتشر في معظم أنحاء العالم الإسلامي شرقاً وغرباً بل امتد أثره خارج حدود المشرق الإسلامي إلى بلاد الأندلس، ما كان له أكبر أثر في استمرار هذا النتاج الذي لولا الغزو المغولي، لانتشر في أقاليم المشرق الإسلامي.

- وانتهت الدراسة إلى نتيجة هامة وهي ضياع آلاف المخطوطات التي خطها علماء إقليم ما وراء النهر في شتى المجالات، نتيجة للغزو المغولي عليه، ولولا هذا الغزو لكان لعلماء الإقليم أثر أكبر وأعمق مما هو عليه الآن، وحتى المتبقي من هذا النتاج مهملا لا يزال معظمه مخطوط لم تقترب إليه يد التحقيق حتى يمكن الاستفادة منه بشكل أكبر.
- خلصت الدراسة إلى أن الغزو المغولي لبلاد ما وراء النهر لم يكن غزواً ثقافياً حضارياً على الرغم من تدمير المكتبات وقتل العلماء بدليل أن المغول استوعبوا هذا الدين الجديد ودخلوا فيه أفواجاً فيما بعد.
- أكدت الدراسة إلى أنه على الرغم من ضياع جهود علماء إقليم ما وراء النهر وإنتاجهم العلمي، والفكري من جراء الغزو المغولي لها، وتدمير مؤسساتها إلا أن بعض آثارها لا زالت باقية حتى الآن، تشهد على براعة هذا الشعب الذي امتد أثره خارج الإقليم.
- توصي الدراسة بقراءة جيدة ومتأنية للنتائج الفكرية للمسلمين جميعاً الذي كان وفيراً في كل بلدانهم وأبرزه وتأكيد، وتعليمه للنشئ الإسلامي لتؤكد أن المسلمين برعوا في كل العلوم في بلدانهم.
- كما توصي الدراسة بقراءة جيدة لتاريخ الإسلام والمسلمين وخاصة فترات الضعف والوهن التي تتعرض لها الأمة، مثلما حدث لها أثناء الغزو المغولي فقد دمر المغول أغلب حضارة بلاد المشرق الإسلامي وقتلوا العلماء والفضلاء وأحرقوا المساجد والمكتبات، فهل ماتت الأمة، لا، ثم لا، قامت من جديد وستظل قائمة إلى قيام الساعة.



## قائمة المصادر والمراجع

## أولاً: القرآن الكريم

### ثانياً: المخطوطات

- **الاحسيكي:** حسام الدين محمد بن عمر (ت744هـ / 1246م):
  - شرح المنار، مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، رقم 62 أصول فقه.
- **السباعي:** أحمد بن صالح بن محمد (ت 1266هـ / 1850م):
  - المبادئ اللدنية في العلوم النقلية والعقلية، مخطوط بالمكتبة الأزهرية، القاهرة رقم 24 علوم متنوعة.
- **الطيب:** الرشيد أفضل الله بن أبي النمير، ت716هـ / 1316م.
  - تاريخ جنكيز خان، تاريخ الفازاني مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة رقم 22880 عربي.
- **الفرغاني، الأوشي** سراج الدين علي بن عثمان (ت575هـ / 1179م):
  - نصاب الأخبار لتذكرة الأخيار، مخطوط بدار الكتب المصرية والوثائق القومية، القاهرة، رقم 1523 حديث ميكروفيلم 33816.
  - بدء الأمالي، مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، رقم 663 توحيد، ميكروفيلم رقم 39615.
- **القاري:** طبقات الحنفية، مخطوط بعهد المخطوطات العربية (92-93) تاريخ ميكروفيلم 1787.
- **قاضي خان الاوزجندي** (فجر الدين حسين بن منصور بن محمود ت592هـ / 1195م):
  - شرح قاضي خان علي الزيادات لمحمد بن حسن الشيباني، مخطوط بالمكتبة الأزهرية، القاهرة رقم 292/ فقه حنفي.

- فتاوي قاضي خان، مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية رقم 1032/ فقه حنفي.
- مجهول: كتاب تاريخ المغازي والسير، مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية رقم 2089 تاريخ/ طلعت، ميكروفيلم رقم 13004.
- المرغيناني: برهان الدين عليم بن أبي بكر بن عبدالجليل (ت 593هـ/ 1179م):
- التجنيس والمزايدة عليه، مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، رقم 903 فقه حنفي، ميكروفيلم 9337.
- النجدي: محمد عبدالوهاب بن سليمان التميمي (ت 1205هـ/ 1790م):
- كتاب جليل في علم التوحيد، مخطوط بالمكتبة الأزهرية، القاهرة، رقم 241290.

### ثالثاً: المصادر العربية:

- ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة السعدني ت 688هـ/ 1269م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، 1981م.
- ابن أبي الوفاء: محي الدين أبي محمد عبدالقادر بن محمد بن نصر الله ابن سالم القرشي الحنفي ت 775هـ/ 1373م.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق د. عبدالفتاح محمد الحلو، دار هاجر، القاهرة، 1401هـ/ 1993م.
- ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني ت 630هـ/ 1232م.
- الكامل في التاريخ، راجعة وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

- اللباب في تهذيب الأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401هـ / 1981م.
- النهاية في غريب الحديث، بيروت، (د.ت).
- ابن الأخوة: محمد بن محمد بن أحمد القرشي، ت 729هـ / 1327م.
- معالم القرية في أحكام الحسبة، مكتبة المتني، القاهرة، (د.ت).
- ابن أعثم الكوفي: أبي محمد احمد بن اعثم الكوفي، ت 314هـ / 926م:
- الفتوح تحقيق محمد المعيد خان، حيدر أباة الركن، الهند، 1389هـ.
- ابن بسام: عبدالله بن عبدالرحمن المقدسي، ت 600هـ / 1203م.
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، دار المعرفة، بغداد، 1968م.
- ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد ابن إبراهيم اللواتي، ت 779هـ / 1377م.
- رحلة ابن بطوطة، تحفة الأنصار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الرحلة تحقيق محمد عبدالمنعم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م.
- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، ت 884هـ / 1469م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.
- ابن تيمية:
- علم الحديث، تحقيق موسى محمد علي، بيروت، 1984م.
- ابن الجزري: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد، ت 833هـ / 1429م.
- غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة السعادة، القاهرة 1933م.
- النشر في القراءات العشر، تحقيق محمد علي الصباغ، المكتبة التجارية، مصر (د.ت).

- **ابن الجوزي:**، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن علي البغدادي، ت 597هـ / 1200م.
- المنتظم في تاريخ الملوك، والأمم، تحقيق محمد عبدالقادر عطا وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
- تلبيس إبليس، تحقيق السيد الجميلي، بيروت (د.ت).
- كتاب القصاص والمذكرين، تحقيق محمد الصباغ، دمشق، 1988م.
- **ابن جبير:** أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، ت 614هـ / 1222م.
- رحلة، ابن جبير تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تحقيق حسن رمضان، ط القاهرة، 1964م.
- **ابن جزلة:** يحيى بن جزلة، ت 492هـ / 1098م روضة الشام، دمشق، 1333هـ / 1914م.
- **ابن جماعة:** أبو إسحاق إبراهيم بن السيد العارف الكتاني ت 733هـ / 1332م.
- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، حققه محمد هاشم البدوي، دار المعارف، بيروت، 1998م.
- **ابن الحاج:**
- المدخل إلى الشرع الشريف على المذاهب، القاهرة، 1929م.
- **ابن حزم:** أبو محمد بن علي أحمد الظاهري، ت 426هـ / 1063م.
- الفصل في الملل الأهواء والنحل، تحقيق إبراهيم نصر، دار الفكر، بيروت، 1980م.
- **ابن حوقل:** أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي، ت 376هـ / 977م.
- صورة الأرض، ط ليدن سنة 1873، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

- **ابن خلدون:** عبدالرحمن بن محمد بن جابر ت 808 هـ / 1406م.
- المقدمة، ط مكتبة لبنان، بيروت 1992م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م.
- **ابن دحية:**
- النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، بغداد، 1949م.
- **ابن خلكان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر ت 681 هـ / 1282م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1977م.
- **ابن رجب الحنبلي:** زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن ت 795 هـ / 1329م.
- الذيل على طبقات الحنابلة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).
- **ابن رسته:** أبو علي أحمد بن عمر ت 290 هـ / 903م.
- الأعلام النفيسة، ط ليون، 1906م.
- **ابن سعيد المغربي:**
- الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط، مطبعة محيط كرديماس، المغرب، 1985م.
- **ابن الصلاح:** أبو عمر عثمان بن الصلاح الشهرزوردي، ت 643 هـ / 1244م.
- طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1992م.
- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، مكتبة المتنبّي، القاهرة، (د.ت).
- **ابن ظافر الأزدي:** جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور بن ظافر بن حسين، ت 613 هـ / 1326م.
- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق د، علي عمر، مكتبة النعام، القاهرة، 2001م.

- **ابن العماد الحنبلي:** أبو الفلاح عبدالحى بن علي بن محمد، ت 1084هـ / 1678م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تحقيق د مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998م، ومكتبة القدس القاهرة، (د.ت).
- **ابن عبدالبر القرطبي:** جمال الدين أبو عمر يوسف، ت 463هـ / 1071م.
- جامع بيان العلم، تحقيق مسعود السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
- **ابن عنبه:** جمال الدين محمد بن علي الحسيني، ت 878هـ / 1473م.
- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عنى بتصحيحه محمد حسن آل طالقاني، الجف الأشرف، 1960م.
- **ابن غلبون:** أبو الحسن طاهر عبدالمنعم عبدالله الحلبي، ت 399هـ / 1008م كتاب التذكرة في القراءات، تحقيق عبدالفتاح بحيري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1991م.
- **ابن الفراء الحنبلي:** أبي يعلى بن الحسين، ت 458هـ / 1065م.
- الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
- **ابن الفاصح العذري:** أبي القاسم علي بن عثمان الفاصح البغدادي، ت 801هـ / 1398م:
- سراج القارئ المبتدأ القارئ المنتهي، المكتبة التجارية، القاهرة، 1943م.
- **ابن الفقيه الهمداني:** أبو بكر أحمد بن معد الهمداني، ت 365هـ / 973م.
- مختصر تاريخ البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.
- **ابن فضل الله العمري:**
- مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م.
- **ابن القاضي شهبه:**
- طبقات النحاة واللغويين، دار المعارف بمصر، 1987م.

- **ابن قطلوبغا:** زين الدين أبو العدل قاسم ابن قطلوبغا، ت 879هـ.
- تاج التراجم في طبقات الجنفية، تحقيق محمد خير رمضان، دار العلم، دمشق، 1992م.
- **ابن القفطي:** جمال الدين علي ابن أبي الحسن علي بن يوسف، ت 646هـ / 1248م.
- أنباء الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1952م.
- **ابن كثير:** عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفدا الدمشقي، ت 774هـ / 1372م.
- البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتوح، دار الحديث، القاهرة، 1418هـ / 1998م.
- **ابن منظور:** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، ت 771هـ / 1311م.
- لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1982م.
- **ابن مسكويه:** أحمد بن محمد، ت 421هـ / 1030م.
- الهوامل والشوامل، نشر د/ أحمد يمين وآخر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م.
- **ابن النديم:** أبو الفرج محمد ابن يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم، ت 380هـ / 995م.
- الفهرست: تحقيق يوسف علي الطويل وزميلة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.
- **ابن هشام:** أبو محمد عبدالملك بن هشام ابن أيوب الحميري البحري ت 213هـ / 828م.
- السيرة النبوية، تحقيق محمد محي الدين، القاهرة، 1995م.
- **ابن وهب:** الحسين بن إسحاق بن إبراهيم، ت 308هـ / 920م.
- البرهان في وجوه البيان، تحقيق حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، 1969م.



- ابن آبيك الصفدي: صلاح الدين بن خليل بن أيبك، ت764هـ / 1362م.
- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.
- أبوبكر الاجري:
- أخلاق العلماء: تحقيق أحمد عبدالرحيم السايح، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993م.
- أبو جرادة: كمال الدين عمر بن أحمد، ت660هـ / 1216م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت (د.ت)
- أبو الحسن الأشعري:
- الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود، دار المنصور، القاهرة، 1977م.
- أبو الطيب اللغوي:
- مراتب اللغويين، تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1974م.
- أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد بن سليمان، ت449هـ / 1057م.
- سقط الزند، تحقيق مصطفى أسد وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
- أبو عبدالله الدمشقي: محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي الحالي أبو عبدالله، ت744هـ.
- طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وآخر، بيروت، 1996م.
- أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، ت732هـ / 1331م.
- المختصر في أخبار البشر، تحقيق د أحمد الحطبي، دار الجبل، بيروت، (د.ت).

- أبو يعقوب السكاكي: سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، ت 626هـ/1229م.
- مفتاح العلوم، ط عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1990م.
- الباهرزي: علي بن الحسن علي بن أبي الطيب الباهرزي، ت 478هـ/1074م.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق ونشر محمد التونجي، بغداد، 1971م.
- البزدوي: علي بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم بن موسى، ت 482هـ.
- كتاب أصول الدين، نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964م.
- برهان الدين المرغيناني: علي بن أبي بكر الفرغاني، ت 593هـ/1197م.
- الهداية، شرح بداية المبتدئ، تحقيق محمد تامر وحافظ عاشور، القاهرة 2000م.
- البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي ت 463هـ/1070م.
- الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عنتر، بيروت، 1975م.
- هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م.
- البغدادي: صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق، ت 739هـ/1335م.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- البنداري: الفتح بن علي البنداري الأصفهاني ت 643هـ/1245م.
- تاريخ دولة آل سلجوق، ط3، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1400هـ/1980م.
- البلاذري: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، ت 279هـ/892م.
- فتوح البلدان، مكتبة القلم، القاهرة، 1986م.

- **البناء**، شهاب الدين أحمد بن محمد الشهير بابن البناء الدمياطي الشافعي،  
ت1116هـ/1704م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه أنس مهرة، دار الكتب  
العلمية، بيروت، 2001م.
- **البيروني**: أبو الريحان محمد بن أحمد، ت 440هـ/ 1084م.
- الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المثنى، القاهرة، بيروت.
- **التهانوي**:
- كشف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبدالبديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
القاهرة، 1972م.
- **الأدنه وي**: أحمد بن محمد الأدنه وي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري.
- طبقات المفسرين، تحقيق صالح الخزي، ط مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، سنة  
1989م.
- **الثعالبي**: أبو منصور عبدالملك محمد بن إسماعيل، ت 429هـ/ 1083م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1473م.
- لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، مصر،  
1960م.
- **الجاحظ**: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت 255هـ/ 868م:
- رسائل الجاحظ في مناقب الترك، شرح وتحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي،  
القاهرة، 1964م.

- **حاجي خليفة:**
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، القاهرة ، 1966م.
- الحسيني صدر الدين، أبو الحسن علي ناصر بن علي، ت 622هـ/ 1225م.
- كتاب أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه محمد إقبال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1964م، المعروف بزيادة التواريخ.
- **الحميري:** محمد بن عبدالمنعم، من علماء القرن الثامن الهجري.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م.
- **الخوارزمي:** أبو عبدالله محمد ابن أحمد بن يوسف الكاتب، ت366هـ/976م.
- مفاتيح العلوم، ط2، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1401هـ/ 1981م.
- **الخوانساري،** محمد باقر زين الدين الاصفهاني ت 1313هـ/ 1898م.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات وتحقيق أسد الله إسماعيليان، إيران، 1391م.
- **الأدفوي المصري:** أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب، ت748هـ/ 1347م.
- الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، تحقيق محمد عيسى صالحية، مكتبة العروبة، الكويت، 1988م.
- **الداوودي:** الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، ت 945هـ/ 1537م.
- طبقات المفسرين تحقيق علي بن محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت 1995م.
- **الدمشقي:** شيخ الروبة شمس الدين أبي عبدالله بن أبي طالب، ت727هـ/ 1326م.
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط، بيدج، 1923م.

- **الدمشقي:** ابن ناصر الدين محمد بن عبدالله بن محمد القيسي الدمشقي، ت842هـ/1498م.
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق د. محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1999م.
- **الديار بكري:**
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، 1988م.
- **الدينوري:** أبو حنيفة أحمد بن داود، ت 282هـ/ 895م.
- الأخبار الطوال، تحقيق د. عصام محمد الحاج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2001م.
- **الذهبي:** شمس الدين أبو محمد بن أحمد بن عثمان، ت 748هـ/ 1348م.
- تذكرة الحفاظ، تصحيح عبدالرحمن المعلى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)
- المشتبه في الرجال، تحقيق محمد علي البجاوي، القاهرة، 1962م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (د.ت).
- تاريخ الإسلام، حيدر آباد الدكن، 1232هـ.
- العبر في خبر من غير، تحقيق فؤاد سيد، الكويت، 1961م.
- تهذيب سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ/ 1990م.
- **الزبيدي:** أبو العباس أحمد، ت 893هـ/ 1482م.
- تاج العروس، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، وزارة الإعلام، الكويت، 1986م.

- **الزركشي:** بدر الدين محمد بن عبدالله ت 794هـ / 1489م.
- البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).
- **الزركلي:** خير الدين الزركلي:
- الأعلام، قاموس، تراجم، ط2، الوشтанستور وشركاه، (د.ت).
- **الزمخشري:** أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ت538هـ.
- أطواق الذهب في المواعظ والخطب، تحقيق وشرح وتعليق، أسماء أبو بكر محمد، ط6، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.
- **الزرنوجي:** الإمام برهان الإسلام، ت591هـ.
- تعليم المتعلم طرق التعلم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1212م.
- **الاسنوي:** جمال الدين عبدالرحيم، ت 772هـ / 1370م.
- طبقات الشافعية، دار الفكر، بيروت، 1996م.
- **السبكي:** تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب تقي الدين ت 879هـ / 1474م.
- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمد الطناحي، وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، 1966م.
- **سراج الدين أبو جعفر المصري:** ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، ت804هـ.
- طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريية، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1986م.
- **السرخسي:** أبو بكر محمد سهيل الحنفي ت 483هـ / 1090م.
- كتاب المبسوط، تصحيح الشيخ محمد راضي الحنفي وآخرين، دار المعرفة، بيروت، 1989م.

- **السلمي:** أبي عبدالرحمن السلمي ت 412هـ / 1021م.
- طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1406هـ / 1986م.
- ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، تحقيق د. محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1999م.
- **السمعاني:** أبوي عبدالكريم بن محمد بن منصور أبو المظفر الشافعي ت 562هـ / 1166م.
- التجبير في المعجم الكبير، تحقيق / د. مثيرة ناجي سالم، بغداد، 1975م.
- الأنساب، تحقيق عبدالله البارودي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1998م.
- أدب الإملاء والاستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- **السمرقندي،** محمد بن أبي بكر، ت 673هـ.
- شرعة الإسلام إلى دار السلام، تعليق سيد محمد منورينار، دلهي، (د.ت).
- **السيوطي:** عبدالرحمن بن إكمال أبي بكر بن محمد الخضري المشهور بجلال الدين السيوطي ت 911هـ / 1505م.
- الإتيقان في علوم القرآن، ط2، القاهرة، 1925م.
- تاريخ الخلفاء، تحقيق / د. محمد محمود عبدالحميد، القاهرة، 1963م.
- طبقات الحفاظ، تحقيق / علي محمد عمر، القاهرة، 1973م.
- الأشباه والنظائر في المناظرات والمجالس والفتوى والمكاتبات والمراسلات، القاهرة، 1964م.
- حسن الحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مطبعة إدارة الوطن بمصر، 1299هـ.

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ط2 وتحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1996م.
- السهروردي: شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد عبدالله التميمي ت 632هـ/ 1234م.
- عوارف المعارف، تحقيق عبدالعزيز الخالدي، 1973م.
- السراج الطوسي: أبو نصر عبدالله بن علي الطوسي، ت378هـ/ 988م.
- اللمع في التصوف، حققه وقدم له، د. عبدالحليم محمود وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثني، بغداد، 1960م.
- الشاشي: سيف الدين أبي بكر محمد بن أحمد، ت507هـ.
- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق ياسين أحمد إبراهيم، بيروت، 1988م.
- الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسيني بن بابويه القمي ت381هـ/ 991م.
- كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي للدراسات الإسلامية، التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران سنة 1405هـ.
- شهاب الدين القسطلاني: شهاب الدين أحمد بن محمد ت 923هـ/ 1517م.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق وتعليق الشيخ ماهر عثمان و ود عبدالصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1972م.
- شمس الدين السمرقندي: ت690هـ/ 1291م.
- أشكال التأسيس في الهند، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م.



- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، ت 1250هـ / 1834م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، راجعه يوسف الغوشي، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1996م.
- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد، ت 548هـ / 1153م.
- الملل والنحل، تحقيق سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1976م.
- الشيزري: عبدالرحمن بن نصر ت 589هـ / 1193م.
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة، د. السيد الباز العريني، بيروت (د.ت).
- الاضطري: ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ت 309هـ / 951م.
- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال، القاهرة، 1961م.
- الأصفهاني: عماد الدين الأصفهاني ت 597هـ / 1201م.
- خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق سامي مكّي العاني، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1905هـ / 1985م.
- الصنعاني:
- مالك الأبصار وعجائب الأخبار ومحاسن الإعصار وعيون الآثار، تحقيق علي بن الحسن الاكوع، صنعاء، 1985م.
- الطبري: أبو جعفر محمد جرير، ت 310هـ / 932م.
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، 1975م.
- الطاهر: جمال الدين الحنفي، ت 696هـ.
- مشيخة ابن البخاري، تحقيق عوض عتقي الحازمي، السعودية، 1999م.

- العطار الهاروني:
- منهاج الدكان ودستور الأعيان في إعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان، تحقيق حسن عاصي، دار المناهل، بيروت، 1992م.
- العباس: حسني أحمد بن علي:
- الأساس في أنساب بني العباس، القاهرة، 2000م.
- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد ت 505هـ / 1111م.
- إحياء علوم الدين، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة (د.ت).
- العيني: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى 855هـ / 1451م.
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودي) حقق وقدم له فهم محمد شلتوت، دار الرائد العربي، توزيع دار ركابي، القاهرة (د.ت).
- الغزي: تقي الدين بن عبدالقادر التميمي، ت 1010هـ / 1601م.
- الطبقات السننية في تراجم الحنفية، تحقيق عبدالفتاح الحلو دار الرافعي، الرياض، 1983م.
- الفارابي: أبو النصر محمد بن محمد، ت 339هـ / 950م.
- إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمية، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م.
- القابسي: أبو الحسين علي بن محمد بن خلق المعافري القباسي، ت 403هـ.
- الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق أحمد خالد، نشر الشركة التونسية للتوزيع، 1986م.
- القرمانى: أحمد بن يوسف القرمانى، ت 1019هـ / 1600م:
- أخبار الدول وآثار الأول، دار السداد، بغداد، (د.ت).

- قدامة بن جعفر: أبو الفرج قدامة البغدادي، ت 337هـ / 948م.
- الخراج وصناعة الكتابة، دى غويل، بريل، ليدن، 1889م.
- القزويني: زكريا محمد، ت 682هـ / 1283م:
- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- القلانسي السمرقندي:
- أقرباذين السمرقندي، تحقيق محمد زهير اللباب، حلب، 1983م.
- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي ت 821هـ / 1418م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، (د.ت).
- الكتاني: محمد عبدالحى بين عبدالكبير بن محمد الادريسي.
- التراتيب الإدارية، تحقيق، د عبدالله الخالدي، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- الكرخي: أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكوخي، ت 410هـ / 1020م.
- الكافي في الحساب، تحقيق سامي شلتوت، حلب، 1986م.
- الكوثري: الشيخ محمد زاهد، ت 1371م.
- مقالات الكوثري، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).
- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد حبيبا ت 450هـ / 1058م.
- أدب الدنيا والدين، حققه وعلق عليه مصطفى السقا، ط5، ط البابي الحلبي، القاهرة، 1406هـ / 1980م.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط3، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1973م.

- **مجهول:**
- حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، منشورات الدار الثقافية، القاهرة، 1999م.
- **مجهول:**
- عمدة الطبيب في معرفة النبات والأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي تحقيق، محمد العربي الخطابي، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
- **المزي:** جمال الدين ابن الزكي، ت742هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار فواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت، 1992م.
- **المالقي:** عبدالله بن يوسف بن رضوان، ت782هـ / 1380م.
- الشهب اللامعة في السياسة الفائقة، تحقيق على سامي النشار، دار الثقافية، الدار البيضاء، 1984م.
- **المسعودي:** أبو الحسن من علي، ت 346هـ / 956م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت 1325هـ / 1965م.
- **المالكي:** الحسن بن رشق، ت632هـ.
- لباب المحصول في علم الأصول، تحقيق محمد غزالي عمر جابي، الإمارات 2001م.
- **المقدسي:** أبو عبدالله محمد بن أحمد البشار، ت380هـ / 990م.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليبين، 1906م.
- **المقريزي:** تقي الدين بن أحمد، ت845هـ / 1441م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، حزيران، بولاق، القاهرة، 1270م.

- **النسفي:** نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسقي، ت 537هـ / 1142م.
- القند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق، د. يوسف الهادي، طهران 1420هـ / 1999م.
- **النعيمة:** عبدالقادر بن محمد النعيمة الدمشقي، ت 927هـ / 1520م.
- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، بيروت، 1988م.
- **النسوي:** محمد بن أحمد، ت 642هـ / 1244م.
- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953م.
- **النويري:** شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، ت 733هـ / 1322م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد فوزي الغثيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م.
- **اليافعي:** أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي المكي، ت 867هـ / 1366م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حدوث الزمان، ط حسين آباد الدكن 1236هـ.
- **ياقوت الحموي:** عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، ت 622هـ / 1228م.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1999م.
- معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ / 1991م.
- المقتضب من كتاب، جمهرة الأنساب، تحقيق ناجي حسن، دار العربية، 1987م.
- **اليوسفي:** عماد الدين موسى بن محمد بن يحيى، ت 759هـ / 1358م.
- البدر اللامع وشرح الجواهر في أصول الفقه، دار عيسى الحلبي، القاهرة، 1412هـ.
- **الوشندي:** الشيخ محمد قوام الدين القمي.
- حديث الثقلين، دار التقريب بين المذهب، القاهرة، 2002م.

## رابعاً: المراجع العربية:

- إبراهيم التوزوري، تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1995م.
- إبراهيم علي أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، دار المعارف، 1979م.
- إبراهيم مراد، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، مكتبة المثنى بغداد، 2006م.
- أبو الفتوح التونسي، من أعلام الطب العربي، الدار القومية للنشر، القاهرة، 1966.
- أبو زيد شلبي، الحضارة الإسلامية، القاهرة، 1988م.
- أبو عبدالله محمود سعيد بن رسلان، آداب طالب العلم، القاهرة، 1988م.
- إحسان آلهي ظهير، الشيعة والتشيع فرق وتاريخ، ط2، إدارة ترجمة جماعة الحسبة لاهور، 1984م.
- إحسان زنون التامري، الجغرافية التاريخية لمدينة بخارى، الأردن، 1999م.
- أحمد أمين، فجر الإسلام، ط2 لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964م.
- ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م.
- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، في الأدب القديم وأدب العصور الوسطى، ط2، القاهرة، 2002م.
- أحمد الخطيب، الوقف والوصايا، بغداد، 1986م.
- أحمد السعيد الدمرداش، البيروني، دار المعارف، بمصر، (د.ت).
- أحمد الشامي، الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، دار الإصلاح الإحساء 1983م.

- أحمد الشطي، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، دمشق، 1970م.
- أحمد حامد الصراف، عمر الخيام، مطبعة دار السلام، بغداد 1931م.
- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الكتاب، القاهرة، 1994م.
- حضارة الدولة العباسية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1997م.
- أحمد شلبي، التربية الإسلامية، ط6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978م.
- أحمد عبدالرازق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور العلوم العقلية، دار الفكر العربي، القاهرة 1991م.
- وسائل التسلية عند المسلمين، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988م.
- أحمد عبدالقادر الشاذلي، الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا الحاضر والمستقبل، كلية الآداب، المنوفية 1994م.
- أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، القاهرة، 1970م.
- أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، القاهرة، 1981م.
- أحمد محمود صبحي، في علوم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين الإسكندرية، 1987م.
- أحمد فهمي أبو الخير، علوم العرب الرياضية وانتقالها إلى أوروبا، مطبعة الاعتماد، القاهرة 1930م.
- أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، (د.ت).

- أحمد كمال الدين حلمي، عمر الخيام عصره وبيئته، مكتبة دار العروبة الكويت مكتبة الخانجي، القاهرة، 1414هـ / 1994م.
- السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحث العلمي، الكويت 1975م.
- أحمد محمد عدوان، دويلات المشرق الإسلامي، دار عالم الكتب، الرياض، 1998م.
- أحمد معوض، أضواء على تاريخ الشرق الإسلامي وحضارته ذروة عصر السلاجقة العظام (طغريك) الدار العربية للنشر، القاهرة، 1404هـ / 1983م.
- أحمد ناجي العنيسي، عطار نامه، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1973م.
- أمين مهند المعلوف، المعلم الفلكي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1935م.
- أمين واصف، الفهرست، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق أحمد زكي، مطبعة الفجالة، القاهرة، 1916م.
- بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950م.
- بلقاس الغالي، أبو منصور الماتريدي حياته وأراءه العلمية، تونس، 1989م.
- توفيق الطويل، في تراثنا العربي والإسلامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، القاهرة، د. ت.
- ثناء علي مخيمر، مباحث في علوم الشعر، الزقازيق، مصر، 1419هـ / 1998م.
- جلال الدين موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، نشر المكتبات الأزهرية، 1991م.
- حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).
- حبيب الزييات، الجلود والرقوق والطووس، بغداد، 1986م.



- **حسام الدين السامرائي**، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، دمشق، 1971م.
- **حسن إبراهيم حسن**، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م.
- **حسن أحمد محمود**، أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م.
- **حسن أحمد محمود**، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م.
- **حسن الباشا**، دراسة في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971م.
- **حسن محمد الشرقاوي**، المسلمون علماء وحكماء، دار المعرفة، الإسكندرية، 1986م.
- **حسين أمين**، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية، بغداد، 1965م.
- **حسين مجيب المصري**، صلات بين العرب والترك والفرس مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1971م.
- **أثر الفرس في حضارة الإسلام**، عالم الكتب، بيروت، 1977م.
- **حكمت نجيب عبدالرحمن**، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، القاهرة، 1991م.
- **خالد عزب**، التراث الحضاري والمعماري للمدن الإسلامية، القاهرة، 2003م.
- **رجب كاظم**، عواطف سنقارو، الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، 1999م.
- **رشاد معتوق**، الحياة العلمية في العراق، خلال العصر البويهي، مكة المكرمة، 1418هـ/1997م.
- **رشيد الجميلي**، الحضارة العربية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، منشورات جامعة قاريونس، 1982م.

- رمضان عبدالنواب: منهاج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1986م.
- الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1996م.
- زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).
- زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، 1955م.
- زهير حميدان، أعلام الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، الرياض، 1930م.
- زيد الخوسكي، معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، بيروت، 1992م.
- ساجدة الرحمن الخريوطي، نشأة علم الحديث وتطورها، مكتبة كلية الآداب، القاهرة، 1425هـ / 2009م.
- سعد مرسي أحمد وآخرون، تاريخ التربية والتعليم، عالم المكتبات، القاهرة 1972م.
- سعيد أحمد حسن، أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.
- سعيد إسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.
- سعيد عاشور، العلاقات العربية التركية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.
- العصر المماليكي، دار النهضة المصرية، 1981م.
- سليمان بن علي الغصن، موقف المتكلمين من القول بنصوص الكتاب والسنة، الرياض، 1412هـ.
- سهيل زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار القلم، بيروت، (د.ت).

- السيد صديق حسن خان القنوجي، البلاغة في أصول اللغة، تحقيق نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1988م.
- السيد عبدالعزيز سالم، العصر العباسي الأول الإسكندرية، 1969م، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، (د.ت).
- السيد عبدالعزيز عدوي، المرشد في الفقه الإسلامي، حران، مكتبة مروة للطباعة، القاهرة، 1421هـ / 2001م.
- شاكرا مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م، الشحات العمري، النقد الأدبي القديم، الداعي للطباعة، الزقازيق، مصر، 2003م.
- شحات قنواطي، تاريخ الصيدلة، دار المعارف، القاهرة 1977م، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العصر القديم والعصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، 1951م.
- شرين عبدالمنعم حسانين، مسلمو تركستان والغزو والسوفييتي، دار التعاون للنشر، القاهرة، 1985م.
- شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، 1976م.
- طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، بيروت، 1421هـ.
- طه الولي، المساجد في الإسلام، دار العلم، بيروت، 1988م.
- عادل محمود عبدالخالق، التصوف الإسلامي إلى الله، القاهرة، 2003م.
- عباس العزاوي، تاريخ الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلامية والعربية في العهود التالية أيام العباسيين، المجمع العملي العراقي، 1958م.
- عبدالباري محمود، خراسان وما وراء النهر بلاد أضاءت العالم بالإسلام دار رياض الصالحين، القاهرة، 1994م.

- عبدالحكيم بليغ، النشر الفني، القاهرة، 1981م.
- عبدالحليم محمود، التصوف الإسلامي شخصيات ونصوص، دار الشرق العربي، القاهرة، (د.ت).
- عبدالحليم منتصر، موجز تاريخ الصيدلة، دار المعارف، القاهرة، 1977م.
- عبدالرحمن العدوي، الوسيط في الفقه الإسلامي، ط2، دار الطباعة المحمودية، القاهرة، 2000م.
- عبدالرحمن حميدة، إعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ط2، دار الفكر، دمشق، 1980م.
- عبدالرؤوف الماناوي، تيسير الوقوف، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، 1418هـ.
- عبدالسلام فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
- عبدالشافي محمد عبداللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، ط3، القاهرة، 1993م.
- عبدالعال سالم وأحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية مع مقدمة من القراءات وأشهر القراء، مطبوعات جامعة الكويت، 1982م.
- عبدالعزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعبوية، ط4، دار الطليعة بيروت، 1986م.
- عبدالعزيز جنكيز خان، تركستان قلب آسيا، الجمعية الخيرية التركستانية 1945م.
- عبدالعظيم حنفي وعبدالعليم منتصر، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب موجز تاريخ الصيدلة، القاهرة، (د.ت).
- عبدالفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، دار الأمين، القاهرة، 1996م.

- **عبدالله سعد**، موسوعة علماء آسيا الوسطى، مهداة إلى مكتبة مبشر الطرزي بمركز الدراسات الشرقية، القاهرة، (د.ت).
- **عبدالله عبدالدايم**، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
- **عبدالله منتصر**، موجز تاريخ الصيدلة، والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، 1951م.
- **عبدالله نوح**، الأحوال الحضارية في إقليم أشروسنه من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة السامانية، دار ابن خلدون، القاهرة، 2013م.
- **عبدالمتعال الصعيدي**، المجددون في الإسلام، دار الهجرة، القاهرة، 1992م.
- **عبدالمجيد بدوي**، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني، ط، دار الوفاء، المنصورة، 1988م.
- **عبدالمجيد محمود**، المدرسة الفقهية للمحدثين، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1985م.
- **عبدالمنعم حسائين**، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1385هـ/ 1970م.
- **نظام الكنجوي**، شاعر الفصيلة، عصره، بيئته، شعره، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، 1945م.
- **عبدالمنعم ماجد**، تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة، 1978م.
- **عبدالهادي محبوبية**، نظام الملك كبير الوزراء في الدولة الإسلامية، الدار المصرية للكتاب، 1991م.
- **عزالدين إسماعيل**، الأدب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1980م.

- عزالدين فراج، فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوربية، دار الفكر، القاهرة، 1979م.
- عصام الدين عبدالرؤوف، بلاد الهند في العصر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990م.
- تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م.
- الدول الإسلامية المستقلة في المشرق، دار الفكر، بيروت، 1987م.
- علي إبراهيم عبده، الفلك والأنواء في التراث، مكتبة الوفاء، المنصورة، 1991م.
- علي الرفاعي، أعلام العرب المسلمين في الطب، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.
- علي بهجت، قاموس الأمكنة والبقاع التي يرد ذكرها في كتب الفتوح، مطبعة التقدم، القاهرة، 1966م.
- علي حسني الخريوطي، الحضارة العربية الإسلامية، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت.).
- علي عبدالحليم محمود، المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، دار المعارف، مصر، (د.ت.).
- علي عبدالفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، 1986م.
- علي عبدالله الدفاع، نوابغ علماء المسلمين في الرياضيات، دار الرائد العربي، القاهرة، 1985م.
- علي محمد الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، مكة المكرمة، 1417هـ/ 1996م.

- علي محمد سعد، تاريخ طب العيون في الحضارة العربية الإسلامية، 3-8هـ / 9-14م، منشورات جامعة قاربيونس، 2008م.
- عمر احمد الغنام، المؤسسات التربوية في الإسلام، دار الرائد العربي، القاهرة، 1992م.
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1959م.
- معجم مصنفى الكتب العربية في التاريخ والجغرافية والرحلات، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
- عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي، بيروت، 1962م.
- عمر فروخ وآخرون، تاريخ العلوم عند العرب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1990م.
- غانم هاشم السلطاني، قتيبة بن مسلم الباهلي، بغداد، 1990م.
- فتحي أبو سيف، ظهور كتب الإقليم والمدن كظاهرة منهجية في المشرق الإسلامي، عين شمس، القاهرة، (د.ت).
- فلييب حتى، تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر، بيروت، 1941م.
- فهمي فتحي إسحاق، الكيمياء والكيميائيون، الإسكندرية، 1947م.
- فهمي هويدي، الإسلام في الصين، عالم المعرفة، الكويت، عدد يوليو، 1981م.
- فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.
- النوروز وأثره في الأدب العربي، دار البحيري، بيروت، 1972م.
- قحطان الحديثي، أرباع خراسان النبهرة، البصرة، 1990م.
- قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ج3، دار القلم، القاهرة، 1963م.

- محمود أبو النور أبو الحديد، التفسير المأثور ومنهج المفسرين فيه، مكة المكرمة، 1983م.
- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفجر، القاهرة، 1988م.
- محمد أحمد محمد، بخارى في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992م.
- محمد إسماعيل إبراهيم، أئمة المذاهب الأربعة، دار الفكر، بيروت، 1978م.
- محمد الحسيني عبدالعزيز، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971م.
- منير الدين أحمد، أثر الدولة في الحياة العلمية والأدبية محاضرات المجمع العربي، دمشق، 1954م.
- محمد السعيد عبدالمؤمن، الرؤية والنسيج في الشعر الإيراني المعاصر، القاهرة، 1983م.
- محمد الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ط9، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1996م.
- محمد بن عبدالله، ناظر القف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامي، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف، المغرب، 1989م.
- محمد راتب الطباخ، الثقافة الإسلامية، حلب، 1950م.
- محمد سعيد رضا، الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب في العصر العباسي الثاني من خلال الرحلات العلمية، بغداد، 1991م.
- محمد طنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط2، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- محمد عبدالستار رمضان، السلم في علم المنطق، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1974م.



- محمد عبدالسلام إبراهيم، المحتويات في الحضارة الإسلامية، آداب الزقازيق، (د.ت).
- محمد عبدالعظيم يوسف، تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م.
- تاريخ الدولة العباسية والدويلات المستقلة آداب الزقازيق، 1999م.
- السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط2، دار عين، القاهرة، 2003م.
- مصادر ومناهج البحث، آداب الزقازيق، 2006م.
- محمد عبدالقادر أحمد، دراسات في التراث العربي، القاهرة، 1979م.
- الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر، القاهرة، 1992م.
- محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، 2006م.
- محمد عطية الأبراشي، التربية في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف بمصر، 1380هـ / 1961م.
- محمد عمارة، قاموس المصطلحات في الحضارة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، 2009م.
- محمد غريب حودة، عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004م.
- محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مجلد الخامس، بيروت، 1971م.
- محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، القاهرة، 1972م.
- محمد كامل حسين وآخرون، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ليبيا، (د.ت).

- محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العلمية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1936م.
- محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ط2، بيروت، 1978م.
- علم المكتبات والمعلومات، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
- محمد محمود إدريس، السلطان السلجوقي سنجر وعصره، مكتبة الثقافة، القاهرة، 1982م.
- محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي في الإسلام ط2، الرياض، 1984م.
- محمد محمود يونس، السوزي السمرقندي وشعره الجاد، دراسة تحليلية نقدية، ط2، القاهرة، 1989م.
- محمد مسفر الزهراني، نظام الوزراء في الدولة العباسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.
- محمد نجيب المطيعي، تبسيط علوم الحديث، ط9، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1996م.
- محمد نور الدين عبدالمنعم، دراسات في الشعر الفارسي في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، القاهرة، 1976م.
- محمود إسماعيل، الأدرسة في المغرب الأقصى، مكتبة الفلاح، الكويت، 1409هـ/ 1980م.
- سوسيولوجيا الفكر الإسلامي (محاولة تنظير) طور التكوين، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1980م.
- سوسيولوجيا الفكر الإسلامي (طور الازدهار) دار سيناء، القاهرة، 2000م.

- محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، ط1، دار الأندلس الخضراء، السعودية، نشر دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ/1998م.
- محمود فهمي حجازي، المدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة، القاهرة، 1976م.
- مريزن سعيد عسيري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط1، 1987م.
- مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ط3، دار المعارف بمصر، (د.ت).
- مصطفى لبيب عبدالغني، الكيمياء عند العرب، دار الكتاب، 1967م.
- ملكة علي التركي، مدخل إلى الأدب الصوفي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1417هـ/1997م.
- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ج10، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، 1417هـ/1997م.
- منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين في القرن الخامس الهجري ترجمة سلمى الصقار، السعودية، 1989م.
- ميرفت رضا أحمد، الحياة الثقافية في إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية من الغزو المغولي، مكتبة الثقافة الدينية، سنة 2014م.
- ناجي جلول، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، تونس، 1995م.
- ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1975م.
- عروبة العلماء المنسويين إلى البلدان الأعجمية في خراسان، بغداد، 1969م.

- المرصد الفلكية في بغداد في العصر العباسي، دار الجمهورية، بغداد، 1967م.
- مدارس ما قبل النظامية، بغداد، 1969م.
- نبيه عاقل، خلافة بني أمية، دار الفكر، دمشق، 1975م.
- نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).
- نور الدين آل علي، دروس في اللغة والأدب الفارسي، دار الثقافة، القاهرة، 1978م.
- تاريخ علماء المستنصرية، مطبعة العاني، بغداد، 1965م.
- هالة شاكر، الورق والوراقين في العصر العباسي، دار عين، القاهرة، 2009م.
- المكتبات في المشرق الإسلامي، دار عين، القاهرة، 2013م.
- وليد الأعظمي، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، مكتبة الرقيم، بغداد، 2001م.
- وليم الخازن، الحضارة العباسية، ط2، دار الشرق، بيروت، 1988م.
- يحيى محمود الساعاتي، الوقوف وبنية المكتبة العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1408هـ.
- يسري الجوهري، آسيا الإسلامية، دار المعارف بمصر، 1980م.
- اليمنى طريف الخولي، بحث في تاريخ العلوم عن العرب، دار الثقافة، القاهرة، (د.ت).
- يوسف العشي، دور الكتب العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام في العصر الوسيط، ترجمة عن الفرنسية نزار أباظة ومحمد صباح، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991م.

## خامساً: المصادر والمراجع الفارسية:

- ابن البلخي: ابن محمد الملك أبو الفضل محمد، ت730هـ/ 1329م:
  - فارس نامه، حققه وترجمه عن الفارسية يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999م.
- البناكتي: أبو سليمان داود ابن أبي الفضل محمد، ت730هـ.
  - روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، ترجمة وتعليق د محمود عبدالكريم علي وآخرين، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2000م.
- البيهقي: أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي ت 470هـ/ 1077م.
  - تاريخ البيهقي، صفائح مسعودي، ترجمة د/ يحيى الخشاب، وصادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت.
- حمدالله المستوفي: القروسي، ت 750هـ.
  - تاريخ كزيدة، ترجمة عبدالحسين نوائي، طهران، 1336-1339هـ. ش.
- خواندمير: غياث الدين بن همام الحسيني، ت 942هـ/ 1535م.
  - حبيب السير في أخبار أفراد البشر، جلد 3، ج1، تهران، 1333ش.
- دستور الوزراء، ترجمة حري أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م.
  - رشيد الدين الهمداني: محمد بن عبدالملك الهمداني، ت521هـ.
  - جامع التواريخ، ترجمة فؤاد الصياد وآخرين، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2000م.
- الرواندي: محمد بن علي بن سليمان، ت599هـ/ 1019م:
  - راحة الصدور وآية السرور، نقله للعربية إبراهيم الشواربي وآخرون، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، 1960م.

- **عطا ملك الجويني:** علاء الدين عطا الله ابن بها الدين، ت683هـ.
- تاريخ جهانكشاي، ترجمة محمد التونجي، دار الملاح للطباعة، بيروت، 1985م.
- **الكرديزي:** أبو سعيد عبدالحى بن إضحاك بن محمود كرديزي، ت440هـ/ 1048م.
- زين الأخبار، ترجمة عفان السيد زيدان، القاهرة 1982م.
- **ناصر:** خسرو علوي قبادياني 481هـ/ 1588م:
- سفر نامه، ترجمة / يحيى الخشاب، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993م.
- **النرشخي:** أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي، ت348هـ/ 955م:
- تاريخ بخاري، عربيه عن الفارسية وقدم له/ د. أمين عبدالمجيد بدوي، ونصر الله الطرازي دار المعارف، القاهرة، 1965م.
- **نظام العروضي السمرقندي:** أبو الحسن نجم الدين أحمد بن عمر، ت550هـ/ 1368م.
- جهار مقالة (المقالات الأربع) ترجمة عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب، نشر لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1989م.
- **نظام الملك:** ابن علي الحسن بن إسحاق الطوسي، ت485هـ/ 1092م:
- سياسة نامه، ترجمة وتعليق، د السيد محمد العزاوي، الناشر، دار الرائد العربي، توزيع دار ركابي، بدون.
- **نظام عقيلي:** سيف الدين حاجي بن نظام عقيلي.
- آثار الوزراء، تصحيح وتعليق مير جلال الدين حسني، طهران، 1958م.
- **اليزدي:** محمد بن أحمد بن النظام الحسيني، ت734هـ/ 1342م:
- العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق عبدالنعيم حسانين وحسين أمين، جامعة بغداد، 1979م.

## المراجع الفارسية:

- دولتشان: تذكره الشعراء، تصحيح محمد إقبال، طهران، 1939م.
- ذبيح الله صفا: خلاصة تاريخ سياسي واجتماعي، تهران، 2536ش.
- تاريخ أدبيات، دار إيران، جلد دوم، جاب درازدهم، تهران.
- رضا مصطفى سيزواري، سهم زبان فارس زبانان در تمدن جهاني، مجله أتناشماره سيزدهم، سال سول، 1372هـ.
- شيرين بياتي: دين دولت در إيران عهد المغول، جلد أول، تهران، 1373هـ.
- عبدالعظيم رضى: تاريخ ده ساله إيران از غزنويان تا انقراض صفوية، جلد3، جاب نجم.
- كرمانى: سلجوقيان وغزدر كرمان، تعليق باستاني باريذى، تهران، 1373هـ.
- مرتضى رواندي: تاريخ اجتماعي، إيران، نقش دوم، جلد هشتم، بانجانه، تهران، 1274هـ.
- ميرخواند: روضة الصفا، تهذيب وتلخيص عباس زرياب، تهران، 1373هـ.
- ميركاساني: أورته آسيا تاريخي (سياسي، ديني، اجتماعي، أدبي).

## سادساً: المراجع المعربة والمترجمة:

- أبري: تراث فارس، ترجمة محمد كناس وآخرون، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1969م.
- أرنست كول: الهند الإسلامي، ترجمة/ أحمد محمد عيسى، دار المعارف، القاهرة، 1958م.
- أوقطاي: اصلا ن آباء، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة / أحمد عيسى، استانبول، 1987م.
- إيرين فرانك وديفيد برستون: طريق الحرير، ترجمة / أحمد محمود، القاهرة، 1977م.

- **بارتولد فاسيلي فلادبمير وخيش: تاريخ الترك في آسيا الوسطى،** ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م.
- **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي،** نقل عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1996م.
- **براون إدوارد جرنفيل: الطب العربي،** ترجمة داود سليمان، مطبعة العاني، بغداد، 1964م.
- **تاريخ الأدب في إيران،** ترجمة وتعليق أحمد كمال الدين حلمي، الكويت، 1996م.
- **بطروشفسكي: الإسلام في إيران،** ترجمة د. السباعي محمد السباعي، ط دار الزهراء للنشر، 1412هـ / 1993م.
- **بول غليونجي وآخرون: موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين،** مؤسسة المعارف، بيروت، (د.ت).
- **جوزيف شاخت: وكليفورد بوزورث،** تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمدة، منشورات المجلس الوطني للثقافة، أبو ظبي، 1998م.
- **خاسفري: أوزران الشعر الفارسي،** ترجمة محمد نور الدين عبدالمنعم، القاهرة، 1978م.
- **جوستاف لويون: حضارة العرب،** ترجمة محمد فتحي عثمان، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- **دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها،** ترجمة عبدالمنعم أحمد حسين، ط7، القاهرة، 1985م.
- **ديماند: الفنون الإسلامية،** ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف، القاهرة، 1958م.



- رسول جعفریان: الشيعة في إيران دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري، تعريب علي هاشم الأسري، 1420هـ / 1378م.
- روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العماشي، بيروت، 1983م.
- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على العرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال الدسوقي، ط3، نشر المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت، 1399هـ / 1982م.
- ستا نودولب: المسلمون في تاريخ الحضارة، ترجمة محمد فتحي عثمان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- عباس إقبال: الوزراء في عهد السلاجقة، ترجمة كمال الدين حلمي، الكويت، 1954م.
- تاريخ المغول ترجمة عبدالوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000م.
- فامبري ارمينوس: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة أحمد محمود الساداتي، ويحيى الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، (د.ت).
- قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام ترجمة عن الفارسية صادق نشأت، وأحمد ناجي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.
- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1998م.
- كراتشكوفسكي الفاطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي نقله إلى العربية/ د. صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، 1996م.
- كليفورد بوروث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، دار ابن حزم، بيروت، 1998م.

- **لسترنج:** بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوريس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1958م.
- **نفيس أحمد:** جهود المسلمين في الجغرافية، ترجمة / د. فتحي عثمان وراجعه/ د. علي أدهم، دار القلم، (د.ت).
- **هايد:** تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.

### سابعاً: الدوريات والرسائل العلمية:

- **أحمد توني عبداللطيف:** الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك، بحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر الدولي (المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز)، جامعة الأزهر، 1993م.
- **جمال عبدالرحيم إبراهيم:** التأثيرات الفنية بين عمائر مصر وآسيا الوسطى، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، 1988م.
- **حسين أمين:** نظم الحكم في العصر السلجوقي، مقال منشور بمجلة سومر، ج1، ج2، المجلد العشرون، بغداد، 1964م.
- المدرسة النظامية من مظاهر الحضارة الإسلامية ببغداد، مقالة مجلة كلية التربية ببغداد، المجلد العاشر، 1380هـ/1962م.
- **حسن حسني عبدالوهاب:** البردي والورق والكاغد في إفريقية التونسية، معهد المخطوطات العربية، مج3، القاهرة، 1956م.
- **خليل عبدالمجيد زيادة:** جمهورية طاجكستان الإسلامية، ماضيها وحاضرها، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى، العدد سبتمبر، 1993م.

- سعد زغلول **عبدالحميد**: الترك والمجتمعات التركية، مجلة آداب الإسكندرية، 1963م.
- **سنية مصطفى**: محمود الكاشغري وكتابه (ديوان لغات الترك) مقال نشر بمجلة أبحاث المؤتمر الدولي المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ج6، جامعة الأزهر، 1993م.
- **شربات أحمد مصطفى**: تركستان في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب قنا، مصر، 2005م.
- **شوقي شعث**: الخانقات في التراث الحضاري الاسلامي، مؤتمر المؤرخون العرب، الشارقة، 2001م.
- **صالح أحمد العلي**: ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية، مجلة المجمع العلمي الجغرافي، مج 37، 1976م.
- **صلاح الدين المنجد**: مصادر جديدة عن تاريخ الطب عند العرب، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد، 1959م.
- **عبدالحكيم بليغ**: المسجد والقصص والمذكرون، مجلة عالم الفكر، الكويت، 1994م، عدد12، 1987م.
- **عبدالرحمن محمد عبدالغني**: موقف البيزنطيين والفاطميين من ظهور السلاجقة، حوليات كلية الآداب الكويت، 1994م، حولية رقم 97.
- **عبدالله عواتوف**: علم الحديث في آسيا المركزية، بحث منشور ضمن ندوة رأس الخيمة التاريخية وبلدان آسيا الوسطى والقوقاز، 1999م.
- **عبدالمجيد بركو**: المخطوط العربي في عصر الوراقين، مجلد الرافد، العدد 70، الشارقة، 2003م.

- غوارم تشيكوفاني: العرب في الاتحاد السوفيتي، بحث نشر ضمن ندوة العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وبلدان آسيا الوسطى، 1999م.
- محمد رزون: دور الكناشات في الكتابة التاريخية المغربية، مجلة الوثائق والمخطوطات العدد الرابع، 1990م.
- محمد عبدالعظيم أبو النصر: مراكز التجارة في آسيا الوسطى، بحث منشور في مجلة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، العدد الثامن، 2000م.
- الفتح الإسلامي لإقليم الصغد، بحث منشور ضمن حويله الدراسات الآسيوية، العدد الأول، الزقازيق، 1997م.
- محمد علي الفراء: العلاقات الثقافية بين عرب الجزيرة وشعوب آسيا الوسطى بحث ضمن ندوة العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وبلدان آسيا الوسطى، 1999م.
- محمود شيت خطاب: بلاد ما وراء النهر، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ج4، مجلد 33، 1982م.
- مصطفى جواد: المدرسة النظامية ببغداد، مقال منشور بمجلة سومر، بغداد، ج2، مج9، 1953م.
- مني حسن محمود: المعتزلة في بلاد المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس، 2007م.
- يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، بحث مستخرج من مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية، الرياض، 1395هـ / 1975م.

## الملاحق

## ملحق رقم (1)

### خلفاء بني العباس في العصرين السلجوقي والخوارزمي

- الخليفة القائم بأمر الله (422 - 467هـ / 1030 - 1074م).
- الخليفة المقتدي بأمر الله (467 - 487هـ / 1074 - 1094م).
- الخليفة المستظهر بالله (487 - 512هـ / 1094 - 1118م).
- الخليفة المسترشد بالله (512 - 529هـ / 1118 - 1134م).
- الخليفة الراشد بالله (529 - 532هـ / 1134 - 1134م).
- الخليفة المقتفي لأمر الله (532 - 555هـ / 1137 - 1160م).
- الخليفة المستنجد بالله (555 - 566هـ / 1160 - 1170م).
- الخليفة المستضيء بأمر الله (556 - 575هـ / 1170 - 1179م).
- الخليفة الناصر لدين الله (575 - 622هـ / 1179 - 1225م).
- الخليفة الظاهر بأمر الله (622 - 623هـ / 1225 - 1226م).
- الخليفة المستنصر بالله (623 - 640هـ / 1226 - 1242م).

## ملحق رقم (2)

### سلاطين السلاجقة

- السلطان طغرل بك (429 - 455هـ / 1037 - 1063م).
- السلطان ألب أرسلان (455 - 465هـ / 1063 - 1072م).
- السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (465 - 485هـ / 1072 - 1092م).
- السلطان بركياق بن ملكشاه (489 - 498هـ / 1095 - 1104م).
- السلطان محمد بن ملكشاه (498 - 511هـ / 1095 - 1117م).
- السلطان سنجر بن ملكشاه (511 - 552هـ / 1117 - 1157م).
- السلطان محمود بن ملكشاه (511 - 525هـ / 1117 - 1130م).
- السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه (526 - 529هـ / 1131 - 1134م).
- السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه (529 - 547هـ / 1134 - 1152م).
- السلطان ملكشاه بن محمود بن محمد (547 - 548هـ / 1152 - 1153م).
- السلطان محمد بن محمود بن محمد (548 - 554هـ / 1153 - 1159م).
- السلطان سليمان شاه بن محمد ملكشاه (554 - 556هـ / 1159 - 1160م).
- السلطان أرسلان بن طغرل بن محمد ملكشاه (556 - 571هـ / 1160 - 1175م).
- السلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل (571 - 590هـ / 1175 - 1193م).

### ملحق رقم (3)

#### سلاطين الدولة الخوارزمية

- نوشتكين خوارزمشاه (470 - 490هـ / 1077 - 1096م).
- محمد بن نوشتكين خوارزمشاه (490 - 521هـ / 1096 - 1127م).
- آتسزين محمد بن نوشتكين خوارزمشاه (521 - 551هـ / 1127 - 1156م).
- إيل أرسلان بن آتسزين محمد خوارزمشاه (551 - 568هـ / 1156 - 1172م).
- تكش بن إيل أرسلان خوارزمشاه (589 - 596هـ / 1193 - 119م).
- علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه (596 - 617هـ / 1199 - 1220م).
- جلال الدين منكبرتي بن علاء الدين محمد خوارزمشاه (617 - 628هـ / 1220 - 1230م).



## ملحق رقم (4)

### وصف إقليم ما وراء النهر

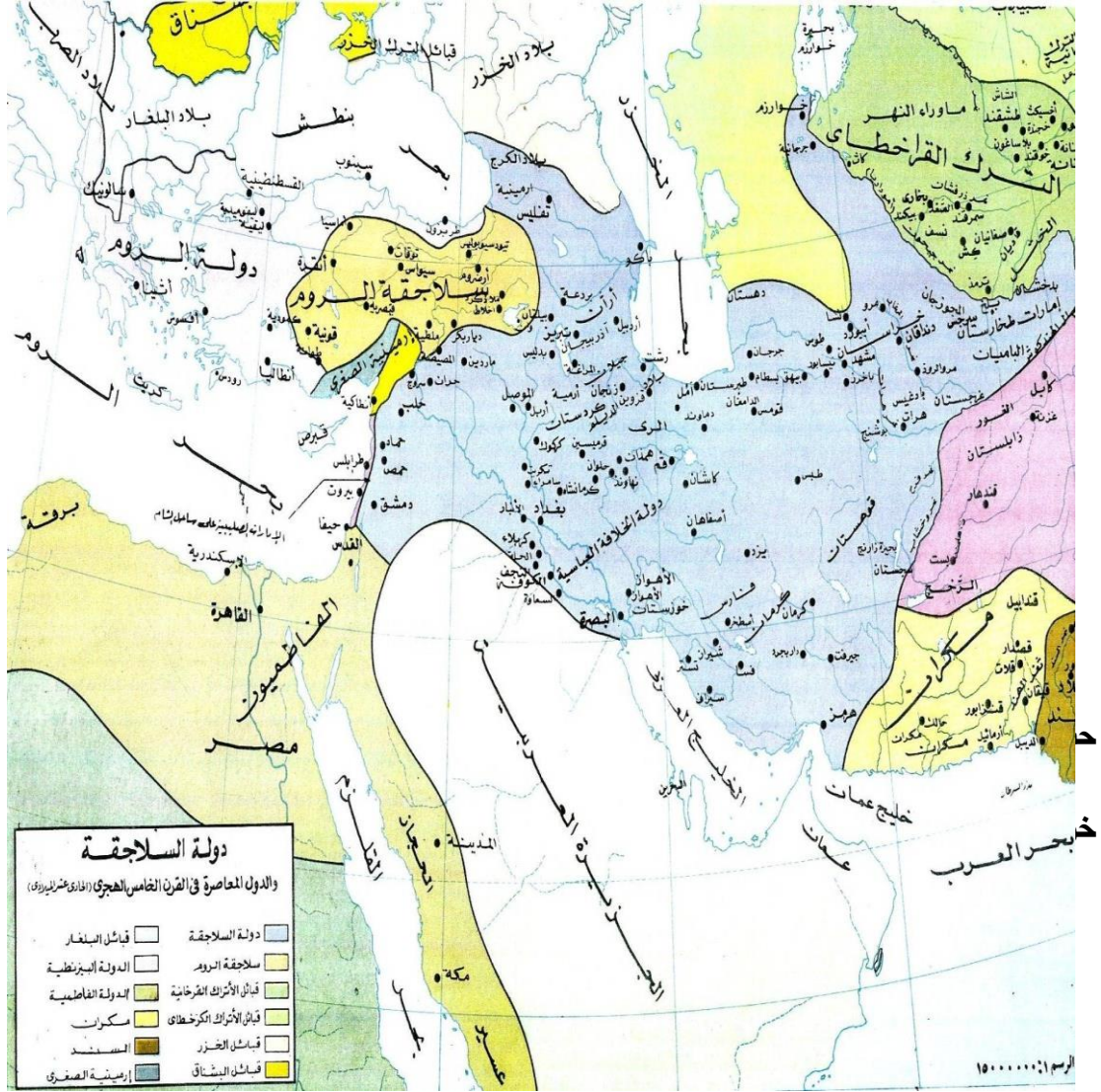
هو أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء ومعدن الخير ومستقر العلم وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم ملوكه أجل الملوك وجنده خير الجنود، قوم أولى بأس شديد ورأي شديد، واسم كبير، ومال مديد، وخير وفتح ونصر عظيم ترى به رساتيق جلييلة وقرى نفيسة وأشجاراً ملتفة وأنهاراً جارية ونعماً ظاهرة ونواحي واسعة وديناً مستقيماً، هو سد الترك وترس الغز وهول الروم ومفخر المسلمين.

وهو أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيراً وفقهاً وعمارة، ورغبة في العلم واستقامة في الدين، وأشد بأساً وأغلظ رقاباً وأدوم جهاداً وأسلم صدوراً وأرغب في الجماعات... ينظر المقدسي، أحسن التقاسيم، ص310، 311.



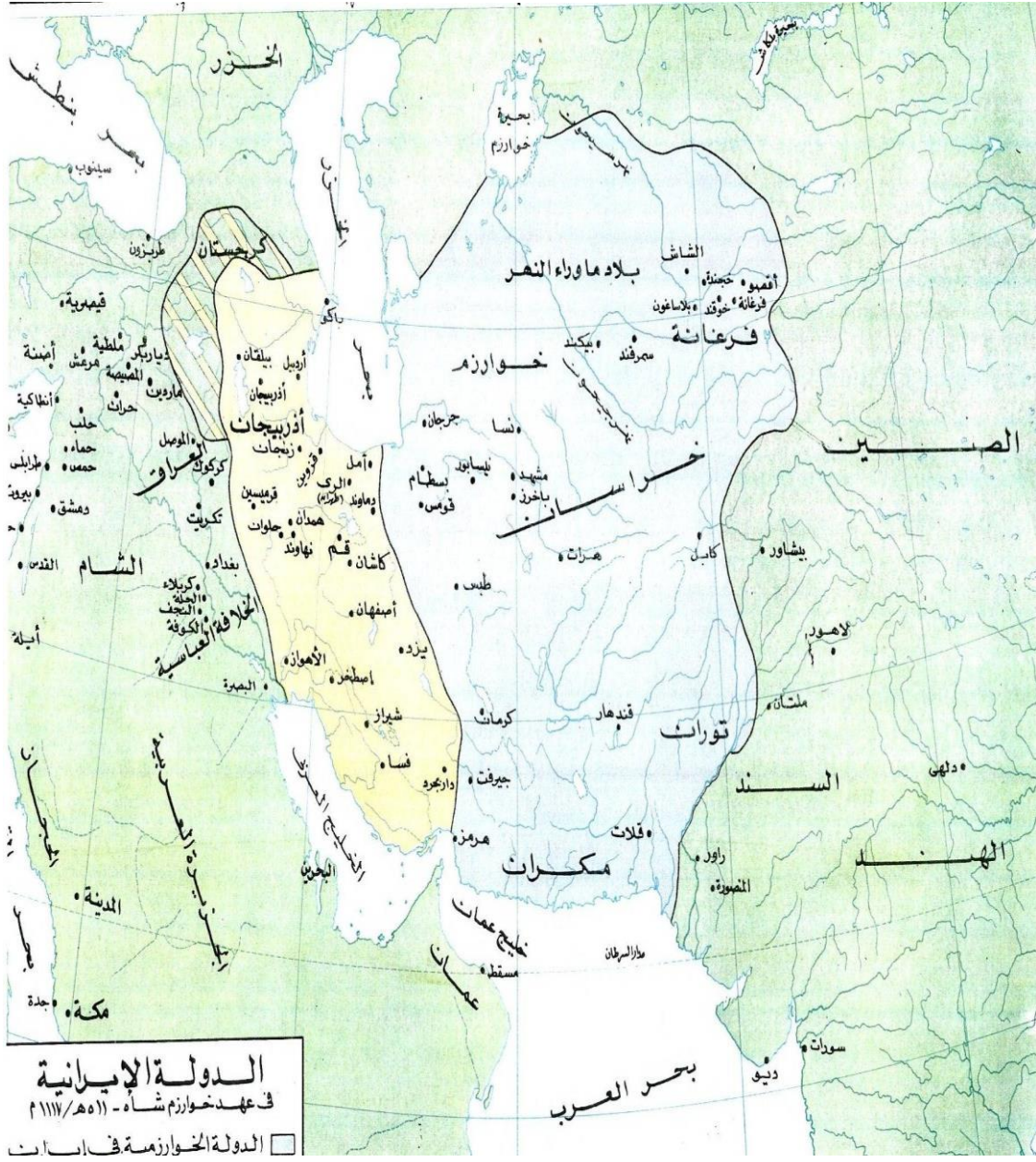


## خريطة رقم (2)



حسن مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص 220.

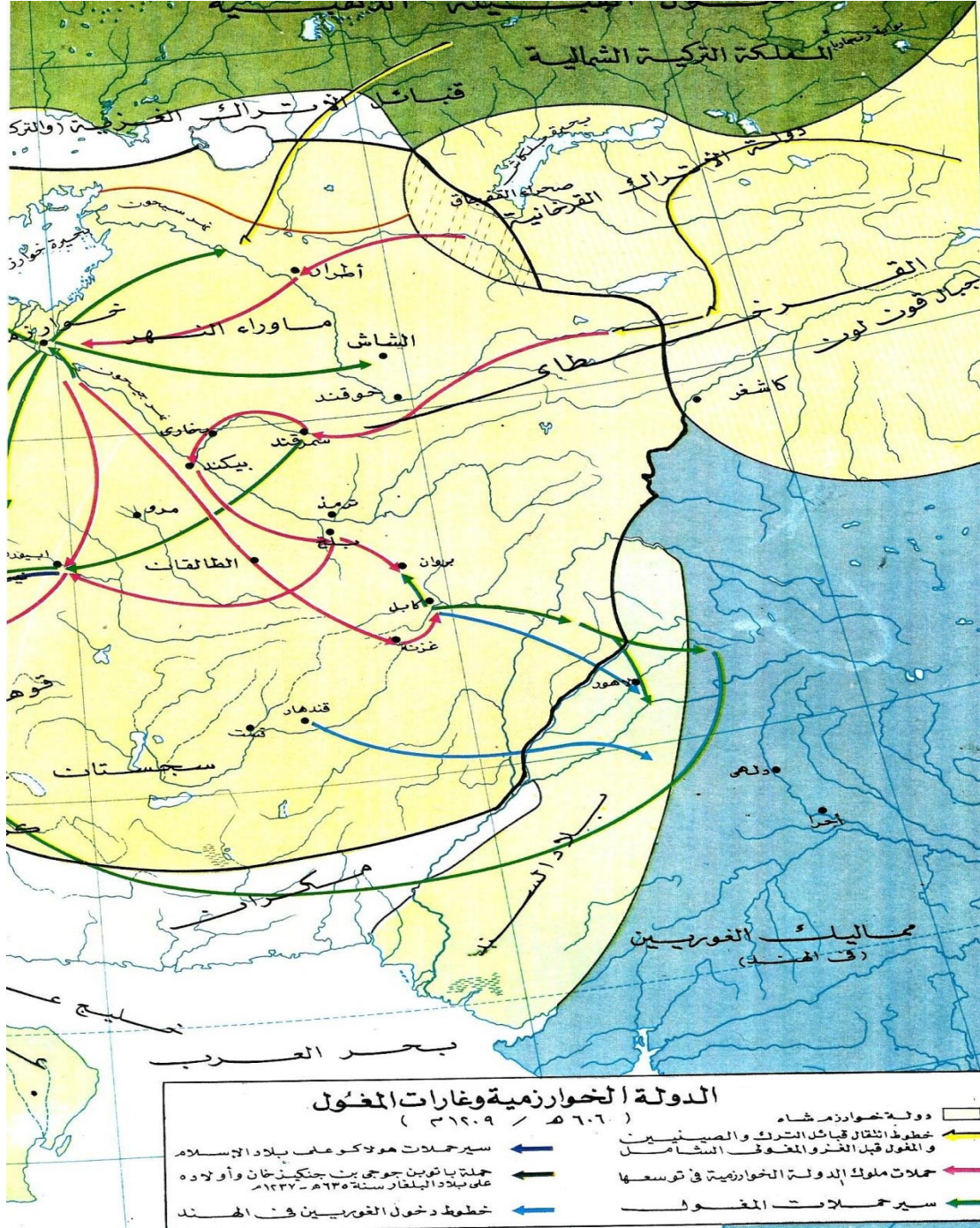
### خريطة رقم (3)



حسن مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص 221.



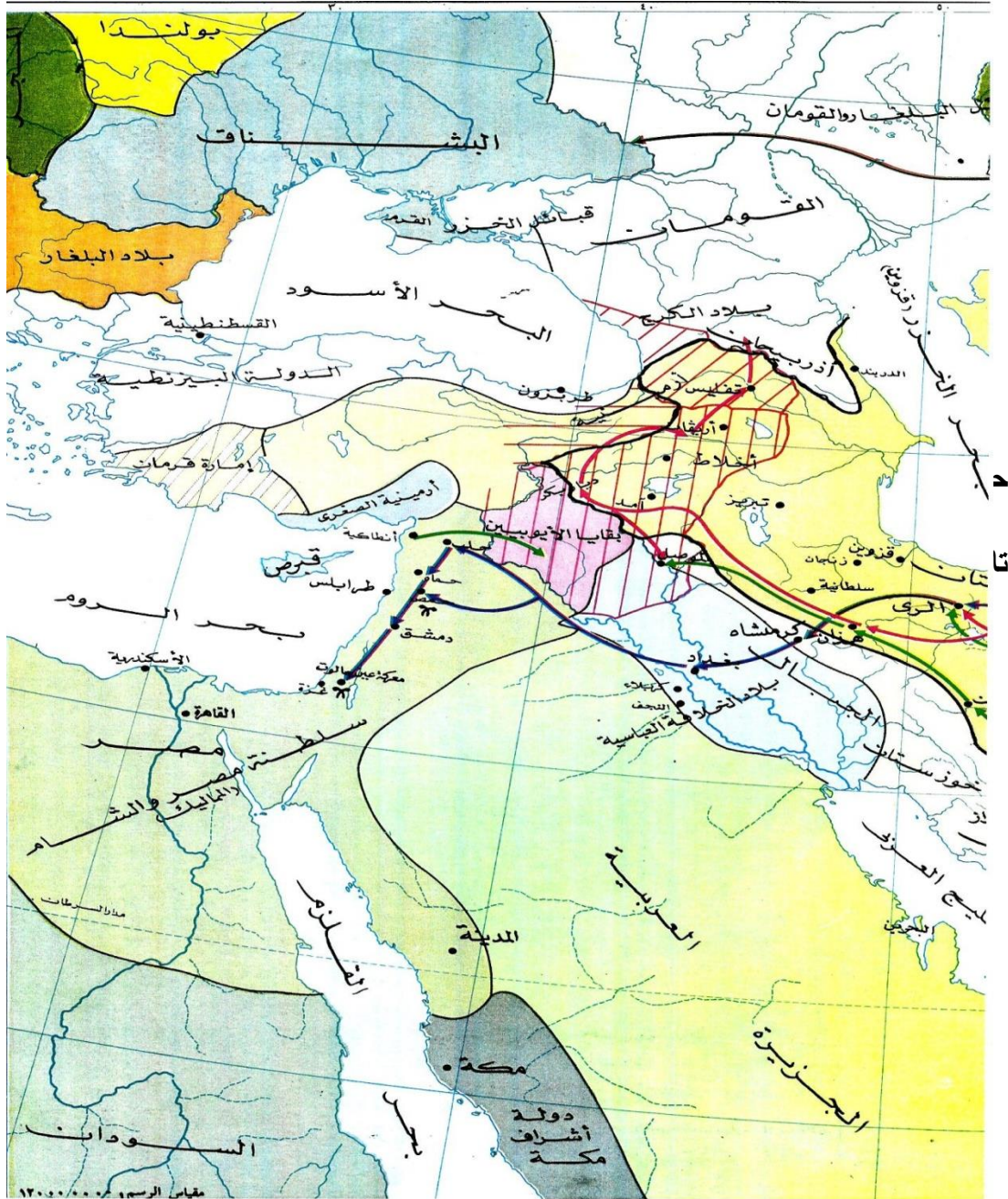
خريطة رقم (4)



حسن مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص 222.



تابع خريطة رقم (4)



حسن مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص 222.

## **Abstract**

Intellectual life in the region beyond the river in the Saljuk and algorithm times (460-622 Hijri/1067-1221)

The letter consists of 479 pages and consists of an introduction and includes the importance of the topic, the aims and reasons for its choice, the difficulties encountered by the researcher, the approach to the study, a critical study of the most important sources, the preface, five chapters and conclusion, a list of prosecutions, maps and other sources and references .

The preface is entitled The Historical geographical framework of a region beyond the river.

The first chapter dealt with the political conditions in the Mesopotamia of the Islamic conquest until the Mongol invasion and included the unregulated and orderly opening and political development of the territory until the algorithm era.

Chapter II addresses the factors that have helped to promote the flourishing of intellectual life, the nature of the territory, the rich, the interest and the encouragement of the Sultans and ministers with knowledge, scholars, sectarian strife, scientific excursions and waqfs.

The third chapter is entitled Educational Institutions in a region beyond the river, such as Catalan, mosques, schools, ligaments, libraries and others.

Chapter IV carried the title of Scientific and Literary Productions (transport Sciences), which are legal, linguistic and literary.

He dealt with the fifth and final chapter (mental sciences), such as medicine, pharmacy, Chemistry, Astronomy, history and geography, and spoke of the Mongol invasion of the country beyond the river and its impact on intellectual life.

The conclusion summarized the main findings of the study.



**Intellectual life in the territory beyond  
the river in  
Seljuk and Khwarizmi times  
(460-622 e) (1067-1221 m)**

**By**

**Amina Salem Juma Al-Amami**

**Supervisor**

**A. Dr. Mohamed Abdel Azim Abou El Nasr**

**This Thesis is an update of the requirements  
for obtaining a master's degree in  
Islamic history**

**University of Benghazi**

**Faculty of Literature**

**Dec 2017**